

منطق تفسير القرآن (١)

أُصول وقواعد التفسير

محمد علي الرّضائي الأصفهاني .

تعريب: أحمد الأزرقي و هاشم أبو خمسين

معاونية التحقيق


بسم الله الرحمن الرحیم



معاونية التحقيق

سرشناسه: رضایی اصفهانی، محمدعلی، ١٣٤٤ -
عنوان قراردادی: منطق تفسیر قرآن (١) .عربی
عنوان و نام پدیدآور: منطق تفسیرالقرآن: اصول و قواعدالتفسیر (١)/ تالیف محمدعلی الرضائی الاصفهانی؛ تعریب احمد الازرقی، هاشم ابوخمسین.
مشخصات نشر: قم : مرکز المصطفیﷺ العالمی للترجمة والنشر، ١٣٩٢.
شابک: ٩٧٨-٩٦٤-١٩٥-٧٧١-٣
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت: عربی.
یادداشت: کتابنامه: ص. ٤٥٠ـ٤٥٧؛ همچنین به صورت زیرنویس.
یادداشت: چاپ دوم: ١٣٩٤ (فیپا).
موضوع: تفسیر -- فن
شناسه افزوده: ازرقی، احمد، ١٣٤٠ -، مترجم
شناسه افزوده: ابوخمسین، هاشم‌عبدالنبی، مترجم
شناسه افزوده: جامعة المصطفیﷺ العالمیة. مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفیﷺ
رده بندی کنگره: BP ٩١/٥/ر٦م٨٠٤٣ ١٣٩٢
رده بندی دیویی: ٢٩٧/١٧١
شماره کتابشناسی ملی: ٣٤٠٦٨٦٢

منطق تفسير القرآن ١

(أصول وقواعد التفسير)

محمد علي الرضائي الأصفهاني

تعريب

أحمد الأزرقي

هاشم أبو خمسين



منطق تفسير القرآن١ (أُصول وقواعد التفسير)

المؤلف: محمد على الرضائى الأصفهانى

تعريب: هاشم أبو خمسين، أحمد الأزرقى

الطَّبعة الثانية: ١٤٣٦ق / ١٣٩٤ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: نارنجستان ● **السّعر:** ٢٢٠٠٠٠ ريال ● **عدد النّسخ:** ٣٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

- ايران؛ قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨. هاتف: ٣٧٨٣٩٣٠٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٢١٣٣١٤٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ قم، مجتمع الناشرين، الطابق الثالث، رقم المجتمع ٣٠٨. هاتف: ٣٧٨٤٢٤٠٢ ٢٥ ٩٨+

pub.miu.ac.ir miup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.[1]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و على آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

لقد شهدت دائرة العلوم الإسلامية على اختلاف موضوعاتها وأغراضها، عبر تاريخها الطويل اتساعاً واضحاً ونمواً مطّرداً، صاحبَهَا ازدهارٌ مشابهٌ في العلوم الإنسانيه، وفي الفكر، والثقافة والتعليم، والفن، والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحيوية وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينيقدس‌سره، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية، بعد تزايد الحاجه الماسّة إلى إيجاد الحلول للمشاكل والاستفهامات الدائرة في شتى الموضوعات الاجتماعية والسياسيه والعقائدية، في ظل المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيئات للعالم فرصة فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

من هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علم من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق، والنفس، والاجتماع، وغيرها. لتوقّف سعادة

---

١. الكهف: ١.

الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]

فقامت في الحوزة العلميه حركة علمية كبرى يتوجية من قائد الجمهورية الاسلامية الإمام الخامنئي (دام ظله) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكرين، والعمل الجاد وبذل غايه الوسع، في بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى ﷺ العالمية على عاتقها المساهمة الفعّالة في صياغة كثير من المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تصاعد الحركة العلمية والثقافية الحديثه.

فأسست «مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر» لينهض بنشر هذه الآثار العلميه وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلامية وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص أو خطأ يفوت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلّف الحريص.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم تقدّم به فضيلة الأُستاذ الدكتور محمد علي الرضائي الأصفهاني وقد قام بترجمته الأُستاذان «هاشم أبوخمسين» و «أحمد الأرزقي» جاء متّسقاً مع أهداف الجامعة، ومفردة من مفردات مناهجها الدراسية المترامية الأطراف.

يتقدّم «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر» بوافر الشكر للمترجمين الفاضلين الكريم على ما بذلاه من جهد وعناية، ولكلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقرّاء الكرام.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد وهو من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

---

١. الذاريات: ٥٦.

الفهرس

القسم الثاني: قواعد التفسير

المدخل

﴿إِنَّ هَذَا القرآن يِهْدِى لِلَّتِى هِى أَقْوَمُ﴾.[1]

القرآن الكريم، هو ينبوع المعارف الإلهية المتدفق، ومائدة الله المبسوطة للبشرية، وبرنامج ينظم حياة الإنسان إلى آخر لحظة من حياته.

والانتفاع من ماء الحياة هذا، له أصول وقواعد، ويتطلب استعدادات مميزة حتى يستطيع الإنسان من خلال التدبّر في آيات الذكر الحكيم أن يهتدي لطريق السعادة.

وقد بين المفسرون وأرباب علوم القرآن، بعض هذه الأصول والقواعد والشروط، حيث فصّلوا عدداً من هذه المسائل في مقدمات العلوم، كالمنطق، والفقه.

يُعنى هذا الكتاب بمهمة عرض هذه الأصول والقواعد لعشاق القرآن، وينظّمها في إطار يحمل عنوان «منطق تفسير القرآن».

تعريف منطق التفسير

إن المقصود بمنطق تفسير القرآن هو: الأصول والقواعد، والموازين، والمناهج والاتجاهات، وأسلوب البحث في تفسير القرآن، والتي بمراعاتها يمكن تجنب أخطاء المفسرين.

وبعبارة أدق إن منطق تفسير القرآن هو: قواعد وضوابط ومناهج الاستنباط من القرآن، التي تعلّم المفسّر طريق الاستنتاج الصحيح من القرآن.

---

١. الإسراء: ٩.

وعلى أساس ما تقدم فإن منطق تفسير القرآن يشمل الموارد التالية:

أ) أصول التفسير.

ب) قواعد التفسير.

ج) مناهج التفسير.

د) اتجاهات التفسير.

هـ) منهج البحث في التفسير وعلوم القرآن.

وسوف يتم بيان هذه الموارد بشكل مفصّل ضمن فصول ومباحث الكتاب إن شاء الله تعالى.

أسلوب هذه الدراسة

أ) أهداف الكتاب

١. إيضاح الأصول ومقدمات التفسير وشروط المفسر.

٢. عرض ومناقشة القواعد الخاصة بالتفسير، والقواعد المشتركة بينه وبين العلوم الأخرى.

٣. نقد ودراسة مختصرة للآراء المرتبطة بالنقطتين الأولى والثانية.

٤. تنظيم أصول وقواعد التفسير ووضعها في إطار تعليمي.

ب) مميزات الكتاب

١. تعريف ودراسة الأصول مثل: التفسير، والتأويل، والبطن، وقواعد التفسير، وغيرها والتمييز بينها، وبيان حدود كل واحدة منها.

٢. الانتفاع من المواضيع الجديدة في علم التفسير، مثل: لغة القرآن، القرآن وثقافة العصر، وغيرها من المواضيع وتنظيمها ضمن إطار أصول وقواعد التفسير.

٣. الإفادة من قواعد التفسير المعروفة في كتب أهل السنة، وتوظيفها وفق الأصول الفكرية لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

٤. عرض المواضيع بصورة منسجمة مع النص التعليمي.

٥. تدريس هذا الكتاب لعدة سنوات في المراكز التعليمية، ومنها قسم التفسير في حوزة قم العلمية، وجامعة المصطفى العالمية، وغيرها من المراكز العلمية، وقد ساهم في زيادة الخبرات، والتغيير والتطبيق على المتن.

ج) ملاحظات تعليمية

على الأساتذة الأفاضل الذين يريدون تدريس هذا الكتاب الاهتمام بالملاحظات التالية:

١. التركيز على المواضيع الأساسية في الدرس، وأما الجزئيات، فهي موكولة إلى الطلاب والباحثين.

٢. عرض أبحاث جديدة في كل درس، وتكليف الطلاب بكتابة بحوث وإلقائها بمدة لا تقل عن ثلث وقت الدرس، يشرع بها ابتداءً من الحصة الثانية.

٣. طرح أمثلة متنوعة في كلّ درس، يمكن لها أن تكون أساساً في كل مبحث.

٤. يفضل للأستاذ أن يصطحب معه الكتب ذات العلاقة بموضوع الدرس، ويريها للطلاب ليتعرفوا عليها عن قرب، مع الاستفادة من مصادر أخرى نهاية كلّ درس ليكون الطلاب مطلعين على المصادر المهمة للمعلومات أكثر فأكثر.

٥. يرجّح أن تقسّم درجة الامتحان إلى ثلاثة أقسام، قسم منها لإلقاء البحث داخل الفصل، وقسم آخر يخصص للبحث الذي يقدمه الطالب نهاية الفصل الدراسي، ويخصص نصف الدرجة المتبقي للامتحان التحريري.

٦. هناك طريقتان للامتحان في هذا الدرس:

أ) يتم اختيار سؤال من بين الأسئلة المطروحة آخر كلّ حصة.

ب) يطلب من الطالب تشخيص أصول وقواعد التفسير في نص تفسيري يرفق مع ورقة الامتحان.

٧. بعد طرح كل مبنىً أو قاعدة أو آراء مختلفة، يطلب الأستاذ من طلابه التأمل فيها ونقدها، ثم يضيف موضوعاً مكمّلاً، ويقوم بعملية الاستنتاج.

وببيان آخر، إن هذا الكتاب لا يزيد في معلومات الباحثين فحسب، بل يعلمهم الفكر النقدي ومنطق التفسير، ومن خلال عملية التعليم ينمّي عندهم ملكة التشخيص والاستنباط في التفسير.

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى الذي وفقني للاستئناس بوحيه، وخدمة قرآنه وأهل بيته عليهم السلام.

وكذلك أتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة الذين قدموا النصح في تأليف هذا الأثر القرآني، وأخص منهم بالذكر رئيس جامعة المصطفى العالمية حجّة الإسلام والمسلمين سماحة الشيخ الأعرافي، الذي أثار الفكرة الأولى لتأليف منطق تفسير القرآن (١).

كما أقدّم الشكر والتقدير لسماحة الشيخ عزّ الدين رضا نجاد مسؤول مكتب التخطيط وتدوين المناهج الدراسية، وجميع العاملين في مركز المصطفى العالمي للترجمه والنشر التابع لجامعة المصطفى العالمية.

آمل أن تحظى هذه الخدمة برضا الله «تبارك وتعالى»، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأئمة أهل البيت عليهم السلام، وتنال اهتمام رواد تفسير القرآن، وأن تكون خطوة على طريق تطوير وإضاءة طريق التفسير في العصر الحاضر.

كما أتقدّم بالثناء والتقدير لكل الأساتذة والباحثين في المجال القرآني الذين ساهموا في إكمال هذا الأثر من خلال ملاحظاتهم البناءة.

والحمد لله رب العالمين.

قم المقدسة

محمد علي الرضائي الأصفهاني

١٠/ ٢ / ١٣٨٦ هـ ش

القسم الأول

أُصول التفسير

المقدمة

إنّ تفسير القرآن، هو علم مستقلّ كسائر العلوم الأخرى، فهو يشتمل على مباحث تصورية كـ «التعريف، والهدف والأصول، والمناهج، وغيرها».

ويمكن أن نطلق على هذه المجموعة من المباحث منطق تفسير القرآن؛ لأنها تساعد في فهم وتفسير القرآن، حيث تجنب المفسّر الوقوع في الفهم الخاطئ.

ولهذه المباحث محاور أساسية:

أ) أُصول التفسير: ويقصد بها المبادئ التصورية والتصديقية للتفسير، والتي لابدّ للمفسر من أن يطلع عليها، ويختار المبنى الموافق لرأيه قبل الشروع بعملية التفسير.

وهذه الأصول تتضمن عدداً من المباحث كـ «معنى التفسير، والتأويل، والبطن، ومصادر التفسير، وشروط المفسر، والفرضيات ومقدمات التفسير، وضوابط التفسير المعتبر».

ب) قواعد التفسير: ويقصد بها القوانين الكلية التي تكون واسطة في الاستنباط من آيات القرآن الكريم، ولا تختص بآية أو سورة معينة،[1] حيث تحتوي على القواعد المشتركة للتفسير، والعلوم الأخرى، وكذلك القواعد المختصة بالتفسير.

ج) مناهج تفسير القرآن: التي تبين طريقة المفسرين واعتمادهم على آلية معينة، ومستنداتهم في التفسير، فهي تتضمن مجموعة من المناهج كـ «منهج تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج الروائي، والعقلي، والعلمي، والإشاري(الرمزي)، وغيرها من المناهج».

---

١. للتفصيل في معنى قواعد التفسير والآراء المختلفة فيها، يراجع: موضوع مبحث قواعد التفسير في القسم الثاني من هذا الكتاب.

د) الاتجاهات التفسيرية: التي تتناول تأثير عدة عوامل على التفسير مثل «تخصص المفسّر في علم ما، وميوله ورغباته الخاصة، وأفكاره، وعقائده».

وقد جعلنا المبحثين الأولين تحت عنوان منطق تفسير القرآن(١)، والمبحثين الأخيرين تحت. عنوان منطق تفسير القرآن.[١]

بعد أن أدركنا أنّ الفهم الصحيح للقرآن متوقّف على منطق التفسير، يتضح لنا أنّ مطالعة هذه المباحث والتدقيق فيها تحظى بأهمية بالغة، والإقدام على تفسير القرآن من دون الاهتمام بها يجرّنا إلى التفسير بالرأي، والذي يعد انحرافاً خطيراً في عملية التفسير، ومن الموبقات الكبيرة، وعندها يسلب الاعتبار من تفسير المفسّر.

التأليف في أصول تفسير القرآن

فيما يتعلق بأصول تفسير القرآن، ذكرت مباحث في طيات بعض كتب التفسير وعلوم القرآن، منها: ما دونه الشيخ الطوسي(ت/٤٦٠ هـ) في مقدمة *تفسير التبيان*، وتبعه الطبرسي (ت/ ٥٤٨ هـ) في مقدمة *مجمع البيان*، وكذا السيوطي (ت/٩١٠ هـ) في كتاب *الإتقان في علوم القرآن*، وعميد الزنجاني في كتاب *الأصول والمناهج التفسيرية*، وكامران إيزدي مباركه في كتاب *شروط وآداب التفسير والمفسّر*، وعلي أكبر بابائي وآخرون في كتاب *منهج تفسير القرآن* في القسم الخاص بمدخل *التفسير العلمي للقرآن*، وخالد عبد الرحمن العك في كتاب *أصول التفسير وقواعده*.

---

١. درس كلا المبحثين مراراً في المراكز العلمية والجامعات، ثم قام المركز العالمي للدراسات الإسلامية بطبع: *مباحث المناهج والاتجاهات التفسيرية* تحت عنوان (*دروس في مناهج واتجاهات تفسير القرآن*)، وأما فيما يتعلق بمباحث *منطق تفسير القرآن*(١) فهي بين يدي القارئ العزيز.

الفصل الأول
التفسير

أولاً: نظام علم التفسير

استخدمت مفردة «التفسير» بثلاث معان:

أ) التفسير استعمل بمعنى: (فعل المفسّر) وهو التفسير الاصطلاحي، وهو الذي يشكّل موضوع هذا الكتاب.

ب) التفسير، استعمل ويراد منه: الكتاب الذي وضع لتوضيح وشرح آيات القرآن، ومثاله التفاسير التي كتبت على مرّ العصور، نذكر منها على سبيل المثال تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، والتفسير الأمثل.

والتي يراد منها هنا مجموعة المعطيات المتعلّقة بالقرآن الحاصلة نتيجة بحث المفسّر، والمجموعة في كتاب واحد.

وهذه المجموعة من المعلومات عادة ما تكون أعم من المعنى الاصطلاحي، أي أنها تشمل عمل المفسّر واستنباطاته من الآيات، وكذا تشمل مباحث علوم القرآن، والمعلومات التي قد ترتبط بالقرآن بشكل مّا.

ج) التفسير بمعنى «علم التفسير» أي العلم الذي يشتمل على الأركان المعروفة في تشكيل العلوم، لموضوعي العلم، ومسائل العلم، والمبادئ التصورية والتصديقية.

أي أن التفسير له: موضوع، وتعريف، وهدف، وفائدة، وأصول يرتكز عليها.[1]

---

١. مفردة *علوم القرآن*، قد تستعمل بمعنىً أخصّ ويراد بها ما يقابل التفسير، وأحياناً تستعمل بمعنىً أعم ويراد بها ما يشمل التفسير وغيره.

ومن هنا فإن التفسير يعتبر أحد العلوم المرتبطة بالقرآن، حيث يمتد عمره إلى ما يقارب الألف سنة.[١]

ويمكن القول إن علم التفسير: هو ذلك العلم الذي يعرف الإنسان بمعاني ومقاصد الآيات القرآنية، ومصادرها، وأُسسها، ومناهجها، ومعاييرها، وقواعدها.

وببيان أوضح: إن علم التفسير يتألف من عدة فروع أساسية هي:

الأول: أصول التفسير.

الثاني: قواعد التفسير.

الثالث: مصادر التفسير.

الرابع: شروط المفسّر.

الخامس: ضوابط فهم التفسير ومعايير التفسير المعتبر.

السادس: مناهج التفسير.

السابع: اتجاهات التفسير«مدارس التفسير».

أما موضوع علم التفسير فهو: الآيات القرآنية «الخطاب الإلهي المنزل على قلب النبي الأكرمﷺعلى هيئة الوحي القرآني.

وأما هدفه فهو: اكتساب ملكة الاستنباط الصحيح من آيات القرآن الكريم.

وأما فائدته فهي: فهم المراد الإستعمالي (معاني الآيات)، والمراد الجدي لله تعالى (مقاصد الآيات).

ثانياً: معنى التفسير

١. التفسير عند أهل اللغة

ذكر علماء اللغة معان واستعمالات متنوعة لمفردة التفسير منها:

كتاب معجم *مقاييس اللغة*: «فَسَرَ كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه[٢]... والفَسر والتَّفسِرة: نظَر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه».

---

١. لابد لكل علم أن يحتوي ركائز ثمان هي: الهدف، والفائدة، ووجه التسمية، والمؤلف، ونوع العلم، ومرتبة العلم، وأبواب العلم، ونهج البحث، وأجزاء الموضوع، والمبادئ التصورية والتصديقية، والمسائل (راجع: *المنطق الصوري*، رهبر خرد:٥).

٢. معجم *مقاييس اللغة*، ابن فارس، مادة (فسر).

كتاب *المصباح المنير*: «تبنى نفس الرأي، ولكنه أضاف إليه أن وزن التفعيل يفيد المبالغة».[1]

كتاب *التهذيب*: الفسر: كشف ما غطي. وقال الليث: الفسر: التفسير، بيان وتفصيل للكتاب...، وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.[2]

كتاب *الصحاح*: الفسر: البيان.[3]

كتاب *تاج العروس*: الفسر: الإبانة وكشف المغطّى.[4]

كتاب *مفردات الراغب*: «الفسر: إظهار المعنى المعقول...، والتفسير: المبالغة كالسفر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل؛ ولهذا يقال: تفسير الرؤيا: تأويلها».[5] «الفسر» بمعنى إظهار المعنى المعقول... والتفسير في المبالغة كالفسر، وقد يختص التفسير بالكلمات المفردة وقد يستعمل في التأويل، ومن هنا فإن مفردة التفسير والتأويل تستعملان في مورد الرؤيا.

وقد اعتبر البعض أن مفردة «الفسر» في الاشتقاق الكبير، مقلوب «السفر».[6] ويطلق اسم السفر على السَفَر؛ لكونه يُسفر ويكشف عن أخلاق الناس؛ ولأنّ المسافر يكتشف أماكن وقضايا جديدة.

كتاب *التحقيق في كلمات القرآن*: الفسر: الشرح مع التوضيح. ثم بين المؤلف اختلاف مفردة الفسر عن باقي المفردات المتشابهة، ذات الصلة بالتفسير.

الشرح: بسط مخصوص في موضوع في قبال القبض.

البيان: انكشاف بعد إبهام، بالتفريق والفصل.

التأويل: جعل شيء متقدّماً حتى يترتّب عليه آخر.

التوضيح: يقابل الخمول والخفاء.

التفصيل يقابل الوصل.[7]

---

١. *المصباح المنير*، الفيومي، مادة (فسر).

٢. *التهذيب*، ابن الأعرابي:٤٠٦/١٢، (مادة فسر).

٣. *الصحاح*، مادة (فسر).

٤. *تاج العروس*، الزبيدي، مادة (فسر).

٥. *المفردات في غريب القرآن*الأصفهاني، مادة (فسر).

٦. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*:١٩٢/٢؛ *البرهان في علوم القرآن*:٢٨٤/٢؛ *مجمع البحرين*، الطريحي مادة (فسر).

٧. *التحقيق في كلمات القرآن*، حسن مصطفوي:٨٦/٩، مادة (فسر).

وأما ما يعادل مفردة التفسير في اللغة الانجليزية فعدة مفردات:

Explanation , Exegesis , Commentary , Interpretation

واستعملت أيضاً بعض المفردات في نفس المعنى مثل:

Explication , Exposition[1]

خلاصة واستنتاج

١. يظهر من آراء اللغويين أن لمعنى التفسير عنصران أساسيان:

الأول: توضيح وشرح المجملات، وكشف المخفيات.

الثاني: كشف المعنى المراد عن طريق التفصيل في المواضيع.

٢. ركّز بعض اللغويين اهتمامهم على الألفاظ الغريبة والمشكلة التي تدخل في نطاق التفسير. ولا يوجد دليل على ما ذهبوا إليه؛ وذلك لسببين:

١. إنّ التفسير قد يكون في صدد بيان معنى جملة كاملة، وليس في صدد شرح معنى المفردة فقط.

٢. إنّ كثيراً من مفردات القرآن وإن كانت غير صعبة ولا غريبة، لكنها تحتاج إلى التوضيح والبيان.

٣. التفسير في باب التفعيل نوع من المبالغة، أي إظهار المعنى وكشفه بصورة جليّة.

٤. ذكر البعض، ومنهم الذهبي: إن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.[٢]

٥. ومن هنا فإن معنى الإظهار والبيان ملحوظ في التفسير، ويتضح أن مرحلة الفهم والتدبّر والتفكر والتعقّل لا تعدّان من التفسير، بل من مقدماته؛ لأنها لا تصل إلى مرحلة الإظهار.

٢. مفردة (التفسير) في القرآن والحديث

التفسير في القرآن: استعملت كلمة التفسير مرة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.[٣]

أشير في هذه الآية إلى أن أحد آثار وفوائد النزول التدريجي للقرآن الكريم، هو: تأييد

---

١. *فرهنگ اصطلاحات علوم تمدن*:١/١٣٣، مادة (تفسير).

٢. *التفسير والمفسرون*، محمد حسين الذهبي:١/١٣.

٣. الفرقان: ٣٣.

النبيﷺ بالجواب الحاسم لأسئلة المخالفين في الظروف الحساسة.

أي أنهم كلّما ضربوا مثلاً ليخالفوا به النبيﷺ، كانت الآيات النازلة بالتدريج ـ انسجاماً مع أسباب النزول ـ تأتي بالجواب المناسب، والمثل الحق، والتفسير الأجمل الأروع.[1]

ومفردة التفسير تعني في جذرها «الكشف والإظهار»، والمقصود بتفسير القرآن هو: إماطة اللثام عن الألفاظ المبهمة والمجملة في القرآن، وبيان مقاصد الله تعالى في الآية.[2]

التحقيق

يمكن القول: إنّ مفردة التفسير في هذه الآية ـ وذلك بالالتفات للمعاني التي ذكرها المفسرون ـ تحمل أحد المعنيين التاليين:

١. الإبانة، والكشف، والتفصيل والدلالة.[3]

٢. المعنى ومؤدى المعاني.[4]

إنّ مفردة التفسير في الآية المتقدّمة لايراد منها المعنى الاصطلاحي للتفسير، والذي هو: بيان معاني الآيات والكشف عن مقاصدها ومداليلها، وإن كان المعنى الأوّل أكثر انسجاماً.[5] مع اللغة وظاهر الآية.

بل الآية المذكورة تتعلّق بنبوة النبيﷺ، وشبهات المخالفين. و«التفسير» فيها استخدم بمعناه اللغوي أي «البيان».

وهذا يعني أنّه كلما ضرب المخالفون مثلاً، أو جاءوا بذريعة في بعض المسائل التي تتعلّق بالمعاد وغيره، أقام الله تعالى ـ في قبال ما جاءوا به ـ مثلاً حقّاً مبيّناً للحقائق بصورة أجلى.

التفسير في السنّة

وردت مفردة التفسير في أحاديث كثيرة، ومن هذه الأحاديث:

ما نقل عن النبيﷺ من أنّه فسّر مفردة «الظلم» في الآية الثانية والثمانين من سورة

---

١. أصرّ العلامة الطباطبائي في *تفسير الميزان:* على أن هذه الآية تعتبر جواباً آخر اً على إشكال الكافرين حول نزول القرآن التدريجي [*راجع: الميزان:* ٢١٢/١٥].

٢. راجع: *در آمدى تفسر علمى قران* (*مدخل التفسير العلمي للقرآن*) للمؤلف.

٣. *تفسير الطبري*، ابن جرير: ٣٨٨/٢؛ *وتفسير لاهيجي*:٣٣٥/٣؛ *وتفسير أبي الفتوح الرازي*:٧٧/٤.

٤. *الكشاف*، *الزمخشري*:٢٧٩/١؛ *البحر المحيط*، أبو حيان:٣٣٥/٨؛ *تفسير أبي الفتوح الرازي*:٧٧/٤.

٥. *منهج تفسير القرآن* ـ بابائي وآخرون: ١١.

الأنعام بـ«الشرك»، حيث قال الراوي: «فقالوا: أينا لم يظلم نفسه، ففسره النبي بالشرك».[١]

وما نقل أيضاً في حديث الإمام الصادقعليه السلام مع قتادة معترضاً على تفسيره للقرآن، من دون الرجوع إلى أهل البيت، «والقرائن المنقولة، فقال لهعليه السلام: «بلغني أنّك تفسّر القرآن».[٢]

وكذلك وردة كلمة التفسير في الروايات الكثيرة المنقولة عن النبيصلى الله عليه وآله وأهل البيتعليهم السلام في موضوع التفسير بالرأي.

التحقيق

يفهم من الأحاديث المشار إليها وأمثالها، أنّ مفردة التفسير كانت معروفة في معناها الاصطلاحي منذ صدر الإسلام.[٣]

٣. مصطلح التفسير عند علماء التفسير و علوم القرآن

ذُكرت تعاريف متعددة لكلمة «التفسير» منها:

١. الراغب الأصفهاني: التفسير في عرف العلماء: هو كشْف معاني القرآن وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى وغيره.[٤]

٢. الطبرسي: التفسير: كشف المراد من اللفظ المشكل.[٥]

٣. الزركشي: التفسير: «علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمدصلى الله عليه وآله، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه».[٦]

٤. العلامة الطباطبائي: «التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها».[٧]

---

١. راجع: *صحيح البخاري*، البخاري و كتاب *تفسير القرآن*، ابن كثي:٤٤٤/٤، وبصائر الدرجات، الصفا/٤٩٨. ومن المؤكد أن كلمة "ففسره" الواردة في هذا الحديث، كانت من كلام الراوي، وليست من كلام النبيصلى الله عليه وآله، حيث أن الراوي وصف فعل النبي المتعلق ببيان تفسير آيات القرآن بالقرآن.

٢. راجع: *وسائل الشيعة*، الحر العاملي:١٨٥/١، باب ١٣، ح٣٣٥٥٦، والصافي، للكاشاني:٢٠/١ ـ ٢١.

٣. راجع: *بحار الأنوار*، المجلسي:١٠٧/٨٩، و*تفسير البرهان*، البحراني ١٦/، و*أمالي الصدوق*/٦، و*عيون أخبار الرضا*، و*سنن الترمذي*:١٥٥/٥، و*كنز العمال*:١٠/٢، وغيره.

٤. *تفسير الراغب الأصفهاني*، نقلاً عن *البرهان في علوم القرآن*، للزركشي:٢٥٨/٢

٥. *مجمع البيان*:١١٣/١.

٦. *البرهان في علوم القرآن*:١، ٣٣.

٧. *الميزان في تفسر القرآن*:٧/١.

٥. السيد الخوئي: «التفسير هو: إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز...إن التفسير: هو كشف القناع ـ كما قلنا ـ فلا يكون منه حمل اللفظ على ظاهره؛ لأنّه ليس بمستور حتى يكشف».[١]

وعلى الجملة، حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتّصلة والمنفصلة من الكتاب والسّنة لا يُعد من التفسير بالرأي ولا من التفسير نفسه.[٢]

٦. الأمام الخميني: «إنّ معنى تفسير الكتاب هو: شرح مقاصد ذلك الكتاب، وتسليط المساحة الكافية من الضوء الكاشفة عن بيان المعنى الذي يريده صاحب الكتاب».[٣]

٧. محمد هادي معرفة: «التفسير: رفع الإبهام عن اللفظ المشكل».[٤]

٨. بعض المعاصرين بأنّه: «كشف الإبهام وإيضاح المعنى غير الظاهر والخفي من اللفظ، وعليه فلا يعتبر كشف المعنى الظاهر للفظ تفسيراً».[٥]

٩. و عرفه بعض آخر من المعاصرين بأنّه: «عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدّي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية».[٦]

التحقيق

١. أشير في التعاريف المتقدّمة إلى عناصر التفسير الأساسية وهي:

الأول: كشف وإيضاح وبيان معاني الألفاظ والعبارات القرآنية.

الثاني: كشف وإيضاح وبيان مقصود ومراد الله تعالى من الآيات.

فعند ما يراد كشف وبيان المقصود الرئيسي للمتكلم ينبغي الالتفات إلى القرائن النقلية والعقلية والعلمية؛ وذلك لأن شرح الألفاظ وتركيب الآيات لا يكون كافياً أحياناً في الكشف عن المقصود الحقيقي للمتكلم.

وعلى سبيل المثال، إن تفسير بعض الآيات العامة أو المطلقة يكون متعذراً، من دون الأخذ بنظر الاعتبار الآيات المخصِّصة والمقيِّدة لها؛ وذلك لعدم اتضاح المراد والمقصود النهائي للمتكلم.

---

١. *البيان في تفسير القرآن*:/٢٦٧ و٢٦٦.

٢. *نفس المصدر*:٢٦٨.

٣. *الآداب المعنوية للصلاة*: ٢٨٤.

٤. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، محمد هادي معرفة:٢/١.

٥. *شناخت قرآن ـ معرفة القرآن* ـ نجمي وهريسي: ٢٩٨ (هذا الكتاب مستل من كتاب البيان للسيد الخوئي باللغة الفارسية).

٦. *روش شناسي تفسير القرآن ـ منهج تفسير القرآن* ـ بابائي وآخرون: ٢٣.

الثالث: لا يمكن اعتبار أيٍّ نصٍ صحيحاً ما لم تعتمد آليات التفسير، والتي هي عبارة عن: قواعد اللغة العربية، وأصول المحاورة العقلائية، حيث تبحث هذه الأصول في كتب أصول الفقه وقواعد التفسير.[١]

٢. لم يشر في التعاريف المذكورة إلى بعض العناصر المؤثرة في التفسير، والتي من جملتها القرائن المعتبرة التي من شأنها بيان «مستندات التفسير ومصادره».

وأما المصادر المعتبرة في التفسير فهي قد تكون نقلية كالآيات والأحاديث، وقد تكون عقلية كالبراهين العقلية، وقد تكون علمية كالنتائج القطعية للعلوم التجريبية.[٢]

٣. ذكرت في عدد من التعاريف بعض القيود والشروط غير الضرورية كقيد «المشكل» الوارد في تعريف كل من الطبرسي ومعرفة، وأيضاً في المعنى اللغوي للتفسير وفي كلام الراغب الأصفهاني؛ وذلك لأن قسماً من المفردات القرآنية واضحة في نفسها؛ إلا أن المراد الجدي منها غير واضح، خصوصاً مع الالتفات إلى القرائن الأخرى وخصوصيات وظروف النزول وغيرها.

٤. تعريف الزركشي متعلق بعلم التفسير، وليس بنفس عملية التفسير، في حين أنهما مفهومان قابلان للفصل.

فمن جهة يوجد عندنا علم التفسير الذي يشتمل على مجموعة من المعلومات ذات الصلة بإيضاح الآيات القرآنية المبرمجة تحت نظام هندسي خاص (الموضوع، الهدف، المنهج، وغيره).

ومن جهة ثانية يوجد عندنا عملية التفسير وفعل المفسر، والذي هو عبارة عن: عمله وجهده في توضيح الآيات القرآنية، فعندما يذكر تعريف التفسير هنا فإنه يشار به إلى عملية التفسير.

٥. ما ذهب إليه المرحوم الخوئي وبعض المعاصرين، من أنّ المعنى الظاهر ليس جزءاً من التفسير. فيه تأمل؛ وذلك لأنّه لو كان المقصود من كلامهم، أن المباحث المتعلّقة ببطون القرآن هي المرادة من التفسير، أو هي الجزء منه فقط، فهذا غير مقبول، وعلة ذلك هي: أن التفسير الاصطلاحي عند المفسرين ونتاجاتهم وعلى مرّ التاريخ شامل لبيان الظاهر والباطن والمصاديق وغيرها.

بالإضافة إلى ما تقدّم فإنّه قد تكون بعض الألفاظ الظاهرة للقرآن مشكلة ـ ولو من حيث

---

١. سنتعرف على هذه القواعد ومصادرها في القسم الثاني من هذا الكتاب (مبحث قواعد التفسير).

٢. سنوضح ذلك في القسم المتعلق بمصادر التفسير.

المصداق ـ ومن ثم تكون بحاجة إلى التوضيح والبيان.

النتيجة

بعد التأمل في التعاريف التي طرحها اللغويون والمفسرون، يمكن أن نعَرِّف التفسير بأنه: كشف وإيضاح الإبهام عن المفردات والعبارات القرآنية، وبيان مقاصدها وأهدافها.

وببيان أدق، إن المقصود بالتفسير هو: بيان المعنى الاستعمالِي لآيات القرآن الكريم، وإيضاح المراد الجدي لها على أساس قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية، وذلك بالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة.[١]

ثالثاً: أسباب وعوامل الحاجة إلى التفسير

مدخل:

وصف القرآن نفسه بأنه نور،[٢] وكتاب مبين،[٣] وبيان،[٤] وتبيان،[٥] وعربيٌ مبين.[٦]

وعليه لابد أن يكون القرآن واضحاً بيّناً لا يحتاج إلى تفسير، بيد أننا نجد آيات أخرى تصف النبيﷺ بأنه المبيّن والمفسر للقرآن،[٧] وهذا يدل على حاجة القرآن للتفسير، فألفت مئات التفاسير على مر العصور، وما زالت تؤلف وستبقى الحاجة إلى التفسير قائمة إلى يومنا هذا.

ومن هنا نرى أنّ من اللازم دراسة أسباب وعوامل الحاجة إلى تفسير الكتاب العزيز.

١. أسباب حاجة المخاطبين بالقرآن إلى التفسير

أ) ضعف المستوى العلمي لدى المخاطبين

تتفاوت مستويات المخاطبين من حيث العلم والمعرفة، فبعض الشخصيات كالنبيﷺ، وأهل البيتعليهم السلام احتلوا أرقى مراتب العلم، ولأجل هذا فهم لا يحتاجون إلى التفسير المتعارف.

---

١. ذُكرَت تعاريف مشابهة في كتاب (*المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن*) للمؤلف، و كتاب (روش شناسي ـ *منهج تفسير القرآن*) لبابائي، وآخرون.

٢. ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة: ١٥.

٣. ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة: ١٥؛ ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يوسف: ١.

٤. ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٨.

٥. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل: ٨٩.

٦. ﴿وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣.

٧. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤.

وأما البعض الآخر من الذين يفتقرون إلى العلوم الضرورية والمقدمات اللازمة كالنحو والصرف واللغة وغيرها، فهم لا يتمكّنون من فهم وإدراك بعض النصوص القرآنية.

وهذا لا يختص بالمخاطب المعاصر، وغير العربي، بل يتعداه إلى الصحابة في صدر الإسلام، فإن بعضهم كان يواجه مشكلة في فهم الآيات.

وللمثال نستشهد بما نقل عن أبي بكر عندما سئل عن معنى كلمة «الأُبّ»، فقال: أيُ سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.[١]

وما نقل عن عمر بتعابير مختلفة في أنه قرأ على المنبر ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٢] قال: كلّ هذا قد عرفناه فما الأبُّ؟، ثم نفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمر الله هو التكلّف.[٣]

وكذلك ما حكي عن ابن عباس في معنى ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾،[٤] حيث قال: كنت لا أدري ما «فاطر السموات والأرض» حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، يقول أنا ابتدأتها.[٥]

نعم إن القرآن نور وعربي مبين بلا شك، ولكننا لا نمتلك النظرة الفاحصة والعلم الكافي لفهمه، فوجدت الموانع التي تحجب الرؤية الصحيحة عن هذا النور الإلهي ؛ ففي الواقع نحن المحتاجون إلى تفسير القرآن، والقرآن غني في نفسه عن التفسير.

قال الشيخ مكارم الشيرازي: التفسير في اللغة الإبانة وإماطة اللثام. ولكن هل يحتاج القرآن إلى إبانة وإماطة لثام؟ وهو النور والكلام المبين؟!، كلا، ليس على وجه القرآن لثام أو نقاب...بل إننا ينبغي أن نكشف اللثام عن روحنا، ونزيح الستار المسدول على بصيرتنا فنستجلي بذلك مفاهيم القرآن ونعيش أجوائه.[٦]

ملاحظة

بالالتفات إلى ما تقدم يتضح لنا، أن المخاطبين هم بحاجة إلى التفسير وليس القرآن،

---

١. راجع: *الكشاف*:٧٠٤/٤؛ *الدر المنثور* للسيوطي:٣١٧/٦.

٢. عبس: ٢٧ ـ ٣١.

٣. *فتح الباري*، العسقلاني:٢٨٥/١٣؛ *الدر المنثور*:٣١٧/٦.

٤. فاطر: ١؛ الشورى: ١١.

٥. نقل هذا الكلام السيوطي في كتابيه *الدر المنثور*:٧/٣؛ *والإتقان*:٣٥٤/١.

٦. *الأمثل* في تفسير كتاب الله المنزل:٥/١.

وأن حاجة الأشخاص إلى التفسير ليست على حدّ سواء، بل إن البعض يحتاج إليه أكثر من الآخر، وأما الصفوة كالنبي ﷺ والذي يتلقّى الوحي الإلهي بشكل مباشر وشهودي، فهو لا يحتاج إلى التفسير.

ب) الفاصلة الزمانية والمكانية بين المخاطبين ونزول الآيات

من المعروف أن لأسباب النزول ـ الخصوصيات الزمانية والمكانية المكتنفة لنزول الآية ـ تأثير بالغ في استيعاب الآيات القرآنية و فهمها، ولكن المخاطبين وعموماً لم يكونوا حاضرين في زمان ومكان نزول الآيات، مما يؤدي إلى ظهور مشاكل تعترض عملية الفهم للآيات.

ويمكن التغلب على تلك المشاكل ـ ولو نسبياً ـ عن طريق الرجوع إلى الكتب المختصة بأسباب النزول وبعض التفاسير، وبهذا نتمكن من الوصول إلى التفسير الصحيح.

وعلى سبيل المثال، إن عدم الإطلاع الكافي على شأن النزول لجزءٍ من الآية الثالثة من سورة المائدة، يمكن أن يعرض المخاطب للوقوع في فهم خاطئ، فينصرف ذهنه إلى أنّ: يأس الكفار، وإكمال الدين، وإتمام النعمة، كل هذه الأمور متعلّقة بتحريم اللحوم المحرمة الوارد ذكره في الآية.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

في حين أن هذه الآية أبلغت للناس في غدير خم، مقترنة مع إعلان ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام،[1] فشأن النزول يوضح تفسير هذا المقطع من الآية ﴿وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

خصوصاً إذا التفتنا إلى أن مسألة تحريم اللحوم المحرمة وردت في سور أخرى من القرآن الكريم أيضاً،[2] يضاف إلى ذلك أنه قد نزلت آيات أخرى بعد هذه الآية، مما يكشف عن عدم إكمال الدين آنذاك.

---

١. راجع: تفاسير القرآن، ذيل الآية ٣ من سورة المائدة، كتفسير *نور الثقلين*؛ *والبرهان*؛ *والميزان*؛ *والأمثل*؛ وكتاب *الغدير للأميني*؛ وغيرها.

٢. البقرة: ١٧٣؛ النحل: ١١٥.

وكذلك الحال في الآية السابعة والثلاثين من سورة التوبة ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، فإن تفسيرها يبقى مجملاً، ما لم نعرف شأن النزول ومعنى «النسيء».

ومن جهة أخرى فإن الفاصلة الزمانية للمخاطبين عن صدر الإسلام أصبحت سبباً للتلاعب بمفاهيم بعض المفردات على مرّ الزمان.

وأن اختلاف آراء المفسرين والمغرضين أدى إلى ظهور حالة من الإبهام في مفاد ومؤدى بعض الآيات.

وفي قبال ذلك فإن مضي الزمن مع تقدّم العلوم قد يساهم في إيضاح معنى الآيات أكثر فأكثر.

ونضرب مثالاً لتأثير البعد الزماني السلبي لمفردة «مكروه» الواردة في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، فإن معنى كلمة «مكروه» اللغوي في صدر الإسلام كان شاملاً للذنوب الكبيرة، كالقتل والزنا وغيرها، الوارد ذكرها في الآيات التي سبقت الآية الثامنة والثلاثين من السورة المذكورة.

وأما في عصرنا الحاضر فإن هذه المفردة تحمل معنى، آخر فهي بمعنى «الشيء الذي تركه أفضل من فعله»، فلا يشمل الأمور الممنوعة والذنوب.

وأما المثال على التأثير السلبي لاختلاف الآراء، فنذكره بسبب اختلاف القراءات وأثرها في تفسير حرف «الواو» في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ في الآية السابعة من سورة آل عمران.

و كمثال ـ على التأثير الايجابي للبعد الزماني للنص من خلال مضي الزمان وتقدم العلوم فنمثّل بالآيات العلمية في القرآن الكريم، والمتمثل في أثر تلك العلوم في رفع مستوى الوعي والفهم في آيات مراحل خلق الإنسان (الحج / ٥، المؤمنون / ٦ ـ ١٢).

ويرى الفخر الرازي: أن الآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّه أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١] تدل على سكون الأرض،[٢] في حين أن علوم الأرض والعلوم الكونية أثبتت حركة الأرض ودورانها.

ولم يكن الفخر الرازي مصيباً في فهمه للآية، وال تفسير العلمي أوضح، أنّ: الأرض وبجميع حركاتها أصبحت مهداً آمناً للإنسان.

---

١. البقرة: ٢٢.

٢. البقرة: ١٧٣؛ النحل: ١١٥.

٢. خصائص القرآن

القرآن الكريم ذلك الكتاب المحفوظ بين الدفتين، يحمل بين طياته برنامجاً متكاملاً ينظم حياة البشرية إلى يوم القيامة، ولذا، فإن القرآن يشتمل على خصائص جعلته يحتاج إلى التفسير ومنها:

أ) المعارف الغزيرة في كلمات محدودة

يشتمل القرآن على العقائد الحقّة، والأخلاق، والأحكام، والقوانين العبادية، والجزائية والمالية، والأسرية، وكذلك القصص، والتاريخ، والمواعظ، والإشارات العلمية إلى الطبيعة والنجوم وغيرها، فجمعت كل هذه العلوم فيما في كتاب صغير.

وكثيرٌ من هذه الموضوعات يحتاج إلى التوضيح والبيان.

ب) المضامين الرفيعة في ألفاظ عربية سهلة

خاطب القرآن الكريم عامة الناس بلغة العرب بأسلوب سلسل، موضحاً لهم أرقى الاستدلال في الإلهيات، وأهم الإشارات وأدق القوانين وأصح التواريخ، وأكبر الاعجازات العلمية، فصب أرقى المعاني بألفاظ بسيطة، مما جعل بعض هذه المعارف يحتاج إلى البيان والتفسير.

ج) بطون القرآن

سلك القرآن الكريم مسلك البطون، حينما لم يكن بمقدور الألفاظ استيعاب المعارف الغزيرة المحدود. فقد تكون الجملة الواحدة ذات المعنى الظاهري حاملة في طياتها ومستوياتها معانٍ باطنية متعددة.[١]

وقد اعتبر الشيخ مكارم الشيرازي موضوع البطون أحد العوامل التي أحوجت القرآن إلى التفسير، فكتب قائلاً: «وهذه الأبعاد أطلقت عليها الأحاديث اسم «البطون»...بطون القرآن... وهي لا تتجلى للجميع. أو بعبارة أدق، لا تقوى كل العيون على رؤيتها، والتفسير يمنح العيون قوة، ويقشع عن البصائر الحجب والأستار، ويمنحنا اللياقة لرؤية تلك الأبعاد بدرجة وأخرى».[٢]

---

١. سنبين مفصلاً المباحث المتعلقة ببطون القرآن لاحقاً.

٢. *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*:١/ ٦.

د) الغريب والمشكل في الألفاظ القرآنية

كما أنّ في اللغة العربية ألفاظاً سهلة ومألوفة وألفاظاً غريبة، كذلك الحال في القرآن النازل باللغة العربية، فإنّه يحتوي على مفردات بسيطة ومألوفة وأخرى غريبة، أو مشكلة، والغريبة منها تحتاج إلى البيان والتفسير.

ولهذا السبب فقد ألفت كتباً كثيرة تعنى بغريب ألفاظ القرآن ومشكله.

هـ) مفاهيم فوق مستوى الذهن البشري

توجد في القرآن الكريم بعض الآيات المتعلقة بوجود الله تعالى وصفاته، وأنّ فهم هذه الآيات يحتاج إلى التوضيح والتفسير، وإلّا لأصبحت الآيات هذه من المتشابهات أو المبهمات التي قد تسبب وقوع الإنسان بالفتنة والظلال. ومما لا شك فيه أن هذا الموضوع مرتبط بمبحث التأويل والمتشابه.

و) وجود المفاهيم المتشابهة في القرآن

إنّ بيان وتوضيح المضامين الرفيعة والميتافيزيقية في إطار لفظي مادي يستلزم التشابه والإبهام.

وعلى سبيل المثال عندما نطلق صفة ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[١] على الله (تبارك وتعالى)، فإن المتبادر إلى الذهن مفهوم الأُذن والعين المتعارفتين؛ وذلك لأنّ هاتين المفردتين، وضعتا لحاستي السمع و البصر الماديتين المعهودتين، وفي قبال ذلك فإن السمع والبصر المتعلقين بالذات الإلهية مجردان لا يمكن إدراك كُنههما، ألا أن يفسرا أو يؤولا.

ويمكن تطبيق هذه الفكرة على آيات أخرى نحو ﴿يدُ اللَّهُ﴾،[٢] ﴿إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾،[٤] وغيرها.

ز) أهداف القرآن ومقاصده

إن لآيات القرآن الكريم معنىً ظاهري «مراد استعمالي»، كما أنها تظم الأهداف

---

١. الإسراء: ١.

٢. الفتح: ١٠.

٣. القيامة: ٢٣.

٤. الفجر: ٢٢.

والمقاصد الإلهية «المراد الجدي»، والذي يوضح من خلال تفسير القرآن.

هذا يعني أنه ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار الآيات العامة والخاصة والمطلقة والمقيدة، والقرائن النقلية والعقلية والعلمية، حتى يتضح المقصود النهائي لله تعالى. ولا يمكن الوصول إلى هذه الغاية إلا عن طريق التحرّى البحث و، وسبر غمار التفسير.

ح) الأحكام الكليّة والمجملة في القرآن

توجد أحكام وقوانين عامة ومجملة في القرآن، ولأجل معرفة تفاصيلها لابد من الرجوع إلى السنة.

وقد بين القرآن عموم العبادات والمعاملات والقوانين الجزائية والإرث والزواج والطلاق وغيرها، فألقيت مسؤولية البيان عل عاتق النبيﷺ، ومن بعد علي أهل بيته الكرامعليهم السلام.[1]

ولا يمكن استيعاب الأحكام الجزئية لهذه الموارد إلا بتفسير الآيات اعتماداً على الروايات.

ط) انطباق القرآن على مصاديق متجدّدة

بيّن القرآن الكريم إرشادات عامة وقواعد كلية لهداية البشر في حياتهم، وبما أنّ حياة الإنسان ذات طابع متجدد ومتغيّر بمرور الزمان ـ كما هو حال الأجيال البشرية والأحداث التاريخية ـ فإن تطبيق القرآن على المواضيع والمصاديق المستحدثة يحتاج إلى تفسير معاصر يتناسب مع تلك المتطلبات، فيتحقق التطبيق من خلال إلغاء الخصوصية في الآيات.

وبعبارة أدق: إنّ القرآن هو الملبي لحاجات البشر على مر العصور، فلابد من عرض أسئلتهم ومتطلباتهم عليه، ولا تتحقق هذه الغاية إلّا بتدوين تفسير جديد للقرآن يتناسب مع تلك الحاجات.

رابعاً: مصادر التفسير

المقصود من مصادر التفسير، هي: المستندات والمعلومات التي تكشف عن مقاصد الآيات، والتي يستعين بها المفسّر على فهم القرآن، ويعبّر عنها بالمآخذ، أو القرائن، أو أدوات فهم القرآن.[2]

---

١. تأمل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾، النحل / ٤٤. وكذلك حديث الثقلين.

٢. *البرهان في علوم القرآن*: ١٥٦/٢.

تمهيد

ذكر علماء التفسير وعلوم القرآن آراء مختلفة حول مصادر التفسير:

أشار الشيخ الطوسي (ت/ ٤٦٠ هـ) في مقدمة *تفسير التبيان*،[١] وكذلك الشيخ الطبرسي (ت/ ٥٤٨ هـ) في مقدمة *مجمع البيان*،[٢] إلى أنّ: السنّة، والعقل، والإجماع من مصادر التفسير.

وتعرّض الزركشي إلى مصادر التفسير، وعدّ منها: السنّة وبعضاً من علوم القرآن.[٣]

وبحثها محمد حسين الصغير تحت عنوان مصادر التفسير.

وأوصلها بعض المعاصرين إلي ستة وهي:

القرآن، وروايات المعصومين عليهم السلام،[٤] والمصادر اللغوية، والمصادر التاريخية، والعقل، والنتائج القطعية للعلوم التجريبية.

وعرفوها بالشكل التالية:

الأمور التي تضع بين يدي المفسّر المعلومات والمعطيات المتعلقة بآية، أو مجموعة آيات منسجمة فيما بينما تشتمل على موضوع واحد والتي تساهم في إيضاح مفاد الآيات والمفردات القرآنية.[٥]

التقسيمات المتصوّرة لمصادر التفسير

يمكن تصوّر عدة تقسيمات لمصادر التفسير؛ من جملتها ما يلي:

مصادر التفسير

١. داخل النص: آيات القرآن.

٢. خارج النص: أ) السنة؛ ب) العقل؛ ج) النقل، مثل التاريخ؛ د) العلوم التجريبية.

مصادر وقرائن فهم وتفسير القرآن(على أساس تقسيم العلوم البشرية)

مصادر وقرائن فهم وتفسير القرآن عبارة عن:

---

١. *التبيان*:١/٤.

٢. *مجمع البيان*:١/١٣.

٣. *البرهان في علوم القرآن*:٢/١٣٦ ـ ١٦٤.

٤. *المبادئ العامة لتفسير القرآن*، محمد حسين الصغير: ٥٣.

٥. *منهج تفسير القرآن (منهج تفسير القرآن)*: ٢٦١ ـ ٢٦٣.

١) القرآن؛ ٢) معتبر: العقل؛ ٣) السنة(قول وفعل وتقرير النبي وأهل البيتﷺ)؛ ٤) العلوم التجريبية؛ ٥) الشهود؛ ٦) الإجماع؛ ٧) غير المعتبر: أقوال الصحابة ؛ ٨) أقوال التابعين؛ ٩) الاجتهاد الشخصي للمفسرين.

وإن كان وضع الحدود والتميز بين مصادر التفسير وأدواته في غاية الإشكال، إلّا أنّه يمكن أن يقال بوجود تفاوت بينهما، وهذا يعني أن مصادر التفسير تشمل القرآن والسنة والعلوم التجريبية، وأما علوم العربية مثل: (الصرف، والنحو، واللغة وغيرها)، وعلوم القرآن، والتاريخ وما شاكلها فتعتبر أدوات للتفسير.

والمهم في هذا البحث دراسة مدى اعتبار هذه المصادر، ومجال الاستفادة منها.

مصادر وقرائن التفسير

١. القرآن

تمثل الآيات القرآنية أحد أهم المصادر في فهم وتفسير القرآن، فإننا نجد في آية معينة القرينة على فهم آية أخرى، واعتماداً على تلك الآيات يمكن تناول الآية بالبحث والتفسير.

ويدخل هذا الموضوع تحت عنوانين «منهج تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي».

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نبسط الكلام في مجموعة مباحث منها:

الأول: الحجيّة:

تمثل الآيات القرآنية أحد المصادر الداخلية ـ في داخل النص القرآني ـ لفهم وتفسير آيات أخرى، واعتبار هذا المصدر مبتنٍ على أمرين:

أ) بناء العقلاء: فإن من الطبيعي لدى العقلاء ـ إذا أرادوا فهم عبارة في كتاب ما، لإيضاح مقصود المتكلم ـ الأخذ بنظر الاعتبار القضايا والقرائن السابقة واللاحقة لتلك العبارة، وتلك هي طريقة العقلاء في فهم مراد المتكلم؛ لأنه في كلّ خطاب لأيّ متكلم لابد وأن يوجد، العام والخاص والمطلق والمقيد، والمجمل والمبيّن، وغيرها. ويبعد إدراك المقصد الجدي للمتكلم من دون الرجوع إلى الكلام المشابه أو المخالف لتلك العبارة، بل وقد يكون متعذراً، وإن عدم الاهتمام بالقرائن الداخلية غالباً ما يكون سبباً في إعاقة عملية الفهم التفسير.

ب) أمْر الشارع: أمرنا القرآن الكريم بالرجوع إلى الآيات المحكمة لفهم الآيات المتشابهة.[١]

وعلى هذا المنهج دَأبَ النبيﷺ، وأهل البيتعليهم السلام.

الثاني: التنوع في استخدام الآيات:

تتجلى مرجعية القرآن في التفسير بعدة صور من أهمها:

أ) استخدام صدر الآية وذيلها في فهم مفردة أو عبارة، تجعله كلاماً واحداً مترابطاً و متناسباً وهو ما يصطلح عليه بالسياق.

مثال: يتعدد معنى مفردة «الدين» وفقاً للجو الحاكم على الآيات (السياق)، فيظهر أن «الدين» بمعنى الطريقة في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾،[٢] وبمعنى الجزاء في قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.[٣]

ب) إعمال الآيات المتشابهة من حيث اللفظ والمعنى، لفهم معاني وأمور جديدة.

وللمثال نذكر ثلاث آيات متشابهة من حيث المعنى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.[٤]

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القرآن﴾.[٥]

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.[٦]

عندما يركز المفسّر نظره على هذه الآيات الثلاث يصل إلى قناعة مفادها: أن ليلة القدر ليلة مباركة، وهي من ليالي شهر رمضان، في حين أن الأمر لم يذكر بشكل صريح في كلّ آية آية.

ج) مراعاة الآيات المخالفة من حيث اللفظ والمحتوى

قد يبدو من الوهلة الأولى أن هناك تعارضاً بين بعض الآيات، ولكن هذا التعارض سرعان ما يزول بالدقة وإمعان النظر والتأمل، وذلك بالرجوع إلى القرائن الروائية، والعقلية، وغيرها.

---

١. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ﴾ آل عمران: ٧.

٢. الكافرون: ٦.

٣. الحمد: ٤.

٤. القدر: ١.

٥. البقرة: ١٨٥.

٦. الدخان: ٣.

وللمثال أيضاً نذكر آيتين:

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾.[١]

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.[٢]

فنلاحظ في الآية الأولى، أنّ السؤال قد وجّه للمذنبين، بينما تنفي الآية الثانية سؤالهم، وعندما نتأمل ملياً في الآيات يتضح لنا أنّ الآية الأولى ناظرة إلى يوم القيامة، والآية الثانية متعلّقة بقارون وحال المذنبين عند نزول العذاب.[٣]

د) إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

بعض الآيات جاءت متشابهة، كقوله تعالى: ﴿...يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾؛[٤] والتي يشير ظاهرها إلى جسمانية الحق تبارك وتعالى، وبالرجوع إلى الآية الكريمة: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾،[٥] يتضح أنّ المقصود من الآية الأولى ليس ما يشير إليه الظاهر بل القدرة الإلهية.

هـ) بيان الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة

و) تفسير الآيات العامّة بواسطة الآيات الخاصّة

ز) تفسير الآيات المطلقة بواسطة الآيات المقيّدة

ملاحظة: هذا النحو من المباحث سوف يأتي في بحث «منهج تفسير القرآن بالقرآن» و«التفسير الموضوعي».[٦]

وكذا في «قاعدة المحكم والمتشابه».

الثالث: الدلالة

ما هي الآيات التي تكون مصدراً في التفسير؟

دلالة الآيات على المعنى تدل بشكل مختلف على مقصود المتكلّم، فقد تكون الآيات محكمة وقد تكون متشابهة، وقد تدل على المعنى بالنص (مائة بالمائة) أو بالظاهر (الظني)، وقد تدل أيضاً على المعنى كاحتمال قوي أو ضعيف، وكذلك قد تكون دلالتها مطابقية أو

---

١. الصافات: ٢٤.

٢. القصص: ٧٨.

٣. راجع كتب تفسير القرآن، لاسيما: تفيسر *الأمثل*، في ذيل الآية المذكورة.

٤. الفتح: ١٠.

٥. الشورى: ١١.

٦. راجع: *منطق تفسير القرآن* (٢) *دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية*، للمؤلف.

تضمّنية، وربما تكون دلالتها التزامية، وقد تكون دلالة اقتضاء أو إشارة أو تنبيه.[١]

ومن هنا تكون الآيات المحكمة مصدراً لتفسير القرآن، سواءً كانت نصاً أو ظاهرةً؛ لأنّها تكون حجة على المخاطب، والآيات المتشابهة ـ بعد رفع التشابه ـ تتحوّل إلى آية لها ظهور واضح، وفي هذه الصورة يمكن أن تكون مستنداً لتفسير القرآن.

بعبارة أخرى، الآيات المتشابهة، مثل آيات: العرش، والكرسي، ويد الله، وإلى ربها ناظرة، وغيرها، لا يمكن التمسك بها بالشكل الاعتيادي؛ بل يتضح معناها في ضوء القرائن العقلية والنقلية.

٢. السنة

تعدّ السنّة، أحد مصادر التفسير ومن القرائن الخارجية، التي لها مكانة خاصة في التفسير، وتوجد فيها نظريات وآراء مختلفة، حتى أن بعض المحققين نسب إليه أنه لا يجوز تفسير القرآن بدون السنّة، وناقشنا هذا الرأي في موضوع، إمكان وجواز تفسير القرآن واعتبرناه غير مقبول.

وعلى كلّ حال، تمثل السنّة إحدى القرائن المهمة في التفسير، وأن تفسير القرآن بقطع النظر عنها يعتبر تفسيراً بالرأي؛ لأنّ كثيراً من المخصصات والمقيّدات للقرآن بيّنت من خلال السنّة.

وتشمل السنّة ثلاثة أقسام هي:

أولاً: القول: يعني أحاديث النبيﷺ في بيان المقصود من الآيات؛ ومما يدّل عليه ما حكي عن ابن مسعود، أنّه قال: «كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».[٢]

ثانياً: الفعل: بمعنى أن يكون عمل النبيﷺ تفسيراً للقرآن، كما روي عنهﷺ بشأن الصلاة ـ التي جاءت في القرآن بصورة مجملة ـ أنّهﷺ قال: صلّوا كما رأيتموني أصلّي.[٣]

ثالثاً: التقرير: بمعنى أن يفسَّر القرآن بحضور النبيﷺ ويمضي النبيﷺ ذلك التفسير.

ملاحظة: من المفيد أن ننوه إلى أنّ «السنة» عند المذاهب الإسلامية، تستعمل لمصاديق مختلفة، فيلزم أن نبحث عن حجيّتها ومدى اعتبارها وهي:

---

١. راجع: بحث القواعد المشتركة بين التفسير وعلوم القرآن؛ القسم الثاني من هذا الكتاب.

٢. *تفسير جامع البيان*: ٢٧/١و ٣٠.

٣. *بحار الأنوار*: ٢٧٩/٨٥.

١. سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله
٢. سنّة أهل البيت عليهم السلام
٣. سنّة الصحابة
٤. سنّة التابعين

أولاً: «حجيّة السنّة» في التفسير

يقع بحث حجية السنة في تفسير القرآن في ثلاثة أقسام:

أ) حجيّة سنّة النبي صلى الله عليه وآله في التفسير

صرّح القرآن الكريم بأصل حجيّة سنّة النبي صلى الله عليه وآله في التفسير، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.[1]

ويتجلّى من خلال هذه الآية، أن القرآن نُزّل على النبي صلى الله عليه وآله ليبينه للناس، فإذا لم يكن بيانه صلى الله عليه وآله حجّةً وواجب الاتباع، فإن هذا الأمر يصير لغواً ومخالفاً للحكمة الإلهية، والله الحكيم لا يأمر بشيء يخالف الحكمة، وعليه يكون كلام النبي صلى الله عليه وآله وتفسيره للقرآن حجةً، وهذا ما صرح به كبار المفسرين في ذيل تفسيرهم للآية المذكورة.[2]

ومن جانب آخر فإن النبي صلى الله عليه وآله قام بتفسير القرآن قولاً وعملاً، وأمر المسلمين باتباعه في جزئيات أحكام الصلاة والحجّ وغيرها، وهذا يعني تفسير القرآن قد كان بسنّة النبي صلى الله عليه وآله وعمله.

ومن الواضح أن سنته صلى الله عليه وآله تشمل قوله وفعله وتقريره، غير أن أدلتها ومدى حجية كلٍّ منها، كالعصمة والآيات الأخرى[3] لها بحوث خاصة اختصرناها؛ لأنّها موجودة في مضانّها.[4]

ب) حجية سنّة أهل البيت عليهم السلام في التفسير

كما أن الروايات التفسيرية النبي صلى الله عليه وآله في التفسير حجّة وضمن شروط خاصة، كذلك الحال في روايات أهل البيت عليهم السلام، أي أنّ بيانهم هو امتداد لبيان النبي صلى الله عليه وآله، كما أشارت إليه الآية (٤٤) من سورة النحل، وفي هذا المورد توجد أدلة كثيرة تدلّ على ذلك نشير إلى بعضها:

١. حديث الثقلين المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله، والذي نقله الشيعة والسنّة حيث قال صلى الله عليه وآله:

---

١. النحل: ٤٤.
٢. راجع: *الميزان*: ٢٦١/١٢، ذيل الآية أعلاه.
٣. مثل: النحل: ٦٤؛ الحشر: ٧؛ وغيرهما.
٤. النحل: ٤٤.

إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، حتى يردا علي الحوض.[١]

ففي هذا الحديث جعل التمسك بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام شرطاً لعدم وقوع المسلمين في ضلال، وإذا لم يتمسّكوا بهما معاً أو تمسّكوا بأحدهما يكون مصيرهم الضلال.

ولهذا فإن أهل البيت عليهم السلام هم حجّة إلى جانب القرآن، وهذه الحجيّة ليست إلّا حجيّة سنتهم (قولهم، وفعلهم، وتقريرهم)، ورواياتهم التفسيرية تعدّ جزءً من سنتهم، فتكون حجةً ومعتبرة ولابد من التمسّك بها.

٢. نقل في أحاديث متعددة عن أهل البيت عليهم السلام أنهم قالوا:

...فإنا إذا حدّثنا، قلنا: قال الله عز وجل، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله.[٢]

ومما لا ريب فيه أن أهل البيت عليهم السلام هم عدول وثقات، ورواياتهم عن النبي صلى الله عليه وآله معتبرة، وما أحاديثهم في التفسير وغيره إلا أحاديث للنبي صلى الله عليه وآله، وصلتنا عن طريقهم.[٣]

٣. ثمّة أحاديث أخرى تدل على ملازمة الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده للقرآن، وقد رواها الشيعة والسنّة، نغض النظر عنها رغبةً في الاختصار.

ملاحظة: سيأتي الحديث بصورة مفصلة ومستقلة عن حجية أقوال الصحابة.

ثانياً: أنحاء الرجوع إلى السنّة في التفسير

١. تفسير وإيضاح الآية، مثل شرح معنى «باسقات»[٤] بـ«طولها» في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله.[٥]

٢. تطبيق الآية على مصداق خاص، مثل تطبيق «الصراط المستقيم» على (علي) عليه السلام الوارد في الأحاديث.[٦]

---

١. ذكر هذا الحديث بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة في كتب أهل السنّة؛ عن مجموعة من الصحابة والتابعين، مثل: زيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي هريرة. راجع: صحيح *الترمذي*:٣٠٢/٢؛ *فضائل الخمسة*:٥٢/٢ ـ ٦؛ *الغدير*؛ إحقاق الحق؛ وغيرها.

٢. راجع: الميزان:٣٣/١٩؛ معجم رجال الحديث، الخوئي:٢٧٦/١٨.

٣. وهذا الدليل لا يشكل قسماً آخر من المسائل الّتي بينها أهل البيت عليهم السلام (على أساس فهمهم للقرآن أو الإلهام أو غيرها).

٤. ق: ١٠.

٥. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*، السيوطي:٤/ ٢١٨، وما بعدها.

٦. الحمد: ٦.

٣. بيان جزئيات آيات الأحكام في الأحاديث الفقهية، والذي يكون بصورة تخصيص آية عامة، أو تقييد آية مطلقة، وبيان العناوين التكليفية الخاصة، مثل الصلاة، والزكاة.[١]

٤. بيان الآيات الناسخة من المنسوخة في الأحاديث، ومثاله الحديث المحكي عن الإمام الصادقعليه السلام، الذي أوضح نسخ الآية (١٥) من سورة النساء بالآية (٢) من سورة النور.[٢]

٥. إيضاح شأن النزول في الأحاديث، ومثاله الأحاديث الواردة في شأن نزول، آية الغدير، وآية التطهير، وآية الولاية، وغيرها، حيث جمعت في التفاسير الروائية نحو، البرهان، ونور الثقلين، والكتب المهتمّة بشأن النزول.

٦. بيان البطن والتأويل في الأحاديث.[٣]

٧. إيضاح تفسير الآية بالآية الأخرى (منهج تفسير القرآن بالقرآن) في الأحاديث، ومثاله ما حكي عن النبيصلى الله عليه وآله في معنى «الظلم» في الآية ﴿...وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْـمٍ...﴾،[٤] بالاستناد إلى قوله تعالى: ﴿...إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾،[٥] ففسرصلى الله عليه وآله الظلم بالشرك.[٦]

الثالث: عدد الأحاديث التفسيرية

تعداد الروايات التفسيرية (مقدار الأحاديث التفسيرية)

طرحت ثلاث نظريات حول عدد الآيات التي فسّرها النبيصلى الله عليه وآله ورواياته التفسيرية:

النظرية الأولى: ما ذهب إليه ابن تيمية (ت/ ٧٢٨هـ) وهي أنّ النبيصلى الله عليه وآله قام بتفسير كلّ آيات القرآن الكريم؛ وذلك للأسباب التالية اولاً: لأنّه قد بعث من الله مبيّناً ومفسراً للقرآن،[٧] والتبيين يشمل بيان الألفاظ والمعاني.[٨] وثانياً: يحكى عن ابن مسعود قوله: إنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صلى الله عليه وآله عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل.[٩] ثالثاً:

---

١. راجع: *وسائل الشيعة*؛ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/١٨٥، *منطق تفسير القرآن* (٢) *المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن*، للمؤلف: ١٣٢، وما بعدها. تفسير العياشي: ١/٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٢. *تفسير العياشي*: ١/٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٣. سيأتي الحديث عن موضوع بطن القرآن، والتأويل في هذا الكتاب.

٤. الأنعام: ٨٢.

٥. لقمان: ١٣.

٦. صحيح البخاري، كتاب *تفسير القرآن*؛ و*تفسير ابن كثير*: ٤/٤٤٤؛ و*بصائر الدرجات*: ١٩٥.

٧. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤.

٨ مقدمة في *أصول التفسير*، احمد بن تيمية: ٥ ـ ٦.

٩. الإتقان في علوم القرآن: ٤/٢٤٤؛ جامع البيان: ١/٢٧ ـ ٢٨.

إنّه كلما دون كتاب لجماعة ما فيقوم عادة بتعليمهم محتواه، والقرآن الكريم هو قانون المسلمين، فهل يعقل عدم بيانه لمحتواه وعدم توضيحه للناس؟ ووظيفته أن، يبيّن للناس كلّ ما يرتبط بهم.[١]

و قد أيّد هذه النظرية أيضا الشيخ محمد هادي معرفة حيث قال: (إذن فالصحيح من الرأي هو: أنهﷺ قد بين لأمته ـ وأصحابه بالخصوص ـ جميع معاني القرآن، وشرح لهم جلّ مراميه ومقاصده الكريمة، إما بالنص، أو ببيان تفاصل أصول الشريعة وفروعها، ولا سيما إذا ضممنا إليه ما ورد عن الأئمة من عترته، في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القرآن.[٢]

النظرية الثانية: وذهب إليها كل من السيوطي (ت/٩١١هـ) والخوئي (ت/ ٣٣٧ هـ)[٣] وهي: أن النبي لم يفسّر سوى جزء يسير من القرآن. و ذلك للأسباب التالية: أولاً: حكي عن عائشة أنها قالت: (ما كان رسول الله يفسر ...إلا آياً بعدد...).[٤]

ثانياً: إن الله تعالى دعا الناس إلى التفكّر والتدبّر في آيات القرآن حتى يفهموا معناها، وأوكلّ تفسير بعض الآيات إلى الناس، ولو قام النبي بتفسير كلّ الآيات؛ لكان ذلك يتنافى مع دعوة القرآن الناس للتدبر فيها.

ثالثاً: إنّ النبيﷺ دعا لبعض الصحابة، ومن بينهم ابن عباس أن يكون عالماً بالتفسير عندما دعا له، قائلاً:

«اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»[٥] إذن، ترك النبيﷺ تفسير بعض الآيات إلى الآخرين؛ وبناء على هذا لا تبقى حاجة كي يفسّر النبيﷺ القرآن.

وردّ أصحاب هذه النظرية على أدلة النظرية الأولى بما يلي:

أولاً: لا يوجد عندنا نصّ صريح على أن تفسير جميع آيات القرآن من وظائف[٦] النبيﷺ، بل وظيفته توضيح معاني الآيات التي تحتاج إلى تفسير، أو بيان، أو تخصيص، أو تقييد، ونحو ذلك.

---

١. ابن تيميه في مقدمة *أصول التفسير* ص٣٥ (مع التلخيص).
٢. محمد هادي معرفة، *التفسير المفسرون* في ثوبه القشيب ج ١٧٩/١.
٣. السيوطي *الإتقان في علوم القران* ج ١٧١/٤ ـ ١٨١.
٤. الطبري *جامع البيان* ج ٣٧/١.
٥. *مسند احمد* ج ١٢٧/٤.
٦. علوي مهر، *المناهج والاتجاهات التفسيرية*:١٠٥.

ثانياً: وصل إلينا فقط ٢٥٠ رواية تفسيرية عن النبيﷺ، وهذا لا يغطي تفسير جميع الآيات.

ثالثاً: لا يوجد عندنا دليل على أن النبيﷺ فسّر كلَّ الآيات لأصحابه، وإذا مالا حظنا قصر عمره الشريف الذي قضى جزءً منه في الحروب، سنرى انه لا توجد عنده فرصة كافية للقيام بعملية التفسير.

رابعاً: المقصود من رواية عائشة ـ على فرض صحة سندها[١] ـ أنّها ناظرة إلى جانب رعاية الترتيب في تفسير الآي، أعداداً فأعداداً، أو حسب عدد الآي التي كان ينزل بها جبرئيل.[٢]

النظرية الثالثة: وقواها الدكتور الذهبي،[٣] وبعض المعاصرين[٤] وهي: أنَّ النبي ﷺ قام بتفسير كثير من الآيات القرآنية لا جميعها و ذلك:

أولاً: لأنّ بعض آيات القرآن لا تحتاج إلى تفسير حيث إن القرآن عربي وهو واضح يمكن فهمه عند مراجعة المصادر التفسيرية (غير السنة).

ثانياً: إن أحاديث النبيﷺ لا تنحصر بالمأتين وخمسين رواية، الموجودة بين أيدينا؛ باعتبار أن سنة النبيﷺ وحتى سيرته العملية، هي تفسير وتوضيح للآيات القرآنية بنحو من الأنحاء، وكثير من أحاديثهﷺ قد حكيت ونقلت عن طريق الأئمة عليهم السلام، وهم يصرّحون. إن كلّ ما نقوله هو كلام النبيﷺ،[٥] وبناء على هذا ستكون روايات النبي التفسيرية بشكل مباشر أو غير مباشر ـ التي تحكى من قبل الأئمة عليهم السلام ـ كثيرة جداً، حتى أوصلها البعض إلى أربعة ألاف رواية.[٦]

التحقيق

إذا لاحظنا الأدلة التي قدمتها النظرية الثالثة وإشكالاتها على النظرية الأولى والثانية، مضافا إلى حجم الروايات التفسيرية عند الشيعة التي جمعها صاحب تفسير البرهان والتي بلغت ١٦٠٠٠ حديثاً؛ فإننا نجدها هي الأقرب إلى الصواب.

مضافاً إلى أننّا لو رجعنا إلى الأبحاث السابقة في تعريف التفسير الروائي، سنجده يشمل أحاديث النبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وسيصل حينها تعداد الأحاديث التفسيرية إلى ١٦٠٠٠

---

١. عد هذا الحديث غريبا منكرا واعتبر الاستدلال به باطل *التفسير و المفسرون*: ٥٥/١.

٢. محمد هادي *معرفة التفسير و المفسرون* في ثوبه القشيب: ١٧٨/١.

٣. محمد حسين الذهبي *التفسير والمفسرون*: ٥٣/١ ـ ٥٤.

٤. حسين علوي مهر، *المناهج والاتجاهات التفسيرية*: ١٠٦ ؛ وبابائي، *المدارس التفسيرية*: ٨/١ ـ ٢٧.

٥. الخوئي، معجم *رجال الحديث*: ٢٧٦/١٨؛ والطباطبائي *الميزان*: ٣٣/١٩.

٦. معرفة ينقل عن حفيد السيد هاشم البحراني، *التفسير والمفسرون* في ثوبه القشيب: ١٨١/١.

حديثاً تقريباً، وهذه كلها ليست على مستوى واحد من حيث الاعتبار، مضافاً إلى عدم تغطيتها لجميع جزئيات آيات القرآن.

أما بالنسبة إلى نظرية الشيخ معرفه، إن لم يمكن إرجاعها إلى النظرية الثالثة، فقد نعتبرها نظرية رابعة، وهي القول بالتفصيل؛ لأنّه يرى أنّ عدد روايات النبيﷺ التفسيرية كثيرة في الأصل، ولكن لم يصل إلينا منها إلّا القليل.[1]

وبعبارة أخرى يرى التفاوت بين ما بيّنه النبي ﷺ من معاني الآيات وهو يشمل جميع آيات القرآن، وما نقل عنهﷺ من النصوص الروائية، وهذا ما قصده أصحاب النظرية الثانية، أي قلة النصوص المنقولة عن النبيﷺ.[2]

الرابع: أقسام الروايات التفسيرية

١. أقسام الروايات ودورها في التفسير

وصلت إلينا السنّة النبوية وسنّة أهل البيتعليهم السلام عن طريق الروايات، وعمّا نقله إلينا المؤرخون للسيرة، ولا تحتل جميعها مرتبه واحده من حيث الاعتبار، لاختلاف طرق وأساليب النقل، وبالتالي فان طرق تحصيلنا للروايات تكون مختلفة. أمّا بالنسبة للأحاديث فإن لها تقسيمات متنوعة، ولكنّ التقسيم المهم في بحثنا، هو تقسيمها على أساس طرق نقلها، وهي أربعه:

أ) الأخبار المتواترة: التواتر، لغة: يعني: مجيء الشيء بعد الآخر دون فاصلة.

واصطلاحاً: هو خبر جماعة ـ بنفسها دون ضمٍّ القرائن ـ يستحيل تواطئهم على الكذب ويوجب العلم بمضمون الخبر.[3]

وبعبارة أخرى أن الروايات التي تنقل موضوعا واحداً بصور متعددة وبطرق مختلفة، بنحو يورث الاطمئنان بأنّ مضمونها لا يكون كاذباً؛ لانّ ناقليها لا يمكنهم التواطؤ والاتفاق على الكذب.

يقسم الخبر المتواتر إلى قسمين: التواتر اللفظي، والتواتر المعنوي:

التواتر اللفظي: هو الحديث الذي كثر رواته، بحيث يفيد العلم بصدق الخبر، مع اتحاد اللفظ في جميع الطرق. أي أن يكون اللفظ فيه محدّداً.

---

١. معرفة، *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*:١/١٨٠.

٢. نفس المصدر:١٧٧.

٣. *علم الحديث*، كاظم مدير شانچي:١٤٤.

التواتر المعنوي: هو أن يكون المفاد مشتركاً، أي أن تكون قضية معنوية محددة، من بين عدة أحاديث ـ كشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وان اختلفت الألفاظ.

والأحاديث المتواترة معتبرة في تفسير القرآن؛ لأنّها تورث العلم فكلّما وردت أحاديث متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله، أو أهل البيت عليهم السلام في تفسير آية ما، فعلينا أن نفسرها طبقاً لما جاء في تلك الأحاديث، ونعمل بها إن كانت عملية.

العلامة الطباطبائي من بين الذين صرّحوا بذلك في ذيل تفسيره للآية ٤٤ من سورة النحل.[١]

ب) أخبار الآحاد: وهي الروايات المنقولة إلينا ولم تبلغ حد التواتر ـ كما لو نقلت من طريق أو طريقين ـ وتقسّم أخبار الآحاد إلى ثلاثة مجموعات:

المجموعة الأولى: خبر الواحد المحفوف بالقرائن

ويعني الخبر غير المتواتر والذي وصلنا بطريق معتبر، وقد حُفّت به قرائن وشواهد مما يورث اليقين بصدقه وصدوره عن النبي صلى الله عليه وآله أو أهل بيته عليهم السلام. كالأخبار ذات المضامين العالية (كبعض خطب نهج البلاغة) أو الأخبار الموافقة لظواهر القرآن. وتفسير القرآن استناداً إلى خبر الواحد، معتبر وحجة؛ لأنّه يورث العلم، والعلامة الطباطبائي من الذين صرّحوا بحجيّة التفسير استناداً إلى الخبر الواحد المحفوف بالقرائن في ذيل الآية ٤٤ من سورة النحل.[٢]

المجموعة الثانية: خبر الواحد الضعيف

وهو الخبر غير المتواتر ولم يكن سنده معتبر، ومن هنا لا يوجد اطمئنان بصدوره عن المعصوم[٣] هكذا أحاديث موجودة بكثرة بين الأحاديث التفسيرية، وأحيانا تكون مجعولة أو من الإسرائيليات. وهذا النوع من الأحاديث غير معتبر في تفسير القرآن، وليس بحجة فيه؛ لأننا ـ في التفسير ـ نريد بيان مراد الله تعالى، وعندما لا يكون الحديث مما، يورثنا اليقين، فلا يمكننا القطع بأن هذا المطلب هو مراد الله تعالى.

وبعبارة أخرى، إسناد مضمون الأحاديث الضعيفة إلى القرآن، هو من إسناد بغير علم إلى الله تعالى، وهذا من الافتراء المحرّم على الله تعالى.

---

١. *الميزان*: ٢٦١/١٢.

٢. *الميزان*: ١٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

٣. في علم الحديث يطلق على مالا يجتمع فيه شروط الصحيح والموثّق والحسن، بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه، أو مجهول الحال، أو ما دون ذلك كالوضّاع. [الرعاية في علم الدراية: ٨٦].

وبعبارة ثالثة أحاديث النبيﷺ (بمقتضى الآية ٤٤ من سورة النحل) بيان للقران، وأما الخبر الضعيف فليس بياناً للقران لعدم إحراز صدوره عن النبيﷺ.

والسيد الخوئي، من الذين يرون حجيّة الأخبار القطعية في التفسير، وعدم حجية الأخبار الضعيفة فيه.[١]

بالطبع إن بعض مفسري القرآن يحاولون دراسة نصوص هذه الأحاديث ـ أي الضعيفة ـ حتى إذا وجدوا فيها قرينة أو شاهد على صدقها ـ كانسجامها مع ظاهر القرآن ـ يقبلونها ويستفيدون منها كشواهد في تفسير القرآن.

مثال: يذكر العلامة الطباطبائيقدس سره في ذيل الآية ٣٧ من سورة آل عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ بحثاً روائياً مفصّلاً، حيث يأتي بروايات عديدة من *تفسيري القمي، والعياشي*، تتضمّن الدلالة على الوحي إلى عمران، ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير موسمها.

ثمّ يعقّب الطباطبائي، فيقول: (بعض المفسرين أنكروا بشدّة مضمون هذه الروايات، كالوحي إلى عمران، ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير وقتها وكون سؤال زكريا في الآية للاستفسار فان هذه أمور لا طريق إلى إثباتها... وليس هناك إلا روايات إسرائيلية).

ثم أنه يجيب عن هذه الشبهة بقوله: (وهو منه كلام من غير حجة، والروايات وان كانت آحاداً غير خاليه عن ضعف الطريق لا يجب على الباحث الأخذ بها والاحتجاج بمضمونها، لكنّ التدبرّ في الآيات يقرب الذهن منها، والذي نقل منها عن أئمة اهل البيتعليهم السلام لا يشتمل على أمر غير جائز عند العقل).[٢]

مثال آخر: سلك العلامة الطباطبائي في تفسيره سورة الحمد نفس هذا المسلك في الروايات الواردة في «الرحمن الرحيم» فبعد أن استخرج منها بعض النكات من معنى لغوي، وصفة مشبهة، وصيغة مبالغه، أوردها بعد ذلك كمؤيدات.[٣]

وهذا بالطبع واحد من الانجازات الجبارة للعلامة في كيفية التعامل مع الأبحاث التفسيرية وله فائدتان:

---

١. *البيان*: ٣٩١.

٢. *الميزان*: ٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

٣. المصدر: ج١ في ذيل أول آية من سورة الحمد.

الأولى: إحياء الروايات التفسيرية التي غالباً ما تكون ضعيفة السند.

الثانية: إسناد أحاديث اهل البيتعليهم السلام بالقرآن لتصبح موضع قبول ونفع لجميع المسلمين.

المجموعة الثالثة: خبر الواحد المعتبر

وهو الخبر غير المتواتر، سواءً كان الراوي واحداً أو أكثر ولكنّ طريقه معتبر و أنّه يورث الظن دون اليقين بالصحة، ويقسّم هذا الخبر إلى ثلاثة أنواع: صحيح، وحسن، وموثق.[١]

إنّ حجية خبر الواحد واعتباره، كان موضع اختلاف عند علماء الشيعة، فادّعى بعضهم الإجماع على حجيته، كالشيخ الطوسيقدس سره ومال كثير من المتأخرين إلى حجيته أيضاً، وفي المقابل هناك من ادّعى من العلماء كالسيد المرتضى الإجماع على عدم حجيته وتابعه ابن إدريس على ذلك.[٢]

وكيفما كان، فالمشهور بين علماء الإمامية في العصر الحاضر حجية خبر الواحد والعمل و فقه في الأحكام الشرعية و عمدة، دليلهم في ذلك هو السيرة العقلائية.

ولكن المهم في بحثنا هو أنّ الخبر الواحد هل هو حجّة في الأحاديث التفسيرية كما هو حجّة في الأحاديث الفقهية، فيجوز تفسير القرآن على أساسه أولاً؟

في المقام هناك ثلاث نظريات رئيسة:

الأولى: نظرية القائلين بحجيّة خبر الواحد في تفسير القرآن

من أصحاب هذه النظرية السيد الخوئيقدس سره في *البيان*، فبعد أن أورد مقدمة في أن التفسير هو: بيان مراد الله تعالى فلا يجوز فيه الاعتماد على الظن والاستحسان؛ للمنع من إتباع الظن؛ ولأنّ إسناد شيء إلى الله تعالى دون إذنه حرام. وبالنتيجة فان ظاهر القرآن يعتبر حكم العقل الفطري، وروايات المعصومين القطعية من مصادر التفسير المعتبرة.

أما بالنسبة لخبر الواحد الثقة الصادر من المعصوم في مقام تفسير القرآن فيطرح إشكالا ويقول: (وقد يشكل في حجية خبر الواحد الثقة إذا ورد عن المعصومينعليهم السلام في تفسير الكتاب، ووجه الإشكال في ذلك، أنّ معنى الحجية التي ثبتت لخبر الواحد، أو لغيره من الأدلة الظنية هو وجوب ترتيب الآثار عليه عملاً في حال الجهل بالواقع، كما تترتب على

١. توضيح هذه المصطلحات خارج عن بحثنا، ومن يريد المراجعة عليه بكتاب *علم الحديث* لكاظم مدير شانچي، والكتب الأخرى.

٢. *العدة*: ١/ ٤٧؛ *أصول الفقه* للمظفر: ٣ / ٨٤؛ *معالم الدين*، للشهيد الثاني: ١٨٨؛ وغيرها.

الواقع لو قطع به، وهذا المعنى لا يتحقق إلاّ إذا كان مؤدّى الخبر حكماً شرعياً، أو موضوعاً قد رتب الشارع عليه حكماً شرعياً، وهذا الشرط قد لا يوجد في خبر الواحد الذي يروى عن المعصومين في التفسير.

و أضاف السيد قائلاً: فإنا قد أوضحنا في مباحث «علم الأصول» أنّ معنى الحجيّة في الأمارة الناظرة إلى الواقع، هو جعلها علماً تعبدياً في حكم الشارع، فيكون الطريق المعتبر فرداً من أفراد العلم، ولكنه فرد تعبدي لا وجداني، فيترتب عليه كلّما يترتب على القطع من الآثار، فيصح الإخبار على طبقه، كما يصح أن يخبر على طبق العلم الوجداني، ولا يكون من القول بغير علم.

ويدلنا على ذلك سيرة العقلاء، فإنهم يعاملون الطريق المعتبر معاملة العلم الوجداني من غير فرق بين الآثار، فإن اليد مثلاً أمارة عند العقلاء على مالكية صاحب اليد لما في يده، فهم يرتبون له آثار المالكية، وهم يخبرون عن كونه مالكاً للشئ بلا نكير، ولم يثبت من الشارع ردع لهذه السيرة العقلائية المستمرة).[١]

ومن أتباع هذه النظرية أيضا الشيخ معرفة، فهو بعد بيانه لمقدمة يذكر فيها آراء المخالفين، وينقل جواب السيد الخوئي وهو: (إن خبر الواحد يعتبر علماً تعبدياً لا تعبداً بعمل)، يذكر في خصوص حجية خبر الواحد ما يلي: (وللعقلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانيةً فيعتمدونه؛ وعليه جاء قوله تعالى: ﴿... إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾، فقد أقرّ العقلاء على قبولهم النبأ ما لم يكن الآتي به متجاهراً بالفسق، ممن لا يتورع الكذب، ولا يخاف الله في سرّه وعلانيته).

ثم أضاف الشيخ معرفة قائلاً: (إذن فشرط قبول الخبر احتفافه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، وكون الراوي معروفاً بالصدق والأمانة، وسلامة المتن واستقامته، مما يزيد علماً أو يزيد شكاً. وأن لا يخالف معقولاً أو منقولاً ثابتاً في الدين والشريعة، الأمر الذي إذا توفر في حديث أوجب الاطمئنان به وإمكان ركون النفس إليه؛ وعليه فلا يضرّه حتى الإرسال في السند إن وجدت سائر شرائط القبول.[٢]

---

١. *البيان* : ٣٩٨.

٢. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٣٢ ـ ٣٣.

واختار تلاميذ السيد الخوئي في كتاب *معرفة القرآن* نفس هذه النظرية[١] ويمكننا استنتاج هذه النتيجة من ظاهر كلام الزركشي في *البرهان* حيث ذكر في خصوص مصادر التفسير (الأول النقل عن النبيﷺ، وهذا النحو هو المعيار، ولكن يجب علينا الابتعاد عن الروايات الضعيفة والموضوعة).[٢]

فاستثنى من الأخبار المتواترة والمحفوفة بالقرائن، وخبر الواحد الموثّق، الأخبار الضعيفة والموضوعة مما يوحي إلى حجيته في التفسير. قد قبل بعض المعاصرين هذه النظرية.[٣]

وذهب بعض المحققين إلى اعتبار خبر الآحاد في التفسير واعتماده، بشروط أربعة هي: إذا كان الروات ثقات، وقطعية الدلالة أو ظهورها، مع عدم وجود قرينه على كذب الخبر أو صدوره عن تقية، وأن لا يعارض روايةً معتبرةً؛ وذلك لأنّ العقلاء عملوا به، وكانوا يرتبون الأثر عليه، وأيد الأئمةعليهم السلام طريقة العقلاء هذه. إذن يمكن أن يكون هذا النوع من الأحاديث أساساً ومصدراً لتفسير القرآن.[٤]

النظرية الثانية: نظرية المخالفين لحجية خبر الواحد في التفسير

من أتباع هذه النظرية البارزين الشيخ الطوسيقدس سره، فهو مع ادّعائه الإجماع على حجية خبر الواحد[٥]، لكنه لم يعتبره مصدراً للتفسير، يقول: (بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة، إما العقلية أو الشرعية من إجماع عليه، أو نقل متواتر عمن يجب إتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصة إذا كان مما طريقه العلم).[٦]

و ممّن ذهب إلى هذا أيضا محمد عبده،[٧] والعلامة الشعراني، الذي يقول (كما أن أخبار الآحاد ليست حجة في ألفاظ القرآن ولا تثبت بها القراءة، كذلك لا تكون حجة في تفسير معاني القرآن).[٨]

---

١. *معرفة القرآن*.

٢. *البرهان*: ٢ / ١٥٦.

٣. أنظر: *مدخل التفسير*، الفاضل اللنكراني: ١٧٥ ـ ١٧٦؛ *المناهج والاتجاهات التفسيرية*: ٩٦.

٤. روش شناسى تفسير و *منهج تفسير القرآن*: ٢٢٤.

٥. *العدة*: ٤٧/١.

٦. *التبيان*، ٤/١.

٧. *أضواء على السنّة المحمدية*، محمود أبو ريّة: ٣٩١، نقلاً عن *تاريخ الأستاذ، محمد عبده*: ٢ /٦٤٣.

٨. *تفسير منهج الصادقين*: ٣١/١.

و إلى مثل ذلك ذهب العلامة الطباطبائي‌قدس‌سره حيث ذكر في ذيل تفسيره للآية ٤٤ من سورة النحل: هذا كلّه في نفس بيانهم المتلقّى بالمشافهة، وأما الخبر الحاكي له، فما كان منه متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعية وما يلحق به، فهو حجّة لكونه بيانهم، وأما ما كان مخالفاً للكتاب أو غير مخالف لكنه ليس بمتواتر ولا محفوفاً بالقرينة فلا حجيّة فيه؛ لعدم كونه بياناً في الأول وعدم إحراز البيانية.[١]

النظرية الثالثة: التفصيل في حجية خبر الواحد في التفسير

فقد ذهب الشيخ جواد آملي في تفسيره (تسنيم) إلى القول بالتفصيل في حجية الخبر الواحد، وخلاصة ما ذهب إليه، هو: أن المسائل الدينية تقسّم إلى قسمين:

أ) الأحكام العملية: وهنا يعتمد أساساً على القطع والاطمئنان، ويمكن الاعتماد على الظن كذلك.

ب) المسائل الاعتقادية: وتقسّم الروايات الواردة عن المعصومين في هذا القسم إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: الروايات المتضمنة للقطع في الأركان الثلاثة والتي هي: (أصل الصدور، وجهة الصدور، والدلالة).

بمعنى إنها قطعية بلحاظ السند، بأن تكون من المتواترات، أو أخبار الآحاد المحفوفة بالقرائن، وهكذا بلحاظ جهة الصدور؛ لأننا نعلم يقينا أنها بصدد بيان المعارف الواقعية، ولم تصدر تقية، ودلالتها بالنص لا بالظاهر، فهكذا روايات مع قلّتها لكنّها بلحاظ إيجابها اليقين وكشفها عن المعلوم حجة، ويمكن الاستعانة بها في إثبات أصول الدين باستثناء أصل المعاد، الذي لا يمكن إثباته إلاّ بالدليل العقلي.

المجموعة الثانية: الروايات التي لم يتحقق لنا اليقين في أركانها الثلاثة، أي التي لا تورث إلا الظن، وهذا النوع من الروايات ورد في أمور ثلاث:

الأمر الأول: أصول الدين: مثل (التوحيد، والنبوة، والمعاد، و إثبات الجنة والنار) في هكذا معارف، يجب تحصيل الاعتقاد بها على نحو اليقين والجزم، و لا يمكن تحصيله بالأدلة النقلية الظنية، فمن هنا لا تكون هذه الأدلة النقلية الظنيّة حجّة في هذا الموضع.

---

١. *الميزان*: ٢٦١/١٢.

الثاني: المعارف التي ليست من أصول الدين و التي لا يجب الاعتقاد التفصيلي بها، بل يكفي الاعتقاد الإجمالي بها، مثل: حقيقة العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والملائكة.

في هذا القسم ممكن أن يصل الإنسان إلى القناعة من خلال العلم الإجمالي واليقين المجمل دون التفصيلي، وبناء على هذا يمكن القبول والرضا بالاعتقاد الإجمالي، ويمكن التعامل مع مفاد الروايات الظنية كاحتمال في حصول الموضوع.

الأمر الثالث: المعارف المبينة للمسائل العلمية والآيات الإلهية في الخلق، مثل: السموات والأرض كيف كانتا رتقاً في بادئ الخلق ثم فتقتا.

الأخبار والروايات الواردة في هذا الخصوص لا ثمرة عملية فيها، كما لا يعتبر فيها الجزم، وهنا يتعامل مع الروايات غير القطعية على حد الاحتمال دون اعتبارها حجة تعبداً؛ لأنّ أدلة الحجية على خبر الواحد ناظره إلى المسائل العملية والتعبدية ولا يمكن التعبد بالعلم في المسائل العملية دون حصول المبادئ التصديقية.[1]

التحقيق

لابد من الالتفات هنا إلى عدة نقاط

١. كما تقدّم بأنّ حجية الخبر الواحد معتبرة في خصوص الأحكام العملية، كما هو الرأي المشهور بين علماء الإسلام في العصر الحاضر، وهذا الأمر تمّ إثباته في أصول الفقه، والدليل الأساس عليه، هو السيرة العقلائية. ولا شك في أن قسماً من التفسير يتعلق بآيات الأحكام، والروايات الواردة عن النبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام في تفسير آيات الأحكام جاءت كأخبار آحاد بشكل أساسي. وبناء على هذا يمكن القول أن أخبار الآحاد الواردة في تفسير آيات الأحكام حجة لقيام السيرة العقلائية على قبولها وترتيب الآثار عليها، والعمل بمضمونها كانت ولا زالت.

وجرت سيرة علماء الإسلام في آيات الأحكام على ذلك، كما يتبع ذلك في الفقه نفس الطريقة أى بقبول حجيتها في عصرنا الحاضر.

وهذا ما أكده الموافقون لا لهذا الرأي (كالسيد الخوئي)، ويتضح من كلمات المخالفين قبوله إلى حدٍّ ما.

ولعل الشيخ الطوسي في ذيل كلامه (خاصة إذا كان مما طريقه العلم) يشير إلى هذا

---

١. تسنيم، جواد آملي: ١٥٦/١ ـ ١٥٨.

المطلب، وأنّ خبر الواحد في المورد الذي يعتبر في طريقه العلم (مثل العقائد) ليس بحجة.

و قد صرّح العلامة الطباطبائيّ في كتاب *القرآن في الإسلام*: يجري العمل عند أهل السنة نوعاً ما بخبر الواحد ـ الذي يطلق عليه اصطلاحاً: الصحيح ـ مطلقاً، أما عند الشيعة فالمسلّم الآن في علم الأصول، هو أن خبر الواحد الموثوق الصدور يعتبر حجّة في الأحكام الشرعية، وأمّا في غيرها فلا.[١]

وأشار إلى ذلك في *تفسيره الميزان* عدة مرات، فقال في ذيل الآية ٢٥٩ في تفسير سورة البقرة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ بعد ذكر الروايات فقال: كلا المجموعتين خبر آحاد، وقبول خبر الواحد والعمل به في غير الأحكام الفقهية غير واجب.[٢]

وفي الحقيقة يصح العمل بكلام العلامة عندما يكون مقصوده من الأحكام الشرعية، الأحكام الفقهية المستقاة من آيات الأحكام والروايات المتعلقة بها أيضاً؛ وفي هذه الحالة نعم؛ لأن خبر الواحد حجّة في الأحكام الشرعية، وبناء على هذا فهو بيان على آيات الأحكام، وتكون في هذا النحو من التفسير حجة.

٢. التردد في حجية الخبر الواحد في غير الأحكام الشرعية

بما أنّ الدليل الأساسي على حجية الخبر والواحد هو السيرة العقلائية، وهو دليل لبّي، وللدليل اللبّي قدر متيقن يشمل جزءاً من الأحكام التي لم يمنع عنها الشارع أيضاً؛ إما في خصوص غير الأحكام فنشك؛ ولأن العمل بالظن في التفسير غير جائز، وكما ذكرنا سابقاً حرمة إسناد شيء إلى الله تعالى بدون إذنه، فيكون القدر المتيقن هو حجية أخبار الآحاد.[٣]

وبناء على هذا، نعمل بحجية خبر الواحد بالقدر المتيقن وهو الأحكام العملية[٤] وبعبارة العلامة

---

١. *القرآن في الإسلام*، العلامة الطباطبائي: ٨٨

٢. *الميزان*: ٥٨٠/٢.

٣. في الواقع إن هذا يقوم على افتراض إن الإشكال المتعلّق بعدم ترتب الآثار العملية في غير الأحكام الشرعية قد حُل بجواب السيد الخوئي، أما إذا اخترنا مبنىً آخر في معنى الحجية في أصول الفقه، فإن هذا الإشكال يبقى على حاله، وفي هذه الحالة سوف تواجه حجية خبر الواحد إشكالاً من جهتين.

٤. طبعا هذا يتم فيما إذا فرضنا أن الإشكال يرتبط بعدم ترتيب الآثار العلمية في الأخبار في غير الأحكام ويمكن حلّه ببيان السيد الخوئي، وإلاّ إذا اختار أحد على أساس ما أُسسه في أصول الفقه معنى آخر للحجية يرتفع به الإشكال المتقدم حينها و يتوجه الإشكال إلى حجية خبر الواحد في غير الأحكام من جهتين.

الطباطبائي المتقدّمة فانه لا يحرز كون خبر الواحد بيان في التفسير إلاّ إذا قلنا الخبر الواحد الصحيح(على أساس بناء العقلاء) علم عادي،[١] ويعامله العقلاء معاملة العلم، وبناء على هذا سيكون بياناً على القرآن، وليس قولاً بغير علم، وليس إسناد لمطالب ظنّية إلى الله تعالى.

ولكن يمكن القول أيضا إنّ العقلاء في الأعمال العادية يكتفون بخبر الواحد أما في الأمور المهمة (كالعقائد و...) يتطلب مرتبة عاليه من العلم كالذي يتحقق بواسطة الخبر المتواتر أو المحفوف بالقرائن.

وعندما ندقق في كلمات الموافقين على حجية خبر الواحد في التفسير كالسيد الخوئي نجد أنّه لا يرى حجيّة الخبر الواحد في العقائد، وقد صرح بهذا المطلب في علم الأصول،[٢] علماً أن قسماً كبيراً من التفسير مرتبط بالعقائد ولا ينفع فيه غير العلم.

٣. نتيجة البحث: هي أننا نذهب إلى القول بالتفصيل في حجية خبر الواحد في التفسير،[٣] يعني أنّ خبر الواحد في حدود آيات الأحكام حجّة و معتبر، أما في غيرها (كالعقائد، والقصص، والإشارات العلمية القرآنية، والحقائق مثل: العرش، والكرسي وغيرها) ليس بحجة، وان أمكن الاستفادة من الروايات في هذه المواضع على نحو إبداء الاحتمال فلا مانع منه، إلا إذا نزّلنا خبر الواحد المعتبر منزلة العلم العادي، وحينها يكون حجّة في جميع المواضع المتقدمة.

الخامس: آفات الأحاديث التفسيرية

تعتبر الأحاديث التفسيرية من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم، ولها ميزات خاصة مثل: تبيين المراد الإلهي، والبطون، وتأويل الآيات، وتوضيح الآيات الناسخة والمتشابهة وبيان مخصصات الآيات ومقيداتها،[٤] ولكنّ هذا المصدر واجه على مرّ التاريخ تحولات وتغيرات تسبب ذلك في ظهور بعض الإشكاليات ونقاط الضعف في هذا التراث الإسلامي العظيم، ومن أهمها:

---

١. أي يخرج عن دائرة الظن تخصصاً وهذا مبنى بعض الأساتذة كآية الله صالحى مازندرانى رحمه الله في درس الخارج لعلم الأصول، ويظهر من كلام الشيخ معرفة في الحديث معه وجهاً لوجه في درسه في البحث الخارج.

٢. *مصباح الأصول*: ٢/ ٢٣٦.

٣. للاطلاع أكثر راجع ما يلي: *مدخل في التفسير العلمي للقرآن*، للمؤلف: ٨١ و؛ *ومنطق تفسير قران (٢)*؛ و *روشها و گرايشهاى تفسير قرآن* (المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن): ١٤٨ و ١٥٧.

٤. ذكرت أمثلة ذلك وموادرها في (*تاريخ التفسير الروائي*) مضافا إلى استعمال الروايات التفسيرية.

١. انتشار الأحاديث الموضوعة

على مدى التاريخ الإسلامي وجد أشخاص ـ ولغايات وأغراض شخصية أو سياسية أو مذهبية ـ يقومون بوضع واختلاق الأحاديث. واتفق جميع العلماء والمفسرين الكبار، شيعة وسنّة على وجود هذا الواقع المرّ،[١] وكتبوا في ذلك كتباً عديدة.[٢]

وبناء على هذا يجب الحذر والانتباه من الأحاديث المجعولة الموضوعة عند البحث عن الروايات التفسيرية، ويتمّ ذلك بمعرفة أسباب الجعل، ومن هم الذين يضعون الأحاديث، والمعايير التي يتم بها تشخيص الأحاديث المجعولة.

٢. نفوذ الأفكار والثقافة اليهودية والمسيحية في التفاسير الروائية (الإسرائيليات): نتيجة للتعايش الذي حدث بين المسلمين وبين اليهود والمسيحين في المدينة المنوّرة، ونتيجة لما جاء في القرآن من آيات وقصص تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل وعن عيسىعليه السلام، أو تتحدث عن مسائل دينهم؛ فصار ذلك سبباً للاختلاط والامتزاج بين ثقافة المسلمين وأهل الكتاب. فدخلت بعض الأفكار في أذهان بعض المسلمين، أو قد يكون ذلك عن طريق بعض الذين أسلموا من أهل الكتاب، فأدخل هؤلاء جزءاً من أفكارهم وعقائدهم في الروايات الإسلامية.

وأيد المفسرون وأهل الرأي ذلك،[٣] وألفوا فيه كتباً أيضاً،[٤] كما سعى بعض المفسّرين محاولين كشف الروايات الإسرائيلية، مثل العلامة الطباطبائي، حيث قال في ذيل الآية ٣٩ من سورة البقرة في خصوص خلق حواء من الضلع الأيسر لآدمعليه السلام، كما جاء في بعض الروايات: فهكذا أحاديث تسمى بالإسرائيليات،[٥] حيث جاء ما يشابهها في *الكتاب المقدّس*.[٦]

ومن بين الكتب التفسيرية المليئة بالأحاديث المجعولة والإسرائيليات، *تفسير جامع البيان*

---

١. *التفسير والمفسرون* في ثوبه القشيب: ٢ / ٩٤ وما بعدها؛ والطباطبائي في *الميزان*: ١٢/ ١١٢، ومحمد أبوريّه، في *أضواء على السّنة المحمدية*: ١٦٤.

٢. ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، في *اللئالئ المصنوعة*.

٣. *الطباطبائي*، الميزان: ١٢ / ١١٢؛ أيازى، محمد على، *المفسرون حياتهم ومنهجهم*: ٩٨؛ *وأضواء على السنة المحمدية*: ١٦٤.

٤. راجع: *الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير*، رمزي نعناعه.

٥. *الميزان*: ١ / ١٤٧.

٦. *الكتاب المقدّس*، *سفر التكوين*، الباب الثاني، رقم ٢١ ـ ٢٣.

للطبري (ت ٣١٠هـ)، *وتفسير الدر المنثور، للسيوطي* (ت ٩١١ هـ)[١] ومن هنا فعلى من يقدم على التفسير الروائي أن يعرف الإسرائيليات، وأسبابها، وناقليها ومصادرها، ومعايير تشخيصها حتى يتجنب الاعتماد عليها في التفسير.

٣. ضعف السند

هناك الكثير من الروايات التفسيرية الشيعيّة والسنية إمّا لاسند لها، أو يوجد إشكال في وثاقتها، وبناءاً على هذا يعتبر ضعف السند من مشاكل وآفات الروايات التفسيرية.

وبالطبع فان هذه الآفة ناشئة عن عدم اهتمام المسلمين بهذه الروايات، كاهتمامهم بالأحاديث الفقهية التي أولوها اهتماماً بالغاً، ودققوا في أسنادها ونقلها وهذا يفسر قلّة الآفات الموجودة في الأحاديث الفقهية التفسيرية المبينة لآيات الأحكام دون غيرها من الأحاديث الأخلاقية والعقائدية.

٤. عدم تغطية الأحاديث التفسيرية لكل الآيات

كما تقدم في بحث مقدار ومجال الأحاديث التفسيرية، فقد وقع اختلاف في تعداد أحاديث النبي التفسيرية، إلاّ أنّه من المسلّم بين الجميع أن ما وصل إلينا فعلاً من أحاديثه ﷺ لا يستوعب جميع آيات القرآن، وحتى لو أضفنا إليها أحاديث اهل البيت عليهم السلام لا يندفع هذا الإشكال، ومن هنا نجد أن أهم تفسيرين روائيين عند الشيعة وهما: *البرهان* للبحراني، *والصافي* للفيض الكاشاني، وقد تركا بعض الآيات دون تفسير روائي.

ولذا فمن يقدم على التفسير الروائي لا يستطيع أن يعتمد في تفسيره لكلّ آيات القرآن الكريم هذا الأسلوب من التفسير، وسيضطر إلى اعتماد أساليب أخرى.

٥. عدم تمحيص الروايات التفسيرية

من مشاكل الأحاديث التفسيرية، عدم تمحيصها وإخضاعها للتحقيق بشكل جدّي، فقد ضمت كتب التفسير الروائي الأحاديث المعتبرة وغير المعتبرة، وهذا لا يعني أن جامعي هذه المجموعات التفسيرية لم يقدّموا خدمة، بل على العكس فهم قدحفظوها من الضياع ولكن تبقى مشكلة وجود الأحاديث المتعارضة[٢] والروايات المستلزمة للقول بتحريف القرآن قائمة دون حلٍّ.

---

١. *التفسير والمفسرون*، الذهبي محمد حسين: ١ / ٢١٥؛ وأيضا، *التفسير والمفسرون* في ثوبه القشيب: ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

٢. راجع: الأحاديث الواردة في شان نزول الآيات: ١١و٢٢ من سورة النور، والآيات الأولى من سورة عبس؛ ومن التفاسير الروائية: *الدر المنثور، وجامع البيان، ونور الثقلين*، وغيرها.

وما يجدر ذكره أن بعض مفسري الشيعة والسنة بدؤوا بدراسة الروايات ونقدها قبل الإتيان بها في تفاسيرهم، مثل (*الميزان والمنار و...*) ولكن حتى الآن لم ينشر بهذا الصدد أثر جامع متكامل.

٦. الاكتفاء بالأحاديث التفسيرية وردّ غيرها من المصادر والقرائن الأخرى

كما أسلفنا[١] أنّ واحدة من مشاكل الاعتماد على التفسير الروائي، هي اعتقاد المفسر بعدم جواز تفسير القرآن بغير الأحاديث، فلا يحاول الاستفادة من المصادر الأخرى، كالآيات القرآنية أو البراهين العقلية.

ومثل هكذا تفسير روائي من الواضح جداً سيكون ناقصاً ولا يمكنه بيان مفاد الآيات، والمراد الإلهي منها بشكل كامل.

إذن من يريد الاعتماد على التفسير الروائي عليه مضافا إلى الأحاديث، الاستفادة من القرائن العقلية والنقلية حتى يتمكّن من الإتيان بتفسير جامع معتبر لآيات القرآن.

٧. أسلوب الاستفادة من الأحاديث التفسيرية

يلزم الالتفات عند الاستفادة من الأحاديث التفسيرية إلى ثلاث مراحل، هي كالتالي:

الأولى: دراسة السند: لقد تناولنا ذلك بشكل مفصّل في بحث أقسام الروايات التفسيرية، ولكي تتم دراسة السند يلزمنا الاستعانة بعلم الرجال.

الثانية: دراسة الدلالة: وفي هذا الخصوص هناك أبحاث في قواعد التفسير سنبينها في أقسام دلالة الآيات والتي غالبا ما تصدر في مورد الروايات أيضا. كما قد أشير في بحث (أنحاء الإسناد إلى الأحاديث) إلى أنّ الروايات في بعض الأحيان قد تعطي مصاديق للآية، أو جزئيات الأحكام، أو البطون، أو تأويل الآيات. ودلالتها على المطالب التفسيرية ليست بمستوى واحد ومن هنا وجب علينا الدقة في اختيار الأحاديث، والتميز بين التفسيرية منها عن التأويلية أو التطبيقية.

الثالثة: دراسة المحتوى: إن دراسة طرق الاستفادة من الأحاديث ضرورية حتى تتم معالجتها وفق ضوابط نقد الحديث فإنّ كلّ حديث يخالف القرآن، أو العقل، والعلوم التجريبية القطعية سيكون غير معتبر ونضرب به عرض الجدار،[٢] ونرجع إلى بقية الأحاديث المعتبرة كقرينة على فهم الآيات القرآنية.

١.راجع: بحث منزلة الأحاديث التفسيرية، ومجال الأحاديث التفسيرية، وذيل بحث ضوابط الروايات التفسيرية في هذا الكتاب.

٢. هناك مطالب في معنى المراد من (مخالفة القران والعقل والعلوم التجريبية) ستأتي في بحث ضوابط التفسير.

ملاحظه: كما نستعين في دراسة السند بعلم الرجال، علينا الاستعانة في دراسة الدلالة والمحتوى بعلم فقه الحديث.[١]

٣. العقل

المقصود من العقل هنا، هو: العقل الفطري السليم البعيد عن أهواء النفس والمصالح الشخصية. فيعدّ هذا من المصادر المعتبرة والقرائن الخارجية على فهم الآيات القرآنية، كما أشار إلى ذلك كلّ من الشيخ الطوسي (ت /٤٦٠ هـ) والشيخ الطبرسي (ت / ٥٤٨ هـ)[٢] فمكانة العقل في معرفة الدين مهمة تقف إلى جانب القرآن والسنّة؛ ولذا صار لزاماً علينا الاستعانة في فهم وتفسير القرآن بإرشادات العقل والنقل(نصائح نبي الله).[٣]

حجيّة العقل في التفسير

إن العقل يسوق الإنسان إلى اليقين عن طريق البراهين، فمن هنا صارت حجيته ذاتية ودليلاً معتبراً في التفسير وغيره، بل لو لم يكن العقل معتبراً لما تمّ إثبات أصول الدين (التوحيد، النبوة، المعاد) مضافا إلى ذلك فقد دعا القرآن الكريم الإنسان مرات ومرات إلى التفكّر والتدبّر، ولو لم يكن العقل حجّة لكانت تلك الدعوة لغواً وعبثاً.

فعبّر القرآن ضمن دعوته إلى التعقّل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وأيضا ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وعبرت الروايات عن (العقل) بالحجة الباطنية، إلى جانب الحجة الظاهرية والمقصود بها الأنبياء، فيحكى عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «يا هشام، إنّ لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنه، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة فالعقول»[٤] فبناء على هذا يكون العقل من مصادر فهم القرآن وتفسيره، ومصدراً لمعرفة الدين، وصار ما يحكم به العقل تقبله الشريعة حتى اشتهرت هذه المقولة المعروفة (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع).

---

١. للتعرف على علم الحديث أكثر. راجع: *علم الحديث*، كاظم شانه چي؛ *دروس في علوم الحديث*، الدكتور علي نصيرى.

٢. *التبيان*: ١ / ٤؛ *مجمع البيان*: ١ / ١٣.

٣. راجع: *البيان* للسيد الخوئي: ٤٢٢.

٤. *الكافي*: ١ / ٦.

معاني العقل وأقسامه

العقل ـ لغة ـ هو الإمساك وحفظ الشيء ومنعه، ويستعمل في معنيين:

أ) العقل المصباحي والقوة الفكريه (القوة المدركة).

بمعنى القوة المستعدة لقبول العلم في نفس الشيء، القابل للتكليف.

ب) العقل البرهاني أو (البرهان العقلي).

يقال أحيانا للعلم (البراهين العقلية) الذي يحصله الإنسان بواسطة تلك القوة العقل.[١]

وبالطبع فإنّ هناك تقسيمات أخرى للعقل من جملتها: العقل النظري والعقل العملي.[٢]

وأحيانا تذكر البراهين العقلية وأحيانا المبتنيات العقلائية مثل (قبح الظلم وحسن العدل) التي اتفق عليها عقلاء العالم أجمع، وعلى كلّ حال فإن جميع المدركات العقلية في جميع معانيها وأقسامها معتبرة في معرفة الدين ومن بينها تفسير القرآن.

و يرى بعض المحققين، أن التفسير بالعقل هو نفسه التفسير بالاجتهاد وبعضهم يرونه استخدام للعقل البرهاني في تفسير القرآن.[٣]

أنحاء الاستفادة من العقل في التفسير

١. الاستفادة من قوة العقل (العقل المصباحي) في التفسير

أحد معاني التفسير العقلي التفسير الاجتهادي: وهو عبارة عن استخدام القوة العاقلة في تجميع الآيات والروايات والنكات التفسيرية والاستنباط التعقلي من قبل المفسّر.

هذا القسم من التفسير العقلي في مقابل التفسير النقلي.

وللاجتهاد العقلائي استخدامات كثيرة كما في هذه الموارد:

أ) في الجمع بين الآيات، يعني في تفسير القرآن بالقرآن.

ب) في الجمع بين الروايات ورفع التعارض بينها في التفسير الروائي.

ج) في جمع وتصنيف أقوال المفسرين والخروج منها بنتيجة.

---

١. راجع: *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة عقل (ولكنه لم يذكر مصطلحي: العقل البرهاني، والعقل المصباحي وهذان المصطلحان ذكرهما آية الله جوادي آملي، راجع: *تسنيم*. ١ / ١٦٩ ـ ١٧١.

٢. راجع: *شرح المنظومة*، ملا هادي السبزواري: ٣١٠؛ *الإشارات*، ابن سينا: ٢ / ٣٥٣، *الشواهد الربوبية*: ٢٠.

٣. راجع: *منطق تفسير القران (٢) (المناهج والاتجاهات التفسيرية)*، مبحث منهج التفسير العقلي والاجتهادي؛ وأيضا *التفسير بالرأي*، لمكارم الشيرازي: ٣٨؛ *التفسير والمفسرون* في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٤٩.

د) في جمع الآيات والروايات المتعلّقة بآيات الأحكام، والاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية منها. ومن هنا نعتقد أنّ كل مفسّر يجب أن يكون مجتهداً في الفقه حتى يتمكّن عند مواجهة آيات الأحكام ـ والتي يبلغ تعدادها أكثر من خمسمائة آية ـ من بيان رأيه التفسيري النهائي.

هـ) فهم وتفسير الآيات التي لم ترد روايات بخصوصها.

و) فهم مراد آيات القرآن وسوره.

ز) استلهام الدروس والعبر من القصص القرآنية وتجريدها عن الزمان والمكان وتطبيق قواعدها و مواعظها على حياة البشر اليوم؛ لإنارة الطريق الصحيح للحياة.

من باب المثال: عندما يذكر القرآن قصة يوسف فإنّه يهدف إلى نصيحة الشباب وتحذيرهم من الحيل وأن لا يتلاعب بهم[1] وان أصبحوا وسط لهواة الشهوة عليهم أن يقاوموا كما قاوم يوسف عليه السلام، حتى ينتصروا وينالوا السعادة الأبدية.

ح) فهم أبعاد الإعجاز القرآني (الإعجاز البلاغي والعلمي و...).

٢. التفسير بالاستفادة من العقل البرهاني

ذكرنا سابقا إن بعض المحققين يرون أن التفسير العقلي هو استخدام العقل للبرهان والقرائن العقلية في التفسير، ففي هذه الصورة فالعقل مصدر يكشف حقائق الكتاب وما ورد فيه من الأحكام الشرعية.

وهذا النحو من طرق التفسير يستفاد منه كثيراً في موردين:

أ) في هذا القسم من التفسير العقلي قد تشكّل الأدلة والبراهين القطعية العقلية قرينة على تفسير الآيات أحياناً، فكلّما كان ظاهر الآية يتنافى مع البرهان العقلي، يكون ذلك البرهان قرينة على ترك الظاهر وتأويله.

مثال: تقدم في تفسير الآية ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] أن عقل الإنسان يحكم بكون الله ليس بجسم، وليس له يد كيد الإنسان، وإلاّ ستكون ذاته تعالى محدودة وقابلة للفناء، وبناء على هذا يصبح المقصود من الآية هو قدرة الله تعالى.

---

١. ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، [يوسف: ١٢].

٢. الفتح: ١٠.

ونفس هذا البرهان والتأويل تأتي في بعض الآيات التي ورد فيها مثل (السميع البصير) ومثل قوله تعالى: ﴿جَاءَ رَبُّكَ﴾.[١]

ب) قد يستفاد أحيانا من العقل البرهاني لفهم الآيات المتعلّقة بمعرفة الله تعالى بنحو أكمل وأدق.

مثال: في برهان النظم، حيث جاء ذكر نماذج ومصاديق كثيرة له في عدد كبير من الآيات[٢] ففي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٣] فهل البرهان يمنع من ذلك أو هناك برهان آخر.

تعارض العقل والنقل

العقل والقرآن كلاهما مصدران لمعرفة الحقائق، وبما أنه لا يزيد أحدهما عن الآخر في الحقيقة، فلا يقع تعارضٌ بين مفاد الدليل العقلي القطعي، والنص القرآني، فإذا توهم التعارض في موضع فإنّه يكشف عن خطأ ما في مقدمات الدليل العقلي، أو فهم القرآن، فإذا لم ينسجم ظاهر الآية مع الدليل العقلي القطعي يؤول ظاهر الآية؛ لانّ الدليل القطعي مقدّم على الدليل الظني، ونلجأ إلى التأويل في: هكذا موارد كما في: العرش، والكرسي، يد الله، وأمثالها.[٤]

وجدير بالذكر، أنّ القرآن الكريم لا يحوي مطالب مخالفة للعقل والمبتنيات العقلائية، لذا لا يمكن تفسير القرآن بنحو يخالف الدليل القطعي العقلي (مثل استحالة الجسم على الله)، أو بناء العقلاء (قبح الظلم)، فمن هنا لا يصح أخذ ظاهر معنى الآيات المرتبطة بالإضلال كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ و ﴿يضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.[٥]

بل يلزمنا أن نوضح ذلك بان نقول: إن الله تعالى يهيئ الأرضية ويمهّد الطريق، طريق

---

١. الفجر: ٢٢.

٢. النحل: ٣ـ١٣ وغيرها.

٣. الأنبياء: ٢٢.

٤. للاطلاع أكثر على العلاقة بين العقل والنقل وتعارض القرآن والعقل، وسبل حلّ هذا، راجع: *منطق تفسير القرآن (المناهج والاتجاهات التفسيرية)*: ٢٩٠؛ *وروح المعاني*: ٩ / ١٠٤؛ و *مدخل في التفسير العلمي للقرآن*، للمؤلف: ٩٦ـ٩٩.

٥. راجع: النساء: ٤٣ و ٨٨؛ والأعراف: ١٧٨ و ١٨٦؛ ونحوه في الرعد:٢٧؛ وإبراهيم: ٤، وغيرها.

الهداية وطريق الضلال، فمن لا يختار طريق الهداية ويقف في وجه أنبياء الله ورسله وأوليائه يستحق الإضلال والإبعاد عن الهداية.

نعم، إن لم نُعر اهتماماً للأدلة العقلية والقواعد العقلائية يمكن أن نقع في تفسيرنا بالتناقض والانحراف.

٤. العلوم التجريبية

والمقصود بها العلوم القائمة على الحسّ والتجربة مثل العلوم الطبيعية (كالطب، وعلم النجوم، وعلم والتربة و...) والعلوم الاجتماعية (كالإدارة، وعلم الاجتماع و...).

فقد جاء في القرآن الكريم أكثر من ألف وثلاثمائة آية تتحدث حول الطبيعة والنجوم،[١] مما يستلزم فهمها وتفسيرها الإحاطة بالنتائج التي توصلت إليها تلك العلوم وبخلاف ذلك قد يتسبب في انزلاق قدم المفسر أثناء تفسيره.

لم تكن الاستعانة بالعلوم التجريبية في التفسير جديدة عهد، بل قد وضع العلماء والمفسرون منذ القديم هذا الأمر نصب أعينهم عند التفسير بنحو نرى نماذج ومصاديق لذلك في المؤلفات القديمة والحديثة، ومن جملتهم ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ)، وأبو حامد الغزالي(ت / ٥٥٠ هـ)، والفخر الرازي(ت ٦٠٦ هـ)، والزركشي(ت ٧٦٤ هـ) في *البرهان*، وجلال الدين السيوطي(ت/ ٩١١ هـ) في *الإتقان*، ومحمد باقر المجلسي(ت / ١١١١هـ) في *بحار الأنوار*، والطنطاوي(ت / ١٨٦٢هـ) في *تفسير الجواهر*، وعبد الرزاق نوفل (معاصر)، والسيد هبة الدين الشهرستاني(١٣٠١ ـ ١٣٦٩ هـ)، والسيد محمود الطالقاني في *تفسير برتوي قرآن (ضوء من القرآن)*، وسيد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٣٣ هـ) *في ظلال القرآن*، ومحمد مصطفى المراغي (١٨٨١ ـ ١٩٤٥هـ)، ومحمد حسين الطباطبائي(م ١٣٦٠ ش) في *تفسير الميزان*، وناصر مكارم الشيرازي (معاصر) في *تفسير الأمثل*، و محمد هادي معرفة (معاصر) في *التمهيد في علوم القرآن*.[٢]

وقد أكّد بعض المحققين المعاصرين دور النتائج العلمية في التفسير كالشيخ جعفر سبحاني،[٣]

---

١. بعض الكتب أحصى عدد الآيات العلمية إلى ١٣٢٢، راجع: *العلوم في القران*، والجمال: ٣٥ ـ ٣٦.

٢. راجع، *درآمدي بر تفسير علمي قران*، ـ *مدخل للتفسير العلمي للقرآن* ـ للمؤلف، *مبحث التفسير العلمي في التاريخ*، وأيضا *التفسير العلمي في الميزان*.

٣. تفسير صحيح آيات مشكله *(التفسير الصحيح للآيات المشكلة)* ـ السبحاني: ٢٩٢ وما بعدها.

كما قام الكتّاب في معرفة طرق تفسير القرآن بدراسة العلوم التجريبية الطبيعية والاجتماعية كلاً على حده في التفسير بشكل مفصل.[١]

أقسام العلوم التجريبية وحجيتها

نتائج العلوم التجريبية على أنواع:

الأول: النتائج المورثة لليقين، وذلك بسبب بداهتها، الحسية أو أيدها دليل قطعي آخر مثل: (الأدلة الرياضية أو العقلية أو غيرها) كالذي توصلت إليه العلوم التجريبية من نتائج كقوة الجاذبية وكروية الأرض التي صارت اليوم من البديهيات، تجوز الاستفادة من هذه العلوم في تفسير القرآن؛ لأنّها توجب القطع، والقطع حجيته ذاتيه، ويمكن أن تكون بمثابة قرينة على تفسير الآيات ومن هنا فسروا آية ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٢] على أساس الجاذبية.[٣]

الثاني: النتائج(المكتشفات) العلمية التي بقيت على مستوى النظريات العلمية، ولم تبلغ حدّ القطع، وأكثر نتائج العلوم التجريبية هي من هذا النوع.

في هذا الموارد لا يمكن نسبة نلك النتائج العلمية إلى القرآن بشكل قطعي، بل تذكر عند اللزوم على نحو الاحتمال.

من قبيل ما ورد في الآية ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ من احتمال إشارتها إلى اتساع السماوات وامتداد العالم.[٤]

وهذه النظرية اشتهرت في عصرنا الحاضر (بانبساط العالم)، ولكن بما أنّه توجد نظرية مخالفة لتلك، وهي: (انقباض العالم) في أوساط علماء الكون[٥]، فلا يمكن نسبتها بشكل قطعي إلى القرآن.

طرق الاستفادة من العلوم التجريبية في التفسير

هناك طرق مختلفة لكيفية الاستفادة من العلوم التجريبية في فهم آيات القرآن وتفسيرها

---

١. *روش شناسى تفسير قران (منهج تفسير القرآن)* بابائي وآخرون: ٣٦٧ ـ ٣٧٣.

٢. الرعد: ٢؛ ولقمان: ١٠ بكلمة «خلق» بدل «رفع».

٣. راجع: *تحقيق في الإعجاز العلمي للقرآن؛ وتفسير الأمثل*.

٤. يميل العلامة إلى هذه النظرية: الميزان: ١٨ / ٣٨٢.

٥. راجع: *تاريخ الزمان*.

على طول التاريخ، وآل الأمر إلى الإفراط والتفريط، ومن هنا برزت آراء العلماء بين موافق ومخالف، وعند التدقيق في أدلة كلا الفريقين ننتهي إلى أن ممن خالف إنما يخالف التفسير العلمي المعتمد على طرق منحرفة أو إفراطية، مثل استنتاج بعض العلوم من القرآن، وتحميل النظريات العلمية عليه، لانّ ذلك ينتهي إلى التفسير بالرأي.

أما المؤيدون للتفسير العلمي، فناظرون إلى التفسير العلمي بالطرق المعتدلة الصحيحة، بمعنى استخدام العلوم في فهم آيات القرآن.

و لأجل أن يتضح المطلب أكثر نستعرض طرق التفسير العلمي للقرآن:

أ) استخراج كلّ العلوم من القرآن الكريم

أتباع التفسير العلمي من القدماء؛ أمثال ابن أبي الفضل المرسي، والغزالي وغيرهما سعوا إلى استخراج جميع العلوم من القرآن؛ لأنهم يعتقدون بوجود كلّ شيء في القرآن، وعلى هذا المنهج حاولوا بيان الآيات التي يتناسب ظاهرها مع قانون علمي، وعندما لا يكون ظاهرها كافياً يلجئون إلى التأويل، فيُرجعوا ظواهر الآيات إلى النظريات والعلوم التى يعرفونها، وهكذا استخرجوا من القرآن مثل علم الهندسة، والحساب، والطب، والهيئة، والجبر، والجدل.

من باب المثال على ذلك، إنّهم استخرجوا من قول إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1] علم الطب،[2] واستخرجوا علم الجبر من الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور[3] ومن الآية الشريفة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ تنبئوا بالهزة الأرضية في سنة ٧٠٢ للهجرة النبوية الشريفة.[4]

ومن الواضح أن هكذا تفسيرات علمية، سينجر إلى تأويل الكثير من الآيات القرآنية دون رعاية للقواعد الأدبية وظواهر المعاني اللغوية لها.

لذا يرى كثير من المخالفين، أنّ التفسير العلمي هو نوع تأويل ومجاز، وبالطبع فان هذا القسم من التفسير العلمي مبتلى بالكثير من الإشكالات.

---

١. الشعراء: ٨٠

٢. *جواهر القرآن*، أبو حامد الغزالي: ٢٧ الفصل الخامس.

٣. *التفسير والمفسرون*: ٢ / ٤٨١، نقلا عن ابن أبي الفضل مرسي.

٤. *البرهان في علوم القرآن*: ٢ / ١٨١ ـ ١٨٢.

ب) تطبيق وتحميل النظريات العلمية على القرآن الكريم

راج هذا النحو من التفسير العلمي في القرن الأخير؛ إذ سعى كثيرون ممن سلّموا بقوانين ونظريات العلوم التجريبية أن يعثروا على آيات قرآنية موافقة لها، وكلما رأوا آية لا توافقها عمدوا إلى التأويل أو التفسير بالرأي وحملوها على خلاف معناها الظاهري.

من قبيل تفسيرهم للآية الشريفة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[١] حيث قالوا إن كلمة (نفس) تعني البروتون وكلمة (زوج) تعني الإلكترون، وقالوا: إنّ القرآن يقصد أننا جميعا خلقنا من البروتون والإلكترون اللذان يشكلان الجزء الموجب والسالب في الذرة، فنرى في هذا التفسير أنهم لم يأتوا بالمعنى اللغوي ولا الاصطلاحي لكلمة النفس.[٢]

هذا النحو من التفسير العلمي ازداد رواجاً في القرن الأخير في مصر وإيران. و قد نظر إليه بعض علماء المسلمين بنظرة سيئة بل لمطلق التفسير العلمي، ودفعهم إلى اعتبار التفسير العلمي تفسير بالرأي، ونوعى وتحميل للنظريات والمعتقدات على القرآن، كما عبر العلامة الطباطبائي عن التفسير العلمي، بأنّه نوع تطبيق.[٣]

وبالطبع فإن هذا القسم من التفسير العلمي جوبه بمخالفة شديده، الحق مع مخالفيه، إذ المفترض بالمفسّر أن يكون بعيداً عن كلّ أحكام مسبقة عند التفسير، حتى يتمكن من الإتيان بالتفسير الصحيح، وأما إذا قام بتحميل ما يراه من نظرية علمية على القرآن فقد خطا خطوة على طريق التفسير بالرأي، والذي رفضته الروايات و توعدت بالعذاب على مرتكبه.

ج) استخدام العلوم من أجل فهم و تفسير أفضل للقرآن

في هذا الأسلوب من التفسير العلمي يُقدم المفسر على تفسير القرآن علمياً عند امتلاكه الشروط اللازمة، مع رعايته لضوابط التفسير المعتبر، فهو يسعى بالاستفادة من نتائج العلوم القطعية المسندة بالأدلة العقلية، والموافقة لظواهر آيات القرآن، والمطابقة للمعاني اللغوية والاصطلاحية، والإتيان بتفسير علمي يكشف عن معاني القرآن المجهولة ليضعها بين يدي طلاب الحقيقة، هذه الطريقة من التفسير العلمي أفضل نوع، بل هي النوع الوحيد الصحيح في هذا التفسير.

---

١. الأعراف: ١٨٩.

٢. *القران والعلم الحديث*، عبد الرزاق نوفل: ١٥٦.

٣. *تفسير الميزان*: ١ / ٦ وما بعدها.

نحن سنبّين في البحث القادم بشكل كامل معيار هذا اللون من التفسير، و نؤكّد هنا أنّ في هذه الطريقة من التفسير يجب الابتعاد عن أي نحو من التأويل والتفسير بالرأيً، ويذكر المراد والمقصود من الآية القرآنية على نحو الاحتمال فقط؛ لانّ العلوم التجريبية وبسبب الاستقراء الناقص، وإمكان بطلانها أو تجديدها أو تطويرها فلا يمكن القطع بنتائجها.

من باب المثال: إن الآية الشريفة ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا...﴾[1] لما نزلت في صدر الإسلام كان الناس لا يعلمون أنّ للشمس حركة إلاّ الحركة الحسيّة اليومية؛ لذا فهموا من هذه الآية هذه الحركة، والحال أن لا حركة للشمس من المشرق إلى المغرب، وهذا من خطأ الحواس، أما الحقيقة فهي أن الأرض هي المتحركة، و تبعاً لذلك نرى الشمس تتحرك، كمن يركب قطاراً، فانه يرى البيوت على الجانبين هي المتحركة، وبعد تقدّم علوم البشر وتطورها اكتشف الإنسان حركة الأرض والشمس، واتضح أنّ الشمس أيضا تتحرك وأنها حركة انتقالية (ليست كاذبة بل واقعية) وليست الشمس لوحدها بل كل المنظومة الشمسية وحتى المجرات في حال حركة.[2]

إذن نقول: إن ثبت بشكل قطعي أنّ الشمس في حالة حركة، سيكون مقصود القرآن حركة الشمس الواقعية (الحركة الانتقالية و...) ومضافا إلى ذلك فان القرآن يعبر عن ذلك بـ(جريان الشمس) لا حركتها، وقد بُين في علم الهيئة (الفلك) الجديد أن الشمس لها حالة غازية تنشأ من الانفجاريات الذرية المتكررة[3] وتسير وتجري في الفضاء لا كمثل الطاقة الجامدة التي تتحرك فقط، بل تجرى مثل الماء.

و في هذا النوع من التفسير العلمي يتجلّى الإعجاز العلمي للقرآن بشكل واضح مثل: قانون الزوجية الذي اكتشف في القرن السابع عشر الميلادي الموجود في كل النباتات، فإنّ القرآن قد ذكر ذلك القانون ليس في النباتات وحسب، بل وفي جميع الموجودات قبل ما يقارب عشرة قرون.[4]

د) توجيه أصول العلوم الاجتماعية وموضوعات العلوم

تتناول بعض الآيات القرآنية مباني وأصول بعض العلوم وتوجهها، بل وتقدم نظريات

---

١. يس: ٣٨.

٢. *فيزيك نوين (الفيزياء الجديدة)*، الدكتور اريك، أو بلاكر، ترجمة بهروز بيضايي: ٤٥ ـ ٤٨.

٣. المصدر: ٤٥ ـ ٤٨.

٤. يس: ٣٦.

جديد في ذلك، مثلما طرحه القرآن في الاقتصاد اللاربوي، وما قدمه من إشارات عديدة في السياسة والإدارة، وحتى في الأبحاث الكونية أشار إلى وجود كائنات حية في السماء في قوله ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾[١] ويعد من التنظير وتقديم الموضوع للفلكيين ليجروا تجاربهم وتحقيقاتهم في خصوص ذلك.

معيار التفسير العلمي المعتبر

هناك نوعان من الضوابط والشروط في المناهج التفسيرية:

أولهما: الشروط والمقاييس العامة التي يتحتم رعايتها في كل المناهج التفسيرية العامة.

ثانيهما: الشروط والمقاييس الخاصة التي يجب رعايتها في كلّ تفسير خاص.

هدفنا هنا بيان الشروط والمقاييس في النوع الثاني (الخاصة) ولكن للتذكير نشير إلى المقاييس والشروط في النوع الأول.(العامة) أيضاً:

أ) الضوابط العامة في مناهج التفسير

هذه الضوابط والمعايير تشمل شروط المفسّر والتفسير، ونلخصهما في مجموعتين:

١. التفسير العلمي بواسطة مفسّر يمتلك الشروط اللازمة، من قبيل الاطلاع على الأدب العربي، والاطلاع على أسباب نزول الآيات، والتعرف على سيرة النبيﷺ وتاريخ و صدر الإسلام، بمقدار ما يرتبط بالآية مورد البحث، و الاطلاع على علوم القرآن مثل: الناسخ والمنسوخ، والابتعاد عن أي حكم مسبق عند التفسير وعن التطبيق والتحميل على القرآن.[٢]

٢. مراعاة المقاييس والضوابط المعتبرة، مثل: اتباع طريقة التفسير الصحيح، وعدم مخالفة التفسير للسنّة القطعية، والابتعاد عن الأحكام المسبقة غير الضرورية، وعدم تنافيه مع الآيات الأخرى، وحكم العقل القطعي، والاستفادة من المصادر الصحيحة في التفسير. ويلزم رعاية هذه الضوابط والمقاييس في التفسير العلمي أيضاً.[٣]

٣. تجنب التفسير بالرأي والاستقلال بالرأى في تفسير القرآن، ويعني ذلك أن على المفسّر قبل البدء بالتفسير مراجعة القرائن العقلية والنقلية وبعد أخذها بعين الاعتبار يقدم على التفسير.

---

١. الشورى: ٢٩.

٢. راجع: *مدخل للتفسير العلمي للقرآن*: ٥٣ ـ ٧٤.

٣. المصدر.

ب) الضوابط الخاصة في التفسير العلمي للقرآن

١. يكون التفسير علمياً إذا قام على العلوم التجريبية القطعية.

لقد بينا في هذا المورد في بحث العلم، ما هو المقصود من قطعية العلوم التجريبية، ونضيف هنا:

أ) إذا كانت العلوم التجريبية قطعية ويقينية يمكننا أن نفسر القرآن على أساسها.

ب) إذا كانت أبحاث ونتائج العلوم التجريبية مطروحة على شكل نظريات في تلك العلوم، فيمكننا طرحها على نحو الاحتمال مثل: لعل هذه الآية تشير إلى هذا المطلب العلمي، ولا يمكننا نسبتها بشكل قطعي إلى القرآن؛ لعدم قطعيتها.

ج) إذا كانت الأبحاث والنتائج طرحت على شكل فرضيات محتملة في تلك العلوم، وحتى الآن توثّق من قبل الأوساط العلمية ولم تصبح قطعية، فلا يمكن تفسير القرآن بها؛[1] لأنها في معرض التغيير، وتتوجّه إليها بالإشكالات من قبل مخالفي التفسير العلمي.[2]

٢. دلالة ظاهر الآيات القرآنية على مباحث العلوم التجريبية بشكل واضح، ولا يحصل حينئذ، تحميل على الآية، يعني في التفسير العلمي يجب رعاية تناسب ظاهر الآية مع المسائل العلمية مورد البحث، بنحو تتوافق معاني ألفاظ الآية وجملها مع المسائل العلمية دون تحميل لوجهات النظر على الآية.

---

١. في القضايا العلمية يوجد عدة احتمالات:

أ) قضية علمية مطابقة للواقع إذ أن التجربة العلمية يصاحبها الدليل العقلي (ووصلت مرحلة البداهة).

ب) قضية علمية يقينية بالمعنى الأعم، أي يحصل بها الاطمئنان ولكن لا يصل الاحتمال في الطرف المقابل إلى الصفر، كما هو الحال في أكثر القضايا الثابتة في التجريبية.

ج) قضية علمية بشكل نظرية ظنّية لم تبلغ مرحلة الإثبات بناء على هذا ففي الحالة (أ) يجوز التفسير العلمي؛ لأنّ القرآن والعلم القطعي الذي يعود إلى القطع العقلي لا تعارض بينهما، بل القرائن القطعية (نقلية أو عقلية أو عملية) ضرورية للتفسير، ولذا فالتفسير العلمي في الحالة (ب) إذا ذكر على نحو الاحتمال فهو صحيح مثلما قيل: لان ظاهر القرآن يطابق حركة الشمس الانتقالية يحتمل قوياً أن يكون مقصود القرآن هذه الحركة.

وفي الحالة (ج) تلك الإشكالات التي طرحها مخالفي التفسير العلمي مثل: تطبيق القرآن على العلوم المتغيّرة باعث على تشكيك الناس في صحة القرآن.

٢. مضمون هذا المقياس ذكره آية الله مكارم الشيرازي في كتاب *القرآن وآخر الأنبياء*: ١٤٧، وجاء كذلك في كلمات الكثير من القائلين بالتفسير.

وبعبارة أخرى: يجب العمل في التفسير العلمي بشكل لا حاجة فيه إلى التوجيه وإبداء تفاسير مخالفة للظاهر.[١]

٣. الاستفادة من النوع الصحيح للتفسير العلمي، بمعنى استخدام العلوم في فهم القرآن وتبيينه، والابتعاد عن الطرق غير الصحيحة مثل: استخراج العلوم من القرآن، وتطبيق النظريات العلمية وتحميلها على القرآن.

ملاحظة: في تعارض القرآن والعلم يأتي نفس ما ذكر في حالة تعارض القرآن والعقل، ولكن هنا توجد أبحاث موسّعة خارجة عن هذا المختصر، وتبحث في طرق التفسير العلمي للقرآن والعلاقة بين العلم والدين.[٢]

٥. المصادر التاريخية والجغرافية

بعض المطالب القرآنية لها ارتباط مباشر بتاريخ وجغرافيا الجزيرة العربية والأنبياء السابقين وأقوامهم، مما يفضي للوصول إلى فهمها بنحو أكمل بالاطلاع على تلك الأمور إلى حد ما.

والقرآن كتاب شامل لكل زمان ومكان، ونزل لكل العصور والأمكنة والأجيال، ولكن نزوله الأولي كان ناظراً إلى بعض الأحداث التاريخية التي تذكر أحيانا تحت عنوان (شان النزول، أو أسباب النزول) فهذه الوقائع رغم تأثيرها في فهم الآية،[٣] لكن لتفسير الآية وتطبيقها على العصور والأجيال التالية يستلزم إلغاء خصوصية الزمان والمكان وشأن النزول.

أقسام المصادر التاريخية[٤]

أ) مصادر الأديان السابقة، مثل: التوراة والإنجيل وملحقاتهما (العهدين) والتي بينت بعض الأمور في سيرة الأنبياء السابقين وأقوامهم.

هذه المطالب قد تكون أحيانا مؤيدة لمطالب القرآن، مثلاً جاء في القرآن ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[٥]

---

١. المصدر؛ وأيضاً *أصول التفسير وقواعده*، عبد الرحمن العك: ٢٢٤؛ وعميد الزنجاني، *أصول ومنهج تفسير القرآن*: ٢٥٦.

٢. راجع: *مدخل للتفسير العلمي للقرآن*، للمؤلف، بحث علاقة العلم والدين، ومجال العلم والدين، وتعارض العلم والدين وطرقها.

٣. من خلال البحث سنذكر أمثلة عدة في هذا الموضوع.

٤. بعض الأقسام التاريخية يظهر قبولها للدمج والإدغام ولكن فُصلت لأهمية الموضوع.

٥. الأنبياء: ١٠٥.

ومثل هذا المطلب جاء في زبور داود الفعلي[١]

وهكذا قد تعيننا مطالب العهدين أحياناً في تشخيص الإسرائيليات الداخلة ضمن الأحاديث الإسلامية، مثل: خلق حواء من ضلع آدم الأيسر، الذي جاء ذكره في الروايات.

وقد ردّ العلامة الطباطبائي هذا الحديث معتمداً على مطالب مشابهة جاءت في التوراة.[٢]

وأحياناً تتمّ المقارنة مع مطالب القرآن أيضاً ويتمّ نقدها، وبالطبع علينا توخي الدقة في الأخذ من هذه المصادر؛ لأنّها لم تبق مصونة دون أن تطالها يد المحرّفين.

لذا طرحت في تفسير القرآن قاعدة (المنع من استخدام الإسرائيليات في التفسير).[٣]

ب) المصادر التاريخية قبل الإسلام، والتي يمكن الاستفادة منها في معرفة ماضي الأفراد والأقوام ممّن ذكرهم القرآن.

القرآن ينقل كل الأحداث التاريخية على شكل قصص، بل وينقل مواطن الهداية والاعتبار فيها أيضاً، من هنا يذكر (ذي القرنين)،[٤] و(يأجوج ومأجوج)[٥] وغيرها، ولكن لا يحكيها بتمام أحداثها، مما يلزمنا مراجعة المصادر التاريخية، فبعض قالوا هو (كورش) أو هو (الاسكندر المقدوني) وجاءوا بشواهد من المصادر التاريخية للردّ والإثبات.[٦]

ج) المصادر التاريخية لعرب الجاهلية المعاصرين للإسلام، لمعرفة آدابهم وعاداتهم وثقافتهم حيث إنها مؤثرة في فهم وتفسير بعض الآيات.

من هذه المصادر: *المفصّل في تاريخ العرب* للدكتور جواد علي، وهكذا الأدب والشعر الجاهليه وما ينقل في خصوص أسباب النزول والتفاسير من ثقافة العرب وعاداتهم في الجاهلية، فإنّ ذلك قد يكون مفيداً في هذا المورد.

مثال: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٧]

---

١. راجع: الكتاب المقدس، *زبور داود*، مزبور ٣٧، رقم ٩ ـ ١١،١٧ ـ ١٨ و٢٩.

٢. الكتاب المقدس: *سفر التكوين*، الباب الثاني، رقم ٢٢.

٣. هذه القاعدة نوقشت في مبحث قواعد التفسير بشكل مفصّل، وسيأتي الحديث عنها.

٤. الكهف: ٨٣ وما بعدها.

٥. الكهف: ٩٤.

٦. راجع: *الميزان*: ١٣ / ٣٩٧، وما بعد؛ وأيضا في: *شبهات وردود*، لمعرفة، بحث ذو القرنين.

٧. البقرة: ١٨٩.

القرآن الكريم يقدّم في هذه الآية قانوناً ودستوراً في عدم جواز الدخول إلى البيوت من ظهورها، والأفضل في ذلك هو الدخول من أبوابها، فلماذا ينبّه القرآن على هذا الأمر البديهي؟ يتّضح الجواب عند مراجعة المصادر التاريخية، حيث نجد أن العادة الجارية في الجاهلية عندما يُحرموا للحجّ لا يدخلوا من باب البيت بل من ثقب خلف البيت،[١] فالقرآن ولكي ينفي هذه العادة يذكر هذا المطلب، ولهذا نجد أن بعض المسلمين كرهوا السعي بين الصفا والمروة؛ لان المشركين في الجاهلية كانوا ينصبون أصنامهم على جبلي الصفا المروة، وعنده نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٢]

ففي هذه الآية نفي للذنب والمعصية في السعي، بين الصفا والمروة، ولازمه جواز السعي والحال أنّ السعي واجب طبقاً للسنّة، ونفي الإثم (الجناح) عنه لرفع هذه الحالة من الكراهية لما عليه عرب الجاهلية.[٣]

د) تاريخ صدر الإسلام، فقد وقعت كثير من الوقائع والحروب والأحداث في صدر الإسلام كان لها تأثير في فهم وتفسير القرآن.

بعض تلك الأحداث في شأن أسباب النزول والتفاسير والروايات التاريخية في صدر الإسلام.

مثال: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾.[٤]

نبي الإسلامﷺ عندما هاجر إلى المدينة رافقه في هذا السفر أبوبكر[٥]، فهذه الآية تعكس لنا تلك الحادثة دون أن تأتي بالأسماء لا اسم النبيﷺ ولا أبي بكر، وتفسير هذه الآية سيتوقف على الفهم التاريخي الواقعي للهجرة.

وهكذا في الآيات ٦٤و٦٥و٧٤ ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ...﴾ من سورة التوبة تتحدث عن مؤامرات المنافقين، لكن لا تتضح مطالب الآيات دون الرجوع إلى تلك الوقائع التاريخية عندما عاد المسلمون من معركة تبوك.

---

١. راجع: تفاسير القرآن مثل: *مجمع البيان*: ١ / ٥٠٨.

٢. البقرة: ١٥٨.

٣. راجع: تفاسير القرآن في ذيل آية ١٥٨ من سورة البقرة، منها *مجمع البيان*: ١ / ٤٤٠.

٤. التوبة: ٤٠.

٥. راجع: التفاسير القرآنية في ذيل الآية ٤٠ من سورة التوبة.

ولكن في التفاسير ذكروا هذه الواقعة، وهي أن المنافقين عند العودة من معركة (تبوك) عزموا على اغتيال النبيﷺ في الطريق وأفشل مخططهم ذكاء حذيفة، وعمار[١] وقد ذكرت بعض الروايات هؤلاء الأفراد بأسمائهم.[٢]

هـ) شأن النزول أو سبب النزول: عبارة عن واقعة لأجلها أو أثنائها تنزل آية أو عدة آيات.

ومن المصادر المهمة في هذا كتاب *أسباب النزول للسيوطي*، للواقدي، وبعض التفاسير مثل: *مجمع البيان*، *والتبيان* للشيخ الطوسي وكتاب: *نمونة بينات در شأن نزول آيات* (نموذج البينات في شأن نزول الآيات) للدكتور محقّق، حيث بيّنوا أسباب نزول الآيات، وقد نُقل كثير من أسباب النزول في الكتب التاريخية لصدر الإسلام.

بعض المفسرين كالعلامة الطباطبائي لا يولون أسباب النزول أهمية كبيرة، وأخرجوها من المتون التفسيرية، ولكنّ الأكثر ينقلونهما ويستفيدون و مما فيها من نكات في التفسير.[٣]

وتأثيرها في فهم وتفسير الآيات جلي واضح، كما لا حظنا في الأمثلة المتقدمة وشأن النزول لا يوجب حصر معنى الآية في ذلك المورد الخاص غالباً، ويتمّ الاستفادة منها في التفسير بعد إلغاء الخصوصية، ولكن يوجب الحصر أحيانا كما في (واقعة الغدير) في الآية الثالثة من سورة المائدة، وقضية (أصحاب الكساء) كما في الآية ٣٣ آية التطهير.

و) المصادر الجغرافية التاريخية

قد يكون للمطالب المتعلّقة بجغرافيا الجزيرة العربية دور في فهم وتفسير بعض الآيات، وفي عصرنا الحاضر دونت كتب تاريخية وجغرافية سميت: *بأطلس القرآن*.

مثال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾[٤] ذكرت هذه الآية التوجه إلى المشرق والمغرب والحال أن المدينة تقع شمال مكّة وجنوب بيت المقدس، فكان الأولى أن تقول الآية: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل الشمال والجنوب)، فيفهم من ذلك، أن المقصود من الشرق والغرب في الآية: قبلة اليهود والمشركين، لا الشرق والغرب الاصطلاحيين.[٥]

---

١. راجع: *جوامع الجامع*: ١ / ٦٦، و٧٠ و٧١؛ *والأمثل*: ٢ / ٤٣؛ وغيرهما.

٢. راجع: *المحلى*: ١١ / ٢٢٤ (من جملتهم: طلحة، وسعد بن أبي وقاص و...).

٣. يمكن المقارنة في خصوص الآيات التي لها أسباب نزول مثل: تفسير *مجمع البيان*، *والأمثل*، *والميزان*.

٤. البقرة: ١٧٧.

٥. راجع: *تفسير الأمثل*: ١ / ٥٩٧.

موارد تأثير المصادر التاريخية في فهم الآيات وتفسيرها

١. الآيات المرتبطة بالقصص القرآني.
٢. الآيات المرتبطة بالأمم السابقة.
٣. الآيات المرتبطة بالأنبياء السابقين.
٤. الآيات المرتبطة بنبي الإسلام.
٥. الآيات المرتبطة بعرب الجاهلية في صدر الإسلام.
٦. لمعرفة الآيات المكيّة والمدنية.
٧. لمعرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات.
٨. لمعرفة الآيات المتعلّقة بحروب صدر الإسلام.
٩. الآيات المتعلّقة بنسخ أو إمضاء أحكام الشرائع السابقة على الإسلام.

شروط اعتبار المصادر التاريخية

ذكر بعض المحققين عدة شروط لاعتبار المصدر التاريخي كي تتمّ الاستفادة منه في تفسير القرآن، وهي كالتالي:

١. قدم المصدر التاريخي.
٢. انسجامه وتناسبه مع القرآن.
٣. انسجامه مع شخصية النبيﷺ وسيرته.
٤. انسجامه مع معطيات العقل القطعية.
٥. أخذه بعين الاعتبار التوجّهات السياسية والدينية للرواة.
٦. صحة المتن من الناحية الأدبية.[١]

بالطبع يمكننا إكمال وتعديل بعض هذه الموارد ووضعها في النقاط التالية:

الأولى: اعتبار المصدر التاريخي (ومن الطبيعي ستكون المصادر الأقدم أكثر اعتباراً).

الثانية: اعتبار الدلالة ويشمل صحة المتن من الناحية الدلالية والأدبية، وعدم مخالفته للقران وحكم العقل والعلوم التجريبية القطعية والسنة القطعية.

الثالثة: عدم تأثّر المصدر بالأفكار والعصبيات السياسية والمذهبية والقومية للرواة.

---

١. *منهج تفسير القرآن*: ٣٠٣ ـ ٣١٠.

٦. اللغة العربية وآدابها

لقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية، مما يعني أنّ الأدب العربي واحد من المصادر والمراجع في فهم القرآن وتفسيره، وعدم الاهتمام باللغة العربية يترتب عليه الوقوع في الخطأ والزلل في تفسير القرآن.

والمقصود من آداب اللغة العربية في هذا الموضع، معناها الشامل لعلوم اللغة العربّية: علم اللغة، والصرف، والنحو، وعلم البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع).

لم يكن الاهتمام بالأدب العربي جديد عهد بل منذ القديم كان موضع اهتمام المفسرين والمؤلفين لكتب علوم القرآن.

فقد أشار إلى ذلك الشيخ الطوسي[١] (ت /٤٦٠ هـ) والطبرسي[٢] (ت / ٥٤٨هـ) والسيوطي[٣] (ت / ٩١١هـ)، وهكذا كثير من المعاصرين حيث بسطوا البحث في هذا الأمر، وذكروا قواعد في ذلك.[٤]

وبحث دور كلّ واحد من هذه العلوم، ومصادرها وضوابطها وهو يحتاج إلى مؤلّف مستقل، ولكنّا هنا سنكتفي بالإشارة إليها فقط.

أ) علم اللغة: يُعنى هذا البحث، بمفردات القرآن وغريبها، الذي يتحقّق عن طريق التعرّف مفردات القرآن وجذورها، وقد كتب في ذلك عدة كتب منها: *مفردات الراغب الأصفهاني*، الذي يعدّ من المصادر الجيدة في فهم وتفسير الآيات.

ب) علم الصرف: علم يبحث في بناء الكلمات (الاسم، الفعل، الحرف) ويدرس حالات تبدل الصيغة وصورها المختلفة.[٥]

فنتيجة لتصريف المصدر، وتغيّر الاسم تصبح لدينا معاني مختلفة وللاطلاع عليها دور هام في فهم الآيات وتفسيرها، لذا عدّ الزركشي هذا العلم من جملة العلوم التي يحتاجها مفسر القرآن.[٦]

---

١. *تفسير التبيان*، المقدمة.

٢. *تفسير مجمع البيان*، المقدمة.

٣. *الإتقان في علوم القرآن*: ٢ / ٢١٣ ـ ٢١٥.

٤. راجع: *آداب وشروط التفسير والمفسرين*، كامران إيزدي مباركة: ٥٥. ١٥١؛ *ومنهج تفسير القرآن*: ٢٩٣ ـ ٢٩٩ و ٣٢٦ ـ ٣٥٨.

٥. الصرف علم يبحث عن تحويل الكلمة إلى صور مختلفة بحسب المعنى المقصود [*مبادئ العربية*: ٢ / ٨]، وراجع أيضاً: *جامع المقدمات*، كتاب التصريف، *وصرف سادة*: ١١.

٦. *البرهان في علوم القرآن*: ١ / ٢٩٧.

نعم في بعض الأحيان يكفي لتغيير المعنى تغيير باب الفعل أو هيئته، مثال: صيغة القسط في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾،[١] اسم فاعل ثلاثي مجرد، ويعني الظالمون، ونفس الكلمة في آية ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾،[٢] اسم فاعل من باب أفعال، وتعني العادلين.[٣]

أحيانا يكون علم الصرف مؤثّر في معرفة جذر الكلمة، فمثلا كلمة (خليل) فأرجعها البعض إلى مادة (خُلّة) ـ بالفتح و الضم ـ بمعنى المحبة وآخرون إلى مادة (خَلّة) ـ بالفتح ـ بمعنى الحاجة، من هنا فسروا الآية: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[٤] بتفسيرين.[٥]

وأحيانا مع إغفال المادة الأصلية للاسم يؤدي إلى الوقوع في الخطأ عند التفسير، فمثلاً لفظ (إمام) في الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾،[٦] فهنا لفظ إمام مفرد، وبمعنى (القدوة)، لكن البعض يرى أن اللفظ جمع لـ(أم)أي الأم، وفسروا الآية هكذا: (ينادى الناس يوم القيامة بأسماء اُمهاتهم لا آبائهم) حتى لا ينفضح أولاد الزنا وغيرهم ويهانوا، وعدّ الزمخشري هذا التفسير من البدع.[٧]

وأحيانا يستفاد من علم الصرف في معرفة هيئة الألفاظ؛ للتوصّل إلى معانيها، أو لمعنى خاص، فمثلاً الصفة المشبهة (تزيف) تدل على الثبوت.

ج) علم النحو: ويقال عنه كذلك علم الإعراب، وهو العلم بالقواعد والأصول، تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، يعني يشخّص رفع الكلمات ونصبها وجرها وجزمها، بعد انتظامها في الجملة وبعبارة أخرى، يتم تشخيص دور الكلمات في الجمل (فاعل، أو مفعول، أو مبتدأ، أو خبر، وغيرها).

وهدف هذا العلم الحفاظ على الكلام العربي من الأخطاء اللفظية،[٨] ولهذا العلم دور هام في معرفة تراكيب الجمل ومعانيها، وبالنتيجة له دور مهم في فهم القرآن الكريم وتفسيره.

---

١. الجن: ١٥.

٢. الحجرات: ٩.

٣.راجع: *البرهان*، الزركشي: ١ / ٤٠٢؛ *تفسير الأمثل*: ٢٢ / ١٦٨.

٤.النساء: ١٢٥.

٥. أكثر المفسرين قالوا: إن الخليل يعني الصديق [*مجمع البيان*: ٣ / ١٢٥]؛ والعلامة الطباطبائي ذهب إلى أنّه يعني المحتاج [*الميزان*: ٦ / ٨٨].

٦. الإسراء: ٧١.

٧. *الكشاف*: ٢ / ٣٦٩، دار المعرفة بيروت.

٨ راجع: *جامع المقدمات*، مبحث الهداية في النحو؛ وأيضا: *جامع الدروس العربية*، مصطفى غلاييني: ١/ ٦.

أحياناً يكون للجمل عشرات التراكيب النحوية مما يلزم المفسّر اختيار التركيب الصحيح منها أو الأظهر الأشهر.

مثال: يقول العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسيره للآية ١٠٧ من سورة المائدة ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا...﴾: ذكروا لهذه الآية ما يقارب المائتي تركيب.[١]

وأحيانا يكون الاختلاف في تركيب جملتين أثر كبير في تفسير الآيات.

مثال: حرف (الواو) في الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾،[٢] كان موضع اختلاف بين المفسرين منذ عشرة قرون في أنّها عاطفة أو استئنافية،[٣] فإذا كانت عاطفة يكون معنى الآية: أنّه بالإضافة إلى أنّ الله تعالى يعلم تأويل فالراسخون في العلم يعلمون تأويله ايضاً، وإن لم تكن عاطفة فلا تفيد هذا المعنى.

د) **علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)**: هذه العلوم من العلوم المهمة في الأدب العربي، التي يتم عن طريقها معرفة النصوص العربية البليغة، من هنا كان لها دور بارز في فهم وتفسير القرآن الذي يمثل أبلغ النصوص العربية.

علم المعاني: هو أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي، التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.[٤]

علم البيان: هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى.[٥]

علم البديع: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال.[٦]

---

١. *الميزان*: ٦ / ١٩٨.

٢. آل عمران: ٧.

٣. يرى كل من عائشة، وابن الزبير، والحسن، ومالك، والكسائي، والفرّاء، والجبائي، والعلامة الطباطبائي: أن (الواو) استئنافية: [*الميزان*: ٢ / ٢٧، ومجمع *البيان*: ٢ / ١٩٧]؛ ويذهبون إلى كون ذلك موافق للروايات ولمنهج الصحابة والتابعين من أمثال ابن عباس، والربيع، ومحمد بن جعفر بن الزبير، وأبو مسلم الأصفهاني، والطبرسي كذلك [مجمع *البيان*: ٢ / ٧١، وأمّا الشيخ مكارم الشيرازي يذهب إلى أن (الواو) عاطفة. راجع: [*الأمثل*: ٢ / ٤٤١].

٤. *جواهر البلاغة*، أحمد الهاشمي: ٤٨.

٥. المصدر: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

٦. المصدر: ٣٦٠.

وقد نفى بعض المعاصرين أن يكون علم البديع من العلوم المهمّة، ومن مقدمات التفسير،[١] ولكن عند ملاحظة وجود المحسّنات اللفظية والمعنوية في القرآن يتّضح دوره في فهم إعجاز القرآن، وكونه من العلوم الضرورية للتفسير، إذ القرآن الكريم يتربع على قمة الفصاحة والبلاغة والجمال.

ومن هنا كانت الحاجة لهذه العلوم المتقدّمة في فهم وتفسير آيات القرآن وفهم إعجازه بصورة أفضل ملحّة جداً.

إن المطالعة الدقيقة للقرآن الكريم تشير إلى أنه مطابق لمقتضى حال المخاطبين ومملوء بالنكات البلاغية والبيانية مثل: التأكيد، والتقديم، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والحصر، والإيجاز، والقصر، وغيرها مما يصطلح عليه (بالمعاني الثانوية)، مضافا إلى تطبيقات البديع والمحسنات، من جناس، وطباق، ومقابلة، والأسلوب الحكيم، وغيرها، وانه يوصل مراده إلى المخاطب بأبلغ صورة لا يشوبها التعقيد.[٢]

أمثلة:

١. التأكيد في مقابل المنكرين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.[٣]

٢. التقديم والتأخير في الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.[٤]

٣. الاستعارة في الآية: ﴿...اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً...﴾.[٥]

٤. التشبيه في الآية: ﴿...هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ...﴾.[٦]

وعدم فهم بعض النكات البلاغية والتشبيهات والمجازات يؤدي في بعض الأحيان إلى الزلل والوقوع في الخطأ في فهم وتفسير الآيات مثل: ﴿... يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾[٧] و ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[٨]

---

١. *منهج تفسير القرآن*: ٣٤٨.

٢. *كتب البلاغة والفصاحة مثل: المطول للتفتازاني*؛ *وجواهر البلاغة* لأحمد الهاشمي؛ *وشروط وآداب التفسير والمفسرون* لـ كامران ايزدي: ٧٧؛ وما بعدها.

٣. الفجر: ١٤.

٤. الفاتحة: ٥.

٥. مريم: ٤.

٦. البقرة: ١٨٧.

٧. الفتح: ١٠.

٨ طه: ٥.

ملاحظات مهمة

يجب ملاحظة النقاط التالية عند استخدام علوم اللغة العربية في التفسير:

١. في الموارد التي وقع فيها اختلاف بين علماء اللغة العربية وآدابها، يلزم العمل في التفسير بالرأي المشهور، ولا يكون التفسير على أساس الآراء الشاذة والنادرة، كما أشار الشيخ الطوسي إلى ذلك.[١]

٢. نصُّ القرآن الكريم الذي وصل إلينا عن النبي ﷺ بالتواتر، هو الأصل الأساسي للتفسير، وعلى هذا لا تكون علوم اللغة القائمة على القراءات الأخرى[٢] مبنى للتفسير.

٣. في موارد التعارض بين علوم اللغة والقرآن، يقدم القرآن؛ لأن القواعد اللغة الفصحى، طبق وإن كانت قبل الإسلام رائجة ومعروفة عند العرب، ولكن تنظيم وترتيب وكتابة قواعد علوم اللغة حدثت بعد نزول القرآن واختلف العلماء بين جزئيات قواعد تلك العلوم.

بناء على هذا يعد القرآن أجلّ المتون الأدبية اعتباراً وأكثرها أصالة؛ لذا يقدم النصّ القرآني على قواعد اللغة التي ظهرت فيما بعد، ولا يمكن اتهام القرآن بمخالفة قواعد اللغة، بل عند التعارض علينا إعادة النظر في تلك القواعد أو نذهب إلى القول بالاستثناء.

٧. علوم القرآن

هذا المصطلح (علوم القرآن) يطلق على مجموعة من العلوم المرتبطة بالقرآن، وهي بمعناها الأعم تشمل أبحاث كثيرة مثل: الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وأسباب النزول، وتاريخ القرآن، وإعجاز القرآن، والقراءات، والمكّي والمدني و... من أبحاث علوم القرآن التي وردت في روايات اهل البيت عليهم السلام.[٣]

بعدها دوّنت كتب كثيرة في هذا الصدد من جملتها: *البرهان في علوم القرآن*، للزركشي (ت/ ٧٦٤ هـ)، *والإتقان في علوم القرآن*، للسيوطي (ت / ٩١١هـ)، *والتمهيد في علوم القرآن* لمحمد هادي معرفة (معاصر).

---

١. متى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً بينهم [*تفسير التبيان*، المقدمة].

٢. راجع: جميع القراءات هي أخبار آحاد وليست معتبرة،ولكنّ قراءة حفص عن عاصم أكثرها تطابقاً مع القراءة المتواترة عند المسلمين [راجع: مبحث قواعد القراءة في هذا الكتاب].

٣. راجع: *تفسير العياشي*: ١، ح٩؛ *والإتقان في علوم القران*: ٣ / ٥٩؛ *والصافي*: ١ / ١٢ـ ١٣.

وقبل تدوين هذه الكتب كانت مباحث علوم القرآن موجودة في مقدمات التفاسير، ومن هنا نجد الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) قد تناول بعض أبحاث علوم القرآن في مقدمة تفسير التبيان،وهكذا الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في مجمع البيان وغيرهما.

فمعرفة أبحاث علوم القرآن تعتبر مقدمة مهمة لتفسير القرآن، ولها آثار كبيرة في فهم معاني آياته، فلذا تعد من الأدوات والوسائل الضرورية في التفسير وللمفسر، فالمفسر أحيانا يذهب إلى تفسير خاص على أساس شأن النزول، أو على أساس أبحاث الناسخ والمنسوخ المذكورة في كتب علوم القرآن، ينفي وجود النسخ في القرآن، وهذا له تأثير كبير في تفسير الآيات المدّعى وقوع النسخ فيها.

كذلك الأمر في حجية وتواتر القراءات أو عدمها. وبالطبع فقد استخرجت من تلك الأبحاث قواعد مهمة ومؤثرة في تفسير القرآن سنقوم، ببحثها بشكل مستقل.[١]

أهم أبحاث علوم القرآن المؤثرة في التفسير

أ) المحكم والمتشابه: لمعرفة الآيات المتشابهة مثل: (يدالله، والعرش وغيرهما) وإرجاعها إلى المحكمة تأثير في فهم الآيات المتشابهة وتفسيرها بشكل صحيح.

ب) الناسخ والمنسوخ: لمعرفة الآيات المنسوخة وتفسير القرآن على أساس الآيات الناسخة.

ج) المكي والمدني: لمعرفة مكان وزمان نزول الآيات، ولفهم وتفسير المفردات أو الجمل على أساس استعمال المخاطب لها فمثل مفردة (زكاة) التي تعني في الآيات المكية «الإنفاق» و في الآيات المدنية تعني «زكاة المال».[٢]

د) أسباب النزول (شأن النزول): لمعرفة الواقعة أوالحوادث الواقعة قبل نزول الآية أو عند نزولها، تأثير كبير في فهم وتفسير الآيات.

هذا الأمر قد ذكرته المصادر التاريخية، وبيّنت أصول الاستفادة من أسباب النزول في بحث قواعد التفسير، وفي كتب علوم القرآن.

هـ) وجوه إعجاز القرآن: لمعرفة إعجاز القرآن وسببه، والأبحاث المرتبطة به، دور مهم في فهم وتفسير آيات التحدّي،[٣] وهذه الأبحاث تدرس في كتب علوم القرآن وفي ذيل الآيات المشار إليها.

---

١. راجع: فصل قواعد التفسير من هذا الكتاب، مبحث قواعد علوم القران وقواعد القراءة.

٢. راجع: *التفسير الأمثل*، وغيره في ذيل الآية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ المؤمنون: ٤.

٣. البقرة: ٢٣؛ يونس: ٣٨؛ هود: ١٣.

و) القراءات: القراءات والقرآن حقيقتان، فالقراءات غير القرآن؛[1] إذ هي أخبار أحاد غير معتبرة، والقرآن هو ذلك النصّ الواصل إلينا بالتواتر عن النبيﷺ.[2]

معرفة الأبحاث المتقدمة يكشف لنا ضرورة بحث القراءة، وبناء على هذا فمع اعتقادنا بعدم كونها من مصادر التفسير، لكنها لازمة لفهم التفاسير القديمة مثل: *مجمع البيان*، التي أولتها أهمية بالغة، ولدفع توهم تأثير القراءات، وبالخصوص إذا لاحظنا أن بعض المفسرين قد أولوا أهمية بالغة في تأثير القراءات في تفسير بعض الآيات كـ ﴿يطْهُرْنَ﴾،[3] أو ذهبوا إلى ذلك، فقد أفتى بعض الفقهاء بحرمة مقاربة النساء طبقاً لقراءة ﴿يطَّهَّرْنَ﴾، بعد انقطاع دم الحيض والنفاس قبل الغسل،[4] فدراسة ومناقشة هكذا أبحاث في التفسير بحاجة إلى دراسة بحث القراءات.

ملاحظة: اعتبر بعض المحققين المعاصرين أن علوم القرآن في جملة العلوم الضرورية للمفسر، وقاموا بتوضيحها بشكل مفصل،[5] واشرنا إليها نحن باختصار؛ لان هذه العلوم تبحث في مظانها في (كتب علوم القرآن) ويتضح تأثيرها في التفسير.

٨. الشهود والمكاشفة

أحد طرق المعرفة بالنسبة للإنسان،طريق الشهود، ويعني: أن الإنسان أحيانا يرتبط بعالم الغيب والإلهامات الإلهية والمكاشفات الروحية فيدرك الحقائق دون واسطة بشكل شهودي، فهل مثل هذه الحقائق الشهودية معتبرة في التفسير؟

أقسام المعارف الشهودية

قد تحصل المكاشفات والإلهامات والمشاهدات عن الطرق التالية:

أ) المنام: حكي القرآن الكريم عن رؤى بعض الأنبياءعليهم السلام مثل يوسف[6] وإبراهيم،[7] ورؤيا

---

١. *البرهان في علوم القران*، الزركشي: ١ / ٣١٨؛ *والبيان*: ١٧٣.
٢. راجع: *البيان في تفسير القران*: ١٨٠.
٣. البقرة: ٢٢٢.
٤. راجع: *تفسير الأمثل*: ٢ / ٩٤ ـ ٩٥؛ ومستمسك *العروة الوثقى*، الحكيم: ٣ / ٣٤٠.
٥. راجع: *شروط وآداب التفسير والمفسر*: كامران ايزدي: ٩٣ وما بعدها؛ *منهج تفسير القرآن*: ٣٥١.
٦. يوسف: ٤.
٧. الصافات: ١٠٢.

رسول الله ﷺ، بأنّه سيدخل المسجد الحرام مظفراً.[١]

ب) الإلهامات الإلهية، والتي يعبر عنها القرآن بـ(الوحي) و(العلم اللدني)، مثل ما ألهمت به أم موسى عليه السلام،[٢] وإعطاء العلم اللدني للعبد الصالح في قضية ما جرى بين الخضر وموسى عليه السلام.[٣]

ج) الوحي الإلهي،والمراد به الوحي اصطلاحا الذي يصل إلى الأنبياء والرسل بطرق ثلاثة، وأحيانا مباشرة دون ملاك.[٤]

د) المكاشفات، التي تحصل للعارف في حالات روحية خاصة، وتعني ارتفاع حجاب الطبيعة، وتتجلى الحقائق أمامه.

العلوم الشهودية عند المفسرين وأهل النظر.

اهتم بعض مفسري القرآن بالعلوم الشهودية في التفسير اهتماماً خاصّاً من جملتهم: التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣هـ) في *تفسير القرآن العظيم*، والميبدي (كان حياً إلى سنة ٥٣٠ هـ) في *كشف الأسرار وعدة الأبرار*. والسلمي (٣٣٠ ـ ٤١٢هـ) في *حقائق التفسير*، والقُشيري في *لطائف الإشارات*.

ولكن بعض أهل النظر ردوا حجية العلوم والمعارف الشهودية في تفسير القرآن الكريم، ومن جملتهم الأستاذ عميد الزنجاني حيث يقول: طريق المكاشفة أسلوب وطريقه إحساس شخصي ولا يمكن نقله إلى الآخرين، ولا يكون حجة على الآخرين.[٥]

وكذا الدكتور شاكر في كتاب *مباني وروشهاي تفسيري* (أصول ومناهج التفسير)، و غير ردّوا،[٦] حجية المعارف الشهودية في التفسير أيضاً.

بحث حجية المعارف الشهودية في التفسير

أ) أدلة الموافقين

الأول: آيات القرآن

(في القرآن الكريم، توجد آيات تبين نوعاً خاصاً من المعرفة لا يمكن الوصول إليها، لا

---

١. الفتح: ٢٧.

٢. طه: ٣٨.

٣. الكهف: ٦٥.

٤. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾ الشورى: ٥١.

٥. *مباني وروشهاي تفسير قرآن*: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ بتصرّف.

٦. *مباني وروشهاي تفسيري قرآن*: ١٠٧.

بالأبحاث العقلية ولا عن طريق التجربة، وطريقها الوحيد تهذيب النفس والعمل بالشريعة، أو السير والسلوك إلى الحق تعالى، والتوجه إلى عالم القدس.

مثل: الآيات من سورة الكهف: ١١٠؛ والحجر: ٧٥؛ والأنعام: ١٥٩؛ والصافات: ١٦٠؛ والأنفال: ٢٩؛ فقد ورد في هذه الآيات مقولات، مثل: لقاء الرب، اليقين، ملكوت السماوات، وشهود المقربين.[١]

الثاني: الروايات

والروايات كذلك تؤيد هذه المعرفة (الشهودية) والنموذج البارز من تلك الروايات ما ورد عن أمير المؤمنين﷣ في إحدى خطبه في نهج البلاغة،[٢] من أن قلب الإنسان يصفو بذكر الله ويصبح كالمرآة، تنعكس فيه الحقائق الغيبية.[٣]

المناقشة

أن يكون للإنسان علوم ومعارف من نوع رابع غير ما يتوصل إليه بالنقل والتجربة والذي يسمى بالمعارف الشهودية التي أشير إليها في بعض الآيات مثل (الكهف: ٦٥، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ مطلب صحيح، ولكن الكلام في أنّ هذه المعرفة الشهودية كما تورث الاطمئنان للمشاهد وتصبح حجة معتبرة عليه أحيانا، فهل تكون كذلك بالنسبة للآخرين حجة أيضا، وهل نمتلك دليلاً على ذلك أم لا؟

عندما نطلع على أدلة المخالفين يتضح أن جواب هذا السؤال بالنفي:

ب) أدلة المخالفين

في خصوص حجية واعتبار المكاشفات والعلوم الشهودية، هناك عدة إشكالات أساسية:

الأول: الشهود أمر شخصي وغير قابل للانتقال إلى الغير، لذا لا يكون حجة على الآخرين.

الثاني: المكاشفات قد تكون إلهية، وقد تكون شيطانية، وأيد هذا كبار العرفاء كالقيصري، وابن تركة،[٤] وليس هناك معيار قطعي للتفريق والتمييز بين المكاشفات الرحمانية والشيطانية، إذن لا يمكن أن تكون المكاشفة حجة على الآخرين، لعدم حتمية إلهيتها.

---

١. *أصول ومناهج التفسير*، محمد كاظم: ١٠٧.

٢. *نهج البلاغة*، خطبة ٢٢٢.

٣. *أصول ومناهج التفسير*: ١٠٧.

٤. راجع: *شرح فصوص الحكم*: ٣٧؛ و*تحرير تمهيد القواعد*: ٧١٦.

الثالث: المكاشفات ليست استدلال، فهي نوع شهود ذاتي، فلاهي برهان ولا دليل عقلي أو نقلي، إذن فلا دليل عندنا لإثباتها ولاعلى حجيتها، وعليه أنها لا يمكن أن تورث اليقين للآخرين.

الرابع: الكثير من نتائج أهل العرفان متناقضة مع بعضها البعض، حتى يصل الحال أحيانا إلى إنكار بعضهم النتائج الذوقية والكشفية لبعض.[١]

ملاحظات

١. إذا تطابقت المكاشفة مع البرهان العقلي، أو الدليل النقلي موجبةً، فحينئذ ستكون للاطمئنان وتكون حجّة، ولكن لا للشهود بل للدليل العقلي والنقلي، وهذا نفس الشيء الذي ذكره بعض العرفاء بعنوان اتحاد الطريقة والشريعة والحقيقة.[٢]

والحكماء مثل الملا صدرا عبّر عنها بعنوان: اتحاد مؤدى القرآن والعرفان والبرهان.

وبالطبع فانه عند وجود دليل عقلي أو نقلي على إثبات أمرما فلا حاجة إلى المكاشفة، وإنّما أو يمكن الاستفادة من المعارف الشهودية كشواهد و مؤيدات وحسب.

٢. المكاشفة والشهود، وإن كانت تورث اليقين للشخص الذي تحصل له، إلاّ أنها تكون حجّة على صاحبها المشاهد، ولكنها ليس حجة على الآخرين.

٣. في المنامات، فإذا كان منام للمعصوم، فهو على حدٍّ الوحي من حيث الاعتبار، وبما أنّه لا يقبل الخطأ فيكون حجة؛ من هنا قرر إبراهيم عليه السلام ذبح ولده إسماعيل على أساس المنام (الرؤيا). وأمّا (رؤيا) غير المعصوم فتكون عادة مبتلاة بالإشكالات المتقدمة.

٤. الإلهامات الإلهية: الإلهامات أيضا كذلك، فان كانت لفرد معصوم تكون معتبرة وحجة؛ لأنه منزه عن الخطأ ويمكنه العمل طبقاً لهذه الإلهامات، كما هو الحال في قصة الخضر حين قتل طفلاً، على أساس علمه اللدني، وثقب سفينة المساكين أيضا.

أما الإلهامات لغير المعصوم ولم يؤيدها عقل أو نقل ستَردُ عليها الإشكالات المتقدمة الذكر.

٥. الوحي الإلهي: نوع علم شهودي غير قابل للخطأ يتلقاه الأنبياء والرسل من عالم الغيب، ويبلّغونه إلى الناس دون خطأ أو تغيير، فعلى هذا يكون الشهود حجّة على الذي يوحى إليه (النبي)، وبعد إثبات نبوة المدعي يصبح ما يصل إليه من الوحي حجة على الآخرين أيضاً، ولكن لإثبات ادّعاء كلّ نبي بحاجة إلى دليل ويقام عادة بشكل إعجازي.

---

١. راجع: *أصول ومناهج التفسير*: ١٠٨، (الدليل الثاني والرابع نقلاً عنه).

٢. *جامع الأسرار ومنبع الأنوار*: ٣٤٨ و ٥٧؛ *نصّ النصوص*، محمد رضا الجوزي: ٦٧.

النتيجة

لا يوجد عندنا دليل معتبر على حجيّة المكاشفات العرفانية في التفسير، بل هناك أدلة على عدم حجيتها (إلّا إذا تطابقت المعارف الشهودية مع المعارف العقلية والنقلية، وفي هذه الصورة تنتفي الحاجة للشهود)، ولكن المعارف الشهودية للمعصوم حجّة في التفسير في شروط خاصّة.

٩. الإجماع

مفردة «الإجماع» في الاصطلاح تعني: اتفاق جميع علماء الدين في عصر. وقد عرّفه علماء أصول الفقه من الشيعة والسنة[١] بعدة تعاريف، فالشيخ الأنصاري عرّفه بقوله: الإجماع في مصطلح الخاصّة بل العامة... هو: «اتفاق جميع العلماء في عصر».

وعرّفه العلامة الحلّي يقوله: الإجماع: «هو اتفاق أهل الحلّ والعقد من أمّة محمد ﷺ».[٢]

الآراء (النظريات)

كان الإجماع موضع اهتمام العلماء باعتباره أحد مصادر الفقه، وتمّ بحثه بشكل مفصّل في علم أصول الفقه، وكان محل اهتمام المفسرين في التفسير أيضا، حتى أن الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) كتب في مقدمة تفسيره التبيان:

لا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً إلاّ أن يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الإجماع.[٣] كما أن الشيخ معرفة يري: أنّ إجماع الأمة في المتشابهات معتبر وحجة.[٤] ويعد الدكتور شاكر الإجماع المحصّل من مدارك التفسير،[٥] ويعتبر مؤلفو كتاب *روش شناسي تفسير قران (منهج تفسير القرآن)* الإجماع أحد القرائن المنفصلة.[٦]

---

١. راجع: *المستصفى*، الغزالي: ١ / ١٧٣؛ *الأحكام*، الآمدي: ١ / ٢٥٤ وغيرها.

٢. *تهذيب الوصول*، العلامة الحلي: ٦٥.

٣. *التبيان*: ١ / ٦.

٤. *التفسير والمفسرون*: ١ / ٦٢.

٥. *أصول ومناهج التفسير*: ٩٥.

٦. *منهج تفسير القرآن*: ٢١٤.

حجيّة الإجماع في التفسير

هناك مبحثان في الإجماع:

أ) إمكان وجود الإجماع (مقام الثبوت)

في هذا الأمر هناك اختلاف في وجهات النظر بين علماء الأصول والفقهاء،[١] فيقسّمون الإجماع إلى قسمين:

الأول: الإجماع المنقول: وهو الإجماع الذي ينقل من عالم إلى آخر، وبهذه الصورة لا يكون حجة كما صرح بذلك الشيخ الأنصاري (٢١٤ ـ ٢٨١هـ).[٢]

الثاني: الإجماع المحصّل، المقصود به: «الإجماع الذي يحصّله الفقيه بنفسه بتتبع أقوال أصل الفتوى».

هذا النوع من الإجماع صار في عصرنا الحاضر غير ممكن عملاً؛ نتيجة اتساع نطاق أنشطة علماء الدين وأبحاثهم.[٣]

ب) حجية الإجماع (مقام الإثبات)

على فرض وجود إجماع معتبر، فان مجرّد اتفاق الناس أو علماء الإسلام على أمر لا يعني حجيته؛ لأنّه لا يوجد دليل على حجيّة هكذا إجماع.

ورأي الأفراد وحده لا يمكن أن يكون كاشفاً عن رأي الدين، بل يكون حجّة في نظر الشيعة متى ما كان إجماع الأفراد كاشفاً عن قول المعصوم عليه السلام، وفي هذه الحالة قد يكون دالاً على وجهة نظر الدين في ذلك.

وعندما يكون الإجماع كاشفاً عن قول المعصوم سيكون خبراً واحداً، ومن هنا صرّح بعض المعاصرين: أنّ الإجماع بنفسه قرينة ليست في عرض الروايات بل هو كاشف عن الروايات)،[٤] ولعل مراد الشيخ الطوسي رحمه الله من حجية الإجماع هذا.

---

١. راجع: *كفاية الأصول*، الآخوند الخراساني: ٢ / ٢٧١، وما بعدها؛ *الوصول إلى كفاية الأصول*، شرح الشيرازي؛ و*فرائد الأصول*، الشيخ مرتضى الأنصاري: ١ / ١٧٩، وما بعدها.

٢. *فرائد الأصول*: ١ / ١٧٩ ـ ١٨٠ و ٢١٢.

٣. المصدر: ١ / ٢٠٢ ـ ٢١٢.

٤. المصدر.

ملاحظات

١. إذا كان الإجماع حجة من باب خبر الواحد، فدليل اعتباره نفس دليل اعتبار خبر الواحد وليس هناك حاجة إلى دليل جديد.

وكل الأبحاث والنقاشات المطروحة في خصوص حجية خبر الواحد تأتي هنا أيضا.

٢. إذا كان الإجماع حجة في التفسير، فبالنظر إلى أن الإجماع دليل لبّي و هو دليل حجيته ـ على فرض أنّه من باب خبر الواحد ودليل حجيته بناء العقلاء ـ لبي أيضاً، وله قدر متيقن نكتفي به عندما نشك هل أن الإجماع حجّة في جميع الآيات أو في آيات الأحكام خاصة؟ فنأخذ بالقدر المتيقن وهو آيات الأحكام.

٣. والجدير بالذكر إنه عند دراسة موارد الاستناد إلى الإجماع في التفسير نجد أنّ أغلب تلك الموارد مرتبطة بآيات الأحكام.

النتيجة

من الصعب جداً تحصيل الإجماع في عصرنا الحاضر، وإن أمكن ذلك، فيعد من مصادر التفسير وقرائنه، ولا يعدّ مصدراً مستقلاً؛ لأنّ حجية الإجماع الكاشف عن قول المعصوم من باب خبر الواحد، وبالطبع فإنه على الفرض المتقدم سيكون معتبراً كحدٍّ أكثر في خصوص آيات الأحكام.

نماذج أستُفيدَ فيها من الإجماع

١. آية المتعة ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾،[1] حيث أشار الشيخ الطبرسي، والسيد عبدالله شبّر في تفسيريهما إلى الإجماع مستندين إليه،[2] من أنّ جواز الاستمتاع بالمرأة بدون عقد خلاف الإجماع، وجوازه بعقد مؤقت يطابق الإجماع والضرورة الدينية.

٢. آيات الكلالة: لقد طرحت مسألة إرث الكلالة في القرآن في موضعين:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ

---

١. النساء: ٢٤.

٢. راجع: *مجمع البيان*: ٣ / ٦١؛ *تفسير شبّر*: ١١٢.

فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.[١]

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[٢]

فقد ذكر بعض المفسّرين أنّ المراد من (الكلالة) في الآية الأولى: الأخ والأخت من أم واحدة، وفي الآية الثانية المراد منها: الأخ والأخت من أب وأم، ودليلهم على هذين التفسيرين إجماع العلماء.[٣]

٣. آية الوصية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.[٤]

فظاهر الآية وجوب وصية الإنسان بجزء من أمواله لأبيه وأمه وأقربائه لان كلمة (كَتَبَ) تأتي عادة في القرآن للدلالة على الوجوب مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، ولكن المفسرين يذهبون إلى عدم وجوب هذه الوصية؛ للإجماع، ويقولون باستحبابها.[٥]

٤. وحدة سورة الضحى والانشراح

صرح الشيخ مكارم الشيرازي في ذيل سورة الضحى أن هاتين السورتين (الضحى والانشراح) يعدّان سورة واحدة طبقاً لما ورد من الروايات، لذا أجمع العلماء على عدم الاكتفاء بواحدة منهما في القراءة في الصلاة.[٦]

ملاحظة: كما تقدّم في المواضع السالفة الذكر الاستفادة من الإجماع في التفسير في مورد الأحكام الفقهية، وبناء على هذا فمن يرونه حجّة في تفسير القرآن يقبلونه في آيات الأحكام غالباً.

---

١. النساء: ١٢.

٢. النساء: ١٧٦.

٣. راجع: *تفسير شبر*، في ذيل الآيات؛ *تفسير منهج الصادقين*: ٢ / ٤٥٣.

٤. البقرة: ١٨٠.

٥. مجمع *البيان*: ١ / ٤٨٣، في ذيل الآية ١٨٠ من سورة البقرة.

٦. *الأمثل*: ٢٧ / ٩١.

١٠. أقوال المفسرين واجتهاداتهم الشخصية

بدأ تفسير القرآن من عصر النبيﷺ وكان نبي الإسلامﷺ وأهل بيته عليهم السلام من أعظم مفسريه،[١] واستمر ذلك على طول التاريخ على يد كبار العلماء من الشيعة والسنّة، فحظي المسلمون بثروة تفسيرية كبيرة يمكنهم الرجوع إليها عند تفسيرهم آيات القرآن، لتضمّنها كمّاً هائلاً من القرائن والإشارات التفسيرية، ولكن يبقى القول في آراء وأقوال المفسرين واجتهاداتهم هل يمكن أن تعدّ مصدراً للتفسير بحيث تصبح حجة على الآخرين أم لا ؟

أقسام المفسرين

أ) المفسرون المعصومون، مثل النبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام، و قد تمّ بحث حجية أقوالهم بشكل مفصل في بحث (السنّة).

ب) المفسرون غير المعصومين: وهم جميع مفسري القرآن على طول التاريخ، وموضوع بحثنا في هذا الكتاب هذا القسم من المفسرين، فتبين لنا أن أقوالهم واجتهاداتهم وآراءهم مفيدة جداً في التفسير ومعينة على ذلك، وليس من المناسب الاهتمام بها وعدم الالتفات إليها، ولكن الكلام في أننا لا نمتلك على حجية أقوالهم دليلاً خاصاً من العقل والنقل، ولهذا لا تكون أقوالهم في التفسير حجة.

آراؤهم ووجهات نظرهم قد تعطينا احتمالاً أو ظناً فقط في معنى الآية والمراد الإلهي منها، وبالنظر إلى قاعدة (عدم جواز استخدام غير العلم في التفسير)[٢] لا يمكننا تقليدهم ونعتبر آراءهم حجة في التفسير؛ لأن ذلك يعني إسناد ما ليس بعلم إلى الله، وهذا يستلزم الافتراء على الله وتشمله أدلة حرمة ذلك.[٣]

أقسام اجتهاد المفسرين الشخصية

إن الاجتهاد في تفسير القرآن مفيد ولازم، إذ بدونه لا يتمكن المفسر من إبداء رأيه النهائي، ولكن الاجتهاد على نوعين:

---

١. أشير إلى تلك الموارد في الأبحاث المتقدمة (مبحث تاريخ التفسير).

٢. تم تناول هذه القاعدة وأدلتها بشكل مفصّل في بحث قواعد التفسير.

٣. ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٣، و﴿آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ﴾ يونس: ٥٩.

الأول: استنباط المفسّر من الآية بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية والعلمية، وهذا اجتهاد جائز ومفيد بل ولازم.

الثاني: استنباط المفسّر من الآية قبل مراجعة القرائن العقلية والنقلية والعلمية، وهذا اجتهاد باطل وممنوع؛ لأنّه يؤدي في النهاية إلى التفسير بالرأي الذي أفادت الروايات حرمته.[١]

ويلزمنا التذكير بان الاجتهاد من النوع الثاني ليس حجة على الآخرين، ولا حتى المفسر؛ لأنه تفسير بمثل رأي المفسّر الشخصي، أما النوع الأول من الاجتهاد فهو حجة على المفسّر (إن توفرت فيه جميع شروط التفسير وموازينه) دون الآخرين، وذلك لما تقدم من عدم وجود دليل عقلي أو نقلي على حجيته.

وقد أكّد العلامة الطباطبائي ﷺ في ذيل الآية ٤٤ من سورة النحل إلى عدم حجيّة آراء العلماء؛ لعدم وجود دليل نقلي معتبر.[٢]

أساليب التعامل مع أقوال المفسرين في التفسير

١. عدم الاهتمام بها: كما اشرنا سابقاً أن تفاسير الماضين مليئة بالقرائن والإشارات الجيدة،ما يجعل عدم الاهتمام بها أمراً غير صحيح؛ لأنه سيؤدي إلى إتلاف وقت المفسّر وضياع بعض تلك القرائن والإشارات، حيث إن المفسر سيكون مجبورا، على الشروع في التفسير من الصفر، ولعله لا يتمكّن من تحصيل كل القرائن التي كانت عند المفسرين السابقين وبالخصوص مفسري صدر الإسلام، وبحسب القاعدة فإن أحد طرق البحث عن القرائن العقلية والنقلية للآيات الرجوع إلى تفاسير الماضين.

٢. نقل مطالب وآراء المفسرين: من المسلم جواز هذا الأمر،إذ انه مفيد لتفسير القرآن، يعني بإمكان مفسر القرآن الاستفادة من قرائن وإشارات المفسرين السابقين في التفسير، ويكمل ما استند عليه المتقدمون ويخطو خطوة إلى الإمام.

ومن الممكن الاستفادة من مطالب وآراء المفسرين بعنوان شاهد ومؤيد.

٣. نقد مطالب وآراء المفسرين: وهذا الأمر جائز أيضاً، بل مما يوجب تطوّر علم التفسير.

---

١. راجع: *منطق تفسير القران (٢) المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن* للمؤلف، بحث التفسير بالرأي؛ *وأصول ومناهج تفسير القرآن*، عميد زنجاني، بحث التفسير بالرأي، وللبحث الروائي، راجع: *سنن الترمذي*: ٥ / ١٩٩، *بحار الأنوار*: ٨٩ / ١٠٧.

٢. راجع: *الميزان*: ١٢ / ٢٦١.

المفسرون محترمون وهذا مما لا شكّ فيه ولكنهم ليسوا معصومين، من هنا يمكن بواسطة النقد العلمي واللائق تحديد مواضع الانزلاق وتشخيص نقاط الضعف، ومن ثمّ معالجتها، ليكون قريباً من فهم المراد الإلهي.

٤. تقليد المفسرين: المقصود من التقليد هنا: هو نقل المفسر مطالب وأقوال المفسرين السابقين وقبولها بلا دليل، ومن المسلّم عدم جوازه ويكون كما قدّمنا مشمولاً لقاعدة (عدم جواز العمل بغير العلم في التفسير، وحرمة إسناد المطالب إلى الله تعالى بغير علم).

١١. أقوال الصحابة والتابعين

يمتاز أصحاب النبي ﷺ الصادقون والتابعون بمرتبة ومنزلة عالية، وقد مدحهم القرآن الكريم[١] وبالنظر إلى قربهم من زمن نزول الوحي كانوا يشاهدون نزول الآيات أحيانا، والأخذ عن النبي ﷺ ومعرفتهم بأعراف ذلك الزمان ولغته، من هنا كانت أقوالهم وآراؤهم قرائن وشواهد مهمة لتفسير الآيات.

أقسام الصحابة والتابعين

كان الصحابة والتابعون على نوعين:

الأول: صحابة وتابعون معصومون، من قبيل الإمام علي عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وعلي بن الحسين عليه السلام ومحمد الباقر عليه السلام[٢] وبقية الأئمة المعصومين عليهم السلام.

فأقوال هذا القسم من الصحابة والتابعين معتبر لأنهم معصومون (وقد ثبت ذلك في مواضعه).[٣]

وعلى أساس الأدلة الخاصة ـ التي تقدّمت في بحث حجيّة السنة ـ يكون كلامهم معتبراً وحجة في التفسير.

الثاني: الصحابة والتابعون غير المعصومين: حيث إنّ أكثرهم كانوا هكذا، وموضوع بحثنا هنا في هذا المورد،وهؤلاء أيضا يقسمون إلى قسمين:

---

١. راجع: التوبة: ١٠٠ و ١١٧.

٢. الإمام الباقر عليه السلام ولد ٥٧هـ وتوفي ١١٤هـ، فيعتبر من التابعين.

٣. راجع: تفاسير القرآن وبالخصوص: *الميزان* في ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، والكتب الكلامية: كشرح التجريد، وغيرها.

أ) الصحابة والتابعون الذين ثبتوا على إيمانهم إلى آخر أعمارهم حتى نالوا الشهادة مثل: حمزة، وعمار بن ياسر، أو عاشوا حياتهم في صلاح وطاعة الله تعالى و ساروا على سنّة النبيﷺ حتى الموت مثل: سلمان، وأبو ذر والمقداد، وغيرهم.

ب) الصحابة والتابعون الذين خرجوا عن خط النبيﷺ، فارتدوا، أو تغلغل النفاق في قلوبهم مثل: عبد الله أبي سرح،[١] وعبد الله بن أُبي،[٢] وغيرهما ممن سجّل التاريخ أسماءهم في صفحاته وجاءت بعض آيات القرآن[٣] في خصوص بعض ممن أحاطوا بالنبيﷺ كشاهد على ذلك.

ولنا أن نحكم بشكل كلّي في خصوص الصحابة من القسم الثاني بان نقول: أقوال الصحابة والتابعين من القسم (ب) ليست حجّة لا في التفسير ولا في غيره؛ لأنّ المنافقين فاسقون،[٤] ومنع القرآن من العمل بخبر الفاسق،[٥] فبناء على ذلك يكون من باب الأولى عدم قبول آراء المنافقين والمرتدين في التفسير.

أما أقوال الصحابة والتابعين من النوع (أ) فهي تابعة للدليل؛ فإن وجدنا أدلة معتبرة على حجيّتها ستكون حجة في التفسير أيضا، أما إذا لم نعثر على أدلة معتبرة على ذلك فلا تكون حجة تبعا لقاعدة (عدم جواز العمل بالتفسير بغير علم)،[٦] ولأدلة حرمة إسناد ما ليس بعلم إلى الله تعالى، الذي يكون شاملاً لهذا المورد،[٧] لهذا صار لزاماً علينا دراسة الآراء والأدلة في هذا الخصوص.

علينا التذكير بأن عدم حجيّة أقوال الصحابة والتابعين من النوع (أ) ليس معناه عدم قبول أقوالهم في نقل المعاني اللغوية، وأسباب النزول، أو نقل أحاديث النبيﷺ عنهم (ضمن شروط معينة)، بل كما سيأتي بيانه من قبولها ضمن موازين خاصة في هذا المورد.

---

١. راجع: *بحار الأنوار*: ١٩ / ١٠؛ *والبحر المحيط*: ٤ / ١٨٠؛ *تحقيق في تاريخ القران*، للدكتور حجتي: ٢٠٦ ـ ٢٠٩.

٢. *لباب النقول في أسباب النزول*، السيوطي: ٢٣٧؛ والتفاسير القرآنية الأخرى في ذيل الآيات من ٥ و ٧ من سورة «المنافقون».

٣. راجع: سورة المنافقون، سورة براءة ٤٢ ـ ٧٤، وسورة البقرة ٨ ـ ٢٠ وغيرها.

٤. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التوبة: ٦٧.

٥. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦.

٦. راجع: بحث قواعد التفسير في هذا الكتاب.

٧. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٣، ﴿آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ يونس: ٥٩.

الآراء والأدلة

في خصوص حجيّة أقوال الصحابة والتابعين التفسيرية هناك آراء وأدلة مختلفة:

الأول: رأي الموافقين: ذهب بعض علماء أهل السنة إلى أنّ ما ينقل عن الصحابة، هو في حكم الحديث المسند، أو الموقوف عن النبيﷺ إذا لم إلى يسنده النبيﷺ.

١. الحاكم النيشابوري: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين، حديث مسند، أي إذا انتهت سلسلة الرواية إلى صحابي جليل، فإن ذلك يكفي في إسناد الحديث إلى رسول اللهﷺ و إن كان الصحابي لم يسنده إليه.[١]

وبالطبع لم يقبل البعض كالنووي إطلاق كلام الحاكم وقيّده قائلاً: أما قول من قال: تفسير الصحابي مرفوع، فذلك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آية أو نحوه...إنّ ما يتعلق بذكر الآخرة، وما لا مدخل للرأي فيه، من قبيل المرفوع.[٢]

٢. الزركشي: ويقول في خصوص مصادر التفسير بعد النقل عن النبيﷺ:

«الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبيﷺ كما قال الحاكم في تفسيره».

ثمّ يذكر هو بان اعتبار كلام الصحابة يعود إلى نقلهم عن النبيﷺ لا من باب بيانهم لرأيهم فيقول: لأنه من باب الرواية لا الرأي.[٣]

٣. عبد الرحمن العلك: «والتفسير الوارد عن الصحابة الذي عاصروا نزول الوحي وشهدوا أسباب النزول، وعاينوا دواعيه، فكانوا أعلم المسلمين بتفسيره وتأويله. وكذا أدرج علماؤنا تفسير التابعين...ولذلك أطلق الحاكم في *مستدركه على الصحيحين*: أنّ تفسير الصحابة الذين شهدوا الوحي، له حكم المرفوع، فكأنهم رووه عن النبيﷺ. وعزا هذا القول للشيخين».[٤]

ثم إنّه يقرن تفسير الصحابي بتفسير النبيﷺ؛ لأنه شهد نزول الوحي وقراءته، وهو من أهل اللغة العربية والفصاحة والبلاغة، وأعلم الناس بعادات العرب، وكان من

---

١. *المستدرك*: ٢ / ٢٥٨ و ٢٦٣.

٢. *تدريب الراوي*: ١ / ١٩٣.

٣. *البرهان في علوم القران*: ٢ / ١٥٦.

٤. *أصول التفسير وقواعده*: ١١١ ـ ١١٢.

جيل لم يأت في التاريخ مثلهم في العلم والفهم.[١]

٤. الدكتور الذهبي: اعتبر كلام الصحابي أحد مصادر التفسير فكتب يقول: «لا يجوز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال».[٢]

الثاني: رأي القائلين بالتفصيل

١. العلامة الطباطبائي: كتب في ذيل الآية ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣] ما نصّه: «وفي الآية دلالة على حجية قول النبي ﷺ في بيان الآيات القرآن...ويلحق به بيان أهل بيته عليهم السلام؛ لحديث الثقلين المتواتر وغيره، وأما سائر الأمة من الصحابة أو التابعين أو العلماء فلا حجيّة لبيانهم؛ لعدم شمول الآية، وعد نصّ معتمد عليه يعطي حجية بيانهم على الإطلاق».[٤]

من هذا الكلام يتّضح القول التفصيل بين الصحابة المعصومين مثل أهل البيت عليهم السلام الذين قام دليل خاص على حجية أقوالهم، وبين الصحابة غير المعصومين الذين لم يقم دليل على حجية أقوالهم.

٢. الشيخ معرفة: بعد أن ذكر شأن ومنزلة الصحابة ومقامهم، اعتبر حجية كلامهم متوقفة على شرطين:

الأول: أن يكون سند الرواية صحيحاً إلى الصحابي.

الثاني: أن يكون الصحابي من الطراز الأول.[٥]

وفي ختام كلامه يفرق بين الصحابي المعصوم، وبين غير المعصوم قائلاً: (هذا ما يقتضيه ظاهر البحث في المجال، وأما الذي جرى عليه مذهب علماؤنا الأعلام، فهو: أنّ التفسير المأثور من الصحابي مهما كان على جلالة من القدر والمنزلة فإنّه موقوف عليه، لا يصح إسناده إلى النبي ﷺ ما لم يسنده هو بالذات، وهذا منهم مطلق، سواءً أكان للرأي فيه مدخل أم لا؛ لأنّه نطق عن علمه... والمجتهد قد يخطأ وليس الصواب حليفه دائماً ما لم يكن معصوماً.[٦]

---

١. المصدر: ص١١٦.

٢. *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي: ١ / ٩٥ ـ ٦٤.

٣. النحل: ٤٤.

٤. *الميزان*: ١٢ / ٢٦١.

٥. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ١ / ٣٠١.

٦. المصدر: ١ / ٣٠٧.

فمن تفصيله هذا (بين المعصوم وغير المعصوم) يتّضح أن مقصوده بالصحابة من الطراز الأول، أمثال: علي عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام المعصومون وأقوالهم حجة، أما الصحابة غير المعصومين فأقوالهم ليست بحجة.

ـ الرأي المختار: التفصيل بين أقسام مطالب الصحابة والتابعين التفسيرية: نحن نرى صحة التفصيل الذي ذهب إليه العلامة الطباطبائي، والشيخ معرفة، ولكن في هذا المورد يمكننا تقديم تفصيل أكمل وإن كانت هناك إشارات إلى بعض أقسام هذا التفصيل في كتابات الشيخ معرفة، والزركشي.

النتيجة: يرى أهل السنة أنّ أقوال الصحابة بمنزلة الحديث المرفوع أو المسند من النبي صلى الله عليه وآله، ولذا يقولون في شان الصحابي: أنّ جميع ما قاله ليس فيه محلاً للنقد والنقاش (مثل ما يذكره من أمور حول الآخرة) وهذا منقول عن النبي صلى الله عليه وآله بحسب زعمهم.

والشاهد على ذلك كلام الزركشي: ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسّره من حيث اللغة، فهم من أهل اللسان فلا شكّ في اعتمادهم،وإن فسّره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه.[١]

واللطيف ما قاله في جواب أبي الخطاب، الذي يذهب إلى عدم حجية الصحابي: كلام الصحابي من باب الرواية لا من باب الرأي.[٢]

أما المخالفون فإنّهم يرون أن إثبات كلّ ما ذكره الصحابي قد سمعه من النبي، أمر مشكل؛ لعدم اتصال سلسلة السند، لذا لا يمكن اعتباره حديث مسند. ومن الواضح انه لو كان مرفوعاً لما كان حجّة أيضا فلا بد من القول: أن آراءهم كانت اجتهادات شخصية وهي ليست بحجة لعدم الدليل على حجية اجتهاد العلماء والصحابة لا من العقل ولا النقل ولا الإجماع.

كما أن الخطأ محتمل في اجتهاداتهم، والدليل الوحيد الذي يمكن أن يقام على حجية أقوال الصحابة هو عدالة الصحابة، كما ادعى البعض: أن جميع الصحابة عدول،[٣] ولكن إثبات ذلك غير ممكن (وخصوصا مع وجود النفاق والارتداد والحروب التي قامت بين الصحابة)، وعلى فرض إثبات ذلك، فالعدالة ستستلزم صدقهم لا أنّ كلّ ما يقولونه في

---

١. *البرهان في علم القران*: ٢ / ١٧٢.

٢. المصدر، ١٥٦.

٣. الصحابة كلهم عدول، من لا بس الفتن وغيرهم بإجماع يعقد به [*تدريب الراوي*: ٢ / ١٩٠]، ومثله ردّ *الإصابة في تمييز الصحابة*: ١ / ٦.

التفسير هو حديث مسند أو مرفوع إلى النبيﷺ.

ملاحظة: ما ذكر في خصوص عدم حجية أقوال الصحابة يثبت في التابعين كذلك بطريق أولى، وإنّ صرّح الكثير من أهل السنة والشيعة بعدم حجية أقوالهم في التفسير،[١] بل منع بعض أهل السنّة حتى الرجوع إليهم.[٢]

الخامس: شروط مفسر القرآن

المفسّر هو الشخص الذي يسعى إلى استنباط معاني الآيات، ليتوصّل إلى إدراك المراد الإلهي من النصوص القرآنية معتمداً في ذلك على المصادر والشواهد والقرائن المعتبرة والأسلوب الصحيح في التعامل معها.

وبناء على هذا لا بدّ أن يكون من ذوي التخصص الكافٍ في العلوم، ولديه المعلومات اللازمة ويمتلك روحية وأخلاق مناسبة حتى يتمكّن من تقديمٍ تفسير معتبر.

وإلا سيكون تفسيره بالرأي أو يقدم تفسيراً غير معتبر، وقد توصل المحققون في العلوم القرآنية منذ القديم إلى ضرورة هذا الأمر وأحصوا الشروط اللازم توفّرها في مفسر القرآن من بينهم الطبرسي (ت / ٥٤٨ هـ) في مقدمة *مجمع البيان*، والسيوطي (ت / ٩١١هـ) في *الإتقان في علوم القرآن* فذكر السيوطيّ أن من شروط المفسر: اطلاعه على: علوم باللغة، والصرف، والنحو، والاشتقاق والمعاني والبيان، والبديع، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، والفقه،والأحاديث، وعلم الموهبة.[٣]

وتناول بعض المحققين المعاصرين هذه الشروط، منهم الشيخ جعفر السبحاني في *التفسير الصحيح للآيات المشكلة في القرآن*، وكامران ايزدي في *شروط وآداب تفسير ومفسر* وبابائي، وآخرون في *منهج تفسير القرآن*.

ملاحظتان

الأول: المقصود من شروط المفسّر هنا هو تحقق الحد الأدنى من الشروط التي تمكّنه

---

١. راجع: *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي: ١ / ١٢٨ ـ ١٢٩؛ *والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ١ / ٤٣١.

٢. راجع: *البرهان*: ٢ / ١٥٨.

٣. راجع: *الإتقان في علوم القران*: ٢ / ٣٥٩، ٣٦١. علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم». [المصدر: ١ / ٤٤٤].

من توضيح المعاني والمراد الإلهي (التفسير الظاهري للآيات).

من هنا نحن نميز بين الشروط الضرورية واللازمة في التفسير والمفسّر وشروط كمالها.

الثاني: الكثير من هذه الشروط لها ارتباط بمبحث مصادر التفسير وقد مضى توضيحها بشكل مبسوط، وابتعاداً عن التكرار سنقوم بتوضيح الأمور الضرورية فقط.

تقسيمات شروط المفسر

إنّ شروط المفسر قابلة للتقسيم من جهات مختلفة، فيمكن تقسيمها إلى الشروط العلمية، والعملية والأخلاقية والنفسية (الروحية)، وكذلك يمكن تقسيمها إلى شروط ضرورية (شروط تحقق التفسير) وغير ضرورية (شروط كمال التفسير).

أ) الشروط الضرورية: وهي الشروط الدخيلة في تحقق التفسير وبدونها لا يتمكن المفسّر عمليا من تقديم تفسير معتبر.

١. الاطلاع على اللغة العربية وآدابها (الصرف والنحو وعلوم البلاغة و...)؛ وقد بين في المصادر التفسيرية أهمية ذلك في التفسير وفصّل الكلام فيها.

٢. معرفة علوم القرآن؛ وبالخصوص مباحث المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وتاريخ القرآن والقراءات.

بالطبع أنّ لكلّ مبحث من هذه المباحث وبالخصوص القراءات تأثير في التفسير، كما له شروط خاصة ونكات لطيفة قد بيّنت في قسم مصادر التفسير، أو في مبحث قواعد التفسير.

٣. المعلومات التاريخية والجغرافية؛ لمعرفة أسباب النزول ومواضع نزول الآيات، وتاريخ القرآن وتاريخ العصر الجاهلية وصدر الإسلام. والاطلاع كذلك على الكتاب المقدّس (التوراة، والإنجيل وملحقاتهما) ولكل مورد من هذه الموارد مصادر شروط وضوابط تم بيانها في مبحث مصادر التفسير.

٤. العلم بأصول الفقه: فهذا العلم يبين بالحقيقة الضوابط والقواعد التي يتمكن بواسطتها الاستنباط من خلال النص، من هنا استخدم في فهم النص القرآني والروائي، وبناء على هذا فكما أن علم الفقه يعدّ مقدمة لعلم التفسير، فكذلك علم أصول الفقه.

بل لا يمكن فهم القرآن وتفسيره دون العلم بقواعد العام والخاص والمطلق والمقيد و... دراسة المباني المهمة مثل: حجية الظهور وغيرها من المطالب والأبحاث التي تطرح في علم أصول الفقه، وسنبين الكثير من هذه القواعد في مبحث قواعد التفسير.

٥. علم الفقه: حيث يتمّ بواسطة علم الفقه استنباط الأحكام الإلهية من مصادرها المعتبرة (القرآن، والسنة، والعقل).

إذ يحوي القرآن على عدد كبير من آيات الأحكام (قيل عددها يبلغ من ٥٠٠ إلى ألفي آية)[1] ولفهم هذه الآيات وتفسيرها نحن بحاجة إلى علم الفقه.

بالطبع ليس الاجتهاد المطلق شرط في التفسير، ولكن العلم بطريقة الاستنباط الفقهي بمقدار الاجتهاد المتجزئ ضروري للمفسر، إلا إذا لم يرد المفسر تقديم رأيه النهائي في خصوص آيات الأحكام ويكتفي بنقل أقوال المفسرين والفقهاء، ولعل هذا هو سبب حذف بعض المعاصرين هذا الشرط من شروط المفسر.[2]

٦. معرفة علوم الحديث؛ تعد سنّة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من مصادر التفسير، وظهر على مرور الزمن علوم ذات صلة وثيقة بالحديث مثل علم الرجال والدراية وفقه الحديث، والتي لها تأثير كبير في فهم وتقييم السنة، وبما أن السنة مفسِّرة للقران،وهذه العلوم لها دور في فهمها وتفسيرها، فصار العلم بها لازم على المفسر حتى يتمكن عند اللزوم من تقييم سند الحديث ومتنه.

٧. معرفة المفسر بمصادر التفسير والقدرة على تقييمها علمياً، بنحو يستطيع تشخيص المصدر المعتبر منها من غير المعتبر، (تناولنا هذه الموارد بصورة مفصلة في قسم مصادر التفسير).

٨. معرفة مناهج تفسير القرآن؛ فلزاماً على المفسّر حتى يتقن التفسير أن يعرف منهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج التفسير الروائي والعقلي والعلمي والإشاري (الباطني).

وبعبارة أخرى: أن يعرف منهج التفسير الاجتهادي الجامع حتى يتمكن من الأساليب الصحيحة في التفسير ويبتعد عن الأساليب المؤدية في النهاية إلى التفسير بالرأي.[3]

٩. العلم بأصول و مناهج التفسير، والالتفات إليها عند التفسير، وقد مضى الحديث عنها في المباحث السابقة.

١٠. العلم بقواعد التفسير وتطبيقاتها فيه ـ سيأتي بحث قواعد التفسير في المباحث الآتية ـ ، إذ إن عدم أخذ المباني والأُسس وقواعد التفسير بنظر الاعتبار سيؤدي إلى عدم تحقق التفسير أو تقديم تفسير ناقص غير معتبر.

---

١. راجع: *فقه القران*، فاكر الميبدي: ٣٧.

٢. راجع: *التفسير الصحيح للآيات المشكلة للقرآن*: ٢٩٢.

٣. للتعرف على مناهج التفسير، راجع: *منطق تفسير القران (٢)*، *والمناهج والاتجاهات التفسيرية* للمؤلف؛ *وأصول ومناهج تفسير القرآن*، عميد الزنجاني؛ *والمناهج التفسيرية للقرآن*، مؤدب، *والمناهج التفسيرية*، علوي مهر.

١١. الحياد العلمي، واجتناب الأحكام المسبقة والفرضيات غير الضرورية أي: اجتناب التفسير بالرأي.

فعلى مفسر القرآن أن يتبع القرآن لا رأيه الشخصي الذي اختاره مسبقاً، بمعنى: على المفسر أن يأخذ عقائده من القرآن لا أن يقوم بتحميل القرآن معتقداته المسبقة بعنوان فرضيات ذهنية، حيث إنه في هذه الصورة سيبتلي بالتفسير بالرأي المحرّم والذي هو من الذنوب الكبيرة.[١]

العلامة الطباطبائيقدس سره يسمي هذا الأسلوب بالتطبيق لا التفسير،[٢] كما أكد بعض المعاصرين كذلك على حياية المفسّر.[٣]

وبالطبع أن هناك أصول صحيحة في تفسير القرآن تم بحثها ومناقشتها والاستدلال عليها قبل الدخول في التفسير، وهذه غير الآراء الشخصية وميول الأفراد التي تذكر تحت عناوين الفروض الذهنية الأولية أو الضرورية.[٤]

ملاحظة: معرفة المفسر واطلاعه الإجمالي على الموارد المتقدمة يكفي، يعني انه عالم بها بالقوة ويمكنه عند اللزوم الرجوع إلى مصادرها وتحصيل العلم التفصيلي بها بالفعل.

من باب المثال: ليس من الضروري أن تكون كل جزئيات علوم العربية، وعلوم القرآن، والحديث، والأحداث التاريخية وهكذا مسائل الفقه والأصول حاضرة في ذهن المفسر، بل يكفي الاطلاع على الكليات والضوابط والمصادر وكيفية الرجوع إليها.

حتى يمكنه الرجوع عند اللزوم إلى المصادر وأقوال محققي ذلك العلم والحصول على التفاصيل.

ب) شروط الكمال: إن بعض الشروط ليس لها دور في أصل وجود التفسير، أي أن المفسر يمكنه لا أقل أن يقدّم تفسيراً، أما هذه الشروط فدورها يكمن في الإتيان بتفسير كامل عميق مؤثر، أي يمكن للمفسر بواسطتها من الإتيان بأعلى حد من التفسير، أو يقرب منه.

---

١. نقل عن النبيصلى الله عليه وآله واهل البيت أحاديث عديدة في المنع من التفسير بالرأي. راجع: *سنن الترمذي*: ٥ / ١٩٩؛ وبحار الأنوار: ٨٩ / ١٠٧.

٢. *الميزان*: ١ / ٤، مقدمة.

٣. منهج *تفسير القرآن*، بابائي وآخرون: ٣٨١.

٤. راجع: مبحث الفروض المبنائية المسبقة (الأصول الموضوعة)، في هذا الكتاب.

الاطلاع على علم الكلام (أصول الدين)

١. الاطلاع على علم أصول الدين: يسمى الاطلاع على أبحاث الرؤية الكونية الإسلامية معرفة العقائد الصحيحة حول الله تعالى والنبوة والمعاد (والإمامة والعدل عند الشيعة) علم أصول الدين.

واصطلاحا أطلقوا عليه (علم الكلام) أو (العقائد) و (الرؤية الكونية) في عالمنا المعاصر.

وبما أن الأصول الأساسية للدين: كالتوحيد، والنبوة، والمعاد قائمة على الأدلة العقلية، صار لزاماً على المفسّر أن يعلم ويثبت هذه الأمور إجمالاً، ثمّ يرجع إلى القرآن للحصول على معرفة تفصيلية تامة بالجزئيات.

وقد ذهب السيوطي، والزمخشري إلى لزوم هذا العلم على المفسر،وخالفهما المفسرون المتأخرون والمعاصرون حيث لم يروا لزومه أو لم يذكره على الأقل.[١]

فيرى العلامة الطباطبائي أن علة نشوء ذلك هو التطبيق.[٢] ولعل السبب الرئيسي لحذف هذا الشرط هو أن علم الكلام بدأ ينتظم عند المذاهب والفرق الإسلامية مثل: المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، بشكل يقوم بدور الدفاع عن وجهات نظرهم الخاصة بهم، ومن ينظر إلى القرآن بنظرة كلامية خاصة ويحاول تفسيره من تلك الزاوية، فانه في الحقيقة يفسره وفق الأحكام المسبقة وهذا يستلزم عدم قدرته على الإتيان بتفسير معتبر خال من التزييف، خصوصا أن علينا استلهام عقائدنا من القرآن، لا أننا نأتي بها من موضع آخر ونطبقها أو نحملها على القرآن.

نعم، إن كان المراد من أصول الدين الاطلاع على الأصول الكلامية للجماعات المختلفة، فلا باس، وهذا مفيد في تفسير القرآن ويعتبر من شروط كمال التفسير (وهذا سيأتي كشرط مستقل في المفسر)، كالاطلاع على أصول الدين بالنحو العقلي مفيد للمفسر وموجب لكمال تفسيره، لكنه لا يكون شرطاً لتحقق التفسير وبالخصوص أن بعض الآيات تشير أحيانا إلى الأدلة الفطرية والعقلية على العقائد.

٢. الإيمان: يذكر الطبري هذا الشرط في أوائل *تفسيره*،[٣] ويرى بعض العلماء المعاصرين

---

١. للاطلاع راجع ما يلي: *تفسير صحيح آيات مشكلة قران* ــ التفسير الصحيح للآيات المشكلة في القرآن: ٢٩٢، و *أصول ومناهج تفسير القرآن*: ٢٠٩.

٢. الميزان: ١ / ٤ واختيار المذاهب الخاصة واتخاذ المسالك والآراء هذا الطريق من البحث أحرى أن يسمى تطبيقا لا تفسيرا.

٣. *الإتقان في علوم القران*: ٢ / ٢٠٠. ينقل عن الطبري انه يقول: (اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين).

وجوبه في المفسر، فقالوا: المفسر الذي هو في صدد فهم القرآن ومراده إن كان بلا إيمان كامل، فلا شك بعدم قدرته على أداء رسالة القرآن ودعوته وفهمه بالنحو الصحيح. ثم يستشهد بالآية المباركة (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) قائلا: هكذا القلب الخالي من نور الإيمان والعقل المشوه بالانحرافات وآثارها الناتجة عن الشرك وعدم الإيمان لا يمكنه أن يتحرر من قيود تلك الانحرافات ولا يكون قادراً على منع تسلل الآراء الضالة إلى رأيه ولا يتمكّن من نيل مقاصد القرآن بصورة مباشرة حرة.[1]

وأكد بعض المحققين المعاصرين على شرط الإيمان والعقيدة السليمة (الرؤية الكونية) لدى المفسر،[2] وجاء في الرواية:

«إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حق تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه، أمّا غيرهم فما أشدّ إشكاله عليهم».[3]

يظهر مما تقدم أن علينا التفريق بين مجموعة من الأمور:

أ) بلوغ الدرجات العليا بهدي القرآن.

ب) تفسير الآيات القرآنية وإيضاح معناها والمراد منها، بواسطة القرائن العقلية والنقلية (كحدّ أدنى للتفسير).

ج) مدى اعتبار تفسير المفسرين المسلمين وغيرهم.

فشرط الإيمان لازم لـ(أ) وموجب لكمال التفسير والمفسر، ولكنه غير لازم لـ(ب)، ومثاله: إذا قام غير المسلم المعتدل (دون أن يكون من أهل الفواحش) وبلا غاية بمطالعة القرآن والتفاسير مع امتلاكه لكل شروط المفسّر، فهل من الممكن أن يفهم معنى سورة الإيلاف مثلاً؟ وما هو هدفها ؟ وأين نزلت؟ وما تفسيرها؟

فقد يصبح الإنسان فقيهاً أو مفسراً لا شوقا وإيمانا بل لأهداف وغايات أخرى يبتغيها، نعم، لا يمكنه فهم باطن القرآن بشكل كامل أو لايتمكن من بلوغ هدى القرآن، ولكنه كيفما كان قد يتوصل إلى تفسير القرآن ظاهرياً، من باب المثال: تعال إلى الدكتور موريس بوكاي، الذي ألّف كتابا يقارن فيه بين التوراة والإنجيل، والقرآن والعلم، وحتى إنه ادّعى

---

١. *مباني وروشهاي تفسيري*، عميد الزنجاني: ٢٠٩.

٢. *روش شناسي تفسير قران*، بابائي وآخرون: ٣٨٠.

٣. *بحار الأنوار*: ٩٢ / ١٠٠.

الإعجاز العلمي في القرآن في خصوص مراحل خلق الإنسان والذي يبدو صحيحاً،[١] وهكذا كثير من المستشرقين قد جاؤوا بنتائج وتحاليل جيدة.

والحديث المتقدّم الذكر (على فرض صحة سنده والاستدلال به هنا) لا يقول باستحالة التفسير على غير المؤمنين لكنه يصرّح بأنه صعب بالنسبة لهم.

نعم، إن كان فهم ظاهر القرآن وتفسيره غير ممكن لغير المسلمين، كيف سيهتدي هؤلاء بالقرآن، ويعتنقوا الإسلام، وقد انزل القرآن لهداية وإرشاد كل الناس،[٢] ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾.[٣]

أما المطلب (ج) فلا يختلف المسلم وغير المسلم بالنسبة إليه ولا يمتاز احد على الآخر، فآراء جميع المفسرين ليست حجة على الآخرين، وعند الضرورة يرجع إلى أدلتهم التفسيرية، ووجود الإيمان عند بعضهم ليس دليلاً على وثاقتهم وحجية قولهم، نعم، علينا توخي الدقة بالنسبة لأخبار المسلم الفاسق والتمعّن بها دون المسلم الثقة فان إخباره موثقة).[٤]

٣. علم الموهبة: ذكر بعض المحققين والمفسرين، كالراغب الأصفهاني في مقدمة *تفسيره*،[٥] والزركشي،[٦] وعبد الرحمن العلك،[٧] والسيوطي:[٨] (علم الموهبة) كأحد شروط

---

١. راجع: *پژهشي در إعجاز علمي قران*، للمؤلف.

٢. قال الأستاذ محمد هادي معرفة في حوار معه: إن علم الموهبة، والإيمان، وعلم أصول الدين، من شروط المفسّر؛ ودليله: أنّ من لا يعتقد بأنّ القران وحي منزل من الله تعالى، لا يمكن أن يعشقه و يحبّه؛ و لذا لوجلس لساعات طوال لا يستطيع أن يفهم تفسير آية واحدة؛

من هنا لم يكتب إلى اليوم أي كافر تفسيراً للقران، إذن، لأجل لفهم القرآن بشكل كامل وتفسيره كذلك (أو هي مرحلة أعلى وأرقى من الترجمة) فلا بدّ من وجود تلك الشروط في المفسّر.

وقد أجبته: بان عدم الوقوع (أي أن يقوم كافر بتفسير القرآن) لا يدل على عدم الإمكان ولدي جواب نقضي وهو: إن كثيراً من الكفار ولغرض الردّ على الإسلام درسوا الأفكار والمفاهيم الإسلامية بدقة وشرعوا بالتفسير أو الاستنباط (الدراسات الحديثة) أو طرحوها بصورة إشكالات وشبهات، نعم، على المفسر معرفة الفرضيات الأولية مثل (كون القرآن وحياً يمكن تفسيره) حتى يتمكّن من تفسيره، ولكن الاعتقاد بكونه وحياً وإن كان ضرورياً لفهم القرآن بنحو كامل (أعم من الظاهر والباطن)، أو للاستفادة من هديه لكنّه ليس بالضرورة أن يكون الشخص مؤمناً بالقرآن ومتقياً.

٣. الأنعام: ٩١.

٤. ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات: ٦، فهذه الآية تشمل الكافر بطريق أولى.

٥. مقدمة *جامع التفاسير*: ٦٥.

٦. *البرهان*، الزركشي: ٢ / ٣١٩.

٧. *أصول التفسير وقواعده*: ١٨٨.

٨ راجع: *الإتقان في علوم القران*: ٢ / ٢١٣.

المفسر، كما ذهب إلى ذلك بعض المتأخرين أيضا،[١] فذكروه أحيانا بعنوان العلوم الضرورية للمفسر، وأحيانا كمصدر للتفسير، ولكن ينبغي الالتفات إلى أن علم الموهبة إن كان من سنخ الشهود فلا يقبل إلا من المعصومين عليهم السلام.[٢]

وعرفه السيوطي: (علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم).[٣]

ويؤكد الإمام الخميني قدس سره في هذا المورد بأنّ الإنسان بمقدار ما يستفد من القرآن الكريم والعلوم والمعارف القدسية تزداد مسانخته لها.

لذا يتوجب على مفسّر هذا الكتاب السماوي، أن يبذل قصارى جهده في تهذيب نفسه وتزكيتها من الرذائل الأخلاقية، والتحلّي بالملكات الحسنة والمرضية حتى يخطو قدماً في الطريق الذي ترسم معالمه الآيات القرآنية بنورانيتها وتحيط به التوفيقات الإلهية، وتتكشف له الرموز والإشارات، والحكم التي تتضمنها الآيات الكريمة، وترتفع الستائر عن معاني الآيات، التي هي ليست سوى حجب الأهواء النفسية، ويتنوّر وجوده بنورانية المصحف الشريف).[٤]

وذكرت أدلة وشواهد على لزوم (علم الموهبة) من بينها[٥]:

آيات قرآنية مثل الآية: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...﴾.[٦]

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.[٧]

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾،[٨] وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.[٩]

وبعض الأحاديث منها:

من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم.[١٠]

---

١. راجع: *آداب وشرايط تفسير ومفسران*، ايزدي: ١٧٩؛ *وروش شناسي تفسير قران*: ٣٧٣.

٢. *روش شناسي تفسير قران* : ٣٧٦.

٣. الإتقان: ١ / ٤٤٤.

٤.راجع: *صحيفة نور*، الإمام الخميني: ١٤ / ٢٥١. ٢٥٣.

٥.راجع: *الإتقان*، ١ / ٤٤٤.

٦. الأعراف: ١٤٦.

٧. الواقعة: ٧٩.

٨ البقرة: ٢

٩. لقمان: ٣.

١٠. *بحار الأنوار*: ٤٠ / ١٢٨.

وأيضا يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام:

ما عندنا غيرما في هذه الصحيفة، أو فَهمٍ يؤتاه الرجل في كتاب الله.[١]

إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن.[٢]

دراسة: من الضروري الالتفات إلى عدة نقاط:

١. ضرورة فصل عدة مطالب عن بعضها البعض.

أ) الحصول على مراتب عالية من الهداية القرآنية.

ب) التفسير الظاهري لآيات القرآن (الحدّ الأدنى من التفسير) لا شكّ أنّ تزكية النفس والعمل بالأوامر الإلهية، أمر مهم لتحقيق الاتصال بعالم الغيب ومشاهدة بعض الحقائق. ففي القرآن الكريم اشير إلى دور التقوى وفعل الخير في تحصيل الهداية القرآنية.

وهذا مختصّ بالفقرة (أ) وهو شرط كمال التفسير والمفسّر، وأعلى مراتبه متحققة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وتأتي هذه الموارد في الفقرة (ب) أي أنّها لا تعتْبر شروطاً لتحقق الحدّ الأدنى أو الأقل للتفسير.

ولذا، فإن الشخص الذي لم يطوِ تلك المراتب العالية في التزكية والتقوى وعمل الخير، محروم من المرتبة (أ) لكنه يوفّق للتفسير الظاهري للآيات، وتوضيح مقاصدها. وبناءً على هذا فإنّ الأدلة المتقدّمة (الآيات والروايات) لم تثبت بأن علم الموهبة شرط لازم لمفسر القرآن.

ملاحظة: الأجدر لمفسري القرآن أن يوصلوا أنفسهم إلى المقامات العالية من الهداية والفهم وتفسير القرآن، وبالتأكيد أن مفسّري القرآن بصدد هذا الأمر، وهذا ما أدى إلى نضج وتكامل التفاسير على طوال التأريخ الإسلامي.

٢. علم الموهبة: بحسب ما عُرّف ليس له معيار خاص، أي أنّ لكلّ شخصٍ أن يدّعي بأنّه يملك علم موهبي، أو يتهم مفسر آخر بأنه ليس له علم موهبي.

والشيء الذي ليس له معيار لا يمكن جعله شرطُ للمفسّر، علاوة على هذا، فإنّ قبول هذا الشرط يستلزم قبول اعتبارية الشهود والمكاشفة في تفسير القرآن الكريم، والتي اتضح في بحث مصادر التفسير أنّ الشهود لا يصحّ أن يكون مصدراً معتبراً للتفسير، لأنّه

---

١. *تفسير الآلوسي*: ١ / ٦، و*صحيح البخاري*: ١ / ١١٨.

٢. الصافي: ١ / ٣٦.

شخصي غير قابل للنقل إلى الغير، وغير قابل للاستدلال، وهو عرضة للخطأ (للمكاشفات الشيطانية والرحمانية).

٣. الاطلاع على المذاهب والعلوم المتعلّقة بالقرآن والنظريات حول ذلك.

يؤكد بعض المتخصصين المعاصرين على ضرورة إلمام المفسّر بمعلومات علمية، وفلسفية، واجتماعية، وأخلاقية.[١]

إنّ القرآن الكريم أُنزل لكلّ زمان ومكان وجيل[٢]. وهو في كل عصر يبقى جديد.[٣]

وأنه يقدّم إجابات لتساؤلات واحتياجات البشرية في مجال العلوم والمذاهب الحديثة، وله ترابط مع العلوم التجريبية ويوجهها، وقد طرح مباحث وقواعد في مباني علوم انسانية (كالاقتصاد، والسياسة، والإدارة). ولذا، فإنّ معرفة المذاهب والعلوم شيء مهم ومفيد في فهم وتفسيرٍ أفضلٍ للآيات، وأخذ الجواب من القرآن الكريم في هذه المجالات موجب لتأسيس العلم.

ومن جهة أخرى لا يمكن تحديد وتخصيص القرآن بمذهب أخلاقي أو نظام سياسي، أو فلسفي خاص. إذن، من أجل فهم أفضل للآيات وحتى يتمكّن المفسّر أن يقارن بين وجهة نظر القرآن وبين سائر المذاهب والعلوم، ويختار الرأي والمذهب المنسجم مع القرآن.

يجب الالتفات إلى أنّ المراد بالاستفادة من العلوم في تفسير القرآن ليس بمعنى تحميل القرآن نظريات علمية أو مذاهب فلسفية، بل المراد بذلك الاستفادة من هذه العلوم في فهم القرآن والابتعاد عن تحميل القرآن لنظرية خاصّة.

من المفيد للمفسّر الإلمام بالعلوم التالية.

١. علم المنطق، لمعرفة أسلوب الاستدلال الصحيح.

٢. المدارس الفلسفية الشرقية (كالمشائية، والاشراقية، والحكمة المتعالية)، والغربية.

٣. المدارس الأخلاقية (بالأخص في فلسفة الأخلاق).

٤. المذاهب الحقوقية الرائجة في علم الحقوق.

---

١. راجع: *تفسير صحيح آيات مشكلة قرآن*: ٢٩٢ وما بعدها؛ *مباني وروش هاي تفسير قرآن*: ٢٠٩. وما بعدها؛ *شروط وآداب تفسير ومفسّر*: ١٧٥؛ *روش شناسي تفسير قرآن*: ٣٦٧ وما بعدها.

٢. في هذا الموضوع بيّنا مطالب في بحث الفرضيات الأساسية للتفسير.

٣. عن الصادقعليه السلام: «لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كلّ قوم غض إلى يوم القيامة» [*بحار الأنوار* ٢١٣/١٧.]

٥. مدارس ومباني علم الاجتماع.

٦. مدارس ومباني علم النفس.

٧. مدارس ومباني علم التربية.

٨. فلسفة العلم ومدارسها.

٩. العلوم الطبيعية بالأخص الطب، والفلك.

وكما تقدّم فإنّ العلوم العقلية والعلوم التجربية القطعية تعدّ من مصادر التفسير.

٥. ممارسة وتمرين التفسير.

التفسير كما هو علم فهو فن أيضاً، فمن جهة كونه علم فهو يحتاج إلى تعليم، فالمفسّر يحتاج إلى الإحاطة بعلوم تمهيدية، ومن جهة كونه فن، فهو كالسياقة يحتاج إلى تمرين، وعلى المفسّر أن يتعرّف على تفاسير من قبله وينقد تفسيره، ويستفيد من آراء أهل التخصص في هذا المجال، حتى يتكامل التفسير ويكون هو مفسّر متمكّن. التمرين في التفسير يعدّ من شرائط كمال المفسر، وقد أشرنا فيما تقدّم أنّ الاستفادة من تجارب المفسرين وتفاسيرهم في تفسير القرآن الكريم هو أمر مفيد، لكن لا ينبغي أن يكون تقليداً لهم[١].

ملاحظة: عدّ بعض أصحاب التخصص (القدرة الفكرية وصفاء الباطن) و(نشاط الذهن) أي كثرة التساؤل لدى المفسّر هي من شرائط كمال التفسير.

إنّ صفاء الباطن يعدّ من سنخ علم الموهبة الذي تعتبر أبحاثه وقدرة ونشاط الذهن مفيدة للنضج العلمي، ولا يختص بالتفسير.

سادساً: فرضيات أساسية في فهم وتفسير القرآن.

المدخل:

يرتكز فهم وتفسير القرآن على قواعد أساسية التي تعدّ فرضيات في تفسير القرآن، فالمفسّر حين التفسير يطرحها مباشرة بلا استدلال، بل إنّ هذه المطالب يكون قد قبلها قبل دخوله إلى التفسير.

لأنّها قد استدل عليها في محلّها وجاءت بصورة مقبولات ذهنية وأنّ المفسّر ذاتاً مطّلع عليها.

---

١. راجع: مباحث مصادر التفسير من هذا الكتاب.

وأحياناً يغفل المفسّر هذه القواعد، والحال أن تفسير القرآن في أغلب الموارد يبتني على هذه القواعد الأساسية، وأحياناً لا يمكن فهم وتفسير القرآن بدونها. ومن هذا الوجه، يجب على المفسّرين الالتفات إلى هذه الفرضيات.

١. القرآن وحي إلهي.

إنّ محتوى القرآن وألفاظه هي من الله سبحانه التي أنزلت على النبي ﷺ، وأنّ النبي ﷺ أبلغها إلينا دون تصرّف منه، وقد طرح هذا الموضوع في عدة آيات من القرآن.[١] وإنّ أهم دليل على أنّ القرآن من عند الوحي، هو إعجاز القرآن الذي كان على مدى أربعة عشر قرناً في موقف التحدّي[٢] لكن لم يتمكّن أحد أن يأتي بمثل القرآن، فلو كان القرآن كلاماً بشرياً لتمكّن الإنسان أن يأتي بكتاب كالقرآن في آياته وسوره.

ويستلزم من القول بأنّ القرآن من عند الوحي لوازم متعددة، هي:

أ) أنّ القرآن كلام الله سبحانه.

ب) أنّ القرآن معجز متناً ومحتوىً؛ إذن، هو فوق كلام البشر.

ج) القرآن كلام معصوم من الخطأ.

د) القرآن متن مقدّس.

هـ) القرآن كلام حق؛ إذن، ليس فيه مطلب باطل أو كذب[٣] وقضايا القرآن تكشف عن الواقع.

و) القرآن أهم وأوّل مصدر ديني للمسلمين، ودلالته ومطالبه مقدّمة على سائر المصادر الدينية (كالسّنة) لأنّه يعد أكثر المصادر اطمئناناً من بين المصادر الدينية.

ز) القرآن حجّة إلهية، ويجب على الناس إتباع أوامره ويجب الالتفات إلى أنّ مسألة القرآن كتاب وحي وما يتفرع عنه مؤثرة في فهم وتفسير القرآن، لأنّه إذا كان القرآن كلام الله فإنّ المفسّر في تفسيره ينشد فهم مراد الله، وإذا كان القرآن معجز ومعصوم وكاشف عن الواقع، فإنّ المفسّر يعتمد على متنه بشكل كامل، وإذا واجه مشكلة في بعض الموارد فإنّه

---

١. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦ فصلت: ٤٢؛ طه ١١٤....

٢. راجع: البقرة ٢٣ ـ ٢٤؛ الطور ٣٣ ـ ٣٤؛ يونس ٣٨؛ هود ١٣ ـ ١٤؛ الاسراء: ٨٨

٣. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢.

يعيد النظر في فهمه وتفسيره للقرآن، وليس في المتن القرآني، وإذا كان القرآن المصدر الديني الأهم وحجّة إلهية. فسيكون تفسيره موجّه وذا هدف، يعني أنّ المفسِّر يسعى لاستخراج معارف وأحكام تبني الحياة من القرآن، ويطرح عقائد وأخلاق الناس على أساس القرآن، وبرنامج للحياة وفق القرآن.

٢. عدم إمكان تحريف القرآن.

وفقاً للأدلة العقلية والنقلية، خصوصاً بالالتفات إلى تواتر القرآن الكريم، فان هذا الكتاب السماوي لم يحرف[١] وأنّ الله سبحانه في آيات متعددة قد أكد على ذلك.[٢]

إذ القرآن الكريم منذ نزوله على النبيﷺ إلى أن وصل بين أيدينا، بقي سالماً عن التحريف، ولم ينقص أو يزاد إليه شيء.

وهذا الغرض الأساس مؤثر جداً في فهم وتفسير القرآن، لأنّ المفسّر متأكّد ومطمئن لهذا المتن، وعند تفسيره فهو يدقق في كل كلمة وجملة، لأنّه ليس هناك احتمال وجود النسخ والتبديل في المتن، ويجدر الإشارة إلى أنّ اختلاف القراءات لا يمثّل ضربة إلى عدم إمكانية التحريف، لأنّ قراءات القرآن (ما عدا قراءة المسلمين المتواترة، التي غالباً ما تكون مطابقة لقراءة حفص عن عاصم) هي غير معتبرة.[٣]

٣. القرآن كتاب حكيم.

في القرآن الكريم وصُف الله سبحانه بصفة (الحكيم).[٤]

وأكّد على أنّ القرآن نازل من قبل شخص حكيم،[٥] والقرآن كتاب حكيم[٦]. والحكمة أنزلت في القرآن.[٧]

---

١. راجع: مبحث صيانة القرآن من التحريف، سلامة القرآن عن التحريف والبيان.

٢. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩؛ فصلت: ٤١.

٣. راجع: قواعد التفسير في من هذا الكتاب، بحث القواعد القرآنية في التفسير

٤. راجع: النور: ١٨ و٥٨ و٥٩.

٥. راجع: هود، النمل، فصلت، ٢٢؛ الجاثية: ٢؛ الأحقاف: ٢.

٦. راجع: يونس: ١؛ لقمان: ٢؛ آل عمران: ٥٨.

٧. راجع: البقرة: ٢٣١؛ النساء: ١١٣.

الحكمة عبارة عن: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال للشخص الذي ينجز الأعمال بأحسن وجه حكيماً.[١]

مظاهر حكمة القرآن.

مظاهر حكمة القرآن عبارة عن:

١. **الانسجام الداخلي للقرآن = عدم الاختلاف**: فقد أشارت بعض الآيات أنّه لا يوجد اختلاف في هذا الكتاب الإلهي.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[٢]

الاختلاف العرفي، مثل العام والخاص، المطلق والمقيد.... التي توجد في أي متن.

فإذن، المقصود بعدم الاختلاف هو عدم التناقض والتضاد في آيات القرآن.

وعدم الاختلاف من ملازمات المتن الحكيم، وحكمة المتكلّم؛ لأنّ الحكيم لا ينطق بكلام متناقض ومتضاد، حيث إنّ عدم الانسجام في الحديث قبيح وخلاف الحكمة، وبما أنّ الصفات الإلهية جزء ذاته، فإنّ الله سبحانه لا يقوم بعمل خلاف الحكمة.

وفي النتيجة؛ فإنّ القرآن كلام متناسق ومنسجم بانسجام داخلي دون أي اختلاف.

وهذا الأمر يتّضح أكثر بمراجعة الآيات.

وإنّ الانسجام الداخلي للقرآن وعدم اختلافه، أمر مؤثر في تفسير الآيات، لأنّه المفسر اعتقد أنّ القرآن كلام حكيم ومنسجم دون اختلاف، وأن القرآن كلّه مترابط فيما بينه، وأنّ الآيات شاهد على بعضها البعض، وتفسّر بعضها البعض.

وفي الموارد التي يبرز فيها توهم تناقض بين الآيات فالمفسّر لا يتّهم المتن، بل يبحث عن طرق لرفع الاختلاف، أو يعيد النظر في فهمه وتفسيره للقرآن، لأنّ التفسير الذي يقضي التناقض الداخلي في القرآن يكون فاقد للاعتبار لأنه يخالف صفة حكمة المتن.

٢. **معقولية القرآن**: اتصاف القرآن بالحكمة يستلزم معقولية القرآن، لان الحكيم لا يتكلّم خلافاً للعقل، بل إنّ أفعال الحكيم قائمة على أساس العقل.

في القرآن الكريم لم تطلق صفة (العاقل) على الله سبحانه، ولم تطلق صفة (المعقول)

---

١. *لسان العرب* ١١، مادة حكم.

٢. النساء: ٨٢

على القرآن، لكن القرآن الكريم وفي موارد عدة قد رغّب الإنسان بالحكمة والتعقّل، ووبخ الأفراد غير المتعقلين.[١]

وأحياناً يذكر الله (سبحانه): أنّ الهدف من نزول القرآن هو التعقّل والتفكّر،[٢] وقد استخدم القرآن أحياناً الاستدلال العقلي لمعرفة الله (سبحانه وتعالى)[٣] ويطلب البرهان من المخالفين،[٤] وأحياناً يشير إلى حكمة وعلل أحكام الشريعة؛[٥] ليقبل الناس على فلسفة هذه الأحكام ويرغبون فيها أكثر.

إنّ معقولية القرآن لها تأثير في فهم وتفسير القرآن، فحينما نريد أن نستنبط نظام معرفة الكون والإنسان، والمجتمع، والنظام التربوي، والسياسي من القرآن الكريم، فلا يمكننا طرح نظام غير حكيم وغير معقول أو يضادّ العقل؛ لأنّ نظرة القرآن للعالم وللإنسان وللمجتمع والتاريخ هي نظرة حكيمة وفكرية،[٦] إذن، كلّ تفسير لآيات القرآن ضد العقل ستكون فاقداً؛ للاعتبار.

٤. هدفية وهداية القرآن:

في آيات عديدة أشار القرآن الكريم إلى أهدافه، وصرحَ بأنّ أهم هدف له هو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور،[٧] فكما قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٨]

وقد طرح القرآن أهدافاً أخرى تعدّ مقدّمة، كالبشارة، والإنذار، الشفاء، الرحمة، والعدل.[٩]

ويشير القرآن أيضاً إلى هدفية نظام الوجود، بأنّ قافلة الوجود من الله ابتدأت وتسير إلى هدفٍ وغاية.[١٠]

---

١. راجع: الأنبياء: ٦٧؛ الملك: ١٠؛ الانفال: ٢٢؛ المؤمنون: ٢٤٢.

٢. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢؛ البقرة: ٢٤٢.

٣. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ الأنبياء: ٢٢.

٤. راجع: الأنبياء: ٢٤؛ النمل: ٦٤؛ المؤمنون: ١١٧.

٥. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ البقرة: ١٧٩، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥. ﴿...مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...﴾ المائدة: ٦.

٦. راجع: يوسف: ١٠٩ـ ١١١؛ الحجّ ٤٦؛ المؤمنون ٨٠؛ آل عمران؛ ١٩٠، ١٩١؛ غافر: ٦٧.

٧. راجع: البقرة: ٢؛ الاعراف: ٢٠٣؛ يونس: ٥٧.

٨ إبراهيم: ١.

٩. راجع: الفرقان: ١؛ الحديد: ٢٥؛ يونس: ٥٧.

١٠. راجع: البقرة: ٤٦ و١٥٦.

الالتفات إلى هدفية وهداية القرآن أمر مؤثّر في فهم وتفسير القرآن؛ لأنه يضفي الهدفية على التفسير، أي أنّ المفسّر ينظر إلى جميع آيات القرآن بنظرة أنّ القرآن هادٍ وهادف.

ومثال ذلك، إشارات القرآن العلمية وأحكامه السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وكلّ هذه الأحكام والإشارات تفسّر في محور هداية الإنسان إلى الله، وبناء على هذا، فإنّ تفسير آيات القرآن الذي يتنافى مع هداية وأهداف القرآن سوف يسقط عن الاعتبار.

وبعض أهل الاختصاص عدّ المعطيات التالية من آثار هدى القرآن:

أ) القضايا المندرجة في القرآن الكريم يجب أن تكون ذات معنى، لأنّ القضايا القرآنية إذا لم تكن ذات معنى فلا يمكنها أن تمثّل دور الهداية.

ب) عدم قبول القرآن للخطأ، وهو منزّه عن الإغواء، لأنّ الهادي يجب أن يكون هو مهتدياً.

ج) أن يكون قابل للفهم.

د) حجيّة الدلالة القرآنية.

هـ) وضوح منهج المباحث غير التشريعية وغير العقائدية المذكورة في القرآن (بتعبير آخر، انكشاف علة وجهة طرح المباحث مثل: القصص، والتاريخ، والمعارف العلمية في الآيات.

و) جامعية وخلود تعاليم القرآن.

ز) ضرورة استخدام أصول وقواعد الحوار العقلي في فهم المتون، في تفسير القرآن، لأنّ المخاطب ومتعلّق الهداية الإلهية هم عقلاء.[1].

٥. انسجام تعاليم القرآن مع فطرة الإنسان.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]

القرآن الكريم أحياناً يعبّر عن نفسه بالذكر، والذكرى، والتذكرة،[3] وأحياناً يخاطب فطرة الإنسان ويطلب منها أن تكون الحَكَمْ[4] ويدعو إلى الإيمان الذي جبّه إلى قلب الإنسان،

---

١. *فلسفة الدين*: ١٠٠ـ ١٠١ بتصرّف.

٢. الروم: ٣٠.

٣. راجع: آل عمران: ٥١٩؛ الحجر: ٦٠؛ النحل: ٤٤؛ الأنبياء: ٥؛ طه: ٣٠.

٤. ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١٠؛ لقمان: ٢٥؛ الزمر: ٣٨.

وينهى عن الكفر والفسق والمعصية التي يبغضها الإنسان.[١]

إنّ انسجام معارف القرآن مع فطرة الإنسان نكتة مهمة ولها أثر في فهم وتفسير آيات القرآن، لأنّه من جانب يجب تفسير القرآن على ضوء ميولات الفطرة الإنسانية ـ لأنّه إذا فسّرت الآيات بشكل لا تنسجم والفطرة السليمة للإنسان فإنّ هذا التفسير سيفقد اعتباره العلمي، وهو دلالة على خطأ استنباط المفسّر ـ ومن جانب آخر فإنّ على المفسّر أن لا يخرج ويحيد عن دائرة الفطرة ويتّجه نحو القرآن بفكر لا يشوبه هوى النفس والتراكمات المذهبية والقومية، ويستقي معارف القرآن من معين الوحي الخالص.

٦. للقرآن مساحات فهم متعددة وبطون عدة.

وفقاً لما جاء في أحاديث عديدة نقلها الشيعة وأهل السنّة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، أنّ للقرآن ظاهر وباطن،[٢] فقد ذكرت بعض الأحاديث أنّ للقرآن سبعة بطون أو وجوه.[٣] ومن هذه الأحاديث وأدلة أخرى التي أوردت على وجود بطون للقرآن[٤]، يستفاد منها أنّ للقرآن مستويات ومراتب في الفهم، وأنّه يمكن للشخص أن يصل مرتبة أو عدة مراتب من الفهم.[٥]

لا ينحصر القرآن في وجه واحد، بل إن ظاهر القرآن هو حجّة وفقاً لمبنى العقلاء وهذا الموضوع أيضاً مؤثر في فهم وتفسير القرآن، لأنّ نظرة المفسّر إلى آيات القرآن لها بعدين، ولا يتوقّف عند ظواهر القرآن فقط، بل إنّه يسعى دائماً لفهم ظاهر وباطن القرآن، وهناك اختلاف كبير ما بين التفسير الذي يتوقف عند ظواهر القرآن وبين التفسير الذي يشمل ظاهر وباطن القرآن، إنّ باطن القرآن يكشف للمفسّر معارف ونكات جديدة، فعلى سبيل المثال القصص القرآنية حينما نفسّرها وفق نظرة ظاهرية نراه قصصاً تاريخية فحسب.

أما إذا فسّرت بنظرة باطنية، فستكون قواعد كلّية قابلة للتطبيق على عدة مصاديق جديدة على

---

١. ﴿وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ الحجرات: ٧.

٢. راجع: بحار الأنوار: ٩/٩٢، و٨٩ باب أنّ للقرآن ظهراً وبطناً وتفسير البرهان.

٣. *تفسير الصافي*: المقدّمة (عن الصادق عليه السلام إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه إلى سبعة أبطن).

٤. راجع: مبحث بطن القرآن، في هذا الكتاب.

٥. راجع: هذا الكتاب.

مرِّ الأزمنة،[1] فبعض أصحاب التخصص قد بلغ اهتمامه بموضوع البطون لحدّ أنّه قال: «أنّ حمل اللفظ على المعنى الظاهري لا يعدّ تفسيراً، بل التفسير هو بيان المعنى الباطني غير الظاهري للقرآن»[2]

كتب أحد المعاصرين حول هذا الحديث: «يحتمل أن يكون المراد من الفهم: النور والبصيرة التي يتفضّل بها الله تعالى على عبده إن راعى جهات التقوى، فيتمكّن بواسطته من إدراك تلك الحقائق والأسرار المخفية واستخراجها من محيط المعارف القرآنية».[3]

٧. حجيّة ظواهر القرآن

من الركائز المهمة جداً في فهم القرآن الكريم وتفسيره هو: حجية ظواهره، وأهم دليل أقيم على ذلك هو: بناء العقلاء؛ لأنّ العقلاء جرت عادتهم في محاوراتهم ومكاتباتهم على الاعتماد على ظاهر كلام المتكلّم في تعيين مراده ومقصوده، ويستدلون به، ولم يصدر من الشارع ردع ومنع عن تلك السيرة، كما لم يأت بطريقة جديدة بدلاً عنها.[4]

إذن، فالشارع، أمضى هذه السيرة وأقرّها، وهي حجة في فهم القرآن وتفسيره، وقد نُسب إلى بعض الأخباريين المناقشة في حجيّة ظواهر القرآن الكريم، وطرح هذا البحث في علم أصول الفقه[5] بشكل مفصّل حيث ذكرت أدلة الأخباريين والردود عليها هناك. وسنتناول هذا الموضوع في مبحث (جواز فهم القرآن وتفسيره).

ومن الواضح جداً تأثير القول بحجية ظواهر القرآن، والقول بعدم حجيتها في فهم جزء عظيم من الآيات وفي تفسيرها، بحيث إن عدم القول بحجيتها سيسوق التفسير نحو التفسير الروائي المحض.

وطبقا لهذا المبنى لا يمكن الاستفادة من ظاهر القرآن دون الرجوع إلى الأحاديث الواردة في ذلك، وعلى هذا الأساس اتخذت بعض التفاسير هذا النحو من التفسير، مثل: *تفسير البرهان* للمحدث البحراني، و*نور الثقلين* للحويزي.

أما إذا كان المفسّر يعتقد بحجية الظواهر، فإنّه لا يقتصر في تفسيره على القرائن النقلية

---

١. راجع نفس الكتاب.

٢. راجع: *البيان*: ٢٦٧ـ ٢٦٨؛ *شناخت قرآن*: ٢٩٨.

٣. *آداب وشرايط تفسير ومفسران* : ١٧٩ ـ ١٨٠.

٤. .راجع: *كفاية الأصول مبحث حجية الظواهر*: ٣ / ٤٠٥؛ *وفرائد الأصول، للشيخ الأنصاري*: ١ / ١٤٠ وما بعدها.

٥. راجع: *كفاية الأصول*، وفرائد الأصول.

(ظواهر الآيات والروايات) وحسب، بل سيلجأ إلى القرائن العقلية أيضا بغية التوصل إلى فهم الآيات، ويشرع بالتفسير الاجتهادي، وبالخصوص في تلك الموارد التي لا توجد فيها رواية، فإنه لا يقف عندها بل يقدم على تفسير ظاهر الآية بناء على حجية الظواهر.

٨. إمكان فهم وتفسير القرآن وجوازهما

من الأسس المهمّة والأصول الموضوعة في تفسير القرآن إمكان فهم القرآن وجوازه؛ لأنّ عدم قبول ذلك يعني عدم إمكان تفسير القرآن أو عدم مشروعيته، لذا تطلّب هذا الأمر البحث والدراسة وإقامة الدليل، ومن هنا نجد الكثير قد تناولوا هذا البحث في كتبهم، فمن المفسرين الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في مقدمة *التبيان*، والطبرسي(ت ٥٤٨هـ) في مقدمة *مجمع البيان*، ومن علماء الأصول الآخوند الخراساني في *كفاية الأصول*، والشيخ الأنصاري في *فرائد الأصول*، والشهيد الصدر *في الحلقات*، وهكذا من الأخباريين محمد أمين الاسترآبادي في *الفوائد المدنية*، وبعض المعاصرين أمثال: الدكتور شاكر *في مباني وروشهاي تفسيري* ـ أُصول ومناهج التفسير، وبابائي وآخرون في *منهج تفسير القرآن*، وغيرهم.

أ) بيان الاصطلاحات

١. معنى الفهم أو التفسير: تعني مفردة (الفهم)، بحسب تعبير الراغب الأصفهاني: هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن.[١] وفي القرآن: هي إدراك معنى ومفاد الآيات ومراد الحق تعالى منها وتفسيرها، وبيان معانيها ومقاصدها.[٢]

بالطبع أنّ مادة (فهم) أعم من (تفسير) لأنّ فهم الآيات ممكن دون تفسيرها، بيد أن تفسيرها من دون فهما غير ممكن.

٢. معني الإمكان: (الإمكان) لغة: هو القدرة على عمل ما، نَيل الشيئ، السهولة، التيسير، الاحتمال، القدرة، وغيرها.[٣]

والمقصود منه هنا: القدرة على إدراك وبيان معنى الآيات ومراد الحق تعالى منها.

---

١. *مفردات غريب القرآن*: ٣٨٦.

٢. راجع: مبحث التفسير من هذا الكتاب.

٣. *فرهنك معين*، محمد معين، مادة (إمكان).

٣. **معنى الجواز:** كلمة (الجواز) في اللغة تعني عدم المنع، الإذن، السماح، الإجازة، وغيرها.[١]

والجواز على قسمين: جواز تكليفي (كالإباحة، الوجوب، الحرمة)، وجواز وضعي بمعنى (الإمكان) الذي يطابق مفهوم (الإمكان).

كما أن الجواز الوضعي قد يأتي أحيانا بمعنى الكاشف، والمظهر للواقع، أو المعتبر، كما عبر عنه.[٢]

مسائل البحث ومحاوره:

بعد ملاحظة المفاهيم والمسائل المطروحة تحت عنوان (إمكان فهم وتفسير القرآن وجوازه) تبرز المحاور والتساؤلات أدناه:

١. هل فهم القرآن وتفسيره ممكن للإنسان ؟ (الإمكان هنا يساوي الجواز الوضعي).

٢. هل فهم القرآن الكريم وتفسيرة ممكن لغير اهل البيت عليهم السلام ؟ (الإمكان يساوي الجواز الوضعي).

٣. هل تفسير القرآن جائز شرعاً ؟ (الجواز التكليفي).

٤. هل تفسير القرآن كاشف عن الواقع ؟

٥. هل تفسير القرآن حجّة على المفسّر وغيره ؟

فنشرع بالجواب على الأسئلة الثلاث الأولى، وأما السؤال الرابع فلأنه يشير إلى أحد الأصول الموضوعة فإننا سنفرد له بحثا مستقلاً فيما يأتي.

أما السؤال الخامس، فقد تمت مناقشته في مبحث مصادر التفسير، واتضح هناك أن اجتهاد المفسّر إذا كان قائماً على أسس وضوابط، فإنه سيكون معتبراً بالنسبة له وحجّة عليه دون غيره، ولذا لا يجوز تقليد المفسّرين.

ب) إمكان التفسير: سنبحث هنا ثلاثة مطالب رئيسية:

---

١. المصدر.

٢. لقد استخدم هذا المعنى كثيراً في الكتب الفقهية فإذا عبّروا: أنّ بيع وشراء النجس غير جائز، قصدوا به الجواز الوضعي، فيعني أنّه غير صحيح وغير معتبر ولا ينقل الملكية.

الأول: أدلة إمكان فهم القرآن وتفسيره للبشر.

ما يطرح في هذا المقام هو إمكان فهم القرآن في الجملة أي: أن البحث يشمل من هو أعم من المعصوم وغير المعصوم، ويشمل والظاهر والباطن، والتأويل والتفسير.

١. العقل

القرآن الكريم كتاب أنزل من الله تعالى لهداية البشر، وفهمه وإدراكه وتفسيره مقدمة لهداية الناس، فعدم تمكّن الإنسان من فهم القرآن يستلزم الإشكالات التالية:

أولاً: خلاف الحكمة: لأنّ الشخص الحكيم إذا أرسل كتاباً لهداية الناس وهم عاجزون عن فهمه سيكون عمله هذا خلاف حكمته، والله تعالى حكيم لا يصدر منه ما يخالف الحكمة.

ثانيا: بما أنّ العمل بالقرآن هو معيار الثواب والعقاب، ولا يمكن تكليف الناس بأمور لا يمكنهم فهمها ويعاقبون عند مخالفتهم لها؛ لأنّ ذلك من باب العقاب بلا البيان، وهو قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح.

٢. القرآن

حيث جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تدعو الإنسان إلى التدبّر والتفكّر والتعقّل بالآيات القرآنية القرآن، فلو كان القرآن غير قابل للفهم لصارت هذه الدعوات لغو، واللغو خلاف الحكمة لا يصدر من الله الحكيم.

مثال: قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[١]

وقوله تعالى:

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾.[٢]

وقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.[٣]

وأيضا هناك آيات التحدي التي وردت في القرآن (البقرة /٢٣، و....) هي الأخرى تدل

---

١. يوسف: ٢.

٢. النساء: ٨٢

٣. ص: ٢٩.

على إمكان فهم القرآن، ولو لم يكن القرآن قابلاً للفهم، فلا معنى للتحدي والمواجهة، ويصبح ذلك غير معقول.

٣. السنة

فقد وصلتنا أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وأهل بيته ؑ تحثّ المسلمين على فهم القرآن والعمل به، كما قد استدل اهل البيت ؑ في الأحاديث الواردة عنهم بآيات قرآنية وبينوا طرق الاستدلال.

فيستفاد من تلك الأحاديث أن فهم القرآن الكريم وتفسيره ممكن بالنسبة للإنسان.

مثال: عن النبي ﷺ:

فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه... هو الدليل، يدلّ على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان... .[١]

عن علي أمير المؤمنين ؑ:

تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب.[٢]

٤. السيرة

لقد اهتم المسلمون بفهم القرآن وتفسيره منذ صدر الإسلام وإلى اليوم، فكان النبي ﷺ أوّل مفسّر للقرآن (بحسب الآية ٤٤ من سورة النحل)، فقد نُقل عنه ﷺ وعن أهل بيته ؑ روايات تفسيرية عديدة.[٣]

وبهذا المضمار كتب مفسّرو الشيعة والسنة مئات التفاسير والتي كان الكثير منها تفاسير اجتهادية.

هذه السيرة المستمرة منذ زمان النبي إلى الآن خير دليل على إمكان بل جواز التفسير تكليفاً، حيث لم يرد ردع عنها من قبل الشارع[٤] إذ إن أهم دليل على إمكان الشيء وقوعه.

أدلة عدم إمكان فهم القران وتفسيره بالنسبة لعامة الناس:

ذكرت في هذا الصدد مجموعة من الأدلة من بينها:

١. إن عظمة القرآن الكريم ومنزلته الرفيعة لا يمكن بلوغها بقدرة علمية بسيطة لغير المعصوم:

---

١. *أصول الكافي*: ٢ / ٥٧٣ كتاب فضل القرآن.

٢. *نهج البلاغة*: خطبة: ١٠٩؛ للاطلاع اكثر راجع: نهج البلاغة، رسالة ٤٢،والخطب ٩٠، ١٣٣، ١٤٧، ١٥٥، ١٧٥.

٣. راجع: التفاسير الروائية عند الفريقين، مثل: *البرهان في تفسير القرآن*؛ *نور الثقلين*؛ *الصافي*؛ *الدر المنثور* و....

٤. قد يتوهم المنع من بعض الأحاديث وسنبحثهما فيما يأتي.

فالقرآن الكريم كلام الحق تعالى وتجلي ذاته وصفاته، ولا شك في لا بدية وجود تناسب وسنخية بين الكتاب الكريم وشخص المفسّر، وهذا غير متحقق في مقامنا لعلو مقام القرآن ومرتبته، والقدرة المحدودة للناس العاديين حيث لا تناسب ولا سنخية تذكر.[١]

٢. تفسير القرآن أبعد شيئ من عقول الرجال:

بعض الأحاديث تدل على هذا الأمر منها:

عن رسول الله:

إنه ليس شيء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن... وفي ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلّا من شاء الله. ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٢] فأمّا غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا.[٣]

ونقل عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ما يشبه صدر هذا الحديث.[٤]

وعن الباقر عليه السلام: «يا جابر، إن للقرآن بطناً وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر، ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية يكون أوّلها في شيءٍ وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل متصرّف على وجوه».[٥]

وحكي عن الإمام الصادق عليه السلام مثل هذه الرواية.[٦]

المناقشة

لا خلاف في عظمة القرآن و وصعوبة معارفه، ولكن هذا لا يلازم عدم قابلية فهمه من قبل الناس أي أن القرآن على علو عظمة و شموخ معارفه بالنسبة للبشر، لكنّه (عند ملاحظة اختلاف المستويات العلمية) قابل للفهم.

وهذا أمر وجداني، وتشهد له سيرة مفسري القرآن على طول التاريخ، وما ذكرنا فيما مضى من أدلة على إمكان فهم القرآن وتفسيره من الآيات والروايات والعقل.

---

١. راجع: *كفاية الأصول*: الاخوند الخراساني: ٢ / ٦٠؛ ودروس *في علم الاصول*، الحلقة الثانية، الشهيد الصدر: ٢٢٣؛ وروش شناسي *تفسير* (منهج تفسير القرآن): ٤٢.

٢. النساء: ٨٣

٣. *وسائل الشيعة*: ١٨ / ١٤١، ح٣٨، باب ١٣.

٤. *وسائل الشيعة*: ١٨ / ١٤٩ ـ ١٥٠، ح٦٩و ٧٣؛ *وأصول الكافي*: ١، ح٦ من كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة؛ *والمحاسن*: ٢٦٧؛ *وتفسير العياشي*: ١ / ٢٩.

٥. *المصدر*: ١٤٢ / ح٤١.

٦. المصدر: ١٥٠ ح ٧٤؛ والعياشي: ١ / ٢٢.

٢. الأحاديث المتقدّمة التي استدل بها غير معتبرة من حيث السند؛ لأنها مرسلة أو ضعيفة.[١] وغير تامة، كذلك هي غير معبرة من حيث الدلالة؛ لعدم دلالتها على عدم قابلية فهم ظاهر جميع الآيات القرآنية، بل يكشف ذيل بعض الروايات (بالخصوص التي تشير إلى باطن القرآن) إلى أن المقصود هو عدم التوصل إلى كل المعارف القرآنية، الأعم من ظاهر الآيات وباطنها، وهو غير ممكن لكلّ فرد فرد، وذلك لاختلاف الأفراد في مستوياتهم العلمية.

نعم، إنّ بُعد تفسير القرآن عن عقول الناس إن كان بمعنى صعوبة فهمه فلا بأس به، لا بمعنى عدم قابلية فهمه.

الثاني: مناقشة حصر فهم القرآن وتفسيره باهل البيت عليهم السلام خاصة

إن درجات فهم القرآن والاستفادة منه وتفسيره ليست بدرجة واحدة بالنسبة للجميع، فمما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته يمتلكون أعلى وأكمل درجات الفهم والتفسير، ولكن من خلال الأدلة التي سيقت للدلالة على إمكان تفسير القرآن، يتّضح أنّ الدليل الثاني والثالث والرابع، إنّما يدل على إمكان تفسير القرآن لجميع الناس؛ لأن التدبّر في القرآن والسيرة القائمة على فهم القرآن وتفسيره على طول التاريخ، ما كانا منحصريّن باهل البيت وليسا كذلك.[٢]

وبناء على هذا، فالأصل الأولي هو عدم انحصار فهم القرآن وتفسيره باهل البيت عليهم السلام إلا إذا أقيم دليل على ذلك.

سابقة البحث:

يستفاد من ظاهر كلمات بعض المحدّثين والمفسرين، أن تفسير القرآن إن خلا من أحاديث اهل البيت عليهم السلام لا سوف لن يكون حجّة، ومن هنا نسب بعض المحققين للأخباريين القول بعدم جواز الاستنباط والأخذ من القرآن وأحكامه بشكل مطلق أو عدم جواز استنباط أحكام الدين النظرية من ظواهر القرآن من دون الاعتماد على أحاديث المعصومين و بيانهم لها.[٣]

---

١. جميع الروايات مرسلة إلا الثانية فإنها مسندة، ومع ذلك فان في سندها (شريس الوابشي) الذي لم يوثّق، وصرّح أصحاب كتاب *منهج تفسير القرآن* في ص٢٩ إلى ضعف السند هذا.

٢. الدليل العقلي (الحكمة الإلهية) قد يدل على انحصار التفسير باهل البيت عليهم السلام؛ لأن الحكيم يمكنه أن ينزل كتابه على أن يكون له مفسّر خاص، والناس ملزمون بالاستفادة من كليهما معا، ولابدّ من الإشارة إلى أن نفس الدليل الأول لا يدل على الانحصار ما لم يقم دليل على ذلك.

٣. راجع: *روش شناسي تفسير قران* : ٤٢.

فذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في مقدمة *التبيان*: اعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجّة كقول النبي ﷺ، وأن القول فيه بالرأي لا يجوز.[١]

نفس هذا الكلام كرره الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في مقدمة مجمع *البيان* مع إضافة كلمة (نص صريح) للأثر الصحيح.

وكتب أمين الاسترابادي (ت ١٠٣٣هـ) كذلك: (في بيان انحصار مدرك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية أصلية كانت أو فرعية في السماع عن الصادقين عليهم السلام).[٢]

وأما الشيخ الحر العاملي فكتب: في (باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلّا بعد معرفة تفسيره من كلام الأئمة عليهم السلام).[٣و٤]

بالنسبة لكلام الشيخ الطوسي والطبرسي فيجب القول: إذا كان مقصودهما من جواز التفسير هو إمكانه، يتّضح عند التدقيق في كلامهما أنّهما يخالفان التفسير بالرأي، وهو أن يقوم الإنسان بتفسير القرآن دون اعتناء بالقرائن النقلية الموجودة في الأحاديث، وليس قصدهما انحصار فهم القرآن وتفسيره بأحاديث المعصومين عليهم السلام، ولذا أشاروا في ذيل كلامهم هذا إلى اعتبار العقل والإجماع في التفسير.[٥]

وكلام الاستر آبادي، والشيخ الحر العاملي مرتبط بآيات الأحكام لا جميع آيات القرآن، حيث لا يصحّ الاكتفاء بظاهر الآيات في خصوص آيات الأحكام للاستنباط دون التوجه إلى القرائن النقلية المذكورة في الأحاديث، لورود الكثير من المقيدات والمخصصات في السنة. وهذا الكلام صحيح تماماً ولا يعني نفي حجية ظواهر القرآن أو نفي فهم غير المعصوم للقرآن وتفسيره.

---

١. *تفسير التبيان*، الطوسي: ١ / ٤.

٢. *الفوائد المدنية*، محمد أمين الاسترابادي: ١٤٨.

٣. *وسائل الشيعة*: ١٨ / ١٢٩، باب ١٣، من أبواب صفات القاضي.

٤. قال الراغب الأصفهاني في مقدمة *جامع التفسير*: ٩٣ مثل ذلك ما نصّه: (اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكلّ ذي علم الخوض فيه، فبعض تشدّد في ذلك وقال لا يجوز... وإنما أن ينتهي إلى ما روي له عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة...).

٥. بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة أما العقلية أو الشرعية، من إجماع عليه، أو نقل متواتر به عمن يجب اتباع قوله. [*تفسير التبيان*: ١ / ٤].

أدلة الانحصار:

ذكرت مجموعة من الأدلة على انحصار فهم القرآن وتفسيره باهل البيت عليهم السلام من جملتها:

١. القرآن

أ)قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: الواقعة: / ٧٧ ـ ٧٩.

والضمير في (لا يمسّه) يرجع إلى القرآن والمقصود من (المطهرون) بقرينة الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، هم اهل البيت عليهم السلام المعصومون عن كل ذنب ورذيلة، والمس بمعنى: درك معاني القرآن.

فبناء على هذا سيكون فهم معاني القرآن ومعارفه منحصر بالمعصومين عليهم السلام.

ب) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧.

يتمّ الاستدلال بناء على أنّ المراد بالراسخين في العلم، هم المعصومين عليهم السلام والمقصود بالتأويل: تفسير القرآن، والضمير الذي فيه (تأويله) يعود إلى جميع القرآن، أو الآيات المتشابهة المحتاجة للتفسير، وعندها سيكون تفسير الآية منحصر بالمعصومين عليهم السلام

٢. السنّة

أ) عن الإمام الباقر عليه السلام:

ويحك يا قتادة، إنّما يَعرف القرآن من خوطب به.[١]

وعن الصادق عليه السلام قال:

«يا أبا حنيفة، تعرف كتاب الله حقّ معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا حنيفة، لقد ادعيت علماً، ويلك! ما جعل الله ذلك إلّا عند أهل الكتاب الذي: أُنزله عليهم».

ب) جاء في روايات عديدة:

«ما يستطيع احد إن يدعي عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء».[٢]

٣. يشتمل القرآن على مضامين عالية وصعبة وعلوم رفيعة لا يمكن أن تبلغها أذهان الناس

---

١. *روضة الكافي*، ح٤٨٥؛ *وسائل الشيعة*: ١٨ / ١٣٦؛ وتفسير الصافي: ١ / ٢٠.

٢. راجع: *أصول الكافي*، كتاب الحجة، باب انه لم يجمع القرآن كله إلا الائمة، ج٤؛ *بحار الأنوار*: ٩٢ / ٨٩، ح ٣٢، و... *ووسائل الشيعة*: ١٨ / ١٣٤، باب ١٣ من ابواب صفات القاضي، *وتفسير الصافي*: ١ / ٣٢.

العادين، فلا يمكن فهمها وتفسيرها إلا للمعصومين الذين تربعوا على قمة العلم والتقوى.[١]

٤. لدينا علم إجمالي بأن بعض الآيات القرآنية قد خصصت أو قيدت بواسطة روايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهذا العلم الإجمالي يمنع من التمسك بظواهر القرآن دون الرجوع إلى أحاديثهم عليهم السلام.[٢]

المناقشة

١. الدليل القرآني: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة: ٧٧ ــ ٧٩، قائم على مجموعة مدعيات غير قطعية:

الأوّل: من الممكن أن يعود الضمير في كلمة (لا يمسه) إلى الكتاب المكنون، أو حقيقة القرآن في اللوح المحفوظ.[٣]

الثاني: قد يكون المقصود من (المطهرون) أي المتطهرون بالغسل أو الوضوء يعني لا يلمس الأشخاص غير المتطهرين القرآن.[٤]

الثالث: إن المقصود من كلمة (مس) اللمس والتماس ولم تستخدم بمعنى الفهم والإدراك،[٥] وإن كان من الممكن بلوغ حقيقة القرآن في اللوح المحفوظ بواسطة العلم الحضوري وعدّه من مصاديق المس.[٦]

مضافا إلى ذلك فقد جاء في الروايات الواردة في ذيل هذه الآية عدم جواز لمس كتابة القرآن ومسها بالبدن أو عدم وصول غير الطاهرين لكتاب علي عليه السلام، أو عدم التوصل إلى كل معارف القرآن، ولم يرد في ضمنها عدم فهم القرآن وتفسيره.[٧]

وبناء على ما تقدم فإن الآية الشريفة ليست فيها دلالة قطعية على انحصار فهم القرآن وتفسيره بالمعصومين عليهم السلام.

---

١. راجع: *كفاية الأصول*: ٣ / ٤٠٥؛ *فرائد الاصول*، الشيخ الانصاري: ١ / ١٤٠.

٢. المصدرين.

٣. راجع: *الميزان*: ١٩ / ١٣٧؛ *وزبدة البيان*، المقدس الاردبيلي: ٢٩.

٤.راجع: *بحار الأنوار*: ٣٣ / ٢٧، وج٤٨؛ ٢٢ و ج٥٧/ ٣٧٤، وج ٨٠ / ٢٥٦ وص٣٠٩؛ ج٩٢ / ٤٢؛ *وتهذيب الأحكام*: ١/ ١٢٧؛ *والاستبصار*: ١ / ١١٣؛ *ونور الثقلين*: ١ / ٣١٥ و ٣١٦ـ ٣١٧.

٥. انظر: *العين*؛ *لسان العرب*؛ *المصباح المنير*؛ *مقاييس اللغة*؛ مفردات الراغب.

٦. ارتضى العلامة الطباطبائي رحمه الله هذا المعنى في *الميزان*: ١٩ / ١٣٧.

٧.راجع: *بحار الأنوار*: ٣٣ / ٢٧، وج٤٨ / ٢٢، ج٥٧، / ٣٧٤، ج ٨٠ / ٢٥٦ و ٣٠٩ و ج٩٢ / ٤٢؛ *وتهذيب الأحكام*: ١ / ١٢٧، *والاستبصار*: ١ / ١١٣، *ونور الثقلين*: ١ / ٣١٥، و ٣١٦ و ٣١٧.

٢. الدليل القرآني: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧، قائم كذلك على مدعيات غير قطعية:

الأول: إن المقصود من التأويل في هذه الآية هو التفسير، وقد تقدم فيما سبق إن النسبة بين التأويل والتفسير، هي العموم والخصوص من وجه.

الثاني: إن الراسخين في العلم هم المعصومين فقط؛ هذا أيضا غير ثابت بل قد يقال: إن الأئمة عليهم السلام هم المصداق الكامل للراسخين في العلم، ويشمل هذا العنوان كذلك العلماء المدققين.[١]

وبناء على هذا فإن هذه الآية أيضا لا تدل على انحصار فهم القرآن وتفسيره بالمعصومين.

٣. الأدلة الروائية المذكورة على فرض صحة سندها[٢] ليست تامة الدلالة على انحصار فهم القرآن وتفسيره بالمعصومين عليهم السلام لأمور:

أولا: إن هذه الروايات كانت في وقائع خاصة، فكانت في مقابل فقيه البصرة (قتادة) وفقيه أهل العراق (أبو حنيفة).

باعتبارهما يدعيان العلم بالقرآن جزافاً دون الالتفات للقرائن النقلية (أحاديث أهل البيت عليهم السلام) فوقعوا في الإشكال، ولذا هكذا أحاديث تكون ناظرة لهكذا أفراد ومن شابههم لا للأفراد الذين يفسرون القرآن بعد الرجوع إلى القرائن العقلية والنقلية والعلمية.

ثانيا: إن هذه الروايات فيها إشارة إلى معرفة ظاهر القرآن وباطنه وفهمه بشكل كامل (حق معرفته) والعرفان به (يعرف القرآن)، وهي أعلى مراتب فهم القرآن، وبالتالي فهي لا تنفي المعرفة الاعتيادية والتفسير الظاهري للقرآن عن غير المعصوم.

ثالثا: الأدلة التي سيقت لإثبات إمكان فهم القرآن من قبل عامة الناس في بحث (إمكان الفهم) وبالخصوص أحاديث اهل البيت عليهم السلام ، وهكذا بعض أحاديثهم عليهم السلام التي بيّنت طريقة الاستدلال بالقرآن والاستنباط منه،[٣] لها ظهور قوي يعارض هذه الرواية، فيتحتم والحال هذه جمع هذه الروايات وحل تعارضها، بأن يكون المقصود من المجموعة الأولى من الروايات

---

١. في هذا المورد في ذيل مبحث التأويل (العلم بالتأويل) سنبين مجموعة من المطالب.

٢. في خصوص سند رواية (إنما يعرف القرآن من خوطب به) هناك اختلاف جدّي بين الآراء (انظر: مجلة بيّنات، العدد ٢٢. ٢٣، مقالة رواية (إنّما يعرف القرآن)؛ ومجلة مقالات وبررسي ها ـ مقالات ودراسات: ـ العدد ٧٤، ١٣٨٢ ش؛ مقالة، معصومان وفهم ويزة آنان از قران ـ المعصومون وفهمهم الخاص للقرآن ـ دكتر مؤدب.

٣. قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري فجعلت على إصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء. قال: «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّوجل ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ امسح عليه». [فروع الكافي:٣ / ٣٣].

جواز فهم وتفسير المراتب والدرجات الدانية من القرآن، والمقصود من المجموعة الثانية فهم المراتب والدرجات العالية (أعم من الظاهر والباطن وحقيقة القرآن).

٤. بالنسبة لمضامين القرآن العالية والمعقّدة فقد ذكر الجواب اللازم في ذيل مبحث إمكان فهم القرآن وتفسيره، من أن ذلك لا يمنع من فهم القرآن وتفسيره، بل يمكن القول: إن اهل البيت عليهم السلام باعتبارهم أعلم الناس فسيمتلكون أعمق وأدق وأفضل فهم وتفسير للقرآن.

٥. العلم الإجمالي بتخصيص وتقييد الآيات من خلال أحاديث اهل البيت عليهم السلام أمر صحيح، لكنه لا يمنع من فهم القرآن وتفسيره لأنّه:

أولا: لأنه سيتم تفسير الآيات بعد الرجوع إلى القرائن النقلية.

ثانيا: لم يرد في كثير من آيات القرآن أي حديث، وسنكون عندها مضطرين للاكتفاء بالتفسير الاجتهادي؛ لأن ظواهر القرآن حجة على أساس السيرة العقلائية.[١]

ج) الجواز التكليفي لتفسير القرآن

يمكن أن نتصور للعمل التفسيري ثلاث صور، لكلّ واحد منها حكم تكليفي خاص بها.

الأولى: إذا توقف فهم العقائد الصحيحة والوقوف بوجه الانحرافات أو استخراج الأحكام الإلهية على تفسير القرآن، والمفسّر يتمتع بالشروط اللازمة.[٢]

في هذه الصورة سيكون التفسير واجب كفائي؛ لأنه صار مقدمة لأمر واجب،

الثانية: إذا كان المفسّر يتمتع بالشروط اللازمة، ولكن تفسير القرآن لم يكن مقدمة لأمر واجب، كتفسير بعض المطالب الأخلاقية أو القصص وأمثالها.

في هذه الصورة سيكون التفسير جائز (مباح)، أما إذا كان لأجل الحصول على فهم أفضل للقرآن فسيكون مطلوبا ومستحبا تطبيقا للآيات الآمرة بالتدبر والتفكر في القرآن.[٣]

الثالثة: إن يكون المفسر غير متصف بالشروط اللازمة أو أنه لا يراعي ضوابط التفسير المعتبرة.[٤]

ففي هذه الصورة سينتهي تفسير القرآن بالتفسير بالرأي الذي نصت الروايات على حرمته.[٥]

---

١. حجية ظواهر القرآن أحد الأسس والأصول الموضوعة في التفسير والتي تبحث عادة في علم أصول الفقه.

٢. راجع: مبحث شروط المفسر من هذا الكتاب.

٣. راجع: يوسف: ٢؛ النساء: ٨٢ و ٢٩ و... .

٤. راجع: ضوابط التفسير المعتبر من هذا الكتاب.

٥. راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق:١١٦/١؛ *وبحار الأنوار*:١٠٧/٨٩؛ ومقدّمة *تفسير البرهان*: ١٦؛ *وسنن الترمذي*:٥ /١٩٩ و... .

٩. انسجام البناء القرآني (الترتيب الإلهي والمنطقي للمفردات والآيات)

يتكون القرآن الكريم من مفردات وجمل تدعى بـ(الآية)، وعندما تصطف عدة آيات في مجموعة واحدة تبدأ ب (بسم الله الرحمن الرحيم) وتختم ب (بسم الله الرحمن الرحيم) آخرى، تسمى سورة، عدا سورة براءة الخالية من البسملة.

نظام القرآن وهيكليته هذه قابل للبحث والتأمل من عدة جهات:

أ) الانسجام بين المفردات

عند وضع المفردات إلى جانب بعضها البعض تتكون الجمل، إذ يعتبر الربط بين المفردات أمر ضروري ليكون للجمل معنى تدل عليه، فلا تخلو النصوص عادة من وجود ارتباط بين مفرداتها، فلا تجد كلمة في القرآن دون معنى، حتى في خصوص الحروف المقطعة حيث ذكرت عدة احتمالات في دلالتها.[١]

وعلى هذا فإن مفردات القرآن تتمتع بالانسجام المعنوي والقولي.

ب) الانسجام بين الجمل والآيات

إن كلّ نصٍ يتكوّن من عدة جمل بحيث يتوقف فهم معناه عليها وعلى الارتباط القائم بينها، وإن جاءت فيه أحيانا بعض الجمل المعترضة ولكن الأصل الأولي الحاكم على كل النصوص هو وجود الترابط والانسجام بين جمله.

ويحكى بخصوص القرآن الكريم، أن النبيﷺ كان يشخّص مواضع الآيات في القرآن،[٢] وهو ما قد استلهمه من الوحي الإلهي طبعاً.

هذا كله من جانب، ومن جانب آخر هناك فقرات وآيات تشكّل مع بعضها سورة كاملة وكل سورة من سوره معجزة، وهذا يعني توقف إعجاز القرآن ومعاني جمله على ارتباط الفقرات والآيات مع بعضها.

---

١. جاء في بعض الأحاديث: أن هذه الحروف تشير إلى أسماء أو وقائع خاصة،
راجع: *تفسير الميزان، الامثل* وفي ذيل الآية الاولى من سورة البقرة.

٢. راجع: الإتقان، السيوطي:١/١٠٤و ١٩٩؛ والبرهان:١/٢٣٧؛ وبزوهشي در تاريخ قران كريم ـ تحقيق في تاريخ القرآن الكريم ـ الدكتور السيد محمد باقر الحجتي/٦٦، والتمهيد في علوم القرآن، معرفة:١/٢٧٦.

وقد أشار المحققون إلى لزوم الانسجام الهيكلي في القرآن بينه وبين مجموع آياته.[١]
وإن أشار بعضهم إلى عدم لزوم الارتباط بين الآيات.

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك آيات جاءت في القرآن الكريم كجمل معترضة مثل آية إكمال الدين في سورة [المائدة: ٣،] وآية التطهير [الأحزاب: ٣٣]، ولكن هذا لا يمنع ولا يخدش في حكومة الأصل العام المتقدم القائل: بلزوم وجود الارتباط والاتصال والانسجام الهيكلي في القرآن.

ملاحظة: قد يطرح هذا المطلب (الترابط والنظم بين الجمل والآيات) بصورة أخرى تحت عنوان محاور وأهداف السورة والتي تبحث كقاعدة مستقلة.

ج) الترابط بين سور القرآن

هناك رأيان في خصوص ترتيب سور القرآن وتنظيمها فيما بينها:

الأول: أنه تمّ ترتيب السور وجمعها في مصحف في عصر النبيﷺ بأمره أو بإشرافه.[٢]

الثاني: أنه تم ترتيب السور وجمعها في مصحف في عصر عثمان،[٣] وبناء على القول الثاني لا يكون وجود الانسجام والاتصال بين السور لازماً؛ لأن ترتيبها هذا لم يكن من قبل الوحي.

كما أن بعض المفسرين كالطبرسي في *مجمع البيان*، سعى أن يوجد ارتباطاً بين نهاية كلّ سورة مع بداية السورة التي بعدها، ولكن لم يصل إلى نتيجة وسار أكثر المفسرين على هذه الطريقة.

أما بناء على الرأي الآخر فان ترتيب الآيات وانسجامها مع بعض، وكان على أساس حكمة خاصة، إذ لا شك في وجود الاتصال والانسجام الهيكلي (النظم) بين سور القرآن، بدأ بصياغة مفرداتها في عبارات، والجمل في آياتها، والآيات في السور.

والالتفات إلى هذا النظم والانسجام الهيكلي ذو تأثير هام في فهم القرآن وتفسيره؛ لأن معنى جمل القرآن يتوقف على ارتباط المفردات والآيات السابقة واللاحقة وتعد قرينة لفهم وتفسير الآية، وهكذا سياق الآيات يتوقف هو الآخر على الارتباط بين الجمل والآيات.

---

١. راجع: *التمهيد في علوم القرآن*، معرفة: ٢٨٠/١.

٢. راجع: البيان، الخوئي: ٢٥٧ و ٢٧٨؛ *والإتقان*: ٦٢/١؛ ومجمع *البيان*: ١٥/١.

٣. راجع: *التمهيد*، معرفة: ٢٨٠/١؛ *والإتقان*: ١/ ٥٧؛ *ومناهل العرفان*: ٢٤٠/١.

هناك التفات ارتكازي مجمل من قبل مفسري القرآن للانسجام الهيكلي والارتباط بين المفردات والجمل، فقد استدل بعضهم كالعلامة الطباطبائي في تفسير الميزان بالسياق بشكل واسع.

مثال: مفردة (الدين) في جملة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الحمد: ٤، وفي ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦، تأتي بمعنيين: الجزاء والدين، وهذا الفهم للكلمة يعود إلى نحو الارتباط بين المفردات في الآية الأولى، ونحو الارتباط بين الجمل في الآية الثانية.[١]

١٠. القرآن وثقافة عصره

كيف تعامل القرآن مع ثقافة العرب القائمة آنذاك ؟ هل تأثر بها أو أعرض عنها أو رفضها ؟ جواب هذه الأسئلة يعود إلى نوع التوجّه والمبنى الذي له تأثير في تفسير الكثير من الآيات، لذا يتحتم علينا أولا: أن نفهم المراد من(ثقافة العصر) ثم نتناول أدلة القائلين بالتأثير والقائلين بعدمه ونختار الصحيح والمعتبر منهما.

دراسة مفردة (الثقافة)

جاءت هذه المفردة في اللغة بالمعاني التالية:

التعليم والتربية، العلم، والأدب، كتب اللغة، مجموعة الآداب والروسوم؛ مجموعة العلوم والمعارف والفنون الخاصّة بقوم معينين.[٢]

أما اصطلاحا فقد ذكرت لهذه المفردة عدة تعاريف نشير إلى بعض منها:

١. هي مجموعة الاستنتاجات والأسس الفكرية والفنية والأدبية والفلسفية، والسنن والعادات التي تحكم العلاقات الاجتماعية.[٣]

٢. إنّ أهم وأبرز عنصر له تأثير حقيقي وأساسي في وجود كل مجتمع هو ثقافة ذلك المجتمع، وفي الحقيقة تشكل ثقافة كلّ مجتمع هويته ووجوده.[٤]

---

١. هناك أمثلة متعددة من هذا القبيل ستأتي في بحث قاعدة السياق.

٢. راجع: *فرهنك ـ معجم ـ معين*، مادة«ثقافة».

٣. فرهنگ انقلاب اسلامي: ١٠٤.

٤. صحيفة نور، الإمام خميني: ١٥/ ١٦٠.

٣. الثقافة تعني مجموعة التعاليم التربوية والعقلائية، والعلم والحكمة والفن والمعرفة التي تتجلى في سلوك الإنسان أو المجتمع في طريقة معيشته، وتأصلت في أعماقه، وتكون كلّ أعماله وتصرفاته متأثرة بها، وفي الواقع الثقافة هي وجهات نظر أمة وميولها واتجاهاتها وقيمها.[1]

إلى الآن اتضح المعنى اللغوي والاصطلاحي للثقافة إلى حدّ ما. ونقول هنا:

فإن كان المراد من ثقافة العرب أنذاك هو عناصر اللغة العربية وآدابها، فإنها ستنفذ لا بالاختيار في كل كتاب أو خطاب يوجه إلى تلك الأمة، ولا يتم إيصال المعارف لهم بدونها، والقرآن كذلك غير مستثنى من هذه القاعدة، لذا امتلأ القرآن بالمفردات والأمثال العربية.

أما إذا كان المراد من ثقافة العرب المعاصرة لنزول القرآن هي تلك النتائج الفكرية والفنية والآداب والسنن والعادات الاجتماعية الشاملة للخرافات والأمور الباطلة والممزوجة بالشرك، ففي هذه الصورة يجب أن نقول: إن القرآن الكريم لم يتأثر بهذه الثقافة، لان الباطل لا ينفذ إلى القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[2] و أنّ القرآن الكريم سفّه هذه الثقافية في مواضع متعددة من القرآن مثل: وأد البنات،[3] وشركهم، وعبادتهم الأصنام وغيرها.

قبول الإيجابيات ورفض السلبيات

ما يقرب إلى الصواب هو أن نقول: إن القرآن الكريم تعامل مع العناصر الثقافية القائمة في زمان نزوله بأنحاء ثلاثة:

أ) قبوله الايجابيات والأمور الصحيحة التي لها جذور في الدين الإبراهيمي الحنيف، فأمضاها بعد تقويمها وتهذيبها ومثال ذلك أحكام الحج الإبراهيمي، واللعان، وفي العقائد: مسألة الاعتقاد بالجن، والسحر، وأمثالهما.

ومما يجدر ذكره إن عدم اعتقاد بعض العلماء أو العلوم العصرية بما وراء الطبيعة (أعم من الحق تعالى والجن والملائكة و......) لا يعتبر دليلاً على بطلانها؛ لأنّها حقائق ثابتة قد استدل عليها في مواضعها وبطرقها الخاصة، مضافاً إلى هناك كلام كثير جرى خولها بين

---

١. *تهاجم فرهنگي از ديدگاه آيات وروايات وفقه ـ الغزو الثقافي في نظر الآيات والروايات والفقه* حسن على اكبري، ١٨.

٢. فصلت: ٤٢.

٣. التكوير: ٨

علماء «ما وراء النفس» في هذه العصور، لإثباتها بسط البحث والتحقيق فيها.[1]

كما أن مجرد احتمال بطلان هذه المسائل في المستقبل واعتبارها من مصاديق وموارد تعارض العلم مع القرآن لا يصحّ أن يكون دليلاً على لزوم رفع اليد عن العقائد المسلّمة وظواهر القرآن، والذي يبدو أن عدم قدرة البعض على الإتيان بأجوبة شافية لحلّ ما ظاهره التعارض بين العلم والقرآن تسبب في طرح هكذا أبحاث للوقوف بوجه ما قد يحدث قبل حدوثه وتحققه، فكانوا حاضرين للتسليم بسرعة ليقولوا: إن القرآن في هذه المسائل كان متأثراً بثقافة ذلك العصر ولغته وآدابه.

ب) إن القرآن الكريم حارب الخرافات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي ووقف بوجهها، أو لم يذكرها استهجاناً بها.

فيعبر القرآن الكريم عن عصر، قبل الإسلام بالجاهلية الأولى،[2] كما في قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً﴾.[3]

أمثلة ونماذج

من الأمور التي كانت قائمة قبل نزول آيات القرآن، والتي تعدّ من الاعتقادات والأحكام الجاهلية والثقافة السائدة آنذاك والتي وقف القرآن الكريم بوجهها من قبيل:

١. عبادة عرب الجاهلية:[4] ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.[5]

٢. رفض قانون الظهار: كان من عادة أهل الجاهلية أن يقول الزوج لزوجته: (أنت عليّ كظهر أمي) فتحرم عليه، و لما جاء الإسلام حرّم هذه العادة الجاهلية بقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ﴾.[6]

---

١. راجع: *مسائل جديد الكلام*.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. المائدة: ٥٠.

٤. زبان قوم نه فرهنك ايشان لغة قوم لا ثقافتهم، مصطفى حسين طباطبائي، مجلة بيات: عدد ١٢٥/٦و١٢٦.

٥. الأنفال: ٣٥؛ الصف: ٧٤).

٦. الأحزاب: ٤.

٣. رفض ما كانوا يعتقدونه من أمور باطلة، كنسبة الجن، أو الولد، أو البنات إلى الله تعالى، فردّ القرآن على تلك العقائد بآيات بينات: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١] فنزّه الله تعالى نفسه عن مثل هذه المدعيات.[٢]

٤. تخطئة الأحكام والعادات الجاهلية: من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام (المائدة/ ١٠٣)، واعتبارها نصيباً لله من الحرث والأنعام، ونصيباً لشركائهم، فأبطل هذه العادات والتقاليد(الأنعام / ١٣٦)،[٣] ومنع من إكراه الفتيات على البغاء (النور / ٣٣) ومنعهم عن أكل الربا (آل عمران / ١٣٠)، وهكذا منع من وأد البنات (الأنعام / ١٥١. الإسراء / ٣١ ـ التكوير / ٨ ٩).[٤]

٥. وأبطل عقيدتهم بخصوص الملائكة حيث كانوا يعتقدون أنّهم بنات الله تعالى.[٥]

٦. حرّم ظاهرة و أد البنات.[٦]

ج) استخدم القرآن الكريم كلّما هو دارج في لغتهم من مفردات وتشبيهات؛ لإيصال مفاهيمه الرفيعة إليهم.

فالأنبياء عليهم السلام وحتى يستطيعوا إيصال المفاهيم الرفيعة والمطالب المعنوية والعقلائية لعامة الناس، بنحو يمكن لهؤلاء الناس إن يلتفتوا إلى مقصودهم على الرغم عدم اطلاعهم على المسائل العلمية وأوعيتهم، فإنهم يتوسلون بكلّ ما في اللغة من تشبيهات واستعارات وكنايات شائعة ومفردات كثيرة الاستخدام في المجتمع.

وبعبارة أخرى يتكلمون مع الناس بقدر عقولهم، إلّا القرآن الكريم لا يشذّ عن هذه الطريقة أيضاً في توصيل مبادئ السماء، وهذا ما يذكر تحت عنوان ثقافة القوم المعاصرة. من قبيل محاجة النبي إبراهيم عليه السلام مع نمرود، وتعبيرات القرآن في خصوص المجانين، وتشبيهه شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، والأقسام وصيغها، وألفاظ الذم والعتاب، واستخدام المفردات غير العربية التي صارت جزءاً من اللغة العربية في ذلك العصر.

---

١. الأنعام: ١٠٠.

٢. مجلة بينات: ع٥/٩٤.

٣. المصدر.

٤. المصدر.

٥. النجم: ٢١و٢٧.

٦. التكوير: ٩.

يلزمنا هنا التذكير بأمر:

وهو إن استخدام الشخص للكنايات والتعبيرات والعناوين الرائجة في اللغة ـ مما لا يمكن للمتكلّم التغافل عنها ـ لا يعني قبوله اللوازم العلمية والكلامية لها.

وبعبارة أخرى: إن القرآن وكل متكلّم لا يقبل كلّ وجوه الشبه، بل يقصد من استخدامه تلك العناوين الإشارة فحسب، وبالطبع لا يعني هذا أن القرآن يأتي على ذكر المطالب المخالفة للعلم على أنه يتكلم وفقا للنظريات العلمية المعاصرة، مثل هيئة بطليموس وطب جالينوس.

١١. الأبحاث الرئيسية في العلوم القرآنية

في أبحاث علوم القرآن هناك عدة مباحث رئيسية، لا بدّ من تنقيحها؛ لأهميتها و تأثيرها في تفسير بعض الآيات، وعلى المفسر أن يناقشها وينقدها ويبدي رأيه فيها ويجري على استخدامها بعد ذلك كأصول مسلّمة، ومن أهم هذه المباحث:

أ) مبحث الناسخ والمنسوخ: هل هناك آيات منسوخة في القرآن ؟ وإن كان هناك النسخ، فما هي هذه الأيات، و ما هو عددها؟

ب) مبحث القراءات: هل إن قراءات القرآن متواترة وحجّة أو أنّها أخبار آحاد لا اعتبار لها.

ج) مبحث أسباب النزول: حيث إن لأسباب النزول تأثير بالغ في فهم القرآن وتفسير آياته، ويأتي السؤال هل أن أسباب النزول موجبة لتقييد الآيات بخصوصها أو لا ؟ وما العمل في حالات تعارض أسباب النزول ؟

ملاحظة: هذه الأبحاث تناولتها كتب علوم القرآن، كما سنأتي نحن على بيان بعض المطالب في مبحث القراءات وأسباب النزول في قسم قواعد التفسير، حيث سيتضح هناك أن لأسباب النزول تأثيراً في فهم الآيات وتفسيرها، وأما قراءات القرآن غير المتواترة فليست بحجة.

١٢. اختيار النظرية في لغة القرآن

نزل القرآن الكريم باللغة العربية، ولكنه جاء باصطلاحات خاصة مثل: (المؤمن، الكافر، المنافق، العرش، الكرسي و...) فهل لغته هي نفسها اللغة المتعارفة بين عامة العرب ويجب إن نفسر جميع الاصطلاحات الواردة فيه على أساس المعنى اللغوي والعرفي لذلك العصر ؟

وهل لغة القرآن (في القصص ونحوها) رمزية وإشارية أو كاشفة ومبينة للواقع.

الجواب على هكذا أسئلة له دور في فهم الآيات وتفسيرها لذا صار بحث لغة القرآن من الأبحاث الأساسية للتفسير (الأصول الموضوعة) التي ينبغي على المفسر التحقيق بشأنها، واختياره رأيا بخصوصها ليكون أساساً لتفسيره.

وطبعا هذا البحث بذاته يحتاج إلى إفراد بحث مستقل، وهذا خارج عن كتابنا وسنكتفي بالإشارة الإجمالية إلى لغة القرآن والآراء المطروحة بصددها.

أ) السابقة التاريخية:

منذ القديم جرى الحديث حول لغة القرآن الكريم و قدكان محلّ اهتمام اللغويين والأدباء والبلاغيين بيان، وتركوا في ذلك آثاراً كثيرة.[١]

وفي العصر الحديث، فقد بدأ علم اللغة الجديدModern Science of language على يد عالم اللغة السويسري، فردينالذ سوسور(١٩١٣م).

ومن الكتب التي ألفت بخصوص القرآن كتاب: *الله والإنسان في القرآن*، تأليف العالم الياباني إيزوتسو، *وتحليل لغة القرآن وطرق فهمه*، للدكتور محمد باقر سعيدي روشن، *ولغة القرآن*، لمقصود فراستخواه، *ولغة القرآن*، لأبي الفضل ساجدي، وقد أشير في بعض الكتب إلى هذا البحث ضمناً كما في *أصول واتجاهات التفسير*، للدكتور محمد كاظم شاكر.

ولكن خرج بعض المعاصرين عن المتعارف في هذا الاصطلاح، وصاروا يأتون به تحت عنوان (لهجة القرآن أو لغة القرآن) كأن يطرحوا البحث بهذا الشكل: هل القرآن نزل بلغة قريش، أو الحجاز، أو تميم، أو كعب بن قريش، أو كعب بن خزاعة، أو مضر، أو نزل بسبع لغات، أو بكل لغات العرب، ثم استنتجوا أنّ جميع الموارد المتقدّمة خالية عن الدليل المعتبر.[٢]

وبعض من المعاصرين تناولوا المصطلحات الجديدة، والاستعمالات الحديثة للغة الدين مثل (عدم الاعتبارية، الوظيفة الذرائعية، الرمزية) وأخذوا بمقايستها بلغة القرآن وناقشوا ذلك، ثم رجّحوا لغة المحاورة والتفهيم السائدة بين العقلاء في خصوص القرآن.[٣]

ملاحظة: يمكن بحث اللغة تحت عنوان (اللغويات) أو (فلسفة الدين)، إذ إن لغة القرآن بلحاظ معانيها تنضوي تحت عنوان فلسفة الدين، وبلحاظ الهيكلية والبناء، من صرف ونحو تنضوي تحت عنوان علم اللغة.

---

١. راجع: *مفردات الراغب الأصفهاني*، *كتاب العين*، الفراهيدي؛ وأسرار البلاغة؛ ودلائل الإعجاز، الجرجاني و... .

٢. *روش شناسي تفسير قران*: ٨٩ وما بعدها.

٣. *فلسفة دين* ـ فلسفة الدين: ١٠٠١ وما بعدها.

ب) المفهوم:

اللسان يطلق في اللغة على ذلك العضو المتحرك داخل الفم، والذي يعتبر أهم أداة للكلام والنطق، ويطلق أيضا على لغة القوم أو الجماعة.[١]

واصطلاحا هو: الاتصال والارتباط، ونقل المراد والمقصود الذي فيه جنبة انتزاعية غير شخصية، وأصل القول وقاعدته.

أما التكلّم والقول فمظهر ومورد استخدام هذه القوة عند الحديث وفهم الجمل.[٢]

واستعملت مفردة (اللسان) في القرآن بمعنى (اللغة).[٣] كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ إبراهيم /٤.

وجاءت أيضا بمعنى (التكلّم والتحدّث) كما في قوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ القصص / ٣٤.

وأحيانا تأتي بمعنى أداة ووسيلة للنطق كقوله تعالى:

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ البلد / ٩.

وتشير مفردة (البيان) في الآية ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن / ٤ إلى اللسان، فيقول العلامة الطباطبائي: البيان توضيح الشيء، والغرض منه هو إظهار الأشياء الباطنية.[٤]

عالم اللغة المعروف (سوسير) يقول: اللغة هي مجموعة (التراكيب والنظم Stracture) ونظام من العلامات المرتبطة بعضها مع البعض الآخر وقيمة كل علامة يتبع وضعها التركيبي.[٥]

المقصود من لغة القرآن هنا ليس لغة القرآن (العربية) بل المقصود هي خصوصيات القرآن بلحاظ كلماته وتراكيبه وجمله ؟ هل المفردات المستخدمة فيه تدل على نفس المعاني الموضوعة العرفية التي يتداولها الناس، أو تدل على مسميات حقيقية خاصة ؟ وما الأسلوب الذي استخدمه القرآن لإيصال المعلومات فهل: العام، أو العاطفي، أو العلمي، أو الرمزي، أو ما شابهها.[٦]

---

١. راجع: *لغة نامه ـ معجم ـ دهخدا*: ١١١٣٠.
٢. راجع: *در آمدي بر زبان شناسي*، الصفدي: ٣٤، *وزبان تفكر*: ١٢؛ *وزبان شناسي جديد*، ٢٧.
٣. راجع: *تفسير التبيان*: ٢٧٣/٦؛ *مجمع البيان*: ٥/ ٢٦٦؛ *جامع البيان*: ٤١٦/٧.
٤. *الميزان*: ٩٥/١٩.
٥. *مباني زبان شناسي* (أصول علم اللغة): ٨
٦. *فلسفة دين رشاد*: ١٠١.

وعرّف بعض المعاصرين لغة القرآن بقوله:

المراد من حقيقة لغة القرآن، كيفية إيجاد البناء والربط الدلالي بين المفردات والجمل والعبائر في تمام النص عند المخاطبة.

ج) أقسام اللغات:

قسمت اللغة إلى عدة أقسام عديدة، أطلقت عليها تسميات خاصة منها:

١. لغة الإخبار والإنشاء، فالخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب. على خلاف الإنشاء، مثل: (الأمر والنهي).

٢. لغة الحقيقية والمجازية: حيث إن المعنى الحقيقي للفظ هو معناه الأصلي الأولي أو ما وضع له اللفظ، أما المجازي فهو استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي بواسطة القرينة.

٣. لغة الكناية، دلالة اللفظ علي المعنى الأصلى، ليراد منه لازمه، أي: دلالته على اللفظ بشكل غير صريح، كما في الأمثال.

٤. لغة الرمز (الإشارة، التأويلية) كل علامة أو إشارة تدلّ، على معنى أو مفهوم غير محدّد بدقة.

٥. التمثيل: وهي بيان غير مستقيم للمعنى في قالب الحكاية حيث، يوصل المراد أخلاقياً كان أو دينياً أو اجتماعياً أو عرفانياً بشكل خفي.

٦. لغة الأسطورة: [١] وهي تخيل محض للمتعة وحسب و إثارة الانتباه، وتكون خالية من أية معلومة دينية أو أخلاقية أو اجتماعية تعتمد على تقاليد العامّة و حكاياتهم. مثل: الأساطير القديمة عند الإيرانيين و اليونانيين.[٢]

٧. اللغة العرفية: وهي اللغة المتداولة بين الناس، وتكون عادة خالية من المصطلحات العلمية والأدبية المعقدة، وتعتمد أحيانا على المسامحة والمبالغة.

٨. اللغة الأدبية: وهي اللغة التي يشيع فيها استخدام الفنون الأدبية والبلاغية مثل: الاستعارة، والتشبيه، والكناية، فتكون مثيرة وجذابة، قائمة على الفن والجمال والأحاسيس والأخلية، وعدم التصريح.

---

١. يسمي الدكتور شاكر الأسطورية بالرمزية (*مباني وروشهاي تفسير ـ اسس ومناهج التفسير*:١٠٣).

٢. راجع: *تحليل زبان قران*، سعيدي روشن: ٣٢ـ٢١٥ (بتصرّف).

٩. اللغة العلميـة: لغـة العلـوم التجريبيـة القائمـة علـى أسـاس تجربـة المحـسوسات، ومـن خصائصها دقتها وقصر عباراتها، وخلوّها من الإبهام والمجاز والدلالات الالتزامية.[١]

١٠. اللغة المتعددة الأبعاد: من الممكن أن يكون للغة في نفس الوقت عدة إفادات، مثلاً: خبر من الأخبار، يفيد في نفس الوقت الحديث عن واقعة ما وفيه إشارة جمالية للنفس أيـضا، أو إنشاء ما فهو له تأثير في النفس ويحكي عن الواقع، كما هي الحال في القضايا القرآنية.[٢]

١١. متعددة المستويات (البطون): أحيانا يأتي في اللغة حقائق ومفاهيم، يحتـاج للوصـول إلى معناها عدة مراحل أو، وكل مرحلة خاصة بمستوى من الفهم، يحتاج الوصول إلى بعضها إلى سعي وجهد فكري أو معنوي.

ومثالها: بطون القرآن.

ملاحظة: يمكننا عند التأمل في آيات القـرآن، العثـور علـى نمـاذج لجميـع هـذه اللغـات المذكورة أعـلاه، وكـذلك فـي الأحاديـث التفـسيرية إلا المـورد الـسادس (الأسـطورية) لأن القرآن يحكي عن الواقع والحقائق، ولا وجود فيه للمطالب الخيالية والباطلة.[٣]

وسيتضح في مبحث (الآراء والنظريات) أن عرفية لغة القرآن لا تعني دخول المسامحات الرائجة بين الناس في لغة القرآن.

د) وظائف اللغة:

١. وصف الحقائق والوقائع: إن اللغة هي ترجمان حقائق الكون (ما يحيط بالإنسان وباطنه).

٢. بيان أسباب و مسببات: بعض اللغات كلغة الفلـسفة تهيـأ الأرضـية لـذهن الإنـسان فـي اكتشاف علاقة السببية والمسببية، والعلية والمعلولية بين الظواهر.

٣. الفعل القولي: إن اللغة وسيلة للارتباط بالآخرين، وتحل محل بعض الأفعال، كما في الأوامر.

٤. العاطفة والأحاسيس: اللغـة بإمكانهـا تـصوير أحاسـيس الإنـسان الباطنيـة مثـل: (الغـم، والفرح والأمنيات، وشبهها).

٥. نقل تجارب وثقافة الماضين.[٤]

---

١. المصدر: ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢. المصدر: ٢٢.

٣. ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت: ٤٢.

٤. المصدر:٢١. ٢٢ (وقد عدّه الخامس من فوائد اللغة).

ملاحظة: عند التأمل في الآيات القرآنية سنعثر على كل الموارد المذكورة آنفاً مضافاً إلى المجالات الخاصة بلغة القرآن مثل: الهداية المتمثلة بالموعظة، أو التحذير، أو العبرة، أو البشارة، ونحوها[1] والإخبارات عن المستقبل، والأبحاث التاريخية، والإشارات العلمية.

هـ) الآراء في لغة القرآن:

١. العرف العام: إن القرآن في إيصال مفاهيمه لم يتبع أسلوباً وطريقة خاصة، كالأسلوب الفلسفي، أو العرفاني، أو العلمي بل استخدم نفس المفردات الموجودة والمتعارفة بين الناس ونفس نظام اللغة، والدليل على ذلك: عمومية خطابات القرآن وإرشاداته (البقرة / ١٨٢) وقابلية فهمه لجميع العقلاء.[2]

المناقشة: مشكلة هذا الرأي تكمن في أن لغة العرف كثيراً ما يرد فيها المبالغة والمسامحة وأحيانا الخرافات، والحال أن القرآن متن علمي دقيق، وبالخصوص آيات الأحكام منه، فلا مجال فيه للتسامحات العرفية.

٢. اللغة المركبة: إن لغة القرآن ممزوجة من عدة طرق وأساليب، يعني نفس تلك اللغة العقلائية التي يستخدمها الناس المشتملة على الاستعارة والتشبيه والتمثيل وأمثالها، ومضافا إلى ذلك تكون مشتملة على مفاهيم رمزية.[3]

المناقشة: صور بعض المعاصرين هذا الرأي بشكل ترجع فيه إلى اللغة العرفية (الرأي الأولى).

ولكن لو صورنا هذا الرأي بهذا النحو بان نقول: لغة القرآن مركبة من الأدبية والعلمية، وأنها متعددة البطون (المستويات) وفيها التمثيل والاستعارة وغيرها، حينها ستتميز عن العرف العام للغة وتصبح نوعاً من لغة العرف الخاص.

٣. لغة رمزية وتأويلية: بعض الباطنيين القدامى والجدد يرون أنّ لغة القرآن هي نوعاً من الرمزية التي تقتضي حلّ تلك الرموز وفكها.[4]

المناقشة: توجد هناك مطالب تأويلية في القرآن كما في الآيات المتشابهة (آل عمران / ٧) ومطالب رمزية حيث عدّ بعض المفسرين الحروف المقطعة رموزاً بين الحق تعالى وبين

---

١. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١؛ وراجع: آل عمران: ١٣٨، والمائدة: ٤٦، ويونس: ٥٧.
٢. راجع: *البيان في تفسير القرآن*، الخوئي:٢٦٣ ـ ٢٧٠، *وأصول التفسير وقواعده*، عبد الرحمن العك:١٣٨.
٣. هذه النظرية تستفاد من كلمات الأستاذ مصباح، والأستاذ لكنهاوسن (راجع: *مجلة المعرفة*؛١٦و ١٨ و٥١).
٤. راجع: *نقد قرائت رسمي از دين*، ـ مجتهد شبستري:٣٦٨؛ *ودين جامعة ـالدين المجتمع* ـ فراستخواه: ٢٢. ٢٣.

النبي ﷺ،[1] أما تعميم حالة الرمزية والتأويل إلى جميع آيات القرآن لا دليل عليه.

٤. لغة الهداية: أطلق بعض المعاصرين على لغة القرآن لغة الهداية؛ لأن القرآن يتميز بمجموعة من الخصائص مثل: لانتفاع الجميع به، تداخل الموضوعات، لغة ذات أبعاد ومراتب،و معارف عالية ما وراء العرف، ودرجات الهداية العالية، والعرف القرآني الخاص، والخلود والعالمية التي لا تتلائم مع اللغة العرفية.[2]

يقول: الهداية تعني: الإرشاد إلى هدف هذه الحياة والغاية منها، ودعوة الإنسان إلى الله تعالى،الارتقاء به لتتفتح قدراته واستعداداته ويصل إلى الهدف من إبداعه وخلقه، وهو الوصول إلي الكمال الإنساني.[3]

لكن لغة لا تنفصل تماماً عن اللغة العرفية العقلائية، بل لغة عرفية خاصة يسميها بلغة الهداية، وهذه اللغة لا تكون قسيمة للنظريات الأخرى المطروحة في لغة القرآن، لأنها جميعاً نفع تحت سقف الهداية.

٥. اللغة الخاصة باهل البيت عليهم السلام

يستفاد من بعض الأحاديث أن لغة القرآن خاصة باهل البيت عليهم السلام فعن الباقر عليه السلام: «إنما يَعرف القرآن من خوطب به».[4]

ويظهر من بعض كلمات الأخباريين: أن ظواهر القرآن بدون إلي الرجوع الأحاديث لا تكون حجة[5]، ففهم القرآن وتفسيره خاص باهل البيت عليهم السلام وما جاء من تفسير عن طريقهم فهو الصَّحيح إذن فلا يمكن لغير اهل البيت عليهم السلام من الناس العاديين فهم القرآن ولا تفسيره، وأشير في هذا المطلب في الحقيقة إلى نوع خاص من لغة القرآن.

المناقشة: هناك عدة أمور قد بينت في خصوص هذه الأحاديث والمناقشة في سندها ودلالتها، ونسبة هذا الرأي للأخباريين في ذيل مباحث (إمكان فهم القرآن وتفسيره وجوازهما).

---

١. راجع: مجمع *البيان*، و*الميزان*؛ و*تفسير والأمثل*، وغيرها في ذيل الآية الأولى من سورة البقرة.

٢. راجع: *تحليل لغة القرآن*، سعيدي روشن: ٣٧١ـ٣٨٤.

٣. تحليل زبان قران ـ *تحليل لغة القرآن* ـ سعيدي روشن: ٣٨٦.

٤. *تفسير الصافي*: ٢٠/١، *روضة الكافي*، ح ٤٨٥، *وسائل الشيعة*: ١٣٦/١٨.

٥. راجع: *الفوائد المدنية*، الاسترابادي: ٢٨، *منبع الحياة*، الجزائري: ٤٤، *الفوائد الطوسية*، الحر العاملي:٤١١، *روش شناسي تفسير قران* ـ *منهج تفسير القرآن* ـ بابائي وآخرون: ١٢٨.

وبناء عليه فأصل هذا الرأي غير معتبر مع عدم القطع به، إذن فنتيجة ذلك أيضا تكون غير معتبرة.

٦. لغة العرف الخاص بالقرآن

يبدو من بعض أبحاث العلامة الطباطبائي، والإمام الخميني، والشهيد المطهري، وجواد آملي، ومعرفة: أن لغة القرآن لغة خاصة، ويتم إبلاغ التعليمات فيها بطريقة خاصة.

يعني: أنّ القرآن الكريم مضافاً إلى الطريقة العرفية العقلائية في إيصاله المعاني الظاهرية، هناك طرق أخرى يعمد إلى استخدامها لإيصال المعاني الباطنية.

يذكر العلامة الطباطبائي في هذا الخصوص:

> يجب على المفسّر عدم الاكتفاء في تفسير الآيات القرآنية اعتماداً على مابين يديه من أدوات فهم الكلام العربي، مقايسة كلام الله تعالى بكلام الناس... .[١]

يفهم من الروايات المتعلقة بالتفسير بالرأي، والآيات المؤيدة لها: أن النهي عن التفسير بالرأي متعلّق بطريقة التفسير لا بأصله، وكأنها تقول: لا تفسروا كلام الله عز وجل بالطريقة التي يفسّر بها كلام الخلق، والفرق طبعاً بينهما ليس على نحو استعمال الألفاظ وصياغة الجمل وإعمال الفنون الأدبية والصناعات اللفظية و... بل الاختلاف بينهما يكمن في المراد والمصداق.[٢] فآيات القرآن كلام متّصل بعضه ببعض، ففي عين انفصاله يكون بعضه شاهداً على بعض، لذا لا يمكن التوصّل إلى معنى كلّ آية باستخدام القواعد الثابتة في تلك العلوم،[٣] وقد ذكر في مواضع أخرى: أن كلام العرف لا يخلو من المسامحة، أما القرآن فليس كذلك.[٤]

ويقول الشهيد المطهري:

> القرآن الكريم له طريقته الخاصة في بيان المسائل في كثير من الموارد، إذا أخذنا آية واحدة من القرآن الكريم دون عرضها على الآيات المشابهة لها، سنفهم منها ما يختلف تماماً عما نفهمه منهما فيما لو عرضناها على الآيات المشابهة لها.[٥]
>
> تفترق لغة القرآن عن لغة الحوار بين إنسانين.[٦]

---

١. *الميزان*: ٧٨/٣، ذيل الآية ٧ ـ ٩ آل عمران.

٢. المصدر: ٨٠

٣. المصدر:٧٨.

٤. المصدر:٤١٧، ٤١٨.

٥. *آشنائي با قران* ـ معرفة القرآن ـ:٢١/١.

٦. المصدر: ٥/ ١٦٠..

لغة القرآن، لغة الفطرة يعني أن مطالبه مرتبطة ومتصلة بقلب الإنسان.[١]

القرآن يبيّن انّه ليس محض كتاب علمي تحليلي، بل هو في نفس الوقت الذي يأتي بالاستدلالات المنطقية يخاطب روح الإنسان وأحاسيسه وذوقه ليترك في نفسه تأثيراً خاصاً.[٢]

ويقول جواد آملي: ... مرادنا من القول: بأن لغة القرآن وهي لغة الناس، هو التحدّث بثقافتهم المشتركة... فيتحدث القرآن الكريم بهذه الثقافة (ثقافة الفطرة الثابتة والمشتركة بين الناس وغير القابلة للتغيير) إلى الناس مخاطباً تلك الفطرة.[٣]

وقال معرفة: (للقرآن الكريم طريقة خاصة في إفادة تعاليمه الرفيعة، فاتخذ القرآن في بياناته الشافية والكافية طريقة تختلف عن الطرق المتعارفة التي يستخدمها الناس في محاوراتهم.[٤]

وقال الدكتور شاكر، في معنى العرف الخاص: «العرف الخاص في خصوص القرآن الكريم بهذا المعنى، أن للقران اصطلاحات خاصة به... لغة القرآن ليست صرفاً لغة العرف العام، بل جاء بعرف خاص من خلال أخذ المفردات من اللغة المتعارفة وإعطائها معاني جديدة».[٥]

المناقشة: إن للقران لغة خاصة هذا أمر حق، ولكنّ التقريرات التي ذكرها المحققون لبيان ذلك مختلفة، وكلّ واحد منها اهتم بناحية خاصة.

من جملتها:

أولا: إن لغة القرآن بلحاظ طريقة فهمها تختلف عن اللغات الأخرى (الطباطبائي، والمطهري).

ثانيا: إن لغة القرآن بلحاظ موافقتها للفطرة مختلفة عن اللغات الأخرى (المطهري، وجواد آملي).

ثالثا: لغة القرآن متعددة السطوح والمجالات يعني علمية وتحليلية وعاطفية (المطهري).

رابعا: طريقة التعليم في لغة القرآن غير طريقة التعليم في اللغات الأخرى (معرفة).

خامسا: لغة القرآن ذات اصطلاحات خاصة لها معنى ومصداق خاص على خلاف لغة العرف العام (أشار إلى ذلك العلامة الطباطبائي و شاكراً).

---

١. المصدر:٢٢٦.

٢. المصدر:٤٢/١ ـ ٤٣.

٣. *تفسير تسنيم*، عبد الله جواد آملي:٣٢/١.

٤. مجلة بينات :ع ٥٤/١، وأيضا العدد ٣.

٥. *مباني وروشهاي تفسير*: ١٠٦.

وبناء على هذا يمكن القول: إن لغة العرف الخاص للقران ذات خصائص خمس بها تفترق عن لغة العرف العام.

وبالطبع هذه اللغة أي العرف الخاص للقرآن مرادفة للغة التركيبية، ولغة الهداية، فلا حاجة بنا إلى تكثير العناوين والإطالة بلا فائدة، كما أنها لا تنفي لغة العرف العام رغم وجود هذه الخصائص فإنها تقيد العرف العام بمجموعة من القيود.

الاستنتاج: لغة القرآن لغة العرف الخاص المركبة من لغات عرفية وأدبية وعلمية، ومتعددة السطوح، ومتعددة المستويات، وأحيانا تكون: رمزية، أو كنائية، أو مجازية، أو إخبارية، أو إنشائية، أو تمثيلية، وليست بلغة أسطورية (غير واقعية وخيالية).

وفي الوقت ذاته فإنها موافقة للفطرة ولها اصطلاحات خاصة بها ومعاني محددة مثل: (المؤمن، الكافر، المنافق، العرش، الكرسي، ونحوها) ولها أيضا طريقة خاصة للفهم والتفسير، يعني: أنّ لها أصولاً موضوعة في الفهم والتفسير، والتفسير بالرأي فيها ممنوع.

الاتجاهات الجديدة للغة الدين في الغرب ونسبتها إلى القرآن:

بما أن الكتب المحرّفة (التوراة، والإنجيل الحاليين) عند المفكرين الغربيين، والتي تتعارض أحيانا مع نتائج العلوم التجريبية وأحيانا تطرح مسائل يرفضها العقل كالتثليث، صاروا يأتون باتجاهات جديدة للغة الدين من بينها:

١. عدم اعتبارية لغة الدين

على أساس هذه النظرية تكون طريقة التأكد من صحة القضايا منحصرة بالطريقة التجريبية، من هنا فإنّ القضايا الدينية والفلسفية والأخلاقية والعرفانية غير القابلة للتجربة تكون بلا معنى وبلا فائدة.[1]

المناقشة: في خصوص هذه الاتجاهات هناك عدة مسائل جديرة بالملاحظة:

---

١. هذه نظرية المدرسة المنطقية الوضعية (بوزيتيويست ها) للاطلاع أكثر، راجع: *علم ودين* ـ العلم والدين ـ آيان بار بور، ترجمة خرمشاهي:١٥٣، *تحليل زبان قران* ـ تحليل لغة القرآن: ١١٥ ـ ١٢٣؛ وفلسفة دين ـ *فلسفة الدين* ـ رشاد:١٠١ ـ ١٠٢؛ *ودائرة المعارف فلسفي* ـ دائرة المعارف الفلسفية، بل ادوارد:٣؛ *بوزيتويسم منطقي*، خرمشاهي.

أولا: جملة (طريقة التأكد من صحة الإخبار منحصرة بالطريقة التجريبية) هي بنفسها قضية لا يمكن إثبات صحتها بالتجربة، وهذا هو تناقض (پارادوكس).

ثانيا: طريق التجربة يعتمد على أسس فلسفية وعقلية مثل: أصل العليّة والواقعية، واستحالة اجتماع النقيضين.

ثالثا: القضايا القرآنية ليست كلها من سنخ الأخبار بل هناك الكثير فيها من الإنشاءات غير القابلة للتجربة.

رابعا: كثير من القضايا القرآنية قابلة لإقامة التجربة عليها مثل القضايا المتعلّقة بجسم الإنسان وروحه والمؤثرة في صحته وجسمه وروحه ونفسيته ومن ثم في المجتمع.[١]

بناء على هذا لا تصدق هذه النظرية بخصوص القرآن الكريم.

٢. الوظيفة الذرائعية في لغة الدين

على أساس هذه النظرية يجب أن نهتم بوظائف اللغة بدل أن نهتم بمعانيها، إذن لا يجب إن ننشغل بوصف العالم؛ لأن قيمة البيان تكمن في ماذا نريد أن نفعل، ففي كل حقل (فني، أخلاقي، ديني، علمي، فلسفي،) لا بد من تقديم السبل الملائمة أكثر للوصول إلى الهدف المنشود، وبالطبع فإنّ لكلّ سنخ من اللغات منطقها الخاص بها.

ولغة الدين، لا تمتّ إلى الواقع ولا تحكي عنه.

نعم، لغة الدين، لها وظائف غير معرفية وجملة (الله موجود) ناظرة إلى المثل الإنسانية، لا شيء وراء ذلك، فلا تحمل علماً جديداً بل مجرد وجود جديد، فلغة الدين تذكر كلغة العشق.[٢]

المناقشة

أولا: امتلاك اللغة للوظيفية لا ينافي واقعيتها وحكايتها عن الواقع كما، الحال في عصرنا، حيث ثبت ما للقضايا القرآنية من دور في تامين الصحة النفسية للفرد والمجتمع، وهكذا تأثير

---

١. راجع: اسلام وبهداشت روان ـ الإسلام وصحة النفسية ـ مجموعة مقالات مؤتمر الدين والصحة، كلية الطب؛ *فلسفة احكام* ـ فلسفة الأحكام، احمد اهتمام؛ *وبزوهشي در إعجاز علمي قران* ـ تحقيق في الإعجاز العلمي للقران ـ المؤلف.

٢. يقال لهذا المجال تحليل اللغة، راجع: *تاريخ فلسفة* ـ تاريخ الفلسفة ـ كابلستون، ترجمة خرمشاهي: ٤٣٨/٨ ـ ٥٣٥؛ *علم ودين* ـ العلم والدين:٢٨٣ ـ ٢٨٥، *تحليل زبان قران* ـ تحليل لغة القرآن: ١٢٤ وما بعدها، *فلسفة دين* ـ فلسفة الدين:١٠٢و١٠٣؛ در آمدي بر تفسير علمي قران، مدخل إلى التفسير العلمي للقران: ٢٥٣ وما بعدها.

العبادة والمعنويات في خفض المعصية[١] وفي إجراء وتطبيق العدالة الاقتصادية وتبقى مع ذلك كاشفيتها عن الواقع محفوظة.

ثانيا: واقعية القضايا القرآنية من الوضوح بمكان إلى حد جعل بعض المعاصرين يدعون بداهتها العقلائية والوجدانية.[٢]

وفي الحقيقة، أنّ القول بعد واقعية القضايا القرآنية لا ينسجم مع هذا النص الإلهي (سيأتي في ذيل النظرية التالية توضيح أكثر).

٣. اللغة الرمزية (المعرفية الرمزية)

على أساس هذه النظرية تكون القضايا الدينية جزءاً من المعرفة، فهي ليست معاني حقيقية بل رمزية، أي أن القضايا الناظرة إلى الله تعالى لها مفاهيم رمزية، والأمثلة الدينية والحكايات والاستعارات والأمثال جوهر الدين وأصله، وهي غير قابلة للترجمة إلى الأحكام الحقيقية.[٣]

مناقشة:

بما أن القرآن قد أنزل بلغة العرف والعقلاء، فمن الطبيعي أن توجد فيه بعض المصطلحات المتعارفة بين الناس كالتمثيل والاستعارة والمجاز، وهذا هو أحد الأصول الموضوعة لتفسير القرآن، وهذا الأمر لا تنافي بينه وبين واقعية لغة القرآن، ويعني ذلك أنه بسبب محدودية القوالب اللغوية الحاكمة على اللغة يستفاد من كلمة (يد الله) الفتح: ١٠ للإشارة إلى أمر واقعي وهو قدرة الله تعالى، أو قصة آدم وحواء، ففي ذات الوقت الذي تعتبر فيه قصة للعبرة والاعتبار، لكنها حاكية عن واقع، أي أنها واقعة قد طرحت بشكل قصة، نعم، بعض العقائد الدينية عند المسيحيين، كالتثليث بما أنها غير قابلة للتوجيه العقلي فسّرت على أنها رمزية، ولكن من الواضح جداً أنها كانت بعقيدة التثليث.

ثانيا: هذا الادّعاء القائل: إن كل المتون الدينية ومنها بغة القرآن رمزية وغير حاكية عن

---

١. راجع: *الإسلام والصحة النفسية*.

٢. فلسفه دين؛ الارشاد: ١٠٣.

٣. راجع: علم ودين ـ العلم والدين ـ ايان باربور:٢٨٣، تحليل زبان قران ـ تحليل لغة القرآن ـ سعيدي روشن: ١٤٠ وما بعدها، وفلسفة دين ـ فلسفة الدين، رشاد:١٠٣، ودر امدي بر تفسير علمي قران ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقران ـ المؤلف ص٢٥٣ وما بعدها.

واقع ادّعاء جزافياً وبلا دليل، ومجرد وجود بعض الاستعارات والمجازات والتشبيهات لا تثبت هذا الادّعاء.

ثالثا: واقعية القضايا القرآنية وتعريفها أمر وجداني ومشهور، فمن جهة تلاحظ مثلاً قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يس: ٣٨، أو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾النحل: ٨٨ وأمثالهما، تخبرنا عن حركة الشمس والأرض، ودلالتها واضحة، وهي نفس الوقت تريد أن تلفت نظر الإنسان وتدعوه إلى التوجه إلى الله تعالى.[1]

ومن جهة أخرى كثيراً ما أكد القرآن على أنه لا مجال فيه للباطل والخرافات والكذب،[2] ولم يثبت فيه مورد واحد بهذا الشأن.

١٣. وجود الصياغات الأدبية (المجاز والكناية ونحوها) في القرآن.

إن دلالة الألفاظ في القرآن الكريم يعضها تكون بشكل مباشر وبعضها بشكل غير مباشر، يعني أنّ بعض الألفاظ والجمل قد استخدمت في المعاني اللازمة أو غير الحقيقية (الموضوعة لها)، وهذا يدل على وجود الصياغات الأدبية كالمجاز، وهو (استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي لمناسبة ومع القرينة) والاستعارة، والكناية.[3]

هذه الفنون الأدبية تبحث وتدرس في كتب البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، وقد دونت في ذلك كتب عديدة.[4]

ولهذا تحمل بعض ألفاظ القرآن كما في ﴿يدُ اللَّهِ﴾ (الفتح: ١٠) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر: ٢٢) بملاحظة القرائن الموجودة في المعاني المجازية.

وأما من لا يقول بوجود المجاز في القرآن،[5] سيضطر إلى حمل هذه الألفاظ على المعاني الحقيقية مما يستلزم التجسيم والتشبيه.

لذا فوجود الصياغات والأساليب الأدبية من الأصول الموضوعة في التفسير، وبالخصوص مبحث المجاز الذي يتحتم على المفسر أن يكون له رأي فيه ثم يشرع بالتفسير.

---

١. راجع: *پژوهشي در اعجاز علمي قرآن.*

٢. راجع: فصلت: ٤٢؛ الإسراء: ٥؛ الطارق: ١٤ وغيرها.

٣. في مورد أقسام دلالة ألفاظ القرآن من كناية ومجاز واستعارة فسنقوم بتوضيحها في مبحث قواعد التفسير.

٤. مثل: *جواهر البلاغة*، المعاني والبيان، *المطول* وغيرها.

٥. كما حكي عن الظاهرية، وابن القاص، وابن حويز منداد راجع: *الإتقان في علوم القرآن*:٧١/٢.

١٤. شمولية القرآن، عالميته وخلوده

إن القرآن الكريم كتاب قد أنزل لجميع الأمم ولكلّ الأزمنة فهو كتاب هداية للجميع.[١]

القرآن الكريم كتاب جامع قد تناول كل أبعاد الحياة البشرية في الدنيا والآخرة، فبين الكليات المتعلّقة بالهداية، وأحيانا حتى جزئيات الأمور، فمن جملتها مباحث العقائد مثل: المبدأ، والمعاد، والنبوة، والإمامة، والأبحاث الأخلاقية، وقصص وحوادث الأمم السابقة، كما بين القرآن كثيراً من القوانين المتعلّقة بالزواج والطلاق والسياسة والحرب والصلح، والعبادات وغيرها.

فالقرآن تبيان لكلّ شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل: ٨٩، وطبعاً الأشياء التي لها دور في تحقيق هدف القرآن، وهو هداية الناس إلى الله تعالى،[٢] فلذا علينا أن لا نتوقع من القرآن أن يكشف لنا جميع جزئيات العلوم التجريبية (الفيزياء والكيمياء وغيرها) والعلوم العقلية والنقلية مثل: (جزئيات التاريخ)، وهذا لا يقلل من شأن القرآن ومنزلته؛ لأنّه يحتوي على الكليات التي يحتاجها الإنسان حتى يهتدي إلى الصواب وبعض جزئيات الأحكام، وهكذا قامت السنة والتي تعتبر مفسرة ومبينة للقرآن ببيان بعض منها.

كما أن هناك الكثير من المطالب وعلى طول الزمان كانت تستنبط من القرآن الكريم بحسب حاجة الإنسان وما تواجهه من موضوعات جديدة من خلال، بطون القرآن، وقاعدة الجري والتطبيق،[٣] إذ يستفاد ذلك من العقل والسنة، وهذا ما أشارت إليه الأحاديث ومنها:

عن الإمام الباقر عليه السلام:

> ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر.[٤]

---

١. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ❊ (القلم: ٥٢)، ومثلها في سورة الانعام: ٩٠؛ ويوسف: ١٠٤.

٢. أي أن في هذه الآية قيد لبي (راجع: *درامدى بر تفسير علمي قرآن* ـ مدخل للتفسير العلمي للقرآن ـ فقد وضّح المؤلف في ذلك مطالب مفصلة في دلالة الآية ورواياتها التفسيرية).

٣. بالنسبة مصطلح سيأتي الكلام عنها في الأبحاث القادمة، وأما قاعدة (الجري والتطبيق) ففي مباحث القواعد التفسيرية.

٤. *تفسير العياشي*:١/٢٢، ٢٣؛ *وبحار الانوار*:١٩/٩٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام:

لو كانت إذا نزلت آية على رجل، ثمّ مات ذلك الرجل ماتت الآية؛ مات الكتاب، ولكنّه حي يجري فيمن بقى كما جرىٰ فيمن مضى.[1]

شمولية القرآن وجامعيته رمز خلوده وعالميته وحياته ومن الأصول الموضوعة للتفسير، التي لها تأثير بالغ في فهم الآيات وتفسيرها واستنطاقها وتطبيقها على الموضوعات الجديدة، وإن لم نلتفت إلى هذا الأصل، فيصبح القرآن مجرد كتاب تاريخي خاص بزمان ومكان وثقافة وأمة محددة.

١٥. الواقع وحجية التفسير

كما تقدم في بحث لغة القرآن، إنّ واحدة من مميزاتها وخصائصها بيانها الواقع؛ لأنه لا مجال في القرآن للباطل[2] (الكذب والأمور المخالفة للواقع وعديمة الفائدة)، بل هو القول الحق[3] المطابق للواقع.

ولكن يقع الكلام في التفسيرات التي يقدّمها مفسرو القرآن، هل هي حقّ ومطابقة للواقع دائما؟ بالخصوص عند ملاحظة وجود المتشابه والناسخ والمنسوخ والأبحاث المعقدة في القرآن، فهل أن تفسير المفسرين يكون حجة ومعتبراً؟

جواب هذا السؤال واضح؛ لأننا شاهدنا على طول التاريخ ونشاهد أخطاء المفسرين المتكررة في فهم القرآن وتفسيره، بل من الأصول المسلمة وقوع الفكر البشري بالأخطاء لا في التفسير وحسب، بل في كلّ العلوم البشرية فالكلّ معرضون للخطأ والاشتباه عدا المعصومين عليهم السلام. إذن، لا يمكن القول أنّ كلّ استفادات المفسّر حقّ مطابقة للواقع دون أي خطأ.[4]

كما لا يمكن تخطئة الاستنتاج والاستنباط إذا كان طبق الضوابط العلمية دون دليل؛ لأن آلة ذهن الإنسان توصله بصورة طبيعية إلى الواقع إلا إذا ثبت خطأه، وهذا يجري في

---

١. *الكافي*، الكليني: ١/ ١٩٢، كتاب الحجة باب ان الائمة عليهم السلام هم الهداة، ح٣.

٢. ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت: ٤٢.

٣. ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الاسراء: ١٧.

٤. صرح بعض المعاصرين بذلك (راجع: *روش تفسير شناسى قرآن*: ٤١).

التفسير وفي غيره، وفي جميع العلوم العملية.

يمكن بحث الاستنتاج التفسيري للمفسّر من عدة جهات:

أ) شخص المفسر:

فعندما يكون المفسر ملتزماً بالشروط اللازمة للتفسير، ولا يقدم على التفسير إلّا بعد المطالعة الدقيقة والالتفات إلى الضوابط وملاحظة القرائن، فلا يمكن اتهامه دون دليل بالخطأ؛ لأن احتمال الخطأ قائم في جميع العلوم البشرية، والطريقة العقلائية في هكذا موارد هي: أن يكون لدى العلماء اطمئنان نسبي في النتائج العلمية التي يتوصلون إليها؛ لأنّ ذلك يورث العلم العادي.

إذن فاستفادة المفسّر توجب اطمئنانه وتكون حجة معتبرة، وهذا المطلب هو نفسه كبرى حجية ظواهر القرآن التي تبحث في أصول الفقه.

يعني إذا كانت قد استفاد أو استنباط حكماً من آية، فيجب عليه العمل طبقا لما استنبطه، ولو عمل خلاف ما استنبطه سيكون حينئذٍ يستحق العقوبة، ولو اكتشف بعد ذلك خطأه فسيكون معذوراً.[١]

أما بالنسبة للآيات المتشابهة أوالناسخ والمنسوخ والمسائل المعقدة فقد اقترحت لعلاجها طرق مناسبة، تمكّن المفسرين بعد التدقيق والتأمل من حلّ المشكلة.

من البديهي أن يتفاوت المفسرون في مراتب فهمهم وقوة استنباطهم، كما أن صعوبة الآيات ليست متساوية أيضا، ولكن على أية حال بعد سعي المفسر واجتهاده الباعث على الاطمئنان، يكون استنباطه معتبراً وحجة بالنسبة له.

ب) بالنسبة للآخرين: إذا قدم المفسر بعد رعايته ضوابط ومعايير التفسير تفسيراً معتبراً يكون مصدراً جيداً للمطالعة والاستفادة والنقد والمناقشة من قبل الآخرين، ولكن لا يحق للمفسرين تقليده؛ لأن التقليد في التفسير حرام، إذ انه سيكون من الأخذ بغير علم في التفسير ونسبة ذلك للقرآن هو نوع من الافتراء على الله تعالى.[٢] إذن تفسير كل مفسر ليس حجة على الآخرين.

---

١. باصطلاحنا مخطئة، وللمصيب أجران وللمخطئ اجر واحد. راجع: كتب أصول الفقه، مثل *الفرائد*، للشيخ الأنصاري.

٢. تمّ توضيح ذلك وأدلته في بحث مصادر التفسير.

١٦. عدم قابلية افتراق القرآن والسنة (النبيﷺ وأهل بيته(ع))

على أساس الآية ٤٤ من سورة النحل ﴿تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يكون النبيﷺ مبيناً للقران، وبيانه حجة في التفسير وعلى أساس حديث الثقلين سيكون بيان اهل البيت(ع) للآيات حجة في التفسير أيضا، وأنهم لا يفترقون عن القرآن أبداً.[1]

إذن عدم الالتفات إلى سنة النبيﷺ وأهل بيته غير جائز في التفسير.

وهذا أحد الأصول الموضوعة للتفسير حيث يلقي بظلاله على تفسير كلّ الآيات.

السابع: ضوابط ومعايير التفسير المعتبر:

يقسم تفسير القرآن الكريم إلى نوعين:

الأول: التفسير المعتبر: وهو التفسير الذي روعيت فيه جميع ضوابط الفهم وأصول التفسير الصحيح للقرآن.

الثاني: التفسير غير المعتبر: وهو التفسير الذي لم تراعَ فيه ضوابط الفهم والتفسير الصحيح للقرآن.

في هذا القسم علينا السعي لكشف الضوابط والموازين التي بها يتميز التفسير المعتبر عن غيره.

هذه الضوابط أحيانا ترتبط بالمفسر وأخرى بفعل وعملية التفسير، أهم تلك الضوابط والموازين عبارة عن:

أ) أن يتم تفسير القرآن على أساس المصادر والقرائن والمستندات المعتبرة.

ب) أن يتم تفسير القرآن بالطريقة الصحيحة للتفسير.

ج) أن يتم تفسير القرآن من قبل مفسر يتمتع بالشروط اللازمة.

د) أن يتجنب الأحكام المسبقة وتحميل وجهات نظره على القرآن (للمنع من التفسير بالرأي).

ملاحظة: بما أن هذه الأبحاث سيتم الكلام فيها في مباحث قواعد التفسير لذا تركنا توضيحها في محلّها.

---

١. شرحنا هذا المطلب بشكل مفصل في مباحث مصادر التفسير (بحث السنة).

أسئلة وبحوث:

١. بين المراد من (التفسير) في اللغة والقرآن والحديث والاصطلاح؟
٢. لماذا نحتاج إلى التفسير إذا كان القرآن نوراً ومبينا؟
٣. أي أنواع الأخبار يكون حجة في التفسير، مع ذكر أقسام الخبر؟
٤. ما هي أقسام العقل وما دورها في التفسير؟
٥. كيف يكون للعلوم التجريبية تأثير في تفسير القرآن؟
٦. هل الشهود والمكاشفات العرفانية حجة في التفسير؟
٧. هل أقوال الصحابة والتابعين حجة في التفسير؟
٨. ما معنى جواز تفسير القرآن وما الأدلة عليه؟
٩. كيف تعامل القرآن مع ثقافة عصر النزول؟
١٠. ما تأثير هدفية آيات القرآن وسوره في التفسير؟
١١. ناقش السير التطوري لمعنى (التفسير) في تاريخ التفسير منذ صدر الإسلام حتى اليوم؟
١٢. بين معايير نقد الأحاديث التفسيرية، وطبّقها على الجزء الأول من تفسير نور الثقلين؟
١٣. ناقش الأقوال والنظريات المطروحة في لغة القرآن، ووضح تأثير نظريات لغة الدين في هذا الخصوص؟
١٤. وضح نظريات المحققين في خصوص (المجاز) وتأثيره في تفسير القرآن؟
١٥. اذكر وناقش نظريات وآراء السيوطي والزركشي والآخرين في شروط المفسر.
١٦. بين الأقوال المطروحة في خصوص التفسير بالرأي ثم انقدها؟

مصادر للمطالعة والبحث

١. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، معرفة.
٢. *التفسير والمفسرون*، للدكتور الذهبي.
٣. *الإتقان في علوم القرآن*، السيوطي.
٤. *البرهان*، الزركشي.
٥. *درآمدي بر تفسير علمي قرآن* ـ مدخل للتفسير العلمي للقرآن ـ محمد علي رضائي الأصفهاني.
٦. *منطق تفسير القرآن* (٢)؛ *روشها وگرايشهاي تفسير قرآن* ـ دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ـ محمد علي رضائي أصفهاني.

٧. *روش شناسي تفسير قرآن* ـ منهج التفسير القرآن، بابائي وآخرون.

٨. *آداب وشرايط تفسير ومفسر* ـ آداب وشروط التفسير والمفسر، كامران ايزدي.

٩. *مباني و روش‌هاي تفسير قرآن*، أصول ومناهج تفسير القرآن، عميد الزنجاني.

١٠. *مباني و روش‌هاي تفسير قرآن* ـ أصول ومناهج تفسير القرآن، الدكتور محمد كاظم شاكر.

١١. *المبادئ العامة لتفسير القرآن*، محمد حسين علي الصغير.

١٢. *البيان في تفسير القرآن*، السيد الخوئي.

١٣. *تحليل زبان قرآن و روش شناسي فهم آن* ـ تحليل لغة القرآن ومنهج فهمه، الدكتور محمد باقر سعيدي روشن.

١٤. *زبان دين و قران* ـ لغة الدين والقرآن، الدكتور أبوالفضل ساجدي.

الفصل الثاني
التأويل

مدخل

وردت مفردة «التأويل» في القرآن الكريم، ثمّ في أحاديث النبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام، و بعد ذلك صارت مورداً للبحث عند للمفسرين والمؤلفين في علوم القرآن.

وصار «التأويل» معترك الآراء حيث ما زالت أبحاثه مستمرة إلى اليوم، فهو بحق من أعقد الأبحاث في علوم القرآن والتفسير وأكثرها أهمية.

«فالتأويل» من جهة له ارتباط وثيق ببعض الموضوعات الهامة (كالمحكم والمتشابه)، و(الظاهر والباطن)، و (منهج التفسير الإشاري) و (الهرمنوطيقيا) و (الراسخون في العلم).

واعتاد المفسرون الإشارة إلى أبحاث «التأويل» في ذيل الآية السابعة من سورة آل عمران.

وقد ألفت في التأويل كتب عديدة من بينها: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) و *قانون التأويل* لمحمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) و *مناهج طرق التأويل* للدكتور محمد كاظم شاكر و *التأويل* لمعرفة، وكتب أخرى كثيرة.

١. مفهوم التأويل

أ) التأويل لغة:

التأويل: من مادة (أوّل) بمعنى الرجوع اوّل الشي: أرجعه والترجيع من باب التفعيل.[١]

---

١. نسب ابن منظور هذا المعنى لابن الأثير وصاحب *التهذيب* (*لسان العرب*، ابن منظور:١١/٣٢ ـ ٣٦، ومعجم *مقاييس اللغة*، احمد بن فارس:١/١٥٩ ـ ١٦٠.

وقد استخدمت مادة (أوّل) بمعنى (الجمع والإصلاح)،[١] يقول الراغب الأصفهاني: التأويل من الأوّل، أي الرجوع إلى الأصل....[٢]

وذكر اللغويون لهذه المفردة (التأويل) عدة معاني أو استخدامات:

١. إرجاع الشيء إلى هدفه ويتمّ بصورتين:

الأولى: الهدف هو العلم مثل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ آل عمران: ٧.

الثانية: الهدف هو الفعل مثل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ الأعراف: ٥٣.

يعني تظهر أحيانا نتيجة التأويل في الأمور العلمية ودفع الشبهات من الألفاظ، وأحيانا في الأمور الخارجية، وبعبارة أخرى الإرجاع يكون أحيانا إلى أمر علمي وأحيانا إلى أمر خارجي.

٢. التأويل بمعنى التفسير:

التفسير والتأويل واحد وهو: كشف المراد عن المشكل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.[٣]

لعله بما انه يرى التفسير والتأويل بمعنى واحد، والتفسير هو بيان المعنى الظاهري للفظ، فيكون التأويل بمعنى مطابقة الاحتمال للمعنى الظاهري للفظ.

٣. التأويل بمعنى السياسة

لعل استعمال التأويل في معنى السياسة، أنّ مرجع الرعية إلي راعيها.[٤] أو لعله لإعمال السياسة في الكلام.

يقول الدكتور الذهبي: (التأويل مأخوذ من الأول، بمعنى الرجوع وقيل: مأخوذ من الإيالة، وهي السياسة فكأنّ المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه).[٥]

٤. التأويل عاقبة الأمر،[٦] ومنه تأويل الكلام، وهو عاقبته، وما يؤول إليه.

ب) التأويل في القرآن:

تكررت مفردة (التأويل)في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وبمعاني مختلفة نشير إلى بعضها:

---

١. *لسان العرب*:٣٤/١١.

٢. *مفردات الراغب الأصفهاني*: مادة اول.

٣. *تاج العروس*: مادة فسر.

٤. معجم *مقاييس اللغة*:١٦٠/١.

٥. *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي:١٣/١.

٦. *مقاييس اللغة*:١٦٠/١ ـ ١٦٢.

١. التفسير: مثل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ حيث يرى بعض الأساتذة المعاصرين، أنّ المراد من التأويل في الآية الشريفة هو: التفسير (آل عمران: ٧).

٢. توجيه المتشابه:

حيث احتمل بعض الأساتذة المعاصرين أن المقصود من التأويل في الآية المتقدمة توجيه الأقوال المتشابهة.

كما في سورة الكهف (في قصة موسى والخضرﷺ) وتوجيه أعمال الخضر العجيبة: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾،[١] و ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.[٢]

وقد ذهب بعض الأساتذة المعاصرين إلى أنّ مفردة (التأويل) الواردة في هاتين الآيتين الأخيرتين بمعنى المصالح والدوافع وأسرار المرموزات أو فلسفة الأحكام.[٣]

٣. تعبير الرؤيا

ففي سورة يوسف، جاءت مفردة التأويل ثماني مرات[٤] بمعنى تعبير المنام[٥] مثل: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديث﴾.[٦]

٤. عاقبة وخاتمة الشيء

مثل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.[٧]

واحتمل هذا المعنى كذلك في الآية ٣٥ من سورة الإسراء، والآية ٥٣ من سورة الأعراف.[٨]

٥. تحقّق الشيء:[٩] مثل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾،[١٠] ولو دققنا في الآية ومقصودها قد نرجع إلى المعنى المتقدم (عاقبة الشيء وخاتمته).

---

١. الكهف: ٧٨.

٢. الكهف: ٨٢.

٣. *التفسير الصحيح لآيات القرآن المشكلة*.

٤. راجع: يوسف: ٦، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

٥. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*.

٦. يوسف: ٦.

٧. النساء: ٥٩.

٨ المصدر: ٢١.

٩. *التفسير الصحيح لآيات القرآن المشكلة*: ٢٥٠.

١٠. الأعراف: ٥٣.

ج) التأويل في الأحاديث

مفردة (تأويـل) جاءت فـي الروايات وبالخصوص التفسيرية منها بـشكل مكـرر وبمعاني مختلفة، من بينها:

١. التأويل بمعنى: البطن:

حكي عن الإمام الباقر عليه السلام إنّه سال بخصوص الحديث الوارد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله : ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن فأجاب الإمام:

ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لـم يكـن، يجري كما تجري الشمس والقمر.[1]

ففي هذه الرواية عدّ (بطن) القرآن من موارد تأويل القرآن، يعني أحد استعمالات هـذه المفردة (التأويل) بمعنى البطن.

وذهب بعض الأساتذة المعاصرين إلى أن تأويل (بطن) في هذا الموضع هـو مفهـوم عـام ينتزع من الآية،[2] وهذا المفهوم العام هو لازم للآية وقابل للانطباق على مصاديق أخرى علـى طول الزمان؛ لذا أشار الحـديث إلـى أن بعـض المـصاديق قـد مـضت وتحقّقـت وبعـضها لـم تتحقق بعد ولم تأت، مثل حركة الشمس والقمر وجريانهما.

كما لا يخفى كثرة استعمال مفردة التأويل بمعنى (البطن).[3و4]

٢. مراد المتكلم ومقصوده

يحكى عن حذيفة بن اليمان قوله في يوم الغدير: قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهـذا علي مولاه»، ثمّ سأل شخص من الحاضرين: يا رسول الله، ما تأويل هذا الكلام؟

فأجابه صلى الله عليه وآله: «من كنت نبيه فهذا علي أميره».[5]

في هذا الحديث يسأل السائل عن معنى (مولى) ويجيبه الرسـول صلى الله عليه وآله بأنـه (أميـر) وعبّـر السائل عن ذلك بالتأويل.

---

١. *بصائر الدرجات*، الصفار: ١٩٥.

٢. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢١/١.

٣. سيتم بحث هذا الحديث والرأي في مبحث القواعد التفسيرية (قاعدة الجري والتطبيق) وفي مبحث (البطن).

٤. راجع: *تفسير العياشي*: ١٠/١، *وبحار الانوار*: ٨٢

٥. *بحار الأنوار*: ٣٧/ ١٩٤.

ويحكى عن الإمام الباقرعليه السلام انه سئل ذات يوم عن علة تسمية الجمعة، فأجاب عليه السلام: قال: أفلا أخبرك بتأويله الأعظم؟ قال: قلت: بلى جعلني الله فداك، فقال: يا جابر، سمى الله الجمعة جمعة؛ لأنّ الله عزّوجلّ جمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين، وجميع ما خلق الله من الجن والإنس، وكلّ شيءٍ خلق ربنا والسماوات والأرضين والبحار و الجنة والنار، وكلّ شئ خلق الله في الميثاق....[1]

وفي هذه الرواية جاء التأويل بمعنى سبب وعلة التسمية والمدلول اللفظي للكلمة.

٣. مصاديق الآيات[2]

في تفسير العياشي: في رواية أبي بصير عن أبي جعفرعليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، قلت له: «إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ لَنَا فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يُسَمِّيَ عَلِيّاً وَأَهْلَ بَيْته في كتَابه فَقَالَ أَبُو جَعْفَرعليه السلام قُولُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى رَسُوله الصَّلَاةَ وَلَمْ يُسَمِّ ثَلَاثاً وَلَا أَرْبَعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّه هُوَ الَّذي فَسَّرَ ذَلكَ لَهُمْ وَنَزَّلَ عَلَيْه الزَّكَاةَ وَلَمْ يُسَمِّ لَهُمْ منْ كُلِّ أَرْبَعينَ درْهَماً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وَأَنْزَلَ الْحَجَّ فَلَمْ يُنْزِلْ طُوفُوا أُسْبُوعاً حَتَّى فَسَّرَ ذَلكَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّه وَأَنْزَلَ - أطيعُوا اللَّهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الْأَمْر منْكُم[3] نَزَلَتْ في عَليٍّ وَ الْحَسَن وَ الْحُسَيْن وَقَالَ في عَليٍّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَليٌّ مَوْلَاهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه أُوصيكُمْ بكتَاب اللَّه وَ أَهْل بَيْتي إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُوردَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَعْطَاني ذَلكَ فَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ منْكُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يُخرجُوكُمْ منْ بَابَ هُدًى وَلَنْ يُدْخلُوكُمْ في بَابِ ضَلَال وَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّه وَ لَمْ يُبَيِّنْ أَهْلَهَا لَادَّعَاهَا آلُ عَبَّاس وَآلُ عَقيل وَآلُ فُلَانَ وَآلُ فُلَان وَلَكنْ أَنْزَلَ اللَّهُ في كتَابه - إِنَّما يُريدُ اللَّهُ ليُذْهبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اهلَ البَيتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً فَكَانَ عَليٌّ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ فَاطمَةُعليهم السلام تَأْويلَ هَذه الْآيَة فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه بيَد عَليٍّ وَ فَاطمَةَ وَ الْحَسَن وَ الْحُسَيْنعليهم السلام فَأَدْخَلَهُمْ تَحْتَ الْكسَاء في بَيْت أُمِّ سَلَمَةَ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ لكُلِّ نَبيٍّ ثَقَلًا وَأَهْلًا فَهَؤُلَاء ثَقَلي وَأَهْلي فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَ لَسْتُ منْ أَهْلكَ قَالَ إِنَّك إِلَى خَيْرٍ وَلَكنَّ هَؤُلَاء ثَقَلي وَ أَهْلي...».

القسم الأول: نظريات معنى التأويل

١. التأويل بمعنى التفسير

كان هذا المعنى شائعاً بين المفسرين القدامى فمثلاً: أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ ه) في تفسيره *جامع البيان*، عند تفسيره آية يقول: القول في تأويل الآية و اختلف أهل التأويل في هذه الآية.

---

١. المصدر: ٢٤/ ٣٩٩.

٢. بحارالأنوار: ١١/٣٥.

٣. النساء: ٥٩.

تنبيه: تقدم في المعنى اللغوي والقرآني أن بعض اللغويين يرون أن (التأويل) يعني (التفسير)،[١] وبعض الأساتذة المعاصرين يذهب إلى أنّ معنى (التأويل) في الآية السابعة من سورة آل عِمران هو التفسير.[٢]

٢. التأويل بمعنى توجيه المتشابه

يحتوي القرآن الكريم على آيات محكمة ومتشابهة، والآيات المتشابهة يحتمل في معناها عدة احتمالات، فكان هذا سبب وجود الشبهة، فيقوم مفسر القرآن بإرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمة وتوجيهها، كما في آية ﴿يدُ اللَّهِ﴾ الفتح: ١٠، ترجع إلى الآية ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ الشورى: ١١.

بعض الأساتذة المعاصرين يرون أنّ أحد معاني (التأويل) هو (توجيه المتشابه) بان يقدّم المفسّر توجيهاً عقلائياً للآيات المتشابهة، فيأخذ بزمام اللفظ ويقوده إلى وجه مناسب، ويوجه اللفظ أو العمل المتشابه، وهم يرون أن ذلك قد جرى في معنى التأويل في الآية ٧ من سورة آل عمران، والآية ٨٢ من سورة الكهف[٣] كما تقدَّم في بحث معاني التأويل في القرآن.

وطبعاً يختلف (توجيه المتشابه) عن التفسير؛ لأنّ ما يجري في التفسير هو بيان وتشخيص مراد الله تعالى ومقصوده من الآية، ولا يلزم المفسّر أن يتدخل في دفع الشبهات أو توجيه الآيات المتشابه، كما أنّه في توجيه المتشابهات قد يرجح المعنى المرجوح على الراجح لقرينة، وأما التفسير فليس كذلك.

٣. التأويل بمعنى إرجاع لفظ الآية من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح: أحيانا يكون للآية ظهور أولي في معنى يرجع إلى معنى غير ظاهر بواسطة قرينة أو دليل خاص (نقلي أو عقلي).

وبعبارة أخرى، يوجد عندنا ظهور ثانوي بواسطة القرينة، على سبيل المثال: قد يفهم من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ الفجر: ٢٢ الحركة المادية والجسمانية لله تعالى، ولكن بقرينة قوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ الشورى: ١١، نتصرّف في ظاهر الآية ونقول ﴿مجيء ربك﴾ بمعنى جاء أمر ربِّك يوم القيامة.

يسمي الدكتور الذهبي هذه الطريقة (تأويل) وينسبه إلى مشهور المتأخرين.[٤]

---

١. راجع: *تاج العروس*: مادة فسر.

٢. راجع *التفسير الصحيح لآيات القرآن المشكلة*: ٢٥٠.

٣. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، محمد هادي معرفة: ١/٢٠.

٤. راجع: *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي: ١/١٥. ١٨/٢٥.

وهذا هو المعنى المصطلح الشائع عند العرف لمعنى التأويل الذي يجعل في مقابل التفسير.[1]

وطبعا هذا المعنى يمكن أن يجتمع مع المعنى المتقدّم (توجيه المتشابه)؛ لأنّ ما يحدث عادة في توجيه المتشابه هو هذا.

٤. التأويل بمعنى البطن

هذا المعنى للتأويل جرى على أساس استخدامه في الأحاديث كما في المبحث المتقدم (التأويل في الأحاديث).

ذهب الشيخ معرفة، إلى أنّ أحد معاني التأويل هو (البطن) حسبما جاء في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، ولكن البطن بمعنى المفهوم العام المنتزع من الآية.[2]

هذا المعنى للتأويل هو، نحو من الدلالة الالتزامية التي تتحقق من خلال كشف هدف الآية وإلغاء خصوصية العناصر غير الدخيلة في الهدف الذي يكون له مصاديق في كلّ زمان ومكان.

٥. التأويل بمعنى التفسير الباطني وبيان المعاني عن طريق الرموز والإشارات: هذا المصطلح شائع بين العرفاء والصوفية والباطنية.[3]

في هذا المصطلح للتأويل، إشارة إلى المعاني الرمزية التي لا يمكن الوصول إليها عادة من ظواهر الألفاظ، بل تحتاج إلى حالة من الكشف والشهود.

مثلا: يستفاد من الآية: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ طه: ١٢، ترك الدنيا وعدم التعلق بها، وقد وجّه بعض الأساتذة المعاصرين هذه التأويلات على أنّها من باب تداعي المعاني من الآيات.[4]

من الجدير بالذكر أن الغلاة والباطنية قد أفرطوا في سلوك هذا الطريق في تأويل الآيات، وجاءوا بتأويلات باطلة[5] كانت محل اعتراض اهل البيت عليهم السلام وأحيانا تعرّضوا للغلاة تصريحاً.[6]

---

١. راجع: *الميزان*: ٤٤/٣، *والبرهان*، الزركشي:١٦٤/٢.

٢. سنبين في بحث (البطن) وقاعدة (الجري والتطبيق) بعض المطالب في هذا الصدد.

٣. راجع: *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي:١٨/١، *وتفسير الآلوسي*:٥/١.

٤. *التفسير الأثري الجامع*، معرفة:٢٨/١ وما بعدها.

٥. يمكنك ملاحظة نماذج عديدة لهذه التأويلات والتطبيقات الباطلة التي جاء بها الباطنية والغلاة في كتاب مناهج التأويل للدكتور محمد كاظم شاكر: ١٧٣.

٦. راجع: *بحار الأنوار*: ٢٦٦/٢٥ و٣٤٣و٣٦٥ و ج٥/ ٢٤٩و ٢٥٠.

على كلّ حال هذا معنى للتأويل يتخلّف عن التفسير، وعلينا أن نذكر انّه قد ثبت في مصادر التفسير، أنّ الشهود والمكاشفات العرفانية ليست حجة في التفسير، وهذا يجري في مقامنا؛ لأنّ الشهود أمر شخصي محتمل الخطأ وغير قابل للانتقال ولا بلاستدلال.

٦. التأويل بمعنى مراد الكلام

نُسب هذا المعنى للقدماء فقيل: «ما يراد من الكلام يعتبر تأويله، فإذا طلب شيئاً فذلك المطلوب هو تأويل الكلام، وإذا أخبر عن شيء فذاك المخبر به تأويله».[١]

القسم الثاني: نظريات وجود التأويل:

١. التأويل بمعنى الوجود العيني الخارجي.

اعتبر ابن تيمية (ت ٧٢٨ ق) *في رسالة الإكليل* أنّ الوجود الخارجي للكلام هو تأويل ويرى انه مقصود القرآن.

وقام بتوضيح أبعاد نظريته في تفسير سورة الإخلاص، من أن الكلام إذا كان جملة إنشائية فتأويلها نفس العمل المطلوب، وإذا كان جملة خبرية فتأويلها نفس المخبَر عنه الأعم من الذي تحقق في الماضي، أو الذي سيتحقق في المستقبل.

وبعبارة أخرى: لكل شي أربع وجودات: وجود خارجي وذهني ولفظي وكتبي، وذلك الوجود الخارجي للأشياء هو تأويلها.

على سبيل المثال: معرفة النبي، والأخبار عن صفاته (وجود ذهني): تفسير، وأما الوجود الخارجي للنبيﷺ المبعوث: تأويله.

وبالطبع لا نمتلك دليلا على صحة استعمال هذا المعنى في مورد التأويل إلا أن نقول: إن رأي الراغب الاصفهاني (الهدف) وبعض المعاني القرآنية للتأويل (تحقق الشيء) تنسجم مع ذلك، ولكن في تلك الصورة لا دليل عندنا على صدق هذا المعنى للتأويل في كل الآيات.

٢. التأويل بمعنى الحقيقة العينية الخارجية:

يرى العلامة الطباطبائي، أنّ التأويل هو الحقيقة العينية التي هي ليست من سنخ الألفاظ والمعاني فقال: إنّ الحق في تفسير التأويل انه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنه موجود بجميع الآيات القرآنية محكمها

---

١. *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي: ١٣وما بعدها.

ومتشابهها، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ بل هي من الأمور العينية المتعالية من أنتحيط بها شبكات الألفاظ.

وبالجملة فالمحصّل من الآيات الشريفة إنّ وراء ما نقرأه ونعقله من القرآن امراً هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد وهو الذي يسمّيه تعالى بالكتاب الحكيم، وليس من سنخ الألفاظ المقطّعة ولا المعاني المدلول عليها بها، وهذا بعينه هو التاويل ومنه يظهر سبب ابتعاد التأويل عن إن تمسه الأفهام العادية والنفوس غير المطهرة.[1]

فعلى رأي العلامة الطباطبائي وابن تيمية لا يكون التأويل مختصاً بالآيات المتشابهة بل في جميع آيات القرآن خلافاً لمن يرون التأويل في حدود المفاهيم فيقصرونه على الآيات المتشابهة.[2]

والتفاوت بين رأي العلامة، وابن تيمية في أن ابن تيمية يرى: التأويل فقط عين الوجود الخارجي المحض، ولكن العلامة يرد على هذا الرأي قائلاً: فأنه وإن أصاب في القول بان التأويل ليس من سنخ المدلول اللفظي بل هو أمر خارجي يبتني عليه الكلام، لكنّه أخطأ في عدّ كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام حتى مصاديق الأخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلية تأويلاً للكلام.[3]

بقي علينا أن نذكر بأن التأويل الوارد في الآية السابعة من سورة آل عمران، هو رؤيا يوسف (يوسف ٦. ٢١. ١٠٠ ـ ١٠١) أو تعبير رؤيا أصحاب السجن (٣٦ ـ ٣٧) مخصوص بالآيات المتشابهة، ولا يشمل جميع القرآن، وأما الموارد الأخرى التي ورد فيها التأويل في القرآن لها معاني واستعمالات خاصة مثل التأويل بيوم القيامة (الأعراف: ٥٣) وتأويل أعمال الخضر (الكهف: ٧٨ ـ ٨٢) هذا من جهة.

ومن جهة أخرى يقول الشيخ معرفة في خصوص المعنى المتقدّم (الحقيقة العينية): إنه معنى عرفاني لطيف للتأويل، ولكنّا لم نعثر له على دليل.[4]

جمع واستنتاج:

عند الالتفات إلى المعاني اللغوية لكلمة (التأويل) واستعمالاتها في القرآن والأحاديث

---

١. *الميزان*، الطباطبائي:٣/٤٩ وما بعدها.

٢. راجع: *التفسير والمفسرون*، الذهبي: ٢/٢٥ و ج١/ ١٥، *والبرهان*، الزركشي:٢/ ١٦٦.

٣. راجع: *الميزان*، الطباطبائي: ٣/٤٨ ـ ٤٩.

٤. *التمهيد في علوم القرآن*: ٣/٢٥٠.

يمكننا القول: إن هذه المفردة من النظائر القرآنية أو المشترك الفظي، أي مفردة واحدة لها عدة معاني إن لم يكن لها جميعاً وضع تعييني لغة، فإنها ونتيجة لكثرة الاستعمال على طول العصور وضعت لها بالوضع التعييني.

وحتى الآن عند ملاحظة استعمالات التأويل، نجد أن ما يتبادر منها معاني مختلفة ليس لها وجه مشترك أو من الصعوبة بمكان تقديم وجه مشترك لها ولا يخلو ذلك من التكلف.

بناء على ما تقدم فإن أهم معاني التأويل هي:

١. التأويل بمعنى التفسير الذي كان شائعاً بين القدماء.

٢. التأويل بمعنى إرجاع ظاهر اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل على ذلك.

٣. التأويل بمعنى (بطن) القرآن وعلى أساس الاستعمال الروائي للتأويل ذكر معرفة هذا المعنى طبقا لرأيه الخاص بالبطن.

٤. التأويل بمعنى تعبير الرؤيا، الذي ورد عدة مرات في القرآن.

٥. التأويل بمعنى عاقبة ونهاية الشيء، وقد ورد في القرآن.

٦. التأويل بمعنى الحقيقة العينية الذي ذهب إليه ابن تيمية والعلامة الطباطبائي رغم التفاوت بين رأيهما في بعض الجوانب.

٧. التأويل بمعنى الإشارات والرموز الباطنية وهو مشتهر بين العرفاء والصوفية.

وبالطبع المعاني اللغوية للتأويل تتلاءم مع المعنى الأول والثاني وإن كان هناك معاني لغوية غير مشهورة مثل (السياسة).

وينسجم المعنى الثالث مع الاستعمال الروائي للتأويل كما ينسجم المعنى الأول والثاني والرابع والخامس مع الاستعمالات القرآنية للتأويل.

أما بالنسبة للمعنى السادس والسابع، لم نعثر لها على دليل لا في اللغة ولا القرآن والحديث.

٢. جواز التأويل وضوابطه

بما أنّ للقران الكريم معان متعددة، فجواز تأويله مرتبط بمعاني واستخدامات مفردة التأويل:

١. التأويل بمعنى التفسير: جائز وتعتبر فيه نفس الضوابط والشروط المعتبرة في التفسير.

٢. التأويل بمعنى إرجاع مفاد الآية إلى المعنى المخالف لظاهر اللفظ، وتوجيه المتشابه، يجوز عندما تكون هناك قرينة عقلية أو نقلية (اية محكمة أو سنة قطعية) على المعنى

المخالف لظاهر اللفظ، والا فلا يجوز لان التأويل بالرأي غير جائز لتحقق ملاك دليل المنع من التفسير بالرأي.

٣. التأويل بمعنى (البطن) جائز، إن تمّ بعد رعاية ضوابط الكشف عن الباطن.[١]

٤. التأويل بمعنى تعبير الرؤيا، جائز ولا دليل عندنا على حرمة التعبير.

٥. التأويل بمعنى عاقبة الشي ونهايته أو تحققه، يجوز متى ماكان عندنا دليل من آية من آيات القرآن، وحينها يمكننا أن ننسب هكذا معنى للقرآن، كما صدر ذلك عن بعض الاساتذة المعاصرين في مورد الاية ٥٩ من سورة النساء و ٣٥ من سورة الاسراء و٥٣ من سورة الاعراف.[٢]

٦. التأويل بمعنى الحقيقة العينية: وكما نقل عن معرفة[٣] من عدم وجود دليل على صحت إطلاق مفردة التأويل على هذا المعنى، كما أنّ فرض هذا المعنى لهذه المفردة لا فائدة فيه.

نعم، كما أشير سابقاً من الممكن إن ينسجم رأي ابن تيمية مع معنى الوقوع في بعض الأيات كـ(الأعراف / ٥٣)[٤] كما قيل ولكن هذا المعنى لا يكون سارياً في جميع الآيات.

٧. التأويل بمعنى الإشارات والرموز، إذا كان بمعنى تداعي المعاني من الآيات وهو لا يعدّ تفسيراً ولا تأويلاً، فلا مانع إن لم ينسب إلى الله تعالى، وأما إذا كان المقصود أن معنى تأويل القرآن هو نفس (الإشارات والرموز) القائم على أساس الشهود والمكاشفة، فقد اتضح في مباحث مصادر التفسير أن الشهود والمكاشفة في التفسير ليسا بحجّة ونفس الملاكات (شخصيتها وعدم قابليتها للنقل وعدم أمكان أقامة الدليل عليها وإمكان خطأها) التي كانت جارية هناك تجري هنا أيضا، فالتأويل بهذا المعنى، غير معتبر ولا يمكن نسبته إلى القرآن.

٣. النسبة بين التأويل والتفسير

توجد في هذا الصدد آراء متفاوتة، فنقل عن تغلب، وابن الأعرابي: أن التفسير والتأويل كلاهما واحد.[٥] وقد مرّ إن ابن جرير الطبري يذهب إلى نفس هذا الرأي.

---

١. سنذكر في هذا الخصوص بعض المطالب في مبحث بطن القرآن.

٢. راجع: *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، محمد هادي معرفة: ٢٠/١، و*التفسير الصحيح لآيات القرآن المشكلة*: ٢٥٠.

٣. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢٨/٣.

٤. *التفسير الصحيح لآيات القرآن المشكلة*.

٥. راجع: *مقدمة في أصول التفسير*، ابن تيمية: ٣. ٤، و*مقدمة مجمع البيان*، الطبرسي:١ / ٩.

ولكن الراغب الأصفهاني يرى: أنّ التفسير أعم من التأويل؛ لأنّ التأويل يتمّ بخصوص الكتب السماوية وأمّا التفسير فأعم من ذلك.[١]

ويرى بعض أن التأويل هو الأعم من التفسير؛ لأنه يأتي في الكلام والفعل، أما التفسير فيختص بالأقوال.[٢]

وبعض ذهب إلى التباين بين التفسير والتأويل ويظهر هذا من كلمات: الماتريدي، وأبي طالب الثعلبي، وأبي نصر القشيري، وغيرهم.[٣]

ولكن ما يبدو هو أن الاختلاف في النسبة بين التفسير والتأويل يعود إلى تفاوت معنى التأويل واستعمالاته، ويمكننا القول بصورة كلية أن النسبة بينهما نسبة العموم والخصوص من وجه؛ لأنّ بعض معاني التأويل متحدة مع التفسير، وبعض معاني التأويل مثل الحقيقة العينية الخارجية متباينة مع التفسير، وبعض معاني التفسير من قبيل بيان المعاني الظاهرية لألفاظ القرآن ليس من التأويل.

٤. العلم بالتأويل والراسخون في العلم

هل أن تأويل القرآن يعلمه جميع الناس، أو أنّه أو خاص بالله تعالى، أو خاص بالمعصومين وبالراسخين بالعلم (العلماء)؟

هناك عدة آراء في ذلك عمدتها:

أ) العلم بالتأويل خاص بالله سبحانه؛ لأنه جاء في القرآن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران / ٧.

على قول بعض المحققين إن «الواو» في (والراسخون) استئنافية[٤] لأن عطف جملة (والراسخون) على (الله) يستلزم أن تكون جملة (يقولون) بداية الجملة، وهذا بعيد عن الذوق الأدبي، فكان اللازم أن يقول (هم يقولون) أو (ويقولون)،[٥] وبناء على هذا لا

---

١. راجع: *الإتقان*، السيوطي:١٧٣/٢.

٢. راجع: *بحوث في أصول التفسير ومناهجه*: ٩، (نقلا عن *الاسير في علم التفسير*: ٢) *وروش هاي تأويل*: ٣٠.

٣. راجع: *مقدمة في أصول التفسير*: ٨ ـ ١٠، *الإتقان*: ١٧٣/٢، *وروش هاي تاويل*: ٣١.

٤. نقل هذا عن عائشة، عروة بن الزبير، الحسن، مالك والكسائي والفراء والجبائي (راجع: مجمع *البيان*:٧٠١/١، *والميزان*، الطباطبائي:٢٧/٢).

٥. *التفسير الكبير*، الفخر الرازي: ٧/ ١٩٠، (وقد استفاد من سياق الآية، وقرينة انحصار بعض العلوم، كعلم الساعة بالله تعالى، وقد أجيب على ذلك، راجع: *التمهيد*، معرفة: ٤١/٣).

يعلم تأويل آيات القرآن أحد غير الله عزّوجل.

ب) العلم بالتأويل خاص بالله تعالى والمعصومين عليهم السلام.

أولا: (الواو) في (والراسخون) عاطفة؛[١] لأنه وفقاً للقواعد الأدبية يجوز البدء بالجملة الحالية بفعل مضارع، ولها نماذج كثيرة في الآيات القرآنية[٢] والأشعار العربية.

وقد صرح بعض النحويين بجواز ذلك.[٣]

وثانيا: الأصل في الواو العطف،[٤] وهو ما يلاءم مناسبات الحكم والموضوع.

ويؤيد ذلك الواقع الخارجي؛ لأن كثيراً من الآيات المتشابهة ممكنة الفهم والتفسير من قبل الناس.

وثالثا: على فرض أن الواو في الآية ليست عاطفة، فهناك الكثير من الأحاديث الواردة عن اهل البيت عليهم السلام التي تدل على أن المعصومين لديهم علم التأويل، ولا يعلم تأويل القرآن غيرهم.

فيحكى عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله علم رسوله صلى الله عليه وآله الحلال والحرام والتأويل».[٥]

وحكي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلّا عند علي».[٦و٧]

العجيب إن العلامة الطباطبائي مع كونه معتقداً بأن (الواو) في الآية المتقدمة استئنافية مع ذلك يرى أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل.[٨]

ج) العلم بالتأويل خاص بالله تعالى والعلماء، والمعصومون مصداقه الكامل.

---

١. نقل هذا عن ابن عباس، الربيع، محمد بن جعفر، ابن الزبير، أبو مسلم الأصفهاني، ويرى العلامة الطبرسي إن ذلك يوافق الروايات وطريقة الصحابة والتابعين في التفسير (*مجمع البيان*: ٧٠١/٢).

٢. (ولا تمنن تستكثر) المدثر / ٦.

٣. *الألفية*، ابن مالك: ٤٤.

٤. راجع: *علوم قرآني*: ٢٩١، وقرآن در قرآن ـ القرآن في القرآن ـ جواد آملي: ٢٣٨/١.

٥. *وسائل الشيعة*، العاملي: ٤٧/١٨.

٦. *بحار الانوار*: ١٨٤/٦٩.

٧. نقل عن الإمام علي في خطبة الأشباح (*نهج البلاغة*: ٢٣٠/٩٠) كلاما مخالفا لهذا الرأي ولكن نوقش من حيث الدلالة والسند. (راجع: مجلة تخصيصي الهيات وحقوق: ١٣٨٣ش، العدد ١١، مقالة تأويل وراسخان در علم ـ مقالة التأويل والراسخون في العلم ـ على اصغر ناصحيان).

٨ راجع: *الميزان*: ٣/ ٥١ ـ ٥٢ و ٦٩.

يستفاد من الآية السابعة من سورة آل عمران أن التأويل خاص بالله تعالى والراسخين بالعلم، يعني كما تقدم في الرأي الثاني من أنّ «الواو» عاطفة أو لدلالة الأحاديث على ذلك، ولكن الراسخين في العلم غير محدّد المعصومين عليهم السلام فقط، بل الراسخون هم العلماء الكبار المتخصصون بالتفسير وعلوم القرآن، وعلى رأسهم اهل البيت عليهم السلام.

هذا الرأي ينسجم مع المعنى اللغوي والعرفي والاصطلاح القرآني لكلمة الراسخين الواردة في آيات أخرى،[١] ويؤيد ذلك الواقع الخارجي حيث إن كثير من الآيات المتشابهة تفهم وتفسّر من قبل مفسري القرآن، ولم نر أن أحداً من المفسرين يمتنع عن تفسير آية لأنّها متشابهة، بل يفسرون جميع الآيات.[٢]

وتؤيد بعض الأحاديث هذا الرأي من بينها:

يحكى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام:

... تخبر الناس بما أشكل عليهم من تأويل القرآن.[٣]

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

...رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله جميع ما أنزل إليه... .[٤]

ونقل في رواية عن النبي صلى الله عليه وآله في جواب شخص سأله عن الراسخين في العلم فقال صلى الله عليه وآله:

من برّت يمينه وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عفّ بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم.[٥]

وعلى هذا فان هذه الروايات ستقيّد وتفسر الأحاديث القائلة باختصاص علم التأويل بالله تعالى والمعصومين.

وقال الشيخ مكارم الشيرازي في هذا الصدد:

بحسب المعنى اللغوي لهذه الكلمة، فإنّها تعني الذين لهم قدم راسخة في العلم والمعرفة، طبيعي أن يكون معنى الكلمة واسعاً يضمّ جميع العلماء والمفكرين، ويأتون

---

١. جاء في الآية ١٦٢ من سورة النساء: ﴿لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فعبرت الآية عن علماء أهل الكتاب بالراسخين في العلم، مع أن علماء أهل الكتاب المعاصرون للنبي صلى الله عليه وآله ما كانوا معصومين.

٢. راجع: *مجمع البيان*، الطبرسي: ٢/ ٧٠١.

٣. *بحار الانوار*، المجلسي: ٢٣/ ١٩٥.

٤. *بصائر الدرجات*/٢٢٣ ـ ٢٢٤، و*البرهان في تفسير القرآن*: ٢٧١/١.

٥. *تفسير القرآن العظيم*، ابن كثير: ١/ ٤٣٧.

على رأس مصاديق الراسخين في العلم وتنصرف إليهم الأذهان عند استعمال هذه الكلمة قبل غيرهم، وهذا هو الذي تقول به بعض الأحاديث التي تفسر الراسخين في العلم بأنهم النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام.[١]

ملاحظة هامّة:

إذا لاحظنا معاني التأويل سيتضح أن حصر العلم بالتأويل بالله تعالى والمعصومين، بلا دليل ولا فائدة؛ وذلك:

لأن التأويل إن كان بمعنى التفسير أو توجيه المتشابه (المعنى المخالف للظاهر مع القرينة) أو البطن (بمعنى تحصيل قاعدة كلية من الآية مع إلغاء الخصوصية) أو تعبير الرؤيا، أو عاقبة ونهاية الشيء في آيات خاصة، وحتى الإشارات والرموز الباطنية عند العرفاء والصوفية، والحقيقة العينية (عند ابن تيمية) فلم يدّع أحد أنّ هذه الأمور خاصّة بالله سبحانه وبالمعصومين عليهم السلام.

وإذا كان التأويل بمعنى الحقيقة العينية (حسب رأي العلامة الطباطبائي) فالعلم به يكون خاصاً بالأطهار عليهم السلام ولكن تقدم أنّ هذا المعنى للتأويل لم يقم عليه دليل فضلاً عن وجود دليل على حصر معنى التأويل به.

أسئلة وبحوث:

١. وضّح معنى التأويل في اللغة والقرآن والأحاديث؟
٢. ما هو رأي ابن تيمية، والعلامة الطباطبائي في معني التأويل، وضّح ذلك مع ذكر المثال؟
٣. ما هو رأي الذهبي في التأويل، وضّح ذلك بالمثال؟
٤. ما رأي الشيخ معرفة في التأويل، وضحه بالمثال؟
٥. هل تأويل القرآن جائز، وما الأدلة عليه؟
٦. هل يمكن لغير المعصوم أن يؤل القرآن؟
٧. ما العلاقة بين التأويل والتفسير؟
٨. ابحث مسالة التأويل تاريخياً عند الشيعة والمعتزلة والأشاعرة؟
٩. وضح بالتحليل التاريخي جذور الإفراط والتفريط في مسالة تأويل القرآن؟

---

١. *الأمثل*: ٤٣٩/٢.

١٠. ابحث السير التطوري لمفردة (التأويل) من صدر الإسلام إلى اليوم؟

١١. ابحث علاقة التأويل بأبحاث الهرمنيوطيقا.

مصادر للبحث والمطالعة:

١. *التأويل*، آية الله معرفة.

٢. *التفسير الصحيح لآيات القرآن المشكلة*، آية الله جعفر سبحاني.

٣. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، آية الله معرفة.

٤. *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي.

٥. *روش‌هاي تأويل ـ مناهج التأويل* ـ الدكتور محمد كاظم شاكر.

٦. *در آمدي بر تفسير علمي قران* ـ مدخل للتفسير العلمي للقرآن ـ محمد علي رضائي الأصفهاني.

٧. *مقدمة في أصول التفسير*، ابن تيمية.

٨. *الإتقان في علوم القرآن*، السيوطي.

٩. *ساختار وتأويل متن* ـ بناء وتأويل النص ـ بابك الأحمدي.

١٠. *در امدي بر هرمنوتيك* ـ مدخل إلى الهرمنيوطيقا ـ أحمد واعظي.

الفصل الثالث

بطون القرآن

تمهيد

إن مبحث بطون القرآن واحد من أهم المباحث في علوم القرآن فقد حظي بالاهتمام قديماً، وتناولته أحاديث النبيﷺ وروايات اهل البيتعليهم السلام وتفاسير القرآن.[1]

يمثل القرآن ـ الذي هو ما بين الدفتين ـ برنامجاً لحياة البشر إلى نهاية التاريخ، وأن سرّ الخلود في هذا الكتاب العزيز يكمن في البطون، فيمكن في كلّ زمان أن تتضح لنا معالمه ونكتشف مستوى جديداً من معارفه الرفيعة.

وان هذا الموضوع من الأهمية بمكان مما دعى بعض العلماء إلى اعتبار أن حقيقة تفسير القرآن هي: بيان تلك المستويات المعرفية القرآنية المحجوبة عنا، بعبارة أخرى، بطون القرآن لا بيان ظواهره.[2]

وسعى بعض المفسرين المعاصرين لوضع قانون لاستنباط البطون.[3]

مسألة البطون مسألة تفسيرية من جهة، ومن جهة أخرى تعد من مسائل علوم القرآن، ومن جهة ثالثة تجدها في الكتب الروائية، ومن وجهة رابعة تجد الأصوليين قد اهتموا بها في كتب أصول الفقه.

ومن المهم بمكان بحث جذور هذه المسألة وأبعادها، ووضع قانون لها، وإدخالها في عطية التفسير، حتى تتضح معارف القرآن وتقدم بصورة كاملة.

---

١. راجع: تاريخ بطون القرآن في هذا الكتاب.

٢. راجع: *البيان في تفسير القرآن*، الخوئي: ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

٣. *التفسير الأثري الجامع*، معرفة:١ / ٢٨.

نبذة تاريخية

البطن: هو المعنى الآخر (الثانوي) للآية

إن مسألة بطون القرآن، وهي عدد المستويات من المعارف التي يحملها نصٌ معين، وهي من الطرق العقلائية والحكيمة لبيان المستويات المعرفية ذات السابقة الطويلة في حياة البشر، وهي ليست خاصة بالقرآن أو بالمسلمين، فعلى سبيل المثال العالم والعارف السويدي سود نبورگ، يعتقد بوجود بثلاث سماوات: أعلى: ومتوسطة: وسفلى، وثلاثة تأويلات من الكتاب المقدس: المعنى القدسي، والمعنوي، والطبيعي.

فالمعنى الطبيعي هو المعنى الظاهري (الذي يطلق على المعنى الأدبي)؛ والمعنى المعنوي: هو المقدم، والمعنى الباطني للمتن الذي يصعب إدراكه، ولكنه ممكن. والمعنى القدسي هو فهم باطن الباطن، ويتعذر إدراكه من قبل الإنسان الفاني.[١]

ومما هو جدير بالذكر أنَّ هذه المسألة طرحت في الآثار اليونانية، واليهودية، والمسيحية؛ من جملتها:

أ) في اليونان القديمة كانوا يستفيدون من«ايليا» و«اديسه» و«هوميروس» لتربية وتعليم الشباب، غير أنه لم تكن جميع متون وآثار «هوميروس» مناسبة لتعليم الشباب، وعليه اخترعوا التفسير التمثيلي، وكانوا يقولون أنهم يبرزون الحقائق بتلك الوسيلة، فكما أنّ المتن، له معنى ظاهري، فكذلك يشتمل على معنى باطني.

ب) الرومان أيضاً عالجوا المسألة، لتعليم الشباب فقد استفادوا من المتون التقليدية مثل «انيدويرزيل» واستعملوا لهذا التفسير لفظallegoria (وهو قول للشيء الذي عن طريقه يريدون شيئاً آخر أو يفهمون شيئاً آخر.

ج) وقد استخدم فيلون الاسكندراني هذا المنهج لتفسير الكتاب المقدس لليهود«التوراة».

د) وقد روث بولس والمسيحيون هذا المنهج من فيلون، وفسّروا الشريعة اليهودية تفسيراً باطنياً، افضين ظواهرها وقالوا معللين ذلك: «إنّ جميع هذه الأمور حصلت لنا من أجل أن تكون عِبرة لنا».[٢]

---

١. راجع: ساختار وتأويل متن ـ بناء وتأويل النص ـ ٥٠٣/٢.

٢. *الكتاب المقدس*، الرسالة الأولى إلى قرنتيان، الباب ١٥ آية ١٦، ١١.

وهذا المنهج فتح الباب للمسيحيين لاعتبار العهد القديم، رموزاً و علامات، لما سيكون عليه المسيحيين بعد تجسّد عيسى.

هـ) متكلموا المسيحيين الكاثوليك، بيّنوا أربعة معاني للكتاب المقدس بهذا النحو:

١. المعنى اللفظي أو التاريخي (شرح الوقائع).

٢. المعنى الأخلاقي.

٣. المعنى التأويلي المرتبط بالحوادث المستقبلية، في آخر الزمان، و شرائط النخب من المسيحين الذين يبقون، في نهاية العالم.

٤. المعنى الرمزي والتمثيلي، حيث توصف حقائق الإيمان بصورة رمزية وتمثيلية عن طريق الكلمات. حيث فسرت الشخصيات ووقائع الكتاب المقدّس، مثل التنبؤات في تجسد المسيح وأعماله بطريقة رمزية.

في القرون الوسطى وجد التفسير الرمزي مؤيدين كثيرين، فكان يوضح النصوص إلى جنب المسائل الأخلاقية ويستخدم التأويل، وكان يجعل ذلك أساساً لتفسير الكتاب المقدس.[١]

وأمّا على الصعيد القرآني فقد طرحت مسألة البطون منذ القدم، أُولى النماذج هي روايات البطن في الحديث النبوي، والتي نقلها الشيعة والسنة، ومن ثمَّ تلتها وبشكل موسّع أحاديث اهل البيت عليهم السلام وكلمات الصحابة والتابعين.[٢]

وكذا اهتم المفسرون والمحققون في علوم القرآن بمسألة البطون قديماً. فقه حكي عن عبد الله بن يونس التستري(ت٢٨٣هـ) أنه قال: إذا فهم الإنسان من حرف واحد من حروف القرآن ألف معني، فإنه لا يصل إلى النهاية.[٣]

ابن رشد الأندلسي (ت٥٩٥هـ) ذهب إلى أن بطون القرآن: هي حقيقة ووجودها وراء ظواهر الآيات، غير قابلة للإنكار مطلقاً.[٤]

ويرى سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٤هـ): أن الاعتقاد ببطون القرآن من كمال الإيمان

---

١. أخذ القسم من كرّاس: (*كلام يهود ومسيحيت* ـ كلام اليهودية والمسيحية ـ) ٤٢، للدكتور.

٢. سوف تأتي هذه الأحاديث، راجع: *جامع البيان*:١/٢٥، ح٩؛ *الإتقان*:٤/٢٢٥ (النوع٧٨)؛ *أصول الكافي*: ١/٣٧٤ :٢/٥٩٨ :٤/٥٤٩؛ بحار الأنوار: ٨٩/٩٠ وما بعدها.

٣. راجع: *البرهان في علوم القرآن*:١/٢٩، ٣٠.

٤. راجع: هرمنوتيك *كتاب وسنت* ـ*هرمنيوطيقا الكتاب والسنة*: ١١٢.

والعرفان المحض، مؤكّداً على بطلان الآراء الباطنية التي تنكر ظواهر الآيات وتنفي الشريعة.[١]

وقد أكّد الزركشي(ت٧٩٤هـ) على مسألة بطون القرآن، ونقل روايات الظهر والبطن عن النبي ﷺ.[٢] وكذا السيوطي خصّص فصلاً لموضوع الظاهر والباطن. وحلل روايات الظاهر والباطن إلى ستة صور.[٣] واعتبر الدكتور الذهبي أن أحاديث الظاهر والباطن صحيحة، مؤكداً على أصل وجود «البطن».[٤]

ولم يكن مفسرو الشيعة بعيدين عن هذه المسألة، بل تناولوها وأكّدوا عليها منذ القدم، ناقلين أحاديث البطون. ومن هؤلاء العياشي في *تفسيره*،[٥] والفيض الكاشاني في *تفسير الصافي* حيث بسّط البحث في شرح الظاهر والباطن،[٦] وممن بحث هذه المسألة وأكد عليها العلامة الطباطبائي حيث قدم تفسيراً خاصاً،[٧] وقد ذمَّ في مقدمة *تفسيره الميزان* المتصوفة الباطنية المنشغلين بالمعاني الباطنية في تفسير الآيات، فقال ما نصّه: «و أما المتصوفة، فإنهم لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة و اعتنائهم بشأن الآيات الأنفسية دون عالم الظاهر و آياته الآفاقية اقتصروا، في بحثهم على التأويل، و رفضوا التنزيل، فاستلزم ذلك اجتراء الناس على التأويل...».[٨]

وكذا الإمام الخميني قدس سره طرح تفسيراً وجودياً لمفهوم البطن.[٩]

وقد كتب أحد المفسرين المعاصرين تفسيراً ضمَّنه ضابطة استخراج البطن.[١٠]

ونقل المحدثون روايات كثيرة للبطن، منهم المجلسي(ت١١١١هـ) حيث جمع في *بحار الأنوار* روايات بشكل موسع،[١١] ونقل أكثر من ٨٠ رواية في باب الباطن.

---

١. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*: ٢٣٦/٢.

٢. راجع: *البرهان في علوم القرآن*: ١٧٠/٢.

٣. *الإتقان في علوم القرآن*: ٢٣٦/٢.

٤. *التفسير والمفسرون*: ٢٨/٢.

٥. *تفسير العياشي*: ٢٢/١و٢٣.

٦. *التفسير الأثري الجامع*: ٢٨/١.

٧. راجع: *القرآن في الإسلام*: ٢٨؛ *الميزان*: ٤٤/٣ـ٦٧.

٨. *أنوار الأصول*: ١٤٦/١و١٤٧.

٩. راجع: *تفسير سورة الحمد*: ١٣٦؛ *شرح دعاء السحر*: ٣٨ و٥٩.

١٠. *التفسير الأثري الجامع*: ٢٨/١.

١١. راجع: *بحار الأنوار*: ٧٨/٨٩ وما بعدها.

وأمّا المختصون في أصول الفقه فلم تكن هذه المسألة بعيدة اهتمامهم فمن جملة من بحثها منهم الآخوند الخراساني،[١] وضياء الدين العراقي،[٢] والسيد الخوئي،[٣] والشيخ مكارم الشيرازي.[٤]

مفهوم البطن

أ) البطن في اللغة

قال الراغب الأصفهاني: «أصل البطن، الجارحة وجمعه بطون... والبطن خلاف الظهر في كلّ شيء، ويقال للجهة السفلى: بطن وللجهة العليا ظهر... ويقال لكلّ غامض: بطن ولكل ظاهر ظهر».[٥]

وقال ابن منظور: الظهر من كلّ شيء: خلاف البطن[٦]...والبطن من كلّ شيء: جوفه.[٧]

ب) البطن في القرآن

مفردة «بطن» ومشتقاتها استعملت ٢٥ مرة في القرآن الكريم، ففي موارد متعددة جاءت بمعنى العضو الخاص في البدن وهو البطن،[٨] وفي بعض الموارد استعملت بمعنى الذنوب المستورة،[٩] والنعمة المستورة،[١٠] وفي مورد واحد استعملت بعنوان صفة الله عز وجل.[١١]

ومع الدقة والتأمل في الاستعمال القرآني يتضح، أنّ هذه المفردة لم تستعمل بالمعنى الاصطلاحي في القرآن«باطن القرآن».

واستدل بعض المحققين على وجود البطن بالآيات القرآنية، ومن جملتهم الذهبي حيث

---

١. *كفاية الأصول*: ٥٧/١.

٢. *نهاية الأفكار*: ١١٧.

٣. *المحاضرات*: ٢١٤.

٤. *الميزان*: ٤/١.

٥. *مفردات غريب القرآن*، الراغب الأصفهاني، مادة«بطن».

٦. *لسان العرب* ابن منظور، مادة (ظَهَرَ).

٧. المصدر، مادة (بَطَنَ).

٨ النور: ٤٥؛ آل عمران: ٣٥؛ الأنعام: ١ـ ١٣٩؛ النحل: ٧٨ ـ ٦٦؛ الزمر: ٦؛ النجم: ٣٢؛ المؤمنون: ٢١ وغيرها.

٩. الأعراف: ٣٣؛ الأنعام: ١٢٠.

١٠. لقمان: ٢٠.

١١.﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ...﴾، الحديد: ٣.

استشهد بالآيات التي تدعو إلى التدبّر، والتأمّل، والتعقّل،[١] والذي يحكي عن وجود مستويات عميقة مخفية فيما وراء الآيات، وأنّ المقصود والمراد الإلهي هو هذا الباطن.[٢]

وكذا استدل الآلوسي على هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿...وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾،[٣] وقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ...﴾.[٤]

واستُشهد أيضاً بالآيات التي تتحدّث عن أخذ العبرة من قصص الأنبياء، مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي...﴾.[٥]

ج) البطن في الأحاديث

استعملت مفردة «البطن» في أحاديث متعددة عن النبي ﷺ واهل البيت عليهم السلام، إلّا أننا نرى أنّها لم تستعمل بمعنىً واحد في جميع المواضع. وإنّما استعملت بعدة معاني هي:

١. بطن القرآن هو تأويله.

عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن هذه الرواية «ما من القرآن آية إلى ولها ظهر وبطن»، فقال عليه السلام:

> ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجرى كما يجرى الشمس والقمر.[٦]

وحكى أهل السنّة رواية مشابهة وهي أن: «ظاهر القرآن التلاوة وباطنه التأويل».[٧]

ملاحظة

أوضحنا في مبحث التأويل، أنّ أحد معاني التأويل هو«البطن» وسيأتي الحديث عنه في قسم قواعد التفسير، في ذيل قاعدة الجري والتطبيق، فالتأويل والبطن في الرواية أعلاه بمعنى: أخذ القاعدة الكلية وتطبيقها على مصاديق مشابهة. والذي اعتبره بعض

---

١. النساء: ٨٢؛ محمد: ٢٤؛ النحل: ٤٤؛ يوسف: ١ وغيرها.

٢. راجع: *التفسير والمفسرون*:٣٥٣/٢.

٣. الأنعم: ٣٨.

٤. راجع: *روح المعاني*:٨/١

٥. راجع: *روش‌هاي تأوي قرآن ـ مناهج تأويل القرآن*: ١٥٤.

٦. راجع: *تفسير العياشي*:٢٢/١ـ٢٣هذه الرواية نقلها العياشي بدون سند، ولكن الصفا (م٣٠١أو٢٩٩ق) نقلها بسند صحيح مع اختلاف قليل.(*بصائر الدرجات*: ١ / ١٩٩).

٧. راجع: *روح المعاني*:١٧/١؛ *الإتقان*، النوع٧٧.

المفسرين المعاصرين المعنى الوحيد للبطن.[١]

٢. بطن القرآن هو مصاديقه الجديدة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم.[٢]

٣. بطن القرآن، هو تدبره والعمل به.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أجل، أنا أقرأه لبطن وأنتم تقرؤونه لظهر. قالوا: يا رسول الله، ما البطن؟ قال: أقرأ أتدبره واعمل بما فيه، وتقرؤونه أنتم هكذا (وأشار بيده فأمرها).[٣]

٤. بطن القرآن: المعني للقرآن

وتضمّنت بعض الأحاديث هذا المعنى من جملتها:

عن علي عليه السلام: «وأن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق».[٤] ونقل عنه عليه السلام أيضاً: فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق.[٥]

> ملاحظة: المعنى الثالث والرابع منسجمان وهما واحد. وعليه يمكن إرجاع المعنى الرابع إلى الثالث.

وأمّا رواية الفضيل فقد أشارت إلى هذه المطالب.

ومن هنا نستفيد من الرواية، أنه إذا نزلت الآيات تتحدّث عن: فرعون، أو عاد، أو ثمود، أو غيرهم، فإنّها تصدق على الموارد الجديدة من التمردين في العصور اللاحقة. وفي الحقيقة أن هذا المعنى يعود إلى المعنى الأول «التأويل» الذي مرَّ في رواية الفضيل.

٥. بطن القرآن بمعنى: الفهم والتفسيرات المتعددة له.

في بعض الأحاديث تطلق مفردة القرآن على التفسير؛ من جملتها:

عن جابر قال:

> سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن، فأجابني، ثم سألته ثانيةً، فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر إنّ للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر وللظهر ظهر... .[٦]

---

١. راجع: *التفسير الأثري الجامع*: ٢٨/١ وما بعدها.
٢. *تفسير الصافي*: ١٤/١، ١٧؛ *البرهان*: ٢٠/١.
٣. *كنز العمال*: ٦٢٢/١، ح ٢٨٧٩.
٤. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٨؛ *بحار الأنوار*: ٢٨٤/٢.
٥. راجع: *بحار الأنوار*: ١٣٦/٧٤؛ *الكافي*: ٣٩٨/٤، ٣٩٩.
٦. راجع: *بحار الأنوار*: ٩٥/٨٩؛ *تفسير الصافي*: ٢٨/١، ٢٩.

ففي هذه الرواية جابر يسأل الإمام الباقرعليه السلام عن تفسير الآية والإمام يبين مطالب مختلفة، وسماها بطون القرآن.

عن عليعليه السلام:

ما من آية إلّا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحدّ، ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحدّ هو أحكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد بها.[۱]

٦. بطون القرآن أم المستويات المختلفة له.

أشارت بعض الأحاديث إلى سبعة بطون؛ منها:

عن النبيصلى الله عليه وآله: إن للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن.[۲]

وهذا الحديث نقله الفيض الكاشاني عن أهل السنة. وفي بعض الأحاديث نقل «سبعين»و «سبعمائة» و «سبعين ألف».[۳]

المقصود من البطون السبعة، يمكن أن يراد بها المستويات المعرفية ومراتب الفهم العميقة للقرآن، وفي هذه الحالة يكون معنى البطون السبعة، مع روايات المجموعة الثالثة والرابعة والخامسة منسجماً، ويمكن أن يكون بمعنى المصاديق المستقبلية، أي في كلِّ عصر يظهر مصداق جديد للآية(كالأقوام والأشخاص)، ومن هنا فإنه سيكون معنى البطون السبعة منسجماً مع روايات المجموعة الأولى.

ومما هو جدير بالذكر، أن مفردة«سبعة» في هذا النوع من الموارد يمكن أن يكون عدداً حقيقياً أو يراد به على نحو الكثرة حيث يشمل العشرات أو المئات من البطون.

أدلة وجود بطون القرآن

وهنا نبحث تلك الأدلة التي تثبت أصل وجود البطون ، ولو في الجملة أي بغض النظر عن معنى البطن، وهي كما يلي:

۱. القرآن

من المعلوم أنّ علماء التفسير وعلوم القرآن، يستدلّون بمجموعة من الآيات على وجود

---

۱. راجع: *بحار الأنوار*:۹٥/۸۹؛ *تفسير الصافي*:۲۸/۱، ۲۹.

۲. راجع: *تفسير الصافي*:۳۰/۱، ۳٤.

۳. راجع: *نصوص النصوص*:۷۲؛ *جامع الأسرار ومنبع الأنوار*/۱۰٤؛ *روشهاي تأويل قرآن ـ مناهج التأويل*: ۸۸

البطون في القرآن ، وأنّهم يقسّمون هذه المجموعة من الآيات إلى ثلاث طوائف:

أ) الآيات التي تدعو المخاطبين بالقرآن إلى تدبّره والتفكّر فيه.[١]

فان هذه الآيات تشير إلى أن وراء الألفاظ القرآنية والمعاني الظاهرية معان عميقة ودقيقة مخفية عن أفهام العامة، وهي المقصود والمراد من الخطاب الإلهي، وهي التي تمثل بطون القرآن، وقد أشار إليها الدكتور الذهبي، معتبراً إياها دليلاً على وجود بطون القرآن، وذلك لأن المخاطبين الأوائل بالقرآن، وهم العرب عارفين تمام المعرفة باللغة العربية، ومتمكّنين من فهم الظواهر لا يعانون من مشاكل في ذلك، بل إنّ المشكلة تكمن في مدى فهمهم للمراد الإلهي المكتَنَفْ في طيات الآيات، فوجههم الله تعالى إلى ذلك. وقال الآلوسي:

أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله المراد من الخطاب وحضّهم على أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصودْ ومراده، وذلك هو الباطن الذي جهلوا ولم يصلوا إليه بعقولهم.[٢]

ب) الآيات الداعية إلى الاعتبار قصص القرآن

أشار بعض المعاصرين إلى الآيات التي تدعو إلى الاعتبار من القصص القرآني، بعنوان أنها واردة في مجال أدلة وجود البطون في القرآن.[٣] مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾.[٤] «العبرة» من مادة «عَبَرَ» بمعنى العبور، من المعنى الظاهري والوصول إلى المطالب المحورية للتعاليم القرآنية، أي أن الهدف والمقصود أن يفهم معناها كلّ مخاطب آية، وللأجيال المتعاقبة، نعم، فإن كانت القصص القرآنية مقيّدة بالظرف الزماني أو المكاني أو بشخصيات تأريخية لأصبحت قصصاً تاريخية لاغلاقة لها بالأجيال اللاحقة، في حين أن القرآن برنامج حياة لكلّ المسلمين ولجميع الأجيال في الماضي والحال والمستقبل، فلابد أن تغلي الخصوصية في القرآنية، لتكون قضايا عامة تدعو إلى الاعتبار، وتنطبق على مصاديق كلّ زمان، وهو أحد معاني استنباط البطون من الآيات، والذي أشارت إليه بعض الأحاديث. فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

ولو أنّ الآية نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السموات والأرض....[٥]

---

١. راجع: ٢٩؛ النساء: ٨٢، محمد: ٢٤، النحل: ٤٤؛ يوسف: ١ وغيرها.

٢. *روح المعاني*: ٨/١

٣. روش‌هاي تأويل: ١٥٤.

٤. يوسف: ١١١.

٥. *تفسير العياشي*: ٢١/١.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام:

ظهْر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم.[١]

ج) الآيات التي تخبر عن وجود كلّ شيء في القرآن

وفي ما يتعلق بهذه الطائفة كتب الآلوسي قائلاً: أنا لا اعلم ماذا يعمل المنكرون ـ لبطون القرآن ـ بهذه الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.[٣]

المناقشة

إنّ الأدلة القرآنية آنفة الذكر، تدلّ على وجود معنى عميق وراء المعنى الظاهري البسيط للقرآن ولو في الجملة، ولكن دلالة الطائفة الثالثة على ذلك محل إشكال؛ لأن الآية الرابعة والخمسين بعد المائة من سورة الأنعام ـ وبحسب سياقها ـ إنما هي حاكية عن التوراة ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

ويمكن أن يكون المقصود من مفردة الكتاب في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ اللوح المحفوظ، والعلم الإلهي.[٤]

٢. السنّة

أ) الروايات الحاكية أن للقرآن ظهر وبطن(السنّة القولية)

ثمة روايات متعددة من الشيعة والسنّة نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله أقولاً أن للقرآن ظاهر وبطن، وقد مرّ بعضها في مبحث البطن في الروايات، وذكرنا هناك روايات كثيرة عن اهل البيت عليهم السلام مرتبطة ببطون القرآن.

وعقد المجلسي في كتابه ـ *بحار الأنوار*: ٨٩، باباً مفصلاً في خصوص بطون القرآن، فجمع روايات عدة هناك.[٥]

وفعل مثله السيوطي في *الإتقان* والفيض الكاشاني في مقدمة *تفسير الصافي*.

---

١. المصدر: ١/١١.

٢. الأنعام: ١٥٤.

٣. الأنعام: ٣٨.

٤. *تفسير الكشاف*: ٢/٢١ ـ ٣١؛ مجمع *البيان*: ٤/٢٩٨.

٥. راجع: *بحار الأنوار*: ٨٩/٩٧ وما بعده؛ *تفسير الصافي*: ١، المقدمة ٤؛ *الإتقان*: ٤، النوع ٧٧ـ٨٠.

وسوف نستعرض بعضاً من هذه الروايات الواردة في كتب أهل السنّة، وهي كما يلي:

عن رسول الله ﷺ: «لكل آية ظهر وبطن».[١]

وعنه ﷺ: «القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاجّ العباد».[٢]

وورد أيضاً عنه ﷺ: «ما من آية إلّا ولها ظهر وبطن».[٣]

علاوة على ذلك فإنّ هناك روايات منقولة عن الصحابة والتابعين تنصّ على أن للقرآن بطون منها: عن ابن مسعود قال: «إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وأنّ علي بن أبي طالب عنده الظاهر والباطن».[٤]

ونقل عن الحسن البصري قوله: «لكل آية ظهر وبطن».[٥]

وقال ابن عباس: «القرآن ذو شجون، وفنون وظهور وبطون... ظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل».[٦]

ب) السيرة العملية لاهل البيت عليهم السلام

نقل في كثير من الأحاديث عن اهل البيت، أنهم عليهم السلام قاموا ببيان بطون بعض الآيات، وجمعت تلك الروايات في التفاسير الروائية، *كالبرهان، ونور الثقلين، والصافي*، ولابدّ من الإشارة إلى هذه التفاسير، استخدمت مفردة «التأويل» الواردة في تلك الأحاديث مكان البطن، كما سبق ونوهنا إلى أن أحد معاني التأويل هو البطن.

مثلاً في الآية المباركة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾[٧] ينقل لنا أبو حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام: (قال هي في بطن القرآن: وإذا قيل للنصاب قولوا علياً لا يفعلون).[٨]

مثال آخر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ﴾[٩] حيث

---

١. الإتقان: ٢/٢٣٦ وما بعدها، النوع ٧٧.

٢. نفس المصدر.

٣. *كنز العمال*: ٢/٥٥.

٤. *الإتقان*: ٢، النوع ٨٠

٥. المصدر، النوع ٧٨.

٦. المصدر، النوع ٧٧.

٧. المرسلات: ٤٨.

٨. *البحار*:٣٦/١٣١.

٩. الملك: ٣٠.

حكي عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهو في مقام تأويلها انه قال: (إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد).[١]

من الواضح أنّ في النوع من الروايات قد تمّ إلغاء الخصوصية من الآية، و اعتبرت لقاعدة تجري في كل وقت كلية، ويمكن تطبيقها على المصاديق، كما سيأتي توضيح ذلك.

المناقشة

ادعى بعض المفسرين كالنهاوندي في *نفحات الرحمن* أن روايات البطون متضافرة إن لم تكن متواترة.[٢]

وإذا التفتنا إلى إن بعض تلك الروايات روايات صحيحة السند، كما صرح بذلك الذهبي.[٣]

وإذا التفتنا إلى صحة حديث فضيل المارا آنفاً، و أضفنا إليه كثرة أحاديث البطون، فإننا نستنتج ونطمئن لوجود البطن في القرآن.

وإنّ ضعف بعض الأحاديث لا يسقط من قيمة هذا الاستنتاج، وذلك لأن الروايات منسجمة مع ظاهر الآيات التي تشير إلى وجود البطون، و مع موافقته لبناء السيرة العقلائية، كما سيأتي توضيحه.

٣. الدليل العقلي والدليل العقلائي

إن الله تبارك وتعالى هو الهادي الحقيقي لكلّ البشر، وإنّما أنزل القرآن لذلك الهدف، فالقرآن الكريم هذا الكتاب الذي بين الدفتين إنّما أنزل لجميع الأجيال والأزمنة حتى نهاية التاريخ البشري، وبصورة طبيعية، سوف لن تجد ظاهر الآيات كافية لتبيان جميع المعارف والأحكام وملبية لمتطلبات البشر الدينية، فلا بدّ أن يكون قسم كبير من المعارف القرآنية قد أضمر في بطون الآيات لكي يستكشف بمضي السنين وبعد تطوّر عقول المفكرين يقومون بإيستنباط آراء جديدة فيقدم بين يدي البشرية.

وهذه النقطة هي سر الخلود والعالمية في القرآن، فان كثيراً من آيات القرآن إذا أخذت على ظاهرها، ستحوّل القرآن إلى كتاب تاريخي صرف لولا مسألة بطون القرآن: -

---

١. الكافي: ١ / ٣٤٠.

٢. *نفحات الرحمن*: ٢٨/١.

٣. *التفسير والمفسرون*، الذهبي: ٢٨/٢.

ومن المؤكد أن سيرة العقلاء والنهج المستمر للحكماء، إنّما هو على هذه الطريقة، من حيث عرض معان كثيرة في عدد محدود من الكلمات، ولكن يتم بيان تلك المعاني على شكل مستويات متفاوتة من حيث العمق العلمي ، أي تكون المعلومات التي في المستوى الظاهري في معرض فهم العامة من البشر، وأما المستويات الأعمق فهي تكون موضوعاً لقراءة من هو أكثر علماً ونبوغاً.

وعلى سبيل المثال، فقد أُلفت كتب المنطق والفلسفة وكثير من كتب العلوم الطبيعية على هذه الآلية والكيفية، أي يكون الفهم السطحي لها ممكناً بالمطالعة وأمّا الفهم الأعمق فيحتاج إلى شرح الأستاذ ودقة التدبر من الطالب، ويحتمل أن يكون هذا المنشأ هو الدافع لبعض الروايات والأحاديث بأن تعتبر أن باطن القرآن هو التدبر فيه، والتعمق في فهمه.[١]

وعليه فان الدليل العقلي والنهج العقلائي في بيان حقائق الحكمة والغنية بالمعاني القرآنية يقتضي أن يكون القرآن ذا بطون، ومن هنا تكون الأدلة الأخرى لوجود البطون في القرآن بالآيات والروايات إنّما هي إرشادية لحكم العقل وطريقة العقلاء.

ومن جملة الذين استشهدوا بهذا الدليل هو: الآلوسي.[٢]

٤. إجماع المفسرين

ادّعى الذهبي: أن الأحاديث الصحيحة تدلّ على وجود بطون القرآن، وقد ذهب إلى ذلك جمهور المفسرين،[٣] غير أنه بين معنىً خاصاً لها سنأتي على إيضاحه لاحقاً.

المناقشة

من الواضح أن حجيّة إجماع المفسرين محل تأمّل وإشكال، ولا يوجد دليل خاص في هذا المورد على حجيّة إجماعهم.

وعليه لا يمكن أن يكون هذا الدليل ـ على أكثر التقادير ـ إلّا مؤيداً وشاهداً على وجود بطون القرآن.

---

١. راجع: *كنز العمال*: ٦٢٢/١؛ *تفسير الصافي*: ٢٨/١.

٢. راجع: *روح المعاني*:١ /١٨.

٣. التفسير والمفسرين، الذهبي:٣٢/٢.

الآراء الرئيسية المتعلّقة بالبطن

من خلال دراسة تاريخية لمسألة البطن في القرآن تنكشف لنا ثلاثة اتجاهات هي:

أ) الأخذ ببطن القرآن ونفي الظواهر

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ظهرت جماعة تسمى الخطّابية، وهم أتباع «أبو الخطاب، محمد بن مقلاص الكوفي»، حيث يعد مؤسس الاتجاه الباطني والغلو والتأويلية.[١] وذهب هؤلاء: إلى أنّ الإنسان إذا عرف الحق يمكنه ترك العمل بظواهر الشريعة.[٢]

وفي هذا الاتجاه ظهرت فرقة أخرى تدعى بـ«الباطنية» وهم فرع من الإسماعيلية.[٣]

وهؤلاء يؤولون الأحكام والمفردات الظاهرية للإسلام إلى المقامات الباطنية والعرفانية، ويزعمون أن ظاهر الشريعة هو خاص بالأشخاص ضعيفي العقول والذين لا ينتفعون من الكمال المعنوي.[٤]

وقد ظهر مذهب الخطابية في عهد الإمام الصادق عليه السلام، وقد تصدّى الامام عليه السلام لهذه المجموعة المنحرفة.[٥]

كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب:

بلغني أنّك تزعم أنّ الخمس رجل، وأنّ الزنا رجل، وأنّ الصّلوة رجل، وأنّ الصوم رجل. وليس كما تقول: نحن أصل الخير، وفروعه طاعة الله، وعدونا أصل الشر، وفروعه معصية الله. ثمّ كتب: يطاع من لا يعرف، وكيف يعرف من لا يطاع.[٦]

ومن ثمَّ طرد المسلمون هذه الفرقة، واعتبر النسفي والتفتازاني، الفكر الباطني نوعاً من الإلحاد.[٧]

وقد حذّر الملّا صدرا الشيرازي من الأفكار الباطنية.[٨]

---

١. لمزيد من الاطلاع على حالات أبي الخطاب ومذهب اهل البيت عليهم السلام، راجع: *معجم رجال الحديث*:١٤/٢٤٣ وما بعدها.

٢. راجع: *معاني الأخبار*:٢/٤٠٢، ح٢.

٣. *دائرة معارف التشيع*:٧، مدخل«الخطابية».

٤. *الشيعة في الإسلام*: ٨٥

٥. *بصائر الدرجات الكبرى*: ٥٤٦ـ٥٥٦.

٦. المصدر: ٥٢٦؛ *مقدمة تفسير البرهان*: ١٢.

٧. راجع: *الإتقان، في علوم القرآن*:٢/٢٣٥، ٢٣٦.

٨. راجع: *كسر أصنام الجاهلية*: ٢١.

وأمَّا العلامة الطباطبائي، فقد ذكر: «أن جماعة من المتصوفة، ونتيجةً لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة و اعتنائهم بشأن الآيات الأنفسية دون عالم الظاهر، وآياته الآفاقية اقتصروا في بحثهم على التأويل، و رفضوا التنزيل....» و بناءً على رفض أسلوبهم في التفسير.[١]

قال الشهيد المطهري: «باتفاق جميع المذاهب الإسلامية (السنة والشيعة): أنّ هؤلاء لا يعدّون من زمرة المسلمين».[٢]

إن نفي ظواهر القرآن والاكتفاء بباطن الآيات، يستلزم نفي الشريعة التي ورد الكثير منها في نصوص وظواهر الآيات، وأن إنكار هذه الأحكام يستلزم إنكار ضروريات الدين.

ب) الأخذ بالظواهر ونفي البطون

وفي التاريخ الإسلامي ظهر الاتجاه الظاهري المتطرّف ليقف على النقيض من الاتجاه الباطني.

القاضي عبد الجبار المعتزلي(ت٤١٥هـ)

وقد اعتمد على الأدلة العقلية وتجاهل الروايات النبوية حول الظهر والبطن، و به أنكر الوجود الباطني الذي تدل عليه الظواهر. وكان يرى: أن دفع الاختلاف يتمّ عن طريق إرجاع الآيات إلى المحكمات و هو أمر ممكن، ولا حاجة للأخذ بالبعد الباطني للآيات. ومن ثمَّ تصدى لرد الباطنية.[٣]

وأمَّا ابن حزم الأندلسي، فقد أنكر الباطن في الدين الإسلامي، وذهب إلى أنَّ مدعي وجوده، كافر يقتل، فقال: «ومن قال: إنّ في شئٍ من الإسلام باطناً غير الظاهر، الذى يعرفه الأسود والأحمر، فهو كافر يقتل».[٤]

وقال ابن تيمية في جوابه: هل صحَ عن النبيﷺأنه قال: «للقرآن باطن»، ثمَّ أردف قائلاً: «أمَّا الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقة،[٥] التي لم يروها أحد من أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث، ولكن يروى عن الحسن البصري، موقوفاً أو مرسلاً: أنَّ لكل آيةٍ ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً».

---

١. *الميزان*:٤/١.

٢. *آشنائي با قرآن ـ التعرف على القرآن*: ٢٦،٢٧/١٢.

٣. *المغني في أبواب التوحيد والعدل*:١٦؛ *إعجاز القرآن*/٣٦٤ وما بعدها.

٤. راجع: *المحلى*:٣١٨/٧؛ المسألة ٩٤٢.

٥. في *علوم القرآن عند المفسرين*:٣/٣، ٧٩«المختلفة» ونحن لم نجده في المصادر الأصلية، ولكن الصحيح يبدو أن الصحيح هي«المختلقة» أي المجعولة، كما هو المشهور من اعتبار ابن تيمية لأحاديث البطن مجعولة.

وقام بتقسيم علم الباطن إلى عدة أقسام، وردَّ بعضها وقبل البعض الآخر، وقال: «علم الباطن الذي يبطن عن أكثر الناس علمه.... فإنّ الباطن إذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم، فإنّ علم أنّه حقّ قبل، وإن علم أنه باطل ردّ وإلّا أمسك عنه».

ومن ثمّ ناقش آراء الباطنية القرامطة،[1] والإسماعيلية والنصيرية،[2] وأمثالهم: من الفلاسفة، والغلاة، والصوفية، والمتكلمين، وحمل عليهم بشدة.

ونقل أقوالهم: في أنّ معنى الصلوات الخمس هي: معرفة أسرارهم. ومعنى صيام رمضان: هي كتمان أسرارهم. وقول بعض الصوفية أنّ المقصود من قوله تعالى ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[3]: هو القلب، وأن المقصود من البقرة في الآية ٦٧ من سورة البقرة هي: النفس.

وكذا حمل على الزيدية الذي يعتقدون، بأن الإمام علي عليه السلام هو أعلم الناس بالباطن وأبوبكر أعلم الناس بالظاهر. بل على العكس. فقد اتفق محققو الصوفية على أنّ أبا بكر هو أعلم الناس بالباطن.

ومن ثمّ ادّعى ابن تيمية: أنّ أهل السنة والجماعة متفقون على أنّ أبا بكر هو أعلم الأمة بالباطن والظاهر، وقد أجمع كثير منهم على هذه المسألة.[4]

ابن القيم، وهو تلميذ ابن تيمية، اعتبر: أنّ تأويل الظواهر إلى البطون وبأي شكل كان يعد أمراً فاسداً وجريمة في عالم الإسلام.[5]

المناقشة

وكلّ إفراط يستتبعه تفريط، وقد أحدث الاتجاه الباطني المتطرّف ردة فعل وهي؛ بروز الاتجاه الظاهري المتطرّف الذي يعتقد بنفي البطون.

ومع التدقيق في كلام ابن تيمية يتضح موقفه المخالف للبطن في قبال الباطنية (القرامطة،

---

١. منسوب إلى حمدان بن الأشعث الملقب بالقرمط، وكثير من عقائد هؤلاء باطنية [راجع: *مقالات الأشعري*:٢٦/١؛ *الفرق بين الفرق*: ١٦٩ـ١٧٣].

٢. جماعة من الباطنية كانوا يعيشون في شمال الشام، ويعتبرون من غلاة الشيعة. [راجع: *دائرة المعارف الإسلامية*، مادة نصيري؛ *مذاهب الإسلاميين*:٤٤٥/٢].

٣. طه: ٢٤.

٤. *مجموع الفتاوى*: ١٠٣/٨ــ١٠٧؛ وكذا راجع: *مجموع الرسائل المنبرية*؛ *رسالة في علم الباطن والظاهر*:٢٥٢/١ـ٢٢٩؛ *التفسير الكبير*:٣٩/٢ـ٤٩ نقلاً عن *علوم القرآن عند المفسرين*:٨٥/٣

٥. راجع: ابن القيم الجوزية، عصره، ومنهجه، وآثاره.. :٣٩٢ـ٤٨١.

والنصيرية، والصوفية..) الذين ينفون ظواهر الشريعة. غير أن ابن تيمية وأمثاله لم ينكروا أصل مسألة البطون، كما هو الملاحظ من قبوله لقسم من الباطن وذلك باعتقاده أنّ أبا بكر أعلم الناس بالباطن.

والشبهة التي أثارها متعلقة بالسند، في حين أن الروايات التي تتحدث عن البطن ـ والتي مرَّ ذكرها ـ كثيرة، وهي موافقة لظواهر بعض الآيات والدليل العقلي والعقلائي. وعليه لا تحتاج إلى البحث السندي. علاوة على ذلك تصريح البعض كالذهبي بوجود أحاديث صحيحة، وأنّ هذه المسألة هي محل اتفاق جمهور المفسرين.[١]

وعند التأمّل في أدلة أهل السنّة في هذا الموضوع، يتضح ضعف كلام ابن حزم، وابن القيم، ويتّضح أن قضية التأويل، دليلها النص القرآني (الآية ٧ من سورة آل عمران)، وقضية البطون جاءت على أساس الروايات المتضافرة. إذن فعلى أي أساس يحكم بقتل من يقول بالبطن والتأويل؟!

ومن الجدير بالذكر، أن القائلين بالبطن لم يدّعوا أنَّ النبيﷺأخفى مباحث الشريعة، وإذا كان من اللازم أن يقتل مدعي البطون فإن النبيﷺ واهل البيتعليهم السلام وعموم المفسرين يكونون في موضع الإدانة. وهذا الحكم لا يقبله علماء الإسلام. إذن يكون مقصود ابن حزم، وابن القيم، هم الباطنية، وبحسب تعبير الشهيد المطهري الذين ليسوا من المسلمين.[٢]

ج) أسلوب اهل البيتعليهم السلام في العمل بظواهر القرآن وبطونه

يعتقد العلامة الطباطبائي: أن أسلوب اهل البيتعليهم السلام هو العمل بالظاهر والباطن،[٣] وتؤخذ هذه المسألة من السنّة العملية لهم.[٤]

وحكي عن الإمام الصادقعليه السلام إنّه قال:

> إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر ولا باطن إلا بظاهر.[٥]

---

١. *التفسير والمفسرون*:٣٢/٢.

٢. راجع: *آشنايي با قرآن* ـ (التعرف على القرآن):٢٦/١ـ٢٧.

٣. الطباطبائي، *الميزان*: ٧/١.

٤. وقد مرَّ مفهوم البطن في الروايات وكذا في بحث أدلة البطن.

٥. *بصائر الدرجات*: ٥٥٦ ـ ٥٥٧.

فإنّ حجية ظواهر القرآن مستندة إلى بناء العقلاء، ولا يمكن نفيها، وأمّا وجود بطون القرآن فهو مستند إلى الأدلة: من القرآن، والسنة، والعقل، والعقلاء، وإجماع المفسرين. وحيثما ثبت بطن لآية بدليل معتبر كان حجة. وعليه فلابدّ للمفسّر أن يلاحظ ظواهر القرآن وبطونه وإلّا سيكون تفسيره ناقصاً.

واهتم الكثير من المفسرين على مرّ العصور بمسألة الظاهر والباطن بدرجة ادّعى فيها الذهبي: أن روايات البطون مقبولة عند جمهور المفسرين.[١]

وقد أشرنا في تاريخ هذا الموضوع إلى آراء المتبنين: كالتستري، والتفتازاني، والزركشي، والسيوطي والذهبي، والعياشي، والفيض الكاشاني، والطباطبائي، والخميني، ومعرفة، وغيرهم. وسنشير في ثنايا هذه المقالة إلى تفصيل بعض نظريات العلماء والمفسرين في خصوص البطون.

استنتاج

لم تكن نظرية اتباع البطن مرفوضة من قبل اهل البيت‌عليهم السلام وعلماء الإسلام فحسب، بل مع الالتفات إلى حجية ظواهر القرآن يحكم ببطلان هذه النظرية. وبعد دراسة آراء ابن تيمية تبين بطلان نظرية الظاهرية على أساس أدلة وجود البطون، وعليه تكون النظرية الثالثة وهي الأخذ بظواهر القرآن وبطونه «أسلوب اهل البيت‌عليهم السلام» صحيحة لأن أدلة وجود البطون القرآنية وأدلة حجية الظواهر تدعمها، وهي نظرية غالب مفسري القرآن.

آراء العلماء حول بطون القرآن

لقد بيّنا نظريات مختلفة وتفسيرات متنوعة حول بطون القرآن وهنا نشير إلى مجموعتين رئيسيتين:

الأولى: نظرية الوجود المعرفي

وعلى أساس هذه النظرية، فإن للقرآن مراتب وجودية، أعلا مراتبها، عند الله، وهي ليست من جنس الألفاظ والمعاني، بل حقائق وجودية تنزل عن طريق جبرائيل على النبي‌صلى الله عليه وآله وبمراتب أقل الألفاظ والمعاني، وعن طريق النبي‌صلى الله عليه وآله تُبلّغ إلى الناس.

بعض مفسري القرآن يستطيعون مع السلوك إلى الله الحصول على المراتب الوجودية

---

١. *التفسير والمفسرون*: ٣٢/٢.

العالية للقرآن(البطن)، حيث موجودة في العلم الإلهي.

ويظهر أنّ هذا الرأي يمكن أن يستكشف ممّا ذكره الإمام الخمينيقُدِّسَ سِرُّهُ، حيث قال:

«وحقيقة القرآن الشريف قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية وتطوّره بالأطوار الفعلية من الشؤون الذاتية والحقائق العلمية للحضرة الواحدية، وهو حقيقة «الكلام النفسي» الذي هو مقارعة ذاتية في الحضرة الأسمائية، وهذه الحقيقة لا تحصل لأحد لا بالعلوم الرسمية ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية إلا بالمكاشفة التامة الإلهية لذاتٍ النبي الخاتم المباركةصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في محفل انس، وقاب قوسين، بل في خلوة سرّ مقام أو أدنى، وأيدي آمال الأسرة البشرية قاصرة عنها إلّا الخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانية تلك الذات المقدسة بحسب الأنوار المعنوية والحقائق الإلهية، وفنوا بواسطة التبعية التامة فيه، فإنّهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة منهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانية والكمال التي تجلّت لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل والتطوّر بالأطوار وهو القرآن، من دون تحريف وتغيير، ومن كتّاب الوحي الإلهي من يقدر على تحمّل هذا القرآن هو النفس الشريفة لولي الله المطلق علي بن أبي طالبعَلَيْهِ السَّلَامُ وأما سائر الخلق فلا يقدرون على أخذ هذه الحقيقة إلّا مع التنزّل عن مقام الغيب إلى موطن الشهادة والتطور بالأطوار الملكية والتكسّي بكسوة الألفاظ والحروف الدنياوية، وهذا أحد معاني التحريف الذي وقع في جميع الكتب الإلهية والقرآن الشريف، وجميع الآيات الشريفة قد جعلت في تناول يد البشرية بالتحريف بل بالتحريفات الكثيرة على حسب المنازل والمراحل التي طواها من حضرة الأسماء إلى أخيرة عوالم الشهادة، وعدد مراتب التحريف مطابق لعدد مراتب بطون القرآن طابق النعل بالنعل إلّا أنّ التحريف عبارة عن التنزّل عن الغيب المطلق إلى الشهادة المطلقة على حسب مراتب العوالم، والبطون عبارة عن الرجوع من الشهادة المطلقة إلى الغيب المطلق، فمبدأ التحريف ومبدأ البطون متعاكسان والسالك إلى الله إذا وصل إلى أي مرتبة من مراتب البطون، قد تخلّص من مرتبة من مراتب التحريف إلى أن يصل البطون المطلقة؛ وهي البطن السابع على حسب المراتب الكليّة فيتخلص من التحريف المطلق.[1]

---

١. آداب الصلاة: ٢٦٨ـ٢٦٩. وفي موضع آخر في بيان وجه الجمع بين «إنا» و«أنزلناه» بصيغ الجمع قالقُدِّسَ سِرُّهُ: اعلم أنّ السرَّ في ذلك هو تفخيم مقام الحق تعالى بمبدئية تنزيل هذا الكتاب الكريم. ولعلَّ صيغة الجمع هذه من أجل الجمعية الأسمائية، وللإشارة إلى أن الحق تعالى ـ وبجميع شؤونه الأسمائية والصفاتية ـ هو مبدأ هذا الكتاب الكريم، ولهذا كان هذا الكتاب الشريف صورة أحدية جمع جميع الأسماء والصفات ومعرّفاً للمقام المقدّس للحق بكافة الشؤون والتجليات.

ملاحظة

اتجاه العلامة الطباطبائي رحمه الله في مبحث «التأويل» وهو أن تلك الروح والحقيقة القرآنية في اللوح المحفوظ حيث لا يعلمها إلا المطهرون،[١] وهذا الرأي يتفق مع النظرية أعلاه في مبحث «البطن».

(وإن كان العلامة قد ذهب إلى أن بطن القرآن هو من الأمور المفهومية سوف تأتي لاحقاً).

المناقشة

النظرية المتقدمة نظرية لطيفة، ويمكن أن يستشهد عليها بالآية ٢١ـ٢٢ من سورة البروج ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾،[٢] والآية ٧٩ من سورة الواقعة ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾، وآيات نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله عن طريق جبرائيل.[٣]

وهذا المعنى لا يتطابق مع استعمالات مفردة «البطن» في الأحاديث، وهو ما لاحظناه في مبحث مفهوم البطن في الروايات، فإنّ البطن في أكثر المعاني يستعمل في الفهم والتفسير، وليس في حقيقة القرآن عند الله. وعليه، فيمكن عدُّ نظرية الإمام الخميني رحمه الله نظريةً خاصَّة في البطن.

الثانية: نظرية المعاني والمفاهيم

وعلى أساس هذه النظرية، لا يكون البطن من سنخ المراتب العالية لوجود القرآن؛ بل من سنخ المعاني والمفاهيم المبتنية على العمق الفكري لآيات القرآن، والتي تتشكّل في ذهن الإنسان.

وأصحاب هذه النظريات، ليسوا على رأي واحد؛ بل لكلٍ منهم اتجاه مختلف في تفسير البطن، وبالإمكان إرجاع بعض الآراء إلى البعض الآخر، وفقاً الترتيب التالي:

أ) **إن بطن القرآن**: هو هدف الآية بعد إلغاء الخصوصية: بصورة قاعدة كلية تستخرج وتطبق على المصاديق الجديدة.

وآراء بعض المفسرين والمحققين وعلى امتداد التأريخ متناغمة مع هذه النظرية، ومن جملتها:

١. الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) حيث بيَّن أربعة معاني لبطون القرآن منها: ما حكي عن أبي عبيدة، من أنّ المقصود من ظاهر القرآن: القصص بالإخبار عن هلاك الأولين و المقصود

---

١. مَّر الحديث عن نظرية العلامة في مبحث«التأويل»، راجع: *الميزان*: ٤٥/٣، ذيل الآية ٧ من سورة آل عمران.

٢. البروج: ٢١، ٢٢.

٣. وبالطبع إذا دفعت الإشكالات المتعلقة بدلالة الآية ٧٩ من سورة الواقعة والتي مرت في مبحث التأويل، ويصح تفسير الآية على حقيقة القرآن.

من ظاهره عظة للآخرين.[١] وما حكي عن ابن مسعود من أنّه قال: ما من آية إلّا وقد عمل بها قوم، ولها قوم يعملون بها.[٢]

٢. يعتقد الشاطبي: «أنّ الظاهر، هو المفهوم العربي المجرد... والباطن، هو المراد من الخطاب».[٣]

٣. النهاوندي في *نفحات الرحمن*، يعتقد بـ«أن ظاهر القرآن هو المعنى الذي يلتفت إليه من خلال المدلول المطابقي والالتزام الواضح، وباطن القرآن ، هو الدلالة الالتزامية الخفية، والإشارات الإبهامية، واللطائف والدقائق التي يمكن تحصيلها من خلال عموم العلة ، أو الملاك الأقوى وغيرها.[٤]

٤. الذهبي: يعتقد أنّ ظاهر القرآن ـ والذي نزل بلسان عربي مبين ـ هو: فهم معنى تلك الألفاظ العربية ، وأمّا الباطن للقرآن الكريم فهو فهم المراد الإلهي ، وغرضه ومقصوده والذي اكتنف وراء ظاهر الألفاظ ، وأسلوب تركيبها.[٥] ويفهم هذا المعنى من كلام الزرقاني.[٦]

٥. الشيخ معرفة: «المقصود من البطن؛ ذلك المفهوم العام الواسع المكتنف وراء الظهر، والذي يكمن تحت شرائط الخاصة لهذا المفهوم الواسع المستخرج من بطن الآية».[٧]

وقال في مكان آخر: إنّ بطن القرآن عموم ثابت تنطوي عليه الآية ، وبذلك: تشمل عامة المكلفين وإلى الأبد، ويتّسع بسعة العالم ومضي الزمان.[٨]

وتكلم الشيخ حول هذا الموضوع في كتابة (التفسير الأثري الجامع) معتبراً أنّ بطن القرآن أحد معاني التأويل: والمصطلح الآخر للتأويل هو: تبيين المفهوم العام الخابيء وراء ستار اللفظ الذي يبدو خاصاً حسب التنزيل.[٩]

ثم أورد روايات البطون كشاهد على ما قال فكتب: «وعليه فللقرآن ظهر حسب التنزيل

---

١. *التبيان*: ٩/١.

٢. المصدر.

٣. *محاسن التأويل*:٥١/١ـ٦٧.

٤. *نفحات الرحمن*: ٢٨/١.

٥. *التفسير والمفسرون*: ٣٥٧/٢ ـ ٣٥٨.

٦. راجع: *مناهل العرفان*، الزرقاني: ٤٣٩/١.

٧. *علوم قرآني*، معرفة، ص٩١.

٨. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢٨/٣.

٩. *التفسير الأثري الجامع*: ٣٠/١.

وبطن حسب التأويل، إنّما عبّر عنه بالبطن، لأنّ هذا المفهوم العام إنما استخلص من فحوى الآية استخلاصاً، بإعفاء جوانب الآية المرتبطة بالمناسبات والتي تجعل الآية خاصّة بها حسب ظاهر التنزيل، ليجعلوا وجه الآية العام بعد إلغاء الخصوصيات السائرة، لقد بطن هذا المعنى العام، لمن قصر نظره على ملابسات الآية حسب تنزيلها ، أما الذي تعمّق النظر وتدبّر فيجد الآية ذات مفهوم واسع سعة الآفاق الأمر الذي يجعل القرآن في جميع آية ذات رسالة خالدة».[١]

ثم ساق مثلاً لذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾،[٢] والتي نزلت حول المشركين المشككين بنبوة النبيﷺ فدعتهم لسؤال أهل الذكر ، أي أهل الكتاب، ولكن موضوع الآية عام وشامل لرجوع كل جاهل إلى العالم في أصول الدين وفروعه. وهذه واحدة من القواعد والرسائل العالمية.[٣]

إذن من اللازم إلغاء الخصوصيات، والهدف من الآية المحيطة بشأن النزول وبيانها بشكل قاعدة كلية في رجوع الجاهل إلى العالم ليمكن تطبيقها على المصاديق الجديدة.

ثم يُذكِّر بأن دلالة الآيات على البطن من نوع الدلالة الالتزامية غير البيّنة ، وعليه فإنّ فهم البطن يحتاج إلى نظر عميق.[٤]

واستمر في الكلام مبيّناً أسلوب استخراج البطون ، فذكر شروطها:

تحصيل هدف الآية، إلغاء الخصوصيات، وأخذ القاعدة الكلية، التطبيق على المصاديق الجديدة، وغيرها.[٥]

ويلاحظ هذا الأسلوب كثيراً في الروايات التفسيرية لاهل البيتعليهم السلام ، وذكر الشيخ «معرفة» أمثلة متعددة من تلك الروايات لا سيما في تفسير مفردة «الميزان»[٦] بالإمام عليعليه السلام، ومفردة «ماء معين»[٧] بعلم الإمامعليه السلام ، حيث ذكر إنه سيوضح هذه المباحث فيما بعد.

---

١. المصدر: ٣١/١.

٢. النحل: ٤٣.

٣. المصدر: ٣١/١.

٤. المصدر: ٣٢/١.

٥. المصدر: ٣٢ ـ ٣٧.

٦. الرحمن: ٧ ـ ٩.

٧. الملك: ٣٠.

٦. الآخوند الخراساني: احتمل أن مسألة البطون من باب لوازم المعنى للآية.[1]

وكذا السيد الخوئي في مباحثه في لأُصول الفقه أكد على رأي الشيخ الآخوند، حيث قال: «أمّا ما ذكرهُ ثانياً من أنّ المراد من البطون لوازم معناه وملزوماته من دون أن يستعمل اللفظ فيها، والتي لن تصل إلى إدراكها أفهامنا القاصرة إلّا بعناية من أهل بيت العصمة والطهارة الذين هم أهل القرآن، فهو الصحيح. وتدلّنا على ذلك روايات كثيرة تبلغ حدّ التواتر إجمالا بلا ريب».[2]

ومن الملاحظ أن الآخوند الخراساني، والسيد الخوئي، يؤكدان على أنّ فهمنا قاصر عن إدراك لوازم المعنى «البطون» ولكن الشيخ معرفة وآخرين لم يذكروا هذا القيد، وسنبين بعض المسائل حول هذا الموضوع لاحقاً.

المناقشة

وهذه النظرية موافقة لكثير من روايات البطن، أي موافقة للمجموعة الأولى (البطن بمعنى التأويل)، والمجموعة الثانية (البطن بمعنى المصاديق الجديدة) والمجموعة الثالثة (البطن هو التدبر والعمل بالقرآن)، والمجموعة الرابعة(البطن بمعنى المعنى العميق للقرآن).

ب) بطون القرآن: هي المعاني الطولية المستترة في الآيات

ذكر العلامة الطباطبائي، بعد تحليل روايات البطن ما يلي: «إن الظهر هو المعنى الظاهر البادي من الآية، والمعنى الباطن هو الذي تحت الظاهر سواء كان واحداً أو كثيراً، قريباً منه أو بعيداً، بينهما واسطة».[3]

وأورد مثالاً: أن للقرآن ظاهر وباطن، إن الله تعالى يقول في كلامه: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[4] والظاهر من هذا الكلام النهي عن العبادة المعروفة للأصنام كما في قوله تعالى: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان».[5] ولكن بالتأمّل والتحليل يتضح ما يلي: أن المنع والنهي من عبادة الأصنام إنما هو للخضوع والتذلل لغير الله، وكون المعبود ضماً لا خصوصية له، كما اعتبر الله طاعة الشيطان من العبادة حيث قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا

---

١. *كفاية الأصول*، الآخوند الخراساني: ٢٠٤/١ (مبحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى).

٢. *المحاضرات في الأصول*، الخوئي، تقرير محمد إسحاق الفياض: ٢١٣/١ ـ ٢١٤.

٣. *الميزان*: ٧٤/٣.

٤. النساء: ٣٦.

٥. الحج: ٣٠.

الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١] وبتحليل آخر يتضح أن الطاعة والخضوع من الإنسان لغيره لا تختلف عن طاعته لهواه واتباع لشهواته، فكما أنه لا تجوز طاعة الغير، لا تجوز طاعة الهوى والنفس، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.[٢]

وبتحليل أدق، يتضح: أن لا ينبغي الالتفات إلى غير الله (تبارك وتعالى)، ولا نغفل عنه لأنّ الالتفات عن الله والتوجّه إلى غير الله هو نوع إعطاء الاستقلالية له، ونوع خضوع واستصغار للنفس في مقابله، وهذا هو الذي يمثل روح الإيمان والعبادة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾،[٣] فكما يلاحظ من الآية الكريمة «ولا تشركوا به شيئاً» إنّ الفهم الابتدائي هو: النهي عن عبادة الأصنام وبنظرة أوسع، أن لا يعبد الإنسان أو يطيع غيره بغير إذن من الله، وبنظرة أكثر سعة، أن لا يتبع الإنسان هواه، وبنظرة أكثر شمولية أن لا يغفل الإنسان عن الله أو يلتفت إلى غير الله.

فإن هذا الترتيب يعني ظهور معنى بسيط ابتدائي من الآية ـ في بادىء الأمر ـ ثم ظهور معنى أوسع بعده، وهكذا يظهر معنى تحت معنى آخر في جميع آيات القرآن الكريم. ومن هنا يمكن فهم الحديث النبوي المعروف والمأثور في كتب الحديث والتفسير: «إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن».[٤]

بناء على ما مرّ، فإنّ للقرآن المجيد ظاهر وباطن «ظهر وبطن» وكلاهما مرادان من الكلام، إلّا أنّهما مرادان طولياً لا يرادأحدهما في عرض الآخر، أي أن إرادة ظاهر اللفظ لا تنفي الباطن، وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر.

ذكر العلامة الطباطبائي في مكان آخر حول التأويل ما يشابه هذا الكلام حيث قال: «إنّ للقرآن مراتب مختلفة من المعنى مترتبة أولاً من غير أن تكون الجميع في عرض واحد، فيلزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد أو مثل عموم المجاز، ولا هي من قبيل اللوازم

---

١. يس: ٦٠.
٢. الجاثية: ٢٣.
٣. الأعراف: ١٧٩.
٤. *الصافي*: ٨/١

المتعددة لملزوم واحد، بل هي معانٍ مطابقية يدل على كل واحد منها اللفظ بالمطابقة بحسب مراتب الأفهام».[1]

وفي موضع آخر في مقام تحليل روايات البطون قال: «ومن هنا يظهر:

أولاً: أنّ للقرآن مراتباً من المعاني المرادة بحسب مراتب أهله ومقاماتهم.

ثانياً: أنّ الظهر والبطن أمران نسبيان فكلّ ظهر بطن بالنسبة إلى ظهره وبالعكس».[2]

المناقشة

إنَّ رأي العلامة موافق لبعض روايات البطن، مثل المجموعة الثالثة(البطن هو التدبّر والعمل بالقرآن)، والمجموعة الرابعة(البطن بمعنى عمق القرآن)، والمجموعة الخامسة(بطن القرآن هو فهمه)، وبالأخص المجموعة السادسة(بطون القرآن هي المستويات المختلفة).

وبعد التأمل في كلام العلامة، يتضح سعة معاني الآيات وذلك بالالتفات إلى القرائن في مسألة البطن.

وربما أمكننا إرجاع رأي العلامة إلى الرأي المتقدم (استخراج الهدف والقاعدة الكلية و...)؛ ما عدا ما ذهب إليه العلامة من أن بطن القرآن هو الطولي والمطابقي، وأمّا الرأي السابق، فهو من لوازم المعنى، حيث إنّ العلامة في تكملة بحثه طرح احتمال أن تكون لوازم معنى اللفظ مترتبة بصورة طولية.[3]

ج) بطن القرآن: المعاني العرضية من باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى

يعتقد الشيخ مكارم الشيرازي بجواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى، ومثاله لفظ«العين» فبالإمكان وبلحاظ واحد أن تستعمل في العين الجارية، والعين الباكية.[4]

ومن ثمّ يتطرق إلى مسألة البطن قائلاً: «الروايات الكثيرة الواردة في بيان أن للقرآن بطناً أو سبعة أبطن أو أكثر من ذلك، ظاهرة في أنّ اللفظ والحد استعمل في معانٍ وتعدد...»،[5] ويستفاد من جميع ذلك أنه لا يلون البطن إلا معانٍ مستقلة أريد من الكلام في جنب المعنى

---

١. الميزان: ٦٤/٣.

٢. المصدر: ٧٣.

٣. *الميزان*: ٤٥/٣.

٤. راجع: *أنوار الأصول*: ١٤٦/١، ١٤٧.

٥. المصدر: ١٤٨.

الظاهري، وعلمها عند أهلها فيكون من باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى، وإن لم يكن كلها معانياً حقيقية».[١]

المناقشة

ثمّة خلاف بين علماء أصول الفقه فيما يتعلق باستعمال اللفظ في أكثر من معنى، سيوف يأتي بيانه في مبحث قواعد التفسير،[٢] حيث إنّ استعمال اللفظ في أكثر من معنى جائز، وكلام الشيخ مكارم هو الصحيح في هذا المقام.

وتعرّض بعض العلماء والمفسرين إلى خصوص بطون القرآن، وذهب إلى أنها ليست من باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

قال الآخوند الخراساني: «لعلك تتوهم أنّ الأخبار الدالة على أنّ للقرآن بطوناً ـ سبعة أو سبعين ـ تدل على وقوع استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، فضلاً عن جوازه، ولكنّك غفلت عن أنه لا دلالة لها أصلا على أن إرادتها كان من باب إرادة المعنى من اللفظ، فلعله كان بإرادتها في أنفسها حال الاستعمال في المعنى، لا من اللفظ، كما إذا استعمل فيها، أو كان المراد من البطون لوازم معناه المستعمل فيه اللفظ، وإن كان أفهامنا قاصرة عن إدراكها».[٣]

وكذا قال النهاوندي: «الظاهر أن المراد من ظهر القرآن. ظواهر آياته التي يفهما كل أحد من مدلولاتها المطابقية والالتزامية الظاهرة، ومن باطنه دلالاته الالتزامية الخفية وإشاراته الإيمائية، ولطائفه ودقائقه، وما يستفاد بعموم العلة أو أقوائية الملاك أو خصوصية الكلمات والحروف، أو بعلم الحساب والأعداد.[٤]

وصرح العلامة الطباطبائي: أن المعنى الباطني يكون في طول المعنى الظاهري وليس في عَرَضه.[٥]

وقد قال في خصوص التأويل ـ عندما يكون من سنخ المعنى وليس من سنخ الحقيقة

---

١. المصدر: ١٥٠.

٢. راجع: قاعدة «استعمال اللفظ في أكثر من معنى» في بحث قواعد التفسير من هذا الكتاب.

٣. *كفاية الأصول*: ٢٠٣/١، ٢٠٤ (مبحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى).

٤. نفحات الرحمن: ٢٨/١.

٥. *القرآن في الإسلام*: ٢٢.

الوجودية ـ «فإن من المتيقّن أنّها من حيث كونها مرادة من اللفظ ليست في عرض واحد، وإلّا لزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد و هو غير جائز على ما بيّن في محلّه، فهي لا محالة معان مترتبة في الطول».[١]

وإذا قارنا النظرية المتقدمة (استعمال اللفظ في أكثر من معنى) مع روايات البطن، فإنه يتبيّن لنا أن هذه النظرية لا تنسجم مع أكثر معاني البطن في الروايات، وربما تتلاءم فقط مع المجموعة الثانية من الروايات(البطن بمعنى المصاديق الجديدة)، والمجموعة الخامسة من الروايات(البطن بمعنى الفهم والتفسيرات المتعددة للقرآن)، بالأخص الرواية التي نقلها جابر، والمتعلّقة بالأجوبة المتعددة عن الإمام الباقرعليه السلام حول آية واحدة.[٢]

وأمّا دلالة الرواية على استعمال اللفظ في أكثر من معنىً فهو محل تأمّل؛ لأنه من الممكن أن يكون المقصود من روايات المجموعة الثانية، هو نفس أخذ المعاني الالتزامية للآية على شكل قاعدة كلية، وتطبيقها على المصاديق الجديدة، ومراد روايات المجموعة الخامسة بيان المصاديق الجديدة للآية وأمثالها؛ وليس استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

د) ظاهر القرآن: التلاوة وباطنه: الفهم والإدراك

وهذا الرأي، ذهب إليه الزركشي، وهو موافق لظاهر لبعض أحاديث البطن، حيث نقل عن الإمام عليعليه السلام أنه قال: «فالظاهر التلاوة والباطن الفهم».[٣]

وهذا المعنى للبطن هو نوع من الوصف وليس تعريف له. وبعبارة أخرى، أن معنى ماهية البطن لم يكن واضحاً، بل إنه يوضّح منشأ البطن، وهو نفس الفهم والتدبر في الآيات.

هـ) بطن القرآن هو: تأويله

نقل عن الطبري والبلخي أن«ظاهر الآيات: ألفاظها، وباطنها: تأويلها»[٤] وهذا الرأي موافق للرواية المنقولة عن الإمام الباقرعليه السلام: بطنه تأويل».[٥]

---

١. *الميزان*:٤٤/٣.

٢. *بحار الأنوار*:٩٥/٨٩، وهذا نص الرواية: عن جابر قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن شيء في تفسير القرآن، فأجابني، ثم سألته ثانيةً، فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي:«يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر...».

٣. *تفسير الصافي*:٢٨/١، ٢٩.

٤. راجع: *التبيان*:٩/١.

٥. *بصائر الدرجات الكبرى*:٢١٦؛ *بحار الأنوار*:٩٧/٨٩، ٩٨.

ومعنى البطن إلى هنا يعتبر نوعاً من الوصف، ومعناه اللفظ المشابه، ولكنّه لم يقدّم تعريفاً للبطن، حتى تتضح ماهيته.

و) بطن القرآن هو: أسراره

وقد ذكر هذا الرأي السيوطي *في الإتقان*: إنّ ظهر«ما ظهر من معانيه لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق».[1]

وهذا المعنى للبطن يرد عليه الإشكالين السابقين؛ لأنّ هذا التعريف لم يوضح ماهية البطن، بل هي دعوى بحاجة إلى دليل.

خلاصة واستنتاج

من خلال دراسة الآراء والنظريات المتقدّمة، يتّضح وجود أربع نظريات رئيسية في تفسير البطن: نظرية الإمام الخميني، والشيخ مكارم الشيرازي. وهذه لا يوجد عليها دليل قوي في روايات البطن؛ وإن كان كل من النظريتين صحيحة في محلّها.

النظرية الأولى، والثانية يمكن جمعهما؛ لأنّه يمكن مع شيء من التسامح، إرجاع نظرية العلامة الطباطبائي، إلى النظرية الأولى(نظرية الشيخ معرفة وآخرون). كما أشير إليه.

وهاتان النظريتان تنسجمان مع عدة مجموعات من روايات البطن، والأحاديث التفسيرية لاهل البيت عليهم السلام تكون قابلة للتفسير والتوجيه على أساس هذه النظرية.

ولا مانع من أن يكون لبطن القرآن أربعة معاني، أي من باب المشترك اللفظي المُستعمل في أكثر من معنى.

تحصيل البطن لغير المعصومين عليهم السلام

وهناك خلاف في مسألة إمكان فهم البطون لغير المعصومين عليهم السلام؛ غير أن إمكان الحصول على بطن القرآن لغير المعصومين إنما يكون وفقاً للنظريات التي تم بيانها، والآراء مختلفة؛ وعلى سبيل المثال إذا اختار شخص نظرية الإمام الخميني قدس سره والتي يعتقد فيها أن البطن الحقيقي عند الله، فمن الطبيعي أن النتيجة تكون عدم إمكان فهم البطون، باستثناء المعصومين المطهرين عليهم السلام.

وإذا قبل أحد نظرية العلامة الطباطبائي، والشيخ معرفة، والشيخ مكارم الشيرازي، فمن الطبيعي أن تكون النتيجة هي إمكان فهم البطون للعلماء؛ لأنّ أولئك يستطيعون عن طريق

---

١. *بصائر الدرجات الكبرى*:٢١٦؛ *بحار الأنوار*:٨٩/٩٧، ٩٨.

التدبّر في الآيات الحصول على المعاني الطولية، أو القاعدة الكلية، أو المعاني المستعملة في آيات أخرى، غير أنه في هذه النظرية يعتقد البعض بعدم إمكان فهم البطون. وعلى أية حال، فثمّة اتجاهان رئيسيان في هذه المسألة:

١. إمكان فهم بطون القرآن لغير المعصومين عليهم السلام

وهذا الاتجاه مستفاد من آراء الشيخ معرفة، والدكتور الذهبي، والشاطبي، والنهاوندي؛ لأنّ هؤلاء يعتقدون: بأن البطن هو هدف الآية، حيث يمكن الحصول عليه بعد إلغاء الخصوصية. وكذا يستفاد هذا الاتجاه من رأي العلامة الطباطبائي؛ لأنّه يعتبر أن البطن هو المعاني الطولية الخابئة وراء الآيات، والتي تفهم بالتدبّر.

وكذلك يمكن استفادة هذا الاتجاه من رأي الشيخ مكارم الشيرازي؛ لأنّه يعتبر أن البطن هو من باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى، حيث إنّ فهم استعمالات الألفاظ لغير المعصوم قابل للتحقق.

ملاحظة

١. إن القول بإمكان فهم بطون القرآن لا يعني عدم تأثير إشارات المعصومين عليهم السلام في فهم تلك البطون، بل إننا وعن طريق رواياتهم عليهم السلام وتعليمهم لبطون القرآن وأساليب فهمه نهتدي إليها.

٢. وعلى الرغم من أن النظريات المذكورة أعلاه يمكن أن نستفيد منها إمكان فهم البطون، غير أن طرق تحصيل البطن مختلفة، سوف يأتي الحديث عنها لاحقاً.

٣. إنّ لبطون القرآن مراتب، والإنسان أيضاً له مراتب في الفهم، وعليه أن إمكان فهم بطون القرآن لغير المعصوم عليه السلام لا يعني أنه بإمكان كل إنسان الحصول على بطن القرآن، بل كل شخص وبمقدار فهمه وسعيه، يحصل على مرتبة من البطون.

كما هو الحال في المعصومين عليهم السلام الذين يعرفون المراتب العالية والعميقة للبطون.

أدلة إمكان فهم بطون القرآن

إدلة إمكان فهم بطون القرآن عبارة عن:

١. إن القرآن إنما نزل لهداية البشرية، وهذه الهداية موجودة في ظواهر القرآن وبواطنه. ومقدمة هداية كلّ شخص فهمه. إذن فمن اللازم أن يفهم الناس ظاهر القرآن وباطنه وإلّا

كان نقضاً للغرض ، وهو خلاف الحكمة ، لأنه عمل قبيح ، والحكيم لا يصدر منه القبيح، لأنّه خلاف الحكمة.

٢. إن بطن القرآن هو أحد أقسام التأويل ، وكما مرَّ سابقاً أنَّ فهم تأويل القرآن ممكن لغير المعصومين عليهم السلام ، واستدلال المخالفين على ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١] مردود؛ وذلك لأن كون الواو استئنافية في «والراسخون» محل خلاف بين المفسرين[٢] والراسخون في العلم لهم مراتب تشمل العلماء الراسخين وعميقي الفكر. وعلى أساس الأحاديث، فإنّ النبي واهل البيت عليهم السلام هم المصداق الكامل لذلك.[٣]

٣. إنّ ظاهر أحاديث البطن ينسجم مع إمكان فهمه لغير المعصومين عليهم السلام؛ بل يمكن الإدعاء: أن بعض الأحاديث وبشكل غير مباشر تعلّم طريقة الوصول إلى فهم بطون القرآن؟

ومن جملة أحاديث المجموعة الثانية، هي تلك التي تشير إلى أنّ بطن القرآن هو مصاديقه الجديدة.[٤]

وأحاديث المجموعة الثالثة، هي التي تشير إلى أن بطن القرآن هو تدبره والعمل به.[٥]

وأحاديث المجموعة الرابعة، هي التي تشير إلى أن بطن القرآن هو المعاني العميقة له.[٦]

وبعض أحاديث المجموعة الخامسة، هي التي تشير إلى أن بطن القرآن هو فهم معناه.[٧]

ومن هنا يتضح أن الفهم، والتدبّر، والتعمق الفكري، وتشخيص المصاديق الجديدة، لأهل الخبرة والاختصاص من المفسرين، بل هو ضروري لأي تفسير كامل.

٤. إنّ الأدلة القرآنية لوجود البطن، أي الآيات الداعية إلى الاعتبار تقتضي فهم البطون لعامة الناس، لأن التدبّر في الآيات والاعتبار من القصص القرآني يقع على عهدة الجميع.

٥. إنّ الدليل العقلي والعقلائي يقتضي فهم البطون لعامة العقلاء؛ وذلك لأن وجود المستويات المعرفية في النصوص بدون إمكان فهمها خلاف الحكمة ، وهو أمر مرفوض عند العقل والعقلاء.

---

١. راجع: قاعدة «استعمال اللفظ في أكثر من معنى» في بحث قواعد التفسير من هذا الكتاب.

٢. راجع: *مجمع البيان*، الطبرسي: ٧٠١/٢ و *الميزان*: ٢ / ٢٧.

٣. *بصائر الدرجات*: ٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ *البرهان في تفسير القرآن*: ٢٧١/١.

٤. مرَّ ذكر الروايات في مبحث (البطن في الأحاديث).

٥. المصدر.

٦. المصدر.

٧. *بصائر الدرجات*: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٢. عدم إمكان فهم البطون لغير المعصومينعليهم السلام

يستفاد من ظاهر كلام بعض المحققين عدم إمكان فهم البطون لغير المعصومينعليهم السلام، ومن جملة هؤلاء:

الإمام الخمينيرحمه الله الذي يعتبر: أن بطن القرآن هو الحقيقة عند الله: «وحقيقة القرآن الشريف قبل تنزّله إلى المنازل الخلقية، وتطوّره بالأطوار الفعلية من الشؤون الذاتية، والحقائق العلمية للحضرة الواحدية، وهو حقيقة الكلام النفسي الذي هو مقارعة ذاتية في الحضرة الأسمائية، وهذه الحقيقة لا تحصل لأحد لا بالعلوم الرسمية، ولا بالمعارف القلبية، ولا بالمكاشفة الغيبية».

ومن ثمَّ استثنى النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنينعليه السلام والأولياء الإلهيين الخلص.[١]

والآخوند الخراسانيرحمه الله، الذي احتمل أنّ بطون القرآن من لوازم المعنى، مؤكداً على أن الفهم البشري قاصر عن إدراك البطون.[٢]

وكذا السيد الخوئيرحمه الله، اعتبر أن بطن القرآن من لوازم المعنى، وأن الفهم البشري قاصر عن إدراك البطون ونيلها بدون عناية اهل‌البيتعليهم السلام، ومن ثمَّ قال «وهذا معنى أن للقرآن بطوناً لن تصل إليها أفهامنا القاصرة إلّا بتوجيه من اهل‌البيتعليهم السلام كما وجهنا إليها في بعض هذه الموارد...».[٣]

وكذلك السيوطي، الذي أشار إلى عدم إمكان فهم بطون القرآن، حيث كتب في هذا الصدد: «وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق.[٤]

أدلة عدم إمكان فهم البطون لغير المعصومينعليهم السلام

وفي هذا المقام يمكن الاستدلال ببعض الآيات وعدة مجموعات من الأحاديث:

أ) قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾.[٥] فمع الالتفات إلى أن باطن القرآن هو نوع من التأويل، والراسخون في العلم هم الأئمة الأطهارعليهم السلام. وقد جاء في تتمة رواية فضيل بن يسار عن الإمام الباقرعليه السلام: «ظهره تنزيله، وبطنه تأوليه، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن،

---

١. راجع: الآداب المعنوية للصلاة: ٢٦٩.
٢. *كفاية الأصول*:٢٠٣/١، ٢٠٤ مبحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى.
٣. *محاضرات في الأصول*:٢١٣/١، ٢١٤.
٤. *الإتقان في علوم القرآن*:٢٣٦/٢.
٥. آل عمران: ٧.

يجرى كما يجرى الشمس والقمر، كما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء. قال الله: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ...﴾ نحن نعلمه».[١]

المناقشة

لقد مرَّ في أدلة إمكان فهم البطون الخلاف في إعراب «و» الواردة في الآية الكريمة،[٢] حيث بحث الاستدلال بهذه الآية في موضوع العلم بالتأويل بشكل مفصّل، واتّضح أن ال «و» في «والراسخون» عاطفة؛ إلا أنّ الراسخين في العلم، غير منحصر بالمعصومين(ع). فإنّ للراسخين في العلم مراتب يشملُ المعصومون وبعض العلماء،[٣] وقد بحثنا الروايات التي تتحدّث عن الراسخين في موضوع التأويل، وتبيّن لنا أنّ تلك الروايات أوضحت أنّ الأئمة(ع) هم المصاديق الكاملة للراسخين في العلم، لكنها لا تفيد الانحصار.

ب) رواية: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»،[٤] حيث إنّ فهم القرآن ينحصر بالمخاطبين الحقيقيين، وهم اهل البيت(ع)، وإذا لم نعتبر أنّ جميع القرآن منحصر بهم، فعلى الأقل يكون فهم البطون سيكون منحصراً بهم.

المناقشة

إنّ هذه الرواية من حيث السند والدلالة محل مناقشة. وعلى فرض صحة السند، فإنّ دلالتها على عدم فهم جميع مراتب البطون لغير اهل البيت(ع) محل تأمل؛ لأنّ الرواية لم تشر بصراحة إلى بطون القرآن، وعلى فرض أنّ فيها إشارة إلى البطون، فإنها تدلّ على الفهم الكامل للبطون وحقائق القرآن التي سيأتي الحديث عن الروايات المتعلّقة بها لاحقاً.[٥]

ج) الروايات التي تشير إلى انحصار علم جميع القرآن باهل البيت(ع)؛ والتي من جملتها: عن الباقر(ع): «ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جميع القرآن كله ظاهره وباطنه، غير الأوصياء».[٦]

وفي رواية ابن عباس: «علي بن أبي طالب عالم بظاهر القرآن وباطنه».[٧]

---

١. *بصائر الدرجات*:١٩٩.

٢. راجع: *مجمع البيان*:٧٠١/٢ و*الميزان*:٢٧/٢.

٣. راجع: *البرهان*:٢٠/١؛ *روضة الكافي*: الحديث ٤٨٥؛ *وسائل الشيعة*:١٣٦/١٨.

٤. راجع: *تفسير الصافي*:٢٠/١؛ *روضة الكافي*: الحديث ٤٨٥؛ وسائل الشيعة:١٣٦/١٨.

٥. راجع: مبحث إمكان وجواز فهم وتفسير القرآن.

٦. *بحار الأنوار*:٨٨/٨٩، ٢٦، و*أصول الكافر*:٣٣٢/١.

٧. *بحار الأنوار*:٨٩، ٩٣ و*البرهان في تفسير القرآن*:١٥٦/١.

المناقشة

إن ظاهر الرواية الأولى يشير إلى أن المراد بـ«الجمع» هو جمع الآيات والروايات التي تشرح الباطن، والتي جمعها الإمام عليعليه السلام وهي محفوظة عند الأئمةعليهم السلام. كما هو الحال في الرواية التي جاءت بعدها في *بحار الأنوار*: «ما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلّا علي بن أبي طالبعليه السلام والأئمةعليهم السلام من بعده».[1]

أو أن يكون المقصود من الرواية العلم بجميع مراتب الظاهر والباطن للقرآن، وهو خاص بالأئمةعليهم السلام.

وهذه الرواية لا تنفي إمكان فهم بعض مراتب بطون القرآن لغير المعصومينعليهم السلام؛ أي أنّه تثبت «جمع ظاهر وباطن القرآن» على نحو الموجبة الكلية عند اهل‌البيتعليهم السلام، وتنفي على نحو الموجبة الكلية لغير المعصوم، ولكنها لا تنفي وجود بعض مراتب البطون عند غير المعصومين«على نحو الموجبة الجزئية»؛ بل إنّ التأكيد على مفردة«كلّه» الواردة في الروايات يشير إلى أن علم بعض القرآن ممكن لغير المعصومعليه السلام.

خلاصة واستنتاج

أدلة عدم إمكان فهم بطون القرآن لغير المعصومين، لم تثبت المدّعى، بل إنّ إمكان فهم القرآن لغير المعصومين على نحو الموجبة الجزئية لا يتنافى مع هذه الأدلة. وهو المستفاد من كلمات الموافقين لهذه النظرية، كما أنّ السيد الخوئيرحمه الله أشار إلى أنّنا وبتوجيه أهل‌البيتعليهم السلام نفهم بعض موارد بطون القرآن.

وكذا الإمام الخمينيرحمه الله أشار إلى أن فهم بطون القرآن يكون بواسطة الأولياء الإلهيين الخلّص. وعليه فمع الأخذ بنظر الاعتبار إمكان فهم بطون القرآن، فإنّ فهم البطون يكون ممكناً لغير المعصومينعليهم السلام.

ويمكن الإدعاء أن غير المعصومين لا يمكنهم الحصول على بعض المراتب العليا لبطون القرآن، أو بعض معاني البطون (مثل الحقيقة عند الله التي ذكرها الإمام الخمينيرحمه الله) أو فهم جميع مستويات الظاهر والباطن.

وهذا الإدعاء وعلى نحو الموجبة الجزئية لا يتنافى مع إمكان فهم بعض مراتب البطون للناس.

---

١. *بحار الأنوار*: ٨٨/٩٢ ح٢٧.

طرق استنباط البطون من القرآن

بناءً على إمكان فهم البطن القرآني لغير المعصومين ، ثمة سؤال يطرح نفسه، وهو: ما هي تلك الطرق التي يمكن من خلالها فهم بطون القرآن؟ والجواب كما يلي:

أ) الرجوع من الشهادة المطلقة إلى الغيب المطلق

طبقاً لنظرية الوجود المعرفي للإمام الخمينيرحمه الله وهي أنّ البطن الحقيقي عند الله تعالى، فإنّ طريق الحصول عليه لا يمكن من خلال العلوم الاعتيادية، ربّما يحصل عن طريق المكاشفة التامة الإلهية؛ أي أن السالك وبواسطة تزكية النفس وطي مراحل القرب في السير الصعودي إلى الله تعالى؛ والتي هي عبارة عن الرجوع من الشهادة المطلقة إلى الغيب المطلق.[١]

بعبارة أخرى، أنّ القرآن يطوي في سيره النزولي من مقام الواحدية فيتلبّس بلباس الألفاظ، وللحصول على حقيقة القرآن من الضروري أن سيراً صعودياً.

ب) التدبر في الآيات

بناءً على نظرية الطباطبائي بأن البطون معاني طولية مختبئة في الآيات، ومع الالتفات إلى المثال الذي ساقه لبيان مراده هناك، يتضح لنا من خلال التدبّر في الآيات، والالتفات إلى القرائن الموجودة في الآيات الأخرى «أي: تفسير القرآن بالقرآن» أحد طرق تحصيل البطون القرآنية.[٢]

وقد جاء في بعض الأحاديث أنّ التدبّر في الآيات هو أحد معاني بطون القرآن.[٣]

ج) طي المراحل الأربعة لاستحصال البطون

وفقاً لنظرية العلامة معرفةرحمه الله، ومن أجل تحصيل البطون يلزم إعمال المراحل الآتية:

الأول: الوصول إلى هدف الآية.

الثاني: إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والشخصية، والتي ليس لها دخل في أصل تحقق الهدف.

الثالث: استنباط القاعدة الكلية من الآية.

---

١. راجع: الآداب *المعنوية للصلاة*: ٢٦٩.

٢. *القرآن في الإسلام*، الطباطبائي: ٢٠ ـ ٢٢.

٣. راجع: مبحث معاني البطن في القرآن، وكذا اكنز *العمال*: ٦٢٢/١، ح٢٨٧٩؛ و *بحار الأنوار*: ٨٩/ ٩٥.

الرابع: تطبيق القاعدة الكلية المذكورة على المصاديق الجديدة.[١]

ويرى الشيخ بان القاعدة الكلية المستنبطة، يجب أن تكون بصورة تشمل فيها نفس الآية وإلا سوف لن تكون صحيحة ، وهذه النقطة نوع اختبار وتجربة لصحة استنباط البطن القرآني ، ثم يذكر ضوابط التأويل وهي عبارة عن:

١. أن يكون على طريقة «السبر والتقسيم» بإعفاء الملابسات غير الدخيلة في هدف الكلام الأصيل وإبقاء ما كان دخيلاً في صلب الموضوع ، وبذلك يستخلص ذلك الفحوى العام للآية والذي تستهدف في اتجاهها العام ، وبها تحتفظ المناسبة القريبة بين هذا البطن المستخرج من الكلام وظهره المستفاد حسب ظاهر التنزيل ، بمعني أن نأخذ بعين الاعتبار جميع الاحتمالات، ثمّ نقدم على نفي كل احتمال بدليل خاص إلى أن يبقى احتمال واحد فقط، وهو ملاك الحكم المكشوف.

٢. رعاية الدقة الكاملة في معرفة ملابسات الكلام ، أيها دخيلة في اتجاه الكلام فتبقى وأيها دخيلة فتعفى ، وهو شرط خطير قلّ من يراعي.

٣. أن يصبح هذا الفحوى العام بعد التمحيص والتحقيق بمثابة كبرى كلية لما دلّ عليه ظاهر الكلام، ويكون المستخلص «المعنى التأويلي» كلياً منطبقاً على ظاهر التزيل، وبعبارة أخرى يكون مجموع الظهر والبطن بمنزلة استدلال منطقي كأن الفحوى بمثابة كبرى كلية مستنداً إليها منطبقاً على صغراه التي هي مورد التنزيل، وهذا هو المقصود من توافق التأويل مع التنزيل توافق العام مع خاصه، فلم يكن البطن أجنبياً عن الظهر بل متناسباً معه، ومدلولاً عليه دلالة التزامية مطوية للكلام.[٢]

ثم نقل عن الشاطبي، أنه أضاف شرطاً آخر وهو: أن يكون للبطن شاهد من الكتاب ذاته.[٣]

ونقل الشيخ معرفة أحاديث تفسيرية لاهل البيتعليهم السلام يمكنها أن توضح المنهج أعلاه، منها: مفردة (الميزان)، والمقصود منها حسب الروايات: العدل، والإمام العادل، وأن باطنها: هو أميرالمؤمنينعليه السلام،[٤] وأن المفهوم العام لها هو المعادلة بين الأشياء وكذا بين الأمور، فيشمل المحسوس والمعقول.

---

١. *التفسير الأثري الجامع*:١/ ٣٢ ـ ٣٣.

٢. *التفسير الأثري الجامع*:١/ ٣٣. ٣٤.

٣. *الموافقات*، الشاطبي:٣/ ٣٩٤.

٤. راجع: *بحار الأنوار*:٢٤/ ٣٠٩ و ١٠/ ١٨٧ والعياشي:١/ ١٨٩.

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ﴾،[١] فقد جاء في بعض الروايات، بأن المقصود بماء معين «علم الإمام»،[٢] وقد كان استعارة الماء المعين للعلم النافع؛ فكما أنّ الماء أساس الحياة المادية، كذلك العلم أساس الحياة المعنوية.[٣]

وهذه الطريقة يمكن تطبيقها على جميع آيات القرآن الكريم، ففي قصة يوسف وأثناء بيان الصورة القصصية الحاكية عن مجيء إخوة يوسف قال تعالى، حاكياً عن قولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[٤] فظاهر هذه الآية التخطيط والاحتيال من أخوة يوسف لخداع أبيهم وللتخلص من يوسف، وذلك برميه في الجب.

وأما إذا قمنا بإلغاء الخصوصيات التي تكتنف الآية الكريمة، وجردناها من الزمان «زمان يعقوب» والمكان «فلسطين»، سنحصل على هدف آخر للآية وهو: تحذير الآباء بخصوص الأبناء، وذلك بضرورة مراقبتهم والاهتمام بهم، حتى لا يحتال أحد على أبيه بخطط شيطانية، بأعذار، كالغذاء، أو اللعب فيكون سبباً في إيجاد المشاكل والمتاعب.

وبعد التعمق الفكري في الآية وإلغاء خصوصية الأب والأبناء فإننا سنحصل على معنى أعمق للآية ألا وهو: تحذير إلى الأمم بخصوص طاقاتها البشرية اللامعة، أن لا يختطفوا منهم بأية علل واهية.

إن هاتين القاعدتين الكليتين يمكن لهما وفي كل زمان ومكان الانطباق على مصاديق جديدية، ومن المسلّم أنّ هذه القاعدة الكلية تشمل مورد نفس الآية فإن يوسف عليه السلام من الطاقات اللامعة لتلك الأمة ووقع ضحيةً لتحايل المحتالين وأصبح عبرة للآخرين.

أسئلة وبحوث:

١. ابحث عن مفردة «البطن» في اللغة والقرآن والحديث.
٢. بيّن أدلة وجود البطن في القرآن الكريم.
٣. ما هو أسلوب اهل البيت عليهم السلام في التعامل مع البطون؟
٤. وضّح مع المثال نظرية الإمام الخميني رحمه الله في البطن.

---

١. الملك: ٣٠.
٢. *تأويل الآيات*، الاسترآبادي: ٢/ ٧٠٨.
٣. راجع: *التفسير الأثري الجامع*: ١/ ٥١.
٤. يوسف: ١٢.

٥. وضّح مع المثال نظرية العلامة الطباطبائي رحمه الله في البطن.

٦. وضّح مع المثال نظرية العلامة معرفة رحمه الله في البطن.

٧. هل يمكن لغير المعصوم الحصول على بطن القرآن.

٨. أبحث وناقش معنى البطن القرآني في آثار العرفاء والصوفية.

٩. ناقش مسألة الإفراط والتفريط في البطن القرآني(تحليلاً تاريخياً).

مصادر للمطالعة والبحث

١. *التفسير الأثري الجامع*، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١.

٢. *الإتقان في علوم القرآن*، السيوطي.

٣. *التفسير والمفسرون*، الدكتور الذهبي.

٤. *أنوار الأصول*، الشيخ مكارم الشيرازي.

٥. *بطن القرآن*، السيد حيدر الطباطبائي.

٦. *مجموع الفتاوي ومجموع الرسائل المنيريه*، ابن تيمية.

٧. *الآداب المعنويه للصلاة*، الإمام الخميني.

٨. *قرآن در اسلام*، العلامة الطباطبائي.

القسم الثاني

قواعد التفسير

الأهداف

١. التعرّف على تأريخ قواعد التفسير وأقسامها وفوائدها
٢. معرفة قواعد التفسير لغرض تطبيقها في تفسير القرآن
٣. إفراد القواعد العامة عن الخاصّة والتمييز بينهما

الفصل الأوّل

بحوث تمهيدية عامة

تمهيد: أهمية مبحث قواعد التفسير

تفسير القرآن: علم له أسس وأصول ومناهج وأساليب، مرتبطة بعلوم القرآن، وقد تطلق قواعد التفسير على جملة علوم القرآن.[1]

ويمكن أن نفهم من خلال الالتفات إلى موارد كـ((منطق التفسير)) أو ((الطريقة الصحيحة في الاستنباط من القرآن))، أن قواعد التفسير توضّح القوانين الأساسية للتفسير ضمن إطار معين، وأن عدم مراعاتها تجعل عملية التفسير لا طائل منها، فلا يتمكن مفسر القرآن من فهم النص بصورة صحيحة، ولا يستطيع أن يدرك بشكل سليم معاني الآيات ومقاصد الله (تعالى).

نعم، إن فهم النص القرآني يحتاج ـ كبقية النصوص الأخرى ـ إلى ضوابط وقواعد تمثل الحجر الأساس لعملية الاستنباط من نصوص الكتاب العزيز.[2]

ويمكن أن تكون هذه القواعد معياراً وملاكاً للانتخاب في موارد اختلاف الآراء التفسيرية، حيث تسدّ النقص الذي قد يحصل في عملية التفسير.

بل إن أغلب الاختلافات والأخطاء ـ كما يرى بعض الباحثين ـ التي تحصل في التفسير منشأها الغفلة عن هذه الأصول(القواعد).[3]

---

١. *قواعد التفسير*، خالد بن عثمان السبت: ١/ ٣٣

٢. ذكر بعض الباحثين في هذا المجال فائدة القواعد التفسير وقال: هي تحصيل المقدرة على استنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح وضبط التفسير بقواعده الصحيحة. [المصدر: ٣٩].

٣. راجع: (*روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن*)، علي أكبر بابائي وآخرون: ٦٣. ٦٤.

ومن هنا فإن مبحث قواعد التفسير حظي ومنذ القدم باهتمام المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن،[١] وفي عصرنا الحاضر نال عناية خاصة من قبل المراكز التخصصية للتفسير وعلوم القرآن.

وفي الواقع، فإنّ قواعد التفسير تمثّل طيفاً واسعاً من القوانين والضوابط التفسيرية، حيث يصل عددها إلى ٣٨٠ قاعدة.[٢] وكثيراً منها يشترك مع قواعد العلوم الأخرى، مثل: (أصول الفقه، علوم اللغة، علوم البلاغة، المنطق، مفردات القرآن وغيرها)، وبعضها يكون خاصاً بالتفسير، أو غالباً ما يستعمل فيه.

إنّ التركيز على هذا الطيف الواسع من القواعد ودراسته من جميع الجوانب يحتاج إلى عدة مجلدات، ومن هنا فإن عدداً منها يدرس ضمن علوم أخرى، سيتم الإشارة إليها لاحقاً.

تعريف قواعد التفسير

يتألف اصطلاح «قواعد التفسير» من مفردتين هما: «قواعد» و «تفسير»، وفي البداية لابدّ أن نعرف كلّ جزء على حدة؛ لكي يتسنّى لنا تعريف المجموع؛ وذلك لأنه يشكّل مصطلحاً دالاً على فنه الخاص به.

أ) اصطلاح «التفسير» هو: «كشف وإظهار الإبهام في كلمات القرآن وعباراته، وبيان مقاصدها وأهدافها».

وبعبارة أخرى: التفسير هو: «بيان المراد الإستعمالي لآيات القرآن الكريم، وكشف مرادها الجدّي، على أساس القواعد العربية وأصول المحاورة العقلائية».[٣]

ب) اصطلاح «قواعد»، جمع «قاعدة» وهي في اللغة: الأصل والأساس الذي يبنى عليه غيره ويعتمد عليه، وكلّ قاعدة هي أصل للتي فوقها،[٤] ويستوي في هذا الأمور الحسية والمعنوية، فهي في كلّ شيء بحسبه، فقاعدة البيت أساسه. وفي القرآن استعملت بهذا المعنى.[٥]

---

١. سوف يأتي التعريف بالكتب المتعلقة بقواعد التفسير.

٢. *قواعد التفسير*: ٥/١.

٣. هذا حاصل كلام: الراغب في: *مفردات ألفاظ القرآن*، والزبيدي في: *تاج العروس*، *قاموس القرآن*؛ الطباطبائي في: *الميزان*:٤/١، السيوطي في: *الإتقان*:١/ ١٩٢ الطبرسي في: *مجمع البيان*: ١/ ١٣، وقد بسط البحث في هذا المورد ضمن أسس التفسير ومناهجه.

٤. راجع: *مقاييس اللغة*، *مفردات الراغب*، *تهذيب اللغة*، *المصباح المنير*، *لسان العرب*، مادة (قعد).

٥. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧.

وعرفت القاعدة اصطلاحاً بأنها: «حكم كلي يتعرف به على أحكام جزئياته».[١]

وأما القول بـ«حكم كلي» لا يرد عليه أن كثيراً من القواعد لها استثناءات تشذ عنها؛ لأن العبرة بالأغلب، والنادر والشاذ لا يخرم القاعدة.[٢]

ج) مصطلح «قواعد التفسير»: عرّفها بعض الباحثين بهذه الصورة: «الأحكام الكليّة التي يتوصّل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها».[٣]

هذا وقد تطلق قواعد التفسير على جملة علوم القرآن، وهو إما أن يكون من باب إطلاق الجزء على الكل، وإما لكون علوم القرآن والكتب المصنفة في ذلك تشتمل على قواعد كثيرة من قواعد التفسير منثورة في أبواب مختلفة.[٤]

ثمّة تداخل بين قواعد التفسير وقواعد أصول الفقه، وقواعد اللغة، فبعض القواعد اللغوية يستفاد منها في قواعد التفسير وقواعد أصول الفقه، وأمّا الفرق بين هذه الأمور يمكن أن يتبين من خلال التعرّف على الموضوعات التي يبحث عنها كلّ واحد من هذه الفنون.

فقواعد، التفسير تبحث في كلام الله تعالى من حيث دلالته على مراده (عزّ وجل).

وأما قواعد اللغة، فتبحث في لغة العرب، من حيث إفرادها وتراكيبها وحقيقتها ومجازها.

وأما قواعد الأصول، فتبحث في معرفة الفقه الإجمالية من أدلتها التفصيلين وكيفية الاستفادة منها.[٥]

وقد عد بعض الباحثين «قواعد التفسير» أهم أبواب أصول التفسير، حيث إنّ علاقتها بالتفسير كعلاقة علم المنطق بالفكر والاستدلال، وعلاقة أصول الفقه بالفقه، وأن مراعاتها تمنع من الخطأ.[٦]

فهو يعرّف «قواعد التفسير» بإتقان على أساس المعايير والبديهيات العقلية والقطعيات، والمسلمات الشرعية، والارتكازات العقلائية التي تعتمد عليها طريقة التفسير، وهي ملاك الاختيار في موارد الاختلاف، فإن مراعاتها تجنّب الأخطاء وتسدّ النقص في التفسير.

---

١. *قواعد التفسير*: ٢١/١. ٢٢.
٢. المصدر: ٢٥/١.
٣. المصدر: ٣٠/١.
٤. المصدر: ٣٣/١.
٥. المصدر: ٣٣/١ ـ ٣٤.
٦. *روش شناسي تفسير قرآن* (*منهج تفسير القرآن*)، علي أكبر بابائي وآخرون: ٦٣.

واعتبر عبد الرحمن العك في كتابه «أصول التفسير وقواعده» قواعد التفسير من الموضوعات الأساسية في كتابه، غير أنّه اكتفى بتعريف أصول التفسير، ومن الناحية العملية، اعتبر القواعد جزءاً من أصول التفسير.

كتب قائلاً: «علم أصول التفسير، هو: ما يبنى عليه التفسير حسب قواعده ومناهجه».[١]

وإن مثل علوم التفسير بالنسبة للتفسير كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي، فهو ميزان يضبط اللسان، ويمنعه من الخطأ.

خلاصة واستنتاج

بعد التأمل في مجموع ما تقدم يمكننا تعريف قواعد التفسير كما يلي:

القوانين الكلية التي تُجعَل واسطة في الاستنباط من آيات القرآن الكريم، ولا تكون خاصة بآية أو سورة معينة.

بعبارة أخرى، القوانين الكلية التي تجعل كحد وسط وكبرى للقياس عند استنباط المطالب التي يراد تفسيرها من الآيات القرآنية.

مثال: عندما نريد الإفادة من قاعدة «إرجاع المتشابهات إلى المحكمات» لغرض فهم آيات القرآن. هذه القاعدة مجعولة على أساس الدليل والحد الوسط للآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.

وآية ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.[٢] من المتشابهات، وبالرجوع إلى آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾.[٣] يتضح المعنى، وهو أن المقصود «باليد» ليس اليد الجسمانية، بل القدرة.

ومن هنا ينبغي التركيز على عدة نقاط:

١. قد تتداخل قواعد التفسير مع قواعد أصول الفقه وقواعد آداب اللغة العربية، و مع قواعد المنطق، وغيرها، وهذا يعني أن بعض القواعد قد تعد أصولية وتفسيرية في آن واحد.

بعبارة أخرى، إن بعض قواعد العلوم الأخرى، قد تستعمل بشكل موسع أو خاص في

---

١. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٠.

٢. الفتح: ١٠.

٣. الشورى: ١١.

التفسير، فتعد جزءاً من قواعد التفسير. ومثال على ذلك؛ مبحث الدلالات المنطقية، وقواعد الأمر والنهي، واستعمال اللفظ في أكثر من معنى في أصول الفقه، أو قواعد الاشتراك والترادف في اللغة، فإنها داخلة في القواعد التفسيرية.

٢. قواعد التفسير قوانين كلية تطبق على مصاديق وجزئيات الآيات القرآنية، وعن طريقها يعرف تفسير القرآن، وأن علاقتها بالتفسير كعلاقة علم المنطق بالفكر، فهي تمنع الإبهام الذي قد يحصل.

٣. لا تختص قواعد التفسير بآية أو سورة معيّنة، وإلّا؛ لا تعد من القواعد الكلية.

٤. صرح بعض الباحثين في هذا المجال بأن قواعد التفسير جزءاً من علوم القرآن، وهذا لا يمنع من اعتبارها علماً مستقلاً ولو بصورة تدريجية في العصر الحاضر.

٥. عملية الفصل والتميز بين أصول التفسير وقواعده من الأمور المعقّدة، ومن هنا عرّفهما بعض الباحثين معاً. ولكن يمكن أن يقال: إن أصول التفسير تشمل أسس وقواعد التفسير.

نبذة تأريخية

بعض قواعد التفسير مستخرجه من القرآن، كقاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، فهي مستفادة من الآية السابعة من سورة آل عمران، وبناءً عليه يمكن القول: إنّ بواكير هذا العلم قد ظهرت في العهد النبوي على يد أفضل الخلق ﷺ؛ فكانت نشأة قواعد التفسير مواكبة لعلم التفسير، إلّا أنها كانت متفرقة ومنثورة ضمن كتب التفسير، ثم ازدادت بازدياد كتب التفسير.[1]

وبالطبع فإن بعض قواعد التفسير تعتمد على ارتكاز العقلاء والمتشرعة، مثل قاعدة السياق، والبعض الآخر من القواعد طرحت في كتب علوم القرآن، وأصول الفقه؛ وذلك لأنّ استعمالها يكون مشتركاً، مثل قاعدة النسخ والتخصيص والتقييد؛ وبناء على ما تقدم يمكننا القول: بأنّ مبحث قواعد التفسير حظي بعناية المسلمين قديماً. إلّا أنه كان متناثراً في طيات الكتب المختلفة.

ذهب بعض الباحثين إلى أنّه لم يدّون كتاب كامل ومتقن في قواعد التفسير.[2]

---

١. راجع: *قواعد التفسير*: ٤٤/١.

٢. *روش شناسي تفسير قرآن (منهج تفسير القرآن)*: ٦٣.

ويرى آخرون أن كتاب «الرسالة» للشافعي، هو أول كتاب علمي في مجال أصول الفقه وقواعد التفسير، حيث بيّن عدداً من القواعد المشتركة بين أصول الفقه والتفسير.[١]

وهكذا ظلت قواعد التفسير مبثوثة في بطون الكتب المختلفة، كأحكام القرآن، وأصول الفقه، وعلوم القرآن، وحتى بعض التفاسير.[٢]

ومن الواضح أنه لا يمكن عدّ أيّاً من هذه الكتب مؤلفاً مستقلاً في مجال قواعد التفسير، ولا يمكن اعتبارها نقطة البداية في تدوين هذا العلم.

وأما المؤلفات المستقلّة في القواعد التفسيرية فهي:

١. *قواعد التفسير* تأليف: أبي عبد الله، محمد بن أبي القاسم، الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله، المعروف بابن تيمية الحرّاني (٥٤٢ ـ ٦٢١)، وهذا الكتاب لم يصل إلينا وإنما ذكره صاحب *كشف الظنون*.[٣]

٢. *المنهج القويم في قواعد تتعلّق بالقرآن الكريم* تأليف: شمس الدين بن الصائغ، محمد بن عبد الرحمن الحنفي (ت ٧٧٧ هـ)، وهذا الكتاب ذكره صاحب *كشف الظنون*، ولم يذكر شيئاً من عنه.[٤]

٣. *قواعد التفسير* تأليف: محمد بن إبراهيم الوزير اليماني (ت ٨٤٠ هـ)، ذُكر هذا الكتاب في *فهرست التيمورية*.[٥] ويرى بعض الباحثين، أنّ هذا الكتاب هو فصل من كتاب *إيثار الحق* للمؤلف نفسه«مطبوع»، وهو الفصل الواقع ما بين (ص ١٥٦ ـ ١٦٧) بعنوان «فصل في الإرشاد إلى طريق المعرفة لصحيح التفسير».[٦]

٤. *التيسير في قواعد التفسير* تأليف: محمد بن سليمان الكافيجي(ت٨٧٩ هـ)، وهو كتاب في علوم القرآن.[٧]

٥. *القواعد الحسان لتفسير القرآن* تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١. راجع: *قواعد التفسير*:٤٢/١.
٢. المصدر:٤٢.
٣. *كشف الظنون*: ٢ / ١٣٥٨.
٤. المصدر: ٢ / ١٨٨٣.
٥. *فهرست التيمورية*: ١ / ١٤٨، رقم ٥٨٧.
٦. *قواعد التفسير*: ٤٤/١.
٧. المصدر/٤٤.

(ت ١٣٧٦ هـ). ذكر فيه المؤلف إحدى وسبعين قاعدة مع أمثلتها. وقد أورد عدداً من القواعد تتعلّق بمحتوى القرآن ومسائله، وليس في ضوابط الفهم والاستنباط من الكتاب العزيز، كالقاعدة الخامسة: طريقة القرآن في تقرير التوحيد.

٦. *أصول التفسير وقواعده* تأليف: خالد بن عبد الرحمن العك، وهو يدور حول المناهج التفسيرية، وبعض علوم القرآن، وقواعد التفسير. و له كتاب أيضاً باسم: *أصول التفسير لكتاب الله المنير.*

٧. *«قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل»* تأليف: عبد الرحمن حبنكة الميداني، وقد ذكر فيه المؤلف أموراً يراعيها القارئ لكتاب الله، كي يحصل له التدبر.

٨. *«قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى»* تأليف: عبد الله بن محمد الجوعي، وقد بيّن فيه المؤلف بعضاً من قواعد التفسير.

٩. *«قواعد التفسير جمعاً ودراسةً»*. تأليف: خالد بن عبد الرحمن العك، نشرته دار ابن عفان سنة ١٤٢١ هـ مصر، الكتاب مؤلف من جزأين، ذكر فيه المؤلف ٣٨٠ قاعدة.

١٠. *«مقدمة في أصول التفسير»* تأليف: تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمود محمد محمود نصار، بغداد، در التربية.

١١. *«الإكسير في علم التفسير»* تأليف: الطوفي سليمان بن عبد القري بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، مصر مكتبة الآداب.

١٢. *«روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن»* تأليف: علي أكبر بابائي وآخرون، پژوشكده حوزه ودانشگاه، ١٣٧٩ هـ ش، خصّص الفصل الثاني من الكتاب لقواعد التفسير، حيث وضّح سبع قواعد.

١٣. *«قانون تفسير»* تأليف: السيد علي كمال الدزفولي، طهران، ١٣٩٦ هـ

ومن المفيد الإشارة إلى كتاب *«الإتقان في علوم القرآن»* للسيوطي (ت ٩١١)، حيث بين العديد من قواعد التفسير، وفي النوع الثاني والأربعين ذكر قاعدة مهمة يحتاجها المفسر.

مصادر استخراج قواعد التفسير

يستفاد مما دونه المؤلفون ومن كتب في قواعد التفسير، أن مصادر استنباط القواعد عبارة عن:

١. القرآن الكريم، مثل قاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات.

٢. السنّة، مثل قاعدة النسخ، التي غالباً ما تكون مستفادة من الروايات.

٣. البديهيات العقلية، مثل قاعدة لزوم مراعاة قواعد اللغة العربية؛ لفهم القرآن.

٤. القطعيات والمسلّمات الشرعية، مثل قاعدة لزوم مراعاة القراءة الصحيحة والمعتبرة في تفسير القرآن.

٥. الارتكازات العقلائية، مثل قاعدة التخصيص وتقييد الكلام العام والمطلق للمتكلّم عن طريق المخصِصات والمقيِدات.

٦. اللغة العربيَة وآدابها، يعني علم اللغة، والمعاني والبيان، والصَرف النحو، فإن كثيراً من القواعد مستلهمة منها.

٧. أصول الفقه، مثل قواعد الأمر والنهي، واستعمال اللفظ في أكثر من معني، وغيرها.

٨. كتب علوم القرآن، *كالإتقان في علوم القرآن،* للسيوطي، وغيره من الكتب.

٩. مقدمات بعض تفاسير القرآن، مثل مقدمة *التبيان، ومجمع البيان، وتفسير الصافي.*

١٠. بعض المواضيع المنقولة عن صحابة النبيﷺ الخاصّين، نظير ما نقل في بعض الأحاديث عن الإمام عليعليه السلام باستنطاق الآيات القرآنية عن طريق آيات أخرى،[١] ولزوم مراعاة النظام والترابط بين الآيات في التفسير.[٢]

تقسيم القواعد

قسم المؤلفون والباحثون قواعد التفسير تقسيمات مختلفة، ومن جملة هؤلاء:

أ) عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتاب *القواعد الحسان لتفسير القرآن،* ذكر إحدى وسبعين قاعدةً، غير أنّه لم يرتّبها وفق نظام خاص، شرع قواعد التفسير، مثل كيفية تناول التفسير، ثم قواعد أسباب النزول، وبعض قواعد اللغة والأدب، ومن ثم يستعرض القواعد المرتبطة بمضامين القرآن الكريم، واختتمها بالآيات التي فيها معنىً جامع، ولكنّه لم يتّبع نظام خاص في تنسيق هذه القواعد.

ب) خالد بن عثمان السبت في كتاب *قواعد التفسير،* وقد أحصى ثلاثمائة وثمانين

---

١. كتاب الله ينطق ببعض ويشهد بعضه على بعض. [*نهج البلاغة*، خطبه / ١٣٣]

٢. لا تنثره نثر الرمل مجمع *البيان*: ٦/ ٩٤ ذيل آية (ورتله ترتيلا).

قاعدة، رتّبها وفق نظام خاص وجمعها ضمن واحد وعشرين مورداً، بالشكل التالية:

قواعد نزول القرآن، وقواعد لغوية، وقواعد متعلّقة بأصناف المخاطبين، وقواعد الإظهار والإضمار، وغيرها، وقواعد متعلّقة بالأدوات التي يحتاجها المفسّر، قواعد الضمائر، الأسماء في القرآن، العطف، الوصف، التأكيد، الترادف، القسم، الأمر والنهي، النفي في القرآن، الاستفهام، العام والخاص، المطلق والمقيد، المنطوق والمفهوم، المحكم والمتشابه، والنص والظاهر، المؤول والمجمل والمبين، ومعرفة الفواصل، والموارد الموهمة والمختلفة والمتضاربة والمكررة في القرآن، ومبهمات القرآن، والنسخ، وعلم المناسبات، وقواعد عامة.

المناقشة

عند ملاحظة العناوين المشار إليها، نجد أنّ كثيراً منها يمكن أن ينضوي تحت عنوان كلّي واحد. مثلاً: قواعد الأصول، أو قواعد اللغة، وأمثالهما، وهكذا نجد أنّ بعضها خارج عن نطاق التفسير، كمبحث المناهج التفسيرية، وعلى الرغم من أن عدداً من القواعد يمكن الإفادة منه في بعض المناهج، إلّا أنّ مبحث المناهج يبقى منفصلاً عن مبحث القواعد.

ج) الشيخ خالد عبد الرحمن العك في كتاب *أصول التفسير وقواعده*، فصّلَ في المباحث التمهيدية بين (أسس التفسير ومناهجه) و(القواعد)، ومن ثمّ قسّم قواعد التفسير إلى عدّة أقسام هي:

قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني (مثل قواعد المحكم والمتشابه، وغيرها).

قواعد التفسير في حالات وضوح الألفاظ القرآنية (مثل قواعد الدلالات، وغيرها).

قواعد التفسير في حالات شمول الألفاظ القرآنية (مثل قواعد العام والخاص، وغيرها).

المناقشة

يمكننا القول بأنّ محاولته في تقسيم قواعد التفسير تعد خطوةً متقدّمة، ولكن سوف يأتي في المباحث اللاحقة، أنّ بعض تقسيماته للقواعد فيها تداخل.[1]

فقد جعل بعض المطالب جزءاً من قواعد التفسير مثل(إعجاز القرآن)، وهي ليست جزءاً منها.

د) علي أكبر بابائي وآخرون في كتاب: *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن ـ* ميّزوا بين (أسس التفسير ومصادره) و(قواعد التفسير)، ولكنّهم لم يقسّموا القواعد بل جمعوا سبعا منهاً بدون ضابطة معينة، وهي:

---

١. راجع: مبحث الدلالات والمجمل والمبين في هذا الكتاب.

مراعاة القراءات الصحيحة، والالتفات إلى معاني الكلمات في زمان النزول، ومراعاة قواعد اللغة العربية، مراعاة القرائن(المعيّنة والصارفة، المتّصلة اللفظية وغير اللفظية، والمنفصلة)، بناءً على قاعدة العلم والعملي، تؤخذ بنظر الاعتبار أنواع الدلالات، والاحتراز من ذكر البطون للآيات.

هـ) تقسيم القواعد على أساس المصادر المستخرجة منها والعلوم التي تتعامل معها.

وهو التقسيم الذي نتبناه في هذا الكتاب، فبعد أن ميزنا بين قواعد التفسير ومبانيه، قمنا بتقسيم القواعد إلى قسمين:

الأول: القواعد المشتركة بين التفسير والعلوم الأخرى، مثل قواعد أصول الفقه، وآداب اللغة، علوم القرآن، والتي تستعمل في التفسير.

الثاني: القواعد الخاصة بالتفسير؛ مثل: المنع من استعمال الإسرائيليات في التفسير، وأمثالها.

الفصل الثاني

القواعد المشتركة بين التفسير والعلوم الأُخرى

أ) القواعد المشتركة بين التفسير وأصول الفقه

تمهيد (تأريخ البحث وأهميته)

لم يكن الاهتمام بعلم الأصول ـ والذي هو أحد العلوم الإسلامية ـ جديداً بل كان موضع عناية الحوزات ومراكز البحث العلمي عند الشيعة والسنّة، واشتهر هذا العلم بكونه مقدمة لعلم الفقه؛ وذلك لأنّ الأصول والضوابط وقواعد استنباط الحكم الشرعي مبيّنة في المصادر والنصوص الفقهية.[1]

وأما فائدته، فهي فائدة عامة مرتبطة بجميع العلوم التي لها علاقة بالنص واللفظ، ففي الحقيقة هو علم الفهم والاستنباط من النص.

ومن هنا فإن علم الأصول يعد من مقدمات التفسير وأدوات المفسر.

وقد أورد عدد من الباحثين والمهتمين بمسائل الأصول والفقه باعتبار أنها قواعد تفسيرية، من هؤلاء: الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك في *أصول التفسير وقواعده*، وخالد بن عثمان السبت في *قواعد التفسير*، وعبد الرحمن السعدي في *القواعد الحسان*. حيث أشاروا إلى قواعد العام والخاص، والمطلق والمقيد و.....إلخ.

أما نحن فلا نتصدى لشرح القواعد في أصول الفقه، بل ينصبّ اهتمامنا بفهرست المسائل الأصولية التي لها علاقة بالتفسير في التفسير، ونحيل الطلاب والدارسين، إلى كتب «أصول الفقه»

---

١. عرف الشيخ المظفر أصول الفقه بأنه: علم يبحث فيه عن قواعد تقع نتيجتها في طرق استنباط الحكم الشرعي [*أصول الفقه*، المظفر: ٥/١].

مثل: *كتاب دروس في علم الأصول* للشهيد الصدر، *وأصول الفقه*، للشيخ محمد رضا المظفر. *وكفاية الأصول* للآخوند الخراساني، *وفرائد الأصول*(الرسائل) للشيخ الأنصاري، وأمثالها. وفي مراحل الدراسة العليا يمكن الرجوع إلى كتاب: *تهذيب الأصول* ـ تقريرات دروس البحث الخارج للإمام الخميني، وكتاب: *المحاضرات* ـ تقريرات دروس البحث الخارج ـ للسيد الخوئي، *وأنوار الأصول* ـ تقريرات البحث الخارج للشيخ ناصر مكارم الشيرازي وغيرها.

القواعد أصول الفقه المستعملة في التفسير

لو نظرنا إلى جميع مسائل وقواعد أصول الفقه، لوجدنا أن لها تأثيراً بشكل عام في تفسير القرآن؛ لأنه توجد في القرآن مابين خمسمائة إلى ألفي آية مشهورة بآيات الأحكام.[١] بمعنى أن كلّ واحدة تحتوي على حكم شرعي، وأن فهم واستنباط الحكم من الآيات يحتاج إلى التعرّف علي علم الأصول.

إذن يمكن القول: بأن أصول الفقه مقدمة لفهم وتفسير القرآن، وأن جميع قواعد الأصول تعدّ من قواعد تفسير.

ولو نظرنا من جهة أخرى لوجدنا أن قواعد أصول الفقه تستعمل في تفسير الكثير من آيات القرآن.

وبعبارة أخرى، إن بعض قواعد علم الأصول نتيجة لاستعمالها المتكرر في القرآن اعتبرها عدد من الباحثين جزءاً من قواعد التفسير.

وأما أهم المباحث المشتركة بين أصول الفقه وأسس قواعد التفسير فهي:

١. مبحث الوضع وخصوصاً فهم الاصطلاحات القرآنية كالصلاة، والزكاة، وغيرها.

٢. الترادف والاشتراك.

٣. استعمال اللفظ في أكثر من معنى(سنبينه على شكل قاعدة مستقلة).

٤. مبحث الأمر ودلالته على الوجوب، وصيغه.

٥. مبحث الإطلاق والتقييد(سنبينه على شكل قاعدة مستقلة).

٦. مبحث العموم والخصوص(سنبينه بصورة قاعدة مستقلة).

٧. مبحث النواهي(دلالة النهي على التحريم و.....إلخ).

---

١. راجع: *فقه القرآن*، محمد فاكر ميبدي: ٣٧.

٨. الأمر بالشيء والنهي عن ضده.

٩. المفاهيم(الموافق والمخالف ومفهوم الشرط).

١٠. المجمل والمبيّن.

١١. مبحث الواجب(أسماء الواجب و...... إلخ).

١٢. النسخ في القرآن. (يبحث بشكل قاعدة مستقلة في علوم القرآن).

١٣. حجيّة السنّة، ودراسة خبر الواحد في التفسير، سوف نحاول دراسته ضمن مصادر التفسير.

١٤. حجيّة الإجماع، وهذا المبحث تعرضنا له في مصادر التفسير.

١٥. حجيّة ظواهر القرآن، وهذا المبحث سوف يكون موضعاً للدراسة ضمن مباني التفسير.

١٦. حجيّة القياس والمسائل التابعة له، وهذا المبحث تعرضنا له في مصادر التفسير.

١٧. أصل البراءة.

١٨. الاجتهاد والتقليد، تمّ بيانه في أسس التفسير ضمن قاعدتين فرعيتين: (عدم جواز التفسير)، و(جواز الاجتهاد في التفسير).

هذه البحوث الثمانية عشر مشتركة بين أصول الفقه ومباني التفسير وقواعده، خمسة منها كانت مورداً للبحث في مباني التفسير ومصادره، وأما النسخ فقد بحث ضمن علوم القرآن.

وفيما يتعلّق ببقية القواعد سوف نشير إليها بصورة مختصرة، وتفصيلها موكول إلى علم أصول الفقه.

١. قواعد الأمر

قاعدة: دلالة الأمر على الوجوب:

وفي هذا المبحث مسألتان:

الأولى: مادة الأمر: وهي كلمة (الأمر) المؤلفة من الحروف(أ. م. ر) ولها معنيان:

أ) الطلب: والمراد منه: «إظهار الإرادة والرغبة بالقول، أو الكتابة، أو الإشارة، أو نحو هذه الأمور مما يصح إظهار الإرادة والرغبة وإبرازهما به».. والظاهر أن الطلب المخصوص، هو الطلب من العالي إلى الداني.[1]

---

١. راجع: *أصول الفقه*، محمد رضا المظفر: ١/ ٥٩. ٦٠.

ملاحظة: دلالة لفظة الأمر على الوجوب.

مثال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[١]

ب) الشيء: مثل الحادثة والشأن والفعل و.....

مثال: جئت لأمر كذا ـ شغلني أمرٌ ـ أتى فلان بأمر عجيب.

تنبيه: الأمر بمعنى الطلب، وجمعه(أوامر) يصّح الاشتقاق منه(أمر، يأمر، آمر، مأمور).

وأما الأمر بمعنى الشيء، وجمعه (أمور)، فهو غير قابل للاشتقاق.[٢] ولا يدل على الوجوب.

الثانية: صيغة الأمر: أي هيئته، كصيغة إفعل ونحوها، تستعمل في موارد كثيرة منها:

أ) البعث، كقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾.[٣]

ب) التهديد، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾.[٤]

ج) التعجيز، كقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.[٥]

د) الإرشاد، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.[٦]

هـ) التسخير، كقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.[٧]

وتستعمل صيغة الأمر في موار أخرى، كالإنذار، والترجي، والتمنّي، ونحوها.

ملاحظة: مفاد صيغة الأمر هو: الطلب. وهي ظاهرة في الوجوب، إلا إذا كانت هناك قرينة تصرفها إلى معنى أخرى.

أدلة إفادة الوجوب من صيغة الأمر ومادته.

١. حكم العقل بطاعة أوامر المولى لأداء حق العبودية والمولوية، إذا لم يكن قد رخّص في ترك أوامره.

٢. آيات القرآن، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.[٨]

---

١. النور: ٦٣.

٢. *أصول الفقه*، المصدر.

٣. النور: ٥٦.

٤. فصلت: ٤٠.

٥. البقرة: ٢٣.

٦. البقرة: ٢٨٢.

٧. الأنبياء: ٦٩.

٨. الأعراف: ١٢.

في الآية المتقدمة وُبخ إبليس؛ لأنه خالف الأمر الإلهي، ولأجل هذه المخالفة طرد من المقام الذي كان فيه، فإذن طاعة المولى لو لم تكن واجبة لما استحق إبليس العقوبة والجزاء.

وكذلك الحال في الآية الثالثة والستون ومن سورة النور التي مر ذكرها، والآية السادسة والثلاثون من سورة الأحزاب، فإنّهما تدلان على وجوب طاعة المولى.

ملاحظة

الأول: يمكن الاستدلال بدلالة الأمر على الوجوب من السنّة (بحديث السواك)،[1] وبالإجماع، وقال البعض: إنّ مادة الأمر وصيغته تدلّان على الوجوب بالوضع، ولكن هذا الدليل مخدوش، والرأي الصحيح هو: أنّه مع وجود الدليل العقلي فإنّ بقية الأدلة تكون إرشادية.

الثاني: يدل الأمر على الوجوب خصوصاً مع عدم وجود القرينة التي تدلّ على الخلاف، وإلّا فإنّه يدل على الإباحة أو الاستحباب.

مثال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]

أُمر في هذه الآية الناس بالانتشار وطلب الرزق، والذكر الكثير، بعد الانتهاء من صلاة الجمعة، وبالاستناد إلى القرائن الخارجية، لا يستفاد الوجوب من الأوامر الصادرة بل الاستحباب أو الإباحة.

قواعد فرعية

بين بعض الكُتّاب عدداً من المواضيع في مبحث (الأمر) على شكل قاعدة تفسيرية نشير إليها كما يلي:

الأولى: الأمر بعد النهي بحكم ما قبل النهي

مثال: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾.[3]

فالصيد في الحالة الاعتيادية يكون مباحاً، وفي حالة الإحرام يكون حراماً، وفي هذه الآية جاء الأمر بالصيد بعد الإحلال من الإحرام، هذا الأمر لا يدل على الوجوب؛ لأنه ليس

---

١. عن النبي ﷺ: لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كلِ صلاة) راجع: *البخاري*:٣٤٧/٢، ح٨٨٧، و*مسلم*:٢٢٠/١، ح٢٥٢، و*بحار الأنوار*: ٧٧/ ٧٧.

٢. الجمعة: ١٠.

٣. المائدة: ٢.

فيه دلالة على البعث، وإنّما هو ترخيص في الفعل لا أكثر، فيعود الحكم إلى ما قبل الإحرام، وهو الإباحة.[١]

ملاحظة

ألحَقَ بعض الأصوليين مبحث (الأمر بعد توهم الحرمة) بـمبحث (الأمر بعد النهي).[٢]

الثانية: دلالة الأمر غير الصريح على الوجوب

قد تكون بعض الأوامر غير صريحة في الدلالة على الوجوب، كالجملة الخبرية التي تكون في مقام إنشاء الطلب، فهي تدل على الوجوب شأنها شأن صيغة إفعل في ظهورها في الوجوب.

مثال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾.[٣]

الآية أوجبتْ الصوم على المسلمين، وهي ظاهرة في الوجوب؛ لأنّ المناط في مادة وصيغة الأمر واحد، فإذا ثبت البعث من المولى بأي مظهر كان، وبأي لفظ كان، فلابد أن يتبعه حكم العقل بلزوم الانبعاث ما لم يأذن المولى بتركه.[٤]

وقد عبّر البعض عن هذه القاعدة بـ(الأوامر والنواهي على ضربين: صريح وغير صريح)، وقَسّم الصريح إلى ثلاثة أقسام أوّلها: الخبر في مقام الإنشاء. وقد مرّ الحديث عنه، وثانيها: أن فاعل الأوامر ممدوح وفاعل النواهي مذموم. ومثاله، قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾،[٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾،[٦] وثالثها: ما يتوقّف عليه مطلوب الشارع، مثل الطهارة، التي هي مقدمة للصلاة.[٧]

وما نراه صحيحاً هو: أن جميع أنحاء القسم الثاني من المدح والذم، لا تدلّ على الوجوب والحرمة مع وجود القرائن الخارجية، ومنها الآية التي أشرنا إليها من الوعد بالنار،

---

١. راجع: *قواعد التفسير*: ٤٨٧، و*أصول الفقه للمظفر*: ٦٧/١.

٢. *أصول الفقه*: ٦٧/١.

٣. البقرة: ١٨٣.

٤. *أصول الفقه*: ٦٧/١، ٧٧.

٥. النساء: ١٣.

٦. النساء: ١٤.

٧. راجع: *قواعد التفسير*: ٢/ ٤٩٨ـ٤٩٩.

ودلالة الفعل على الحرمة، وكذلك في القسم الثالث فهو من باب (مقدمة الواجب)، وهي مقدمة عقلية.[١]

الثالثة: هل الأمر يقتضي الفورية أم التراخي؟

الأوامر الشرعية في القرآن على ثلاثة أنواع:

أ) بعض الأوامر تدل على الفورية.

مثال: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾.[٢]

فإن الاستباق بالخيرات عبارة عن الإتيان بها فوراً.

ب) بعض الأوامر تدل على التراخي

مثال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.[٣]

في هذه الآية يكون زمان قضاء الصوم موسّعاً، بحيث يمكن القيام به إلى رمضان القادم.

وهكذا الحال في مورد الأمر بوجوب الصلاة، فقد جاء في عدد من الآيات مطلقاً، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾،[٤] وفي آيات أخرى وفي السنة عين زمان الأداء.

ج) بعض الأوامر وردت مطلقة في القرآن ومجردة عن القرينة، ولم يبيّن فيها الفورية أو التراخي.

مثال: ﴿لِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ...﴾.[٥]

وقد اختلف علماء الأصول[٦] والمحققون في قواعد التفسير[٧] في دلالة صيغة الأمر، هل تدلّ على الفور أو التراخي؟ ولكن الرأي الصحيح هو: أن عقل الإنسان يحكم بفورية أداء العبد لأوامر المولى في الظرف والزمان الطبيعي والعرفي للحكم، إلا إذا وجدت قرينة تدل

---

١. راجع: *أصول الفقه*:١/ ٢٥٩. ٢٩٣.

٢. البقرة: ١٤٨.

٣. البقرة: ١٨٥.

٤. النور: ٥٦.

٥. آل عمران: ٩١.

٦. توجد أربعة أقوال في أصول الفقه: إنها موضوعة للفورية، للتراخي، وموضوعة لهما على نحو الاشتراك اللفظي، وإنها غير موضوعة لا للفور ولا للتراخي ولا للأعم منهما (راجع: *أصول الفقه* للمظفر:١/ ٧٧).

٧. ذهب عبد الرحمن السبت في كتابه *قواعد التفسير* إلى القول بالفورية، ونقل هذا الرأي عن ابن القيم، وابن النجار الحنبلي، والشنقيطي.

على جواز التأخير،[١] وبناءً على المثال المتقدّم إذا تحققت شرائط الحجّ (كالاستطاعة) فيجب على المكلّف الإقدام على سفر الحجّ في نفس السنة.

الرابعة: الأمر بالشيء يستلزم عقلاً النهي عن ضده

المقصود من هذه القاعدة هو: أنه إذا ورد أمر في القرآن كـ(أقم الصلاة)، فإنه يوجد فيه لازمان عقليان:

الأول: ضده العام: الترك أي النقيض لـ(أقم الصلاة)، يكون ممنوعاً؛ لأن كليهما لا يجتمعان.

الثاني: ضده الخاص يكون ممنوعاً، يعني تجنب ما يمنع تحقق وقوع الفعل، كالانشغال بالأكل بدلاً عن الصلاة.

كتب عبد الرحمن السعدي في القاعدة الثانية والثلاثين من قواعد التفسير، قائلاً: «إذا أمر الله بشيء كان نهياً عن ضده، وإذا عفى عن شيء كان أمراً بضدّه، وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتاً للكمال؛ وذلك لأنّه لا يمكن امتثال الأمر على وجه الكمال إلّا بترك ضده، فحيث أمر، بالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والعدل. كان ناهياً عن الشرك، وعن ترك الصلاة، والزكاة، وترك الصوم، وترك الحجّ، وعن العقوق والقطيعة، وحيث نهى عن الشرك وترك الصلاة إلى آخر المذكورات، كان آمراً، بالتوحيد، وفعل الصلاة إلى آخر المذكورات، كان آمراً بالتوحيد وفعل الصلاة إلى آخرها، وحيث أمر بالصبر والشكر وإقبال القلب على الله إنابةً ومحبةً وخوفاً ورجاءً كان ناهياً عن الجزع، والسخط، وكفر بالنعم، وإعراض القلب عن الله في تعلّق هذه الأمور بغيرها...».[٢]

ونظير هذا الأمر ما أورده خالد بن عثمان السبت في *«قواعد التفسير»*، ولكنه صرّح في أنه: «لا ريب أن الأمر بالشيء ليس هو عين النهي عن ضده من حيث اللفظ، إذ لفظ الأمر مغاير للفظ النهي، ولأنّ متعلّق الأمر طلب، ومتعلق النهي طلب.

---

١. وثمة أدلة أخرى كقوله تعالى﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ آل عمران: ١٣٣، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ البقرة: ١٤٨، وجواز مجازات المولى لتأخير العمل، والملازمة بين الزمان المجهول والغاية مع التكليف المجهول [*قواعد التفسير*:٢/ ٤٨٤]، ولكن هذه الأدلة مناقش فيها حيث أورد عليها بعض الإشكالات [*أصول الفقه*:١/ ٧٨].

٢. *القواعد الحسان*: ١٢٠.

والأقرب والله العالم، أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده من حيث المعنى... والأمر بالشيء أمر بلوازمه، وذلك ثابت بطريق اللزوم العقلي لا بطريق قصد الآمر، إذ الأمر بالفعل قد لا يقصد طلب لوازمه...».[١]

وبحث علماء الأصول هذه المسألة بشكل موسع ومفصل حيث بيّنوا: أن المقصود بالضد هنا هو: أعم من الضد المنطقي(الذي يجمع صفتين وجوديتين)، والذي يشمل كل مناف وجودي وعدمي، ومن هنا فإنه يعود إلى الضد العام(النقيض) والضد الخاص، وأن المقصود بالاقتضاء هو الأعم من الدلالة اللفظية والعقلية.

وكذلك فإن المقصود من «النهي» هو الأعم من المولوي والإرشادي.

ولم يكن اختلافهم في الضد العام من جهة أصل الاقتضاء وعدمه، فإن الظاهر أنهم متفقون على الاقتضاء، وإنما اختلافهم في كيفيته على نحو العينية أو الجزئية والالتزامية.

ولكن هذا المنع اللازم للوجوب ليس منعاً مولوياً ونهياً شرعياً، بل هو منع عقلي تبعي، من غير أن يكون هناك من الشارع منع ونهي وراء نفس الوجوب.[٢]

ولكن في هذا المورد يمكن القول: إنّ اللزوم العقلي لوجوب أي شيء هو ترك مانعه.

٢. قواعد النهي

قاعدة: دلالة التحريم على النهي

وهنا يوجد مبحثان:

الأول: مادة النهي، يعني (ن، هـ، ى) وهي: عبارة عن طلب العالي من الداني ترك الفعل. وهذه المادة تدلّ على الحرمة.

مثال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.[٣]

الثاني: صيغة النهي، يعني (لا تفعل)، أو كلّ صيغة تدلّ على المنع، أو طلب الترك.

مثل: «إياك أن تفعل هذا»، أو الجملة الخبرية في مقام الإنشاء، وهذه الصيغة تدلّ على الحرمة.

---

١. *قواعد التفسير*:٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

٢. هذه المسألة وقع فيها خلاف ومناقشات، وطرحت أدلة كثيرة، نحيل البحث فيها إلى كتب علم الأصول، راجع: *أصول الفقه*، المظفر:١/ ٢٩٤وما بعدها، وكذلك *كفاية الأصول* والكتب الأصولية الأخرى في ذيل مباحث الوجوب.

٣. النحل: ٩٠.

مثال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ...﴾.[١]
﴿...فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾.[٢]

ففي الآية الثانية نفي الفسق والجدال في الحجّ بصيغة الخبر في حال كون المقصود منه النهي، ولكنّ النهي بصيغة الخبر أبلغ من صيغة صريح النهي؛ لأنّ فيه نوعاً من المبالغة.[٣]

أدلة استفادة التحريم من مادة وصيغة النهي

١. حكم العقل بلزوم تنفيذ أوامر المولى؛ لأداء حق العبودية والمولوية، فيكون حالها حال (إفعل) في الوجوب؛ كما مرّ.

٢. استحقاق الشخص الذي يخالف نواهي المولى، العقوبة عند العرف وأهل اللغة.

٣. العتاب الذي وجّه لآدمعليه السلام في القرآن؛ لأنّه خالف النهي الإلهي.

قواعد فرعية

الأولى: النهي يقتضي فورية الترك إلا إذا وجدت قرينة تدل على التأخير

وكما بين في بحث الأمر فالعقل يحكم بلزوم تنفيذ أمر، المولى في ظرفه الطبيعي.

الثانية: النهي يقتضي الدوام والاستمرار والتكرار إلّا إذا وجدت قرينة على خلاف ذلك:

ذهب بعض الأصوليين إلى عدم وجود دلالة لصيغة (لا تفعل) لا بهيئتها ولا بمادتها على الدوام والتكرار، ولا على المرة، وإنّما المنهي عنه صرف الطبيعة، كما أن المبعوث نحوه في صيغة (إفعل) صرف الطبيعة.

وإنّ امتثال النهي بالانزجار عن فعل الطبيعة لا يكون إلّا بترك جميع أفرادها.[٤]

الثالثة: النهي عن اللازم أبلغ في الدلالة على النهي عن الملزوم:

مثال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى...﴾.[٥]

فإذا كان الشارع قد نهى عن الاقتراب من الزنا، فإن النهي عن الوقوع فيه ومقارفته

---

١. الإسراء: ٣١.

٢. البقرة: ١٩٧.

٣. *قواعد التفسير*: ٢/ ٥١٣.

٤. *أصول الفقه*، المظفر: ١/ ١٠٤.

٥. الإسراء: ٣٢.

داخل تحت ذلك، بل إن النهي فيه أوكد وأشد.

الرابعة: إذا نهى الشارع عن شيءٍ، نهى عن بعضه، وإذا أمر بشيء كان آمراً بجميعه، إلّا ما ورد الدليل على استثنائه.

مثال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾.[1]

فإن هذه الأمور المذكورة محرمة تحريماً مطلقاً، فيحرم عصب الميتة، وشحمها ولحمها، وغير ذلك... إلا ما ورد الدليل باستثنائه.

الخامسة: النهي يقتضي الفساد:

مثال: ﴿...لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى...﴾.[2]

فإذا صلّى شخصي في حال السكر، كانت صلاته باطلة.

هذه القاعدة فيه خلاف مشهور بين أهل العلم، وقد ذهب بعض الكتاب إلى اقتضاء النهي للفساد يعم العبادات والمعاملات والعقود بأنواعها، وسواءً كان النهي عن الشيء لذاته أم لغير ذلك.[3]

غير أن بعض الأصوليين بعد ما أن بين المقصود بالدلالة (الدلالة اللفظية)، والنهي والفساد(مقابل الصحة)، عقد البحث في موضعين: العبادة، والمعاملة:

أ) النهي عن العبادة يقتضي فسادها وبطلانها

العبادة خصوص ما يشترط في صحتها قصد القربة، التي شرعها الشارع لأجل التعبّد بها وإن لم يتعلّق بها أمر فعليّ لخصوصية المورد. وهذا النهي قد يتعلّق بالعبادة، كالنهي عن صوم العيدين، أو يتعلّق بجزئها كالنهي عن قراءة سورة من سور العزائم في الصلاة، أو يتعلق بشرطها، أو بشرط جزئها كالنهي عن الصلاة باللباس المغصوب أو المتنجس، أو أن يتعلّق بوصف ملازم لها، أو لجزئها، كالنهي عن الجهر بالقراءة في موضع الإخفات، والنهي عن الاخفات في موضع الجهر.

ب) النهي عن المعاملة

تارةً يكون النهي بداعي بيان مانعية الشيء المنهي عنه، فإنه يكون دالاً على فسادها عند الإخلال، كالنهي عن الغرر في المعاملة، فإنه يوجب بطلان البيع الغرري.

---

١. المائدة: ٣.

٢. النساء: ٤٣.

٣. *قواعد التفسير*:٢/ ٥١٥.

وتارة يكون النهي عن ذات السبب، أي عن العقد الإنشائي، كالنهي عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة في قوله تعالى: ﴿آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.[١]

فالمعروف أنه لا يدل على فساد المعاملة، إذ لم تثبت المنافاة؛ لا عقلاً ولا عرفاً بين مبغوضية العقد والتسبيب به بين إمضاء الشارع له.

وتارة يكون النهي عن المسبَّب؛ فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن النهي في هذا القسم يقتضي الفساد، ولكن هذا الدليل مناقش فيه.[٢]

٣. قاعدة المجمل والمبين

تمهيد(تاريخ القاعدة وأهميتها)

طرح مبحث المجمل والمبيّن منذ القدم في كتب أصول الفقه عند الشيعة والسنّة،[٣] وما زال هذا الموضوع يُعد ضمن مباحث هذا العلم.

وأمّا دور موضوع المجمل والمبين في فهم وتفسير آيات القرآن، فقد اعتبره مؤلفوا علوم القرآن، وقواعد التفسير، قاعدة مهمة في هذا المجال، وبحثوا القواعد والضوابط الفرعية المتعلّقة به. ومن جملة هؤلاء السيوطي في *الإتقان*،[٤] وخالد بن عبد الرحمن السبت في *قواعد التفسير*،[٥] وخالد بن عبد الرحمن العك في *أصول وقواعد التفسير*،[٦] حيث طرحوا هذا البحث بشكل مفصّل.

ومن هنا فإننا سوف نبين هذا الموضوع بصورة مختصرة:

بيان المصطلحات

على أساس نوع دلالة ألفاظ القرآن توجد على الأقل أربعة مصطلحات، تحتاج إلى إيضاح وبيان:

---

١. الجمعة: ٩.

٢. في هذه المسألة يوجد بحث دقيق ومفصل نوكله إلى كتب أصول الفقه (راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١/٣٤٦ وما بعدها).

٣. راجع: *الأحكام*، الآمدي، ٣/٧، *المستصفى*، ١/٣٣٦، المذكرة في *أصول الفقه*، ١٧٩، وكفاية الأصول؛ *وحلقات الأصول*، الشهيد الصدر، *أصول الفقه*، المظفر: ١/ ١٩٥.

٤. *الإتقان في علوم القرآن*: ٢/ ٣٦ (النوع ٤٦).

٥. *قواعد التفسير*: ٢/ ٦٧١ وما بعدها.

٦. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٥٥. ٣٢١.

الأول: النص

النص في اللغة: بمعنى«الارتفاع والظهور»،والنص: رفعك الشيئ. نصّ الحديث نيصّه نصّا: رفعه.[١] وفي الاصطلاح، بمعنى: الكلام الذي يكون صريحاً في المعنى، ولا يوجد احتمال آخر.

بعبارة أخرى، هو الصريح في معناه بحيث لا يشوبه احتمال في الدلالة على معنى آخر.[٢]

وببيان ثالث: هو الكلام الذي يدل على المعنى بنسبة مائة بالمائة، بمعنى أن تكون دلالته يقينية.

مثال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾.[٣]

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾.[٤]

مسائل

١. يرى بعض الكتاب أنّ عموم ألفاظ القرآن دلالتها، «نص»،[٥] ولكنّ هذا الكلام لا يخلو من مبالغة؛ لأنّ بعض آيات القرآن متشابهة، وبعضها مجمل، وكثيراً منها ظاهر.

٢. بعض أهل الاختصاص عد قسمين آخرين من أقسام النص؛ الأول: ما تطرق إليه احتمال لا دليل عليه، فهو بمنزلة المعدوم لا يلتفت إليه.

مثل: قوله تعالى ﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،[٦] فقد أكّد التكليم بالمصدر مما يمنع احتمال المجاز، فالآية نصٌّ في معناها. والثاني: نصوص تحتمل غير معانيها الظاهرة منها، ولكن اطرادها في الاستعمال على معنى واحد يجعلها تجري مجرى النصوص التي لا تحتمل غير مسماها.[٧]

وبالطبع فإنّ هذين القسمين، وبعد التدبر في الآية والبحث عن القرائن المخالفة هما حقيقتان في النصّ، فكلّما حصل القطع بنسبة مائة بالمائة بدلالة اللفظ على المعنى، فإن النصّ يكون ثابتاً.

٣. وذكر البعض أيضاً: أنّ النص لا يقبل التأويل ولا المجاز، ولا يمكن العدول عنه إلّا بالنسخ.[٨]

---

١. *لسان العرب*، مادة (نص).

٢. في هذه المسألة يوجد بحث دقيق ومفصل نوكله إلى كتب أصول الفقه (راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١/ ٣٤ وما بعدها).

٣. البقرة: ٢٥٥.

٤. الفتح: ٢٩.

٥. *قواعد التفسير*:٢/ ٦٧٤.

٦. النساء: ١٦٤.

٧. *قواعد التفسير*:٢/ ٦٧٣و٦٧٨.

٨ المصدر:٢/ ٦٧٣. ٦٧٤.

وفي رأينا، أنّ القسم الأوّل من الكلام صحيح، ولكنّ القسم الثاني لا يصدق على جميع الموارد؛ لأنّ بعض نصوص القرآن ليست قابلةً للنسخ، مثل: آية التوحيد التي مرّت، علاوة على ما مرّ بيانه في مبحث النسخ، أنه لم يثبت لنا نسخ أية آية في القرآن.

٤. كل تأويل يرفع النص أو شيئاً منه، فهو باطل،[١] وهذا يعني: أن النص في القرآن غير قابل للتأويل، ومن ثمّ فإنّ صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يتصوره الصارف دليلاً، بمعنى: أنّه يعيد الراجح إلى المرجوح، يسمى بالتأويل الفاسد أو البعيد عن حقيقة دليل التأويل، وفيه إشكال.

الثاني: الظاهر

الظاهر في اللغة: هو ضد الباطن. وظَهَرَ الشيء: إذا تَبَيَّن.[٢] فالظاهر، ما انكشف واتضح معناه للسامع من غير تأمّل وتفكّر، وضده أيضاً الخفي، وهو الذي لا يظهر المراد منه إلا بالطلب، وفي الاصطلاح: ما دل على معنىً واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً.[٣]

وبكلمة أخري: هو الكلام الذي يدلّ على المعنى بنسبة تزيد على الخمسين بالمائة، وتقلّ عن المائة بالمائة، أي أنّ دلالته تكون ظنية.

مثال: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾،[٤] ﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ...﴾.[٥]

وفي هاتين الآيتين المباركتين يوجد ظهوران في مفردتي «الزكاة» و«الصلاة» الأول: تشير المفردة الأولى إلى الحق الشرعي في الأموال الخاصة، و ألى العبادة المعروفة، والثانية تشر إلى أكثر من معنى لغوي كـ«الطهارة» و«الدعاء»، وأما في الإسلام فإنّ هاتين المفردتين لا يوجد لها ظهور في المعنى اللغوي.

والثاني: ظهور صيغة الأمر (آتوا، وأقيموا) في الوجوب، وإنّ كان احتمال الاستحباب موجود في هذه الصيغة أيضاً.[٦]

---

١. المصدر: ٢/ ٦٨٣.

٢. *لسان العرب*، مادة «ظهر».

٣. *قواعد التفسير*: ٢/ ٦٧١. ٦٧٢، *والإتقان*: ٢/ ٦٢.

٤. البقرة: ٤٣.

٥. البقرة: ٨٣.

٦. في هذه الآيات يكون أصل طلب الزكاة والصلاة نصاً، وهو أعم من الوجوب والاستحباب، أمّا في الوجوب فهو ظاهر.

ملاحظات

١. يكون التفسير وفقاً للظهور والعمل به؛ لأنّ ظهور القرآن حجّة، فلا يجوز العدول عنه ما لم يكن هناك دليل أقوى منه، وحينها يوّل ذلك الظاهر.[١]

مثال: ﴿...يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾.[٢]

﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾.[٣]

ففي الآية الأول يوجد احتمالان في المراد بـ«يد الله»:

الأول: اليد الجسمانية والتي يدل عليها الظاهر.

الثاني: المعنى الكنائي والمقصود به القدرة.

أمّاالآية الثانية، فإنّها تنفي وجود أية مماثلة جسمانية بين الله والموجودات، وعندها يتضح أن المقصود من (الي) في الآية الأولي ليس المعنى الأول (اليد الجسمانية)، بل هو المعنى الثاني (المعنى الكنائي الدال على القدرة) بدلالة القرينة في الآية الثانية، وهذا يعني تقديم المعنى الراجح على المرجوح والذي يسمى (التأويل) في اصطلاح المتأخرين.

ملاحظة:

١. إنّ اصطلاح «المؤول» يعني اللفظ الدال على المعنى بشكل مرجوح، وهو عكس الظاهر.

٢. قسّم بعض الكتاب الظهور إلى نوعين:

أ) الظهور الوضعي: وهو يتألف من قسمين؛ أحدهما: بوضع الشارع، مثل الصلاة، والصيام؛ والثاني: بوضع اللغة.[٤]

ب) الظهور بالدليل؛ مثل صيغة الخبر التي تدل على الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾.[٥]

الثالث: المجمل

تعني مفردة «المجمل» لغةً: الجمع من غير تفصيل.[٦]

---

١. للتأويل معاني متعددة، وما ذكرناه، هو التأويل عند المتأخرين (راجع مبحث التأويل في هذا الكتاب).

٢. الفتح: ١٠.

٣. الشورى: ١١.

٤. *قواعد التفسير*: ٢/ ٦٧٤.

٥. الواقعة: ٧٩.

٦. *المصباح المنير*، مادة «الجمل» (أجملت الشئ إجمالاً جمعته من غير تفصيل).

وأمّا في الاصطلاح: بمعنى ما لا يكفي وحده في العمل.

وفي اصطلاح أهل الأصول: ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجيح لواحد.[١]

أو الشئ الذي لم تتضح دلالته،[٢] أو الشئ الذي لم يتضح فيه مقصود المتكلم بشكل يقيني أو ظني.

إنّ مفردة«المجمل» يقابلها المبيّن(وهو ما اتضحت دلالته).

أسباب الإجمال في الألفاظ

١. الاشتراك: وهو اللفظ الموضوع لمعنيين، ولا توجد قرينة على تعيين أحدهما.

مثال: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ...﴾.[٣]

فإنّ مفردة «قرء» تستعمل في الحيض وفي الطهر.

٢. حذف حرف إضافة يكون مردداً بين حرفين

مثال: ﴿...وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ...﴾.[٤]

فإنّه بالإمكان تقدير حرف«عن» أو «في» وعندها سيتغير المعنى.

٣. الاختلاف في مرجع الضمير

مثال: ﴿...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾.[٥]

فإن ضمير الفاعل في فعل «يرفعه» من الممكن أن يعود على لفظ الجلالة (الله)، أو يعود العمل، أو الكلم الطيّب.

٤. احتمال العطف والاستئناف في الحرف

مثال: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ...﴾.[٦]

٥. وجود شيء يصلح أن يكون قرينة

---

١. *قواعد التفسير*:٢/ ٦٧٢.

٢. *أصول الفقه*، المظفر:١٩٥/١.

٣. البقرة: ٢٨٢.

٤. النساء: ١٢٧.

٥. فاطر: ١٠.

٦. آل عمران: ٧.

مثال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى....وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.[١]

فإن الوصف المذكور في صدر الآية يدل على عدالة جميع من كان مع النبي ﷺ من أصحابه، إلّا أنّ ذيل الآية صالح لأن يكون قرينة على أن المراد بجملة (والذين معه) بعضهم لا جميعهم، فتصبح الآية مجملة من هذه الجهة.[٢]

٦. التقديم والتأخير في الآية

مثال: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.[٣]

فقد وضعت جملة «لكان لزاماً» بعد جملة «أجل مسمى».

٧. المتكلم في مقام الإهمال والإجمال

مثال: ﴿...أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ...﴾.[٤]

فلم يبين في أول سورة المائدة موارد اللحم الحرام، غير أنه في الآية الثالثة ورد التحريم ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾.[٥]

وكذلك استعمال المجاز في العبارة[٦] وغرابة اللفظ، وعدم كثرة الاستعمال، وقلب المنقول، التكرار القاطع لوصل الكلام في الظاهر.[٧]

ملاحظات مهمّة

١. المجمل ما لم تتضح دلالته وهو واقع في القرآن خلافاً لداود الظاهري.[٨]

٢. إنّ المجمل والمبيّن في الألفاظ أمر نسبي بين الأفراد، فقد يكون اللفظ مجملاً عند شخص، مبيّناً عند شخص آخر.[٩]

---

١. الفتح: ٢٩.

٢. *أصول الفقه*: ١/ ١٩٦.

٣. طه: ١٢٩.

٤. المائدة: ٣١.

٥. المائدة: ١.

٦. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١/ ١٩٦.

٧. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/ ٥٠.

٨ المصدر: ٢/ ٣٦.

٩. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١/١٩٦.

٣. إن الكلام المبيّن يشمل النص والظاهر؛ لأنّ معناه واضح في كليهما.[١]

٤. إنّ الكلام المجمل يحتاج إلى المبيّن، يعني أن نستعين بكلام آخر يكون قرينة على تعيين معنى اللفظ(الأمثلة على ذلك ستأتي في ذيل النقطة الخامسة).

٥. إنّ المبيّن قد يكون في نفسه مبيّناً، وقد يكون مبيناً بكلام آخر يوضّح المقصود منه.[٢] (كما أشرنا إليه وفي مبحث النص)، ففي هذه الصورة يكون الكلام واضحاً ومبيّناً، متصلاً أو منفصلاً.

مثال الأول: قوله تعالى: ﴿...وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾.[٣]

فليس المقصود من (الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) الخيط العادي؛ بل سواد وبياض السماء عند طلوع الفجر.

مثال الثاني: قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ...﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ...﴾.[٥]

وكذلك في الأمور المتعلّقة بمناسك الحجّ، وجزئيات الزكاة وغيرها، والآيات التي وردت بصورة كليّة ومجملة والتي بيّنت في آيات أخرى.

٦. اللفظ إذا تطرق إليه الاحتمال كساه ثوب الإجمال وسقط به الاستدلال.[٦]

فإذا تساوت الاحتمالات في معنى الآية، ولم تكن هناك قرينة على ترجيح أحدها، ففي هذا المورد يمكن تصور عدة احتمالات:

أ) يُرجّح المفسّر أحد الاحتمالات في معنى الآية، ويفسرها على ضوئه، وهذا العمل غير صحيح؛ لأنّه تفسير بالرأي، ولا يوجد أي دليل أو قرينة على ترجيحه لهذا الاحتمال، غير رأيه الشخصي.

ب) إذا تعذر الجمع بين الاحتمالات، وكان هناك تنافياً بينها، فالمفسّر يبحث عن القرائن المنفصلة حتى يرجّح أحد المعاني، وإذا لم يجد قرينة، يلزمه التوقف؛ أي: أنه يذكر كلا

---

١. المصدر.

٢. المصدر.

٣. البقرة: ١٨٧.

٤. الفاتحة: ٧.

٥. مريم: ٥٨.

٦. *قواعد التفسير*: ٦٧٦/٢.

المعنيين المحتملين، ولا يرجّح أحدهما بصورة قطعية، ولا ينسبه إلى الله تعالى.

وهذا الأسلوب صحيح.

ج) إذا لم يكن ثمة تنافياً في المعاني المحتملة للفظ، فيمكن أن يكون المقصود جميع المعاني، وحينها يحمل على الجميع.

وقد بين هذا الموضوع تحت عنوان (استعمال اللفظ في أكثر من معنى) وأدرج في قاعدة مستقلة مع الأخذ بنظر الاعتبار ضوابطه الصحيحة.

٧. وقد ذكر الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك تقسيماً آخر للألفاظ الواضحة الدلالة، والمبهمة، وهي كما يلي:

أ) ألفاظ واضحة الدلالة

١. الظاهر: هو اللفظ الذي يدل على معناه بصيغة من غير توقف على قرينة خارجية تبيّنهُ، مع احتمال التخصيص والتأويل وقبول النسخ، ويقابله اللفظ «الخفي».

٢. النصّ: هو اللفظ الذي يدل على الحكم الذي سيق لأجله الكلام دلالة واضحة، تحتمل التخصيص والتأويل احتملاً أضعف من احتمال الظاهر، مع قبول النسخ في عهد النبوة، ويقابله «المُشكل».

٣. المُفسَّر: هو اللفظ الذي يدل على الحكم دلالة واضحة، ولا يبقى معها احتمال للتأويل أو التخصيص، ولكنّه مما يقبل النسخ في عهد النبوة.

٤. المحكم: هو اللفظ الذي يدل على معناه دلالة واضحة قطعية، لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصاً ولا نسخاً؛ وذلك إذا انقضى عهد النبوة ولم يتطرّق إليه النسخ، ويقابله «المتشابه».

ب) ألفاظ مبهمة الدلالة

وقد قسّمها إلى الخفي، والمشكل، والمجمل، والمتشابه، وجعلها في مقابل الأقسام الأربعة المذكورة أعلاه.

المناقشة

لا مانع من ابتكار اصطلاح جديد، غير أن ما ذكره الشيخ من تقسيمات لا يحل المشكلة، بل يزيد في إبهام المباحث، ولا يوجد دليل على الإعراض عن التقسيم السابق

(النص والظاهر والمجمل) والذي هو موضع سالم المشهور عليه.[١]

يضاف إلى ذلك أنّ الفارق الذي ذكره بين «النص والظاهر» لم يكن تامّاً، بل ركّز النظر على مرتبتين خاصتين من الظاهر وأطلق عليها اسم«النص والظاهر»، واستعمل لفظ «المُفَسَّر» بدلاً من النصّ عند المشهور(والذي يدلّ على المعنى بدرجة مائة بالمائة).

وعلاوة على ما ذكر فقد استعمل لفظ «المحكم» في عَرض «النص والظاهر»، في حال كون المحكم يشمل النص والظاهر.

وقد استَعمل أيضاً «المجمل» في مقابل المفسَّر به؛ في حين أن المجمل في مقابل «النص والظاهر» و«المشكل والخفي» يعدان من أقسام المجمل.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا أن نقدم تقسيمات منفصلة وهي كالتالي:



وضوح ألفاظ القرآن ← مبهم الدلالة ← مجمل
← واضح الدلالة ← مُبيَّن ← النص
← الظاهر

ألفاظ القرآن ← المحكم ← النص
← الظاهر
← المؤول(بعد التأويل)
← المتشابه

---

١. راجع: *قواعد التفسير*: ٢/٦٧٢،٦٧١، حيث ذكر تعريف هذه الاصطلاحات الثلاثة (النص، والظاهر، والمجمل) والتي نقلها عن أكثر من ٢٠ مصدراً من مصادر أهل السنة، وكذلك ذكر السيوطي هذه المعاني في *الإتقان*:٢/ ٦٢.

٢. راجع: *الإتقان*: ٢/ ٦٢.

الملاحظة الأولى: الألفاظ المتشابهة والمجملة بعد رفع التشابه والإجمال تؤول وتبدل بألفاظ المؤول، ففي هذه الصورة يمكن أن تصل الألفاظ المؤولة إلى مرحلة الظهور وتعدّ جزءً من آيات الأحكام.

بعبارة أخرى، القرائن التي تستعمل في تأويل الآيات يمكن أن تكون قطعية وقوية بحيث تضفي على الآيات ظهوراً ثانوياً.

الملاحظة الثانية: اتضح من خلال المباحث أعلاه أن النسبة بين «المبيّن» و «المحكم» هي العموم والخصوص المطلق؛ وهذا يعني أن الألفاظ المبينة تكون جزءً من المحكمات.

الملاحظة الثالثة: كل لفظ مجمل يمكن أن يكون مبيّناً من خلال القرينة(آية أو رواية) وعندها يرتفع الإجمال.

ونأخذ على سبيل المثال الآية الأولى من سورة المائدة: ﴿... أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ...﴾،[١] حيث أشارة بصورة إجمالية إلى اللحوم المحرّمة، وبالرجوع إلى الآية الثالثة من نفس السورة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾ نجدها تعدد اللحوم المحرّمة وتبيّنها. فالآية الأولى كانت مجملة، والآية الثالثة مبينة.

٤. قاعدة التقييد والتخصيص في القرآن

تمهيد (تاريخ وأهمية القاعدة)

إنّ بحثي التخصيص والتقييد، هما من المباحث القديمة التي اهتم بها علماء الأصول والفقه.[٢]

ولهذين الموضوعين أهمية في فهم أيّ نصٍ وكلام، ومن هنا فإنّ لهما دوراً مؤثراً في تفسير القرآن.

بعبارة أخرى، إنّ قاعدة حمل المطلق على المقيد، وحمل العام على الخاص في الموارد التي يثبت فيها التخصيص والتقييد، توجب تغيير المعنى وتفسير الآيات المطلقة والعامة.

وعلى هذا فقد عدّ بعض الباحثين مسألتي التخصيص والتقييد قاعدةً تفسيرية.[٣]

---

١. المائدة: ١.

٢. راجع: *كفاية الأصول*؛ *الرسائل*، *أصول الفقه*.

٣. راجع: *قواعد التفسير*:٢، ٥٤٦؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٣٨٠؛ *القواعد الحسان*: ١٢.

وقد بحثت هاتان القاعدتان بصورة مفصلة في أصول الفقه، سنشير إليهما ونؤكد على استعمالهما في التفسير.

ومن المفيد أن ننوه إلى أن التخصيص والتقييد تعدان قاعدتين منفصلتين؛ غير أنّه وبسبب التشابه بينهما وأن الناظر إنّما ينظر إليهما من زاوية واحدة جعلناهما في موضع واحد.

مفهوم التخصيص والتقييد

المقصود بالتخصيص هو: إخراج بعض الأفراد عن شمول الحكم العام، بعد أن كان اللفظ في نفسه شاملاً له لولا التخصيص.[١]

مثال: (أكرم كلَّ عالمٍ إلّا زيداً، آمن زيد بالأئمة إلّا المهدي، أعتق أيّ رقبة شئت إلّا زيداً).

وأمّا المقصود بالتقييد فهو: تحديد دائرة المطلق وإخراج بعض الأفراد أو الحالات بواسطة القيد.

بعبارة أخرى: إنّ المطلق هو: شيوع اللفظ وسعته باعتبار مع ما له من المعنى وأحواله[٢] ويقابله المقيد.

مثال: قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ...﴾،[٣] وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.[٤]

ملاحظة

إنّ الفارق بين التخصيص والتقييد هو، أنّ التخصيص يتعلّق بالعام والذي يكون بإحدى أدوات العموم (كل، جميع،ال..)، أمّا أنّ التقييد يتعلّق بالإطلاق وذلك بالاستعانة بمقدمات الحكمة،[٥] فالتقييد يكون أكثره في الحالات والأوصاف، والتخصيص يكون في الأفراد.

الأصل في المسألة

لا يجوز العمل بالعام قبل البحث عن المخصِّص أو المقيِّد. وأمّا إذا كان اللفظ عاماً أو

---

١. *أصول الفقه*، محمدرضا المظفر: ١/ ١٣٩.

٢. المصدر: ١٧١ـ١٧٢.

٣. العنكبوت: ٤٥.

٤. الإسراء: ٧٨.

٥. إن مقدمات الحكمة هي: أولاً، إمكان الإطلاق والتقييد في متعلّق الحكم؛ ثانياً، أن يكون المتكلم في مقام البيان؛ ثالثاً، عدم نصب القرينة على التقييد. (*أصول الفقه*: ١/ ١٨٤ـ١٨٥).

مطلقاً (وذلك بالاستعانة بمقدمات الحكمة) يؤخذ بالعموم في حال عدم وجود القرائن المخالفة، فالأصل هو العموم إلّا إذا وجدت قرينة على الخلاف.[١]

بعبارة أخرى، بعد بذل الوسع في الفحص عن المخصِّص في مضانه، يبقى العام على عمومه ويؤخذ به، إلّا أنّ توجد قرينة مخالفة.

وكذلك الحال في المطلق فإنّه يبقى على حاله (بعد الفراغ من مقدمات الحكمة) إلا أن نجد قرينة أو قيداً يدلّ على الخلاف.[٢]

وقد صرّح بعض المختصين بقواعد التفسير بهذا الموضوع، كما أنّ بعض المفسّرين استندوا إلى العموم الوارد في قوله تعالى: ﴿...كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾.[٣] واعتبروه موجّه لعامة الناس، رادين بذلك قول من يعتقد بأنّه خاص بأهل الطاعة.[٤]

أقسام التخصيص والتقييد

أ) تخصيص وتقييد القرآن بآيات القرآن

وهذه الموارد جائزة؛ لأنّ كلّ متكلّم يمكنه أن يطرح موضوعاً مطلقاً أو عامّاً أوّلاً، ومن ثمّ يشخص الموارد التي يريد أن يخصّها أو يقيّدها من كلامه، وهذه الطريقة عقلائية وعرفية في بيان المطالب، وتوجد عليها نماذج كثيرة في القرآن الكريم.

مثال التخصيص

قوله تعال: ﴿...فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء...﴾.[٥]

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾.[٦]

وفي هاتين الآيتين يوجد تخصيصان:

١. حلية جميع النساء،[٧] عدا زوجة الأب.

---

١. لا يجوز العمل بالعام قبل الفحص عن المخصص؛ وذلك لكثرة المخصصات في الشريعة. [راجع: *أصول الفقه*: ١/١٥٥].

٢. الإسراء: ٧٨.

٣. البقرة: ١١٦.

٤. *تفسير الطبري*: ٢/ ٥٣٩.

٥. النساء: ٣.

٦. النساء: ٢٢.

٧. مفردة النساء جمع محلى بـ«الألف واللام» وهو يفيد العموم و«من» الواردة في الآيتين بيانية وليست تبعيضية.

٢. استثناء مورد واحد من زوجات الآباء.

مثال التقييد

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ...﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا...﴾.[٢]

ففي الآية الأولى تحريم الدم بشكل مطلق، وأما في الآية الثانية فهو الدم المحرّم هو الدم الذي يخرج من الحيوان؛ والذي عبرت عنه الآية بـ«المسفوح» والذي جاء قيداً للدم.

ب) تخصيص وتقييد القرآن بالسنّة

وهذه الموارد جائزة في الجملة؛ لأنّ القرآن الكريم قد صرّح بأنّ الرسول الكريمﷺ ـ طبقاً للآية ٤٤ من سورة النحل ـ هو المبيِّن للقرآن، وبناءً عليه تكون بيانات النبيﷺ في تفسير وتبيين آيات القرآن حجة.[٣]

إن تخصيص وتقييد الآيات هي من موارد تبيين القرآن، أما سنّة الأئمة؈ فتلحق بسنة النبيﷺ؛ بدليل حديث الثقلين[٤] وأدلة أخرى.

الأحاديث الموجودة في السنّة تقسّم إلى قسمين:

الأوّل: الأحاديث القطعية، مثل: الخبر المتواتر، والخبر المحفوف بالقرائن، وهما حجة في التفسير ويمكن تخصيص وتقييد الآيات بها.

الثاني: الأحاديث غير القطعية، مثل: خبر الواحد المعتبر (الصحيح أو الموثّق) الذي يفيد الظن. وفي هذا الموضوع توجد آراء متعددة، والمحصلة النهائية: أننا نعتبر خبر الواحد المعتبر حجة في التفسير؛ لأنّه يعد علماً عادياً يفيد الاطمئنان. وبناء على هذا يكون تخصيص وتقييد

---

١. البقرة: ١٧٣.

٢. الأنعام: ١٤٥.

٣. فإذا لم يكن بيان النبيﷺ حجةً يكون الأمر الوارد في الآية ٤٤ من سورة النحل لغواً وخلاف الحكمة، ولا يصدر من الحكيم كلام يخالف الحكمة. وأي شيء مخالف للحكمة لا يمكن أن يصدر من الحق (تبارك وتعالى)؛ لأن صفاته عين ذاته.

٤. قال رسول اللهﷺ: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا [راجع: *صحيح الترمذي*:٣٠٨/٢]

القرآن بخبر الواحد المعتبر حجةً ويجوز العمل به، وأمّا على المبنى القائل بعدم حجية خبر الواحد في التفسير، فلا يمكن تخصيص وتقييد القرآن.[١]

مثال على تخصيص القرآن بالسنة:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...﴾.[٢]

فقد بيّنت الآية أنّ حصة الولد من الإرث هي ضعف حصّة البنت منه.، إلا أنّ الآية خصصت بالسنة، وهي أن لا يكون الولد قاتلاً لأبيه، أو كافراً، فلا يرث الولد الكافر أباه حينئذٍ.[٣]

أمثلة على تقييد القرآن بالسنة:

﴿...مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ...﴾.[٤]

وفقاً للآية يتمّ تقسيم الإرث بين الورثة بعد إجراء الوصية، ففي الآية جاء تقسيم الإرث بعد تسديد ديون الميت بصورة مطلقة، ولم يعيّن مقداره؛ وأما في السنّة فقد ورد التقييد على أن لا يوصى بأكثر من ثلث أمواله.[٥]

ألفاظ وصيغ العام والخاص

التخصيص غالباً ما يكون بأ إدوات الاستثناء وهي: «إلّا»و«غير». وأما صيغ وألفاظ العموم فهي عبارة عن:[٦]

١. «كل»و «جميع». تمام، أي، دائماً.

مثال: ﴿...كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.[٧]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...﴾.[٨]

---

١. راجع: بحث حجيّة السنّة في التفسير، من القسم الأول من هذا الكتاب.

٢. النساء: ١١.

٣. عن رسول الله ﷺ: «لا ميراث للقاتل»؛ راجع: *الكافي*:١٤٣/٧، ١٤٠ (باب ميراث القاتل وميراث أهل الملل)؛ *وسائل الشيعة*: ١٧/ ٣٨٨.

٤. النساء: ١٢.

٥. النساء: ١٢.

٦. بُحث هذا الموضوع بشكل مفصل في كتب أصول الفقه، راجع: *كفاية الأصول*، *وأصول الفقه* للمظفر: ١٤٠/١.

٧. الطور: ٢١.

٨ البقرة: ٢٩.

٢. وقوع النكرة في سياق النفي أو النهي.

مثال: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا...﴾.[١]

٣. الجمع و المفرد المحلّان بالألف و اللام.

مثال: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ...﴾.[٢]

ملاحظة: الأصوليون والمختصون في قواعد التفسير يقبلون هذه الموارد؛ إلا أنَّ بعضهم أضاف أموراً أخرى، وأمثلة متعددة لما ذكرنا أعلاه، موارد متعلّقة بالأمر سيأتي الحديث عنها.

قواعد فرعية لقاعدة العام والخاص

بعض المختصين في قواعد التفسير عدد ملحقات العام في ألفاظ القرآن وعززها بالأمثلة، معتبراً كلاً منها قاعدة مستقلة.[٣]

ومما يجدر ذكره أنَّ إطلاق كلمة القاعدة على هذه الموارد ليس مناسباً، إلا أن التعرّف عليها مفيد.

أ) موارد ومصاديق العام

الألفاظ معارف ونكرات؛ فكلّ اسم معرفة ذي إفراد يفيد العموم، وكلّ لفظ نكرة في النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام أو الامتنان، فإنّه يفيد العموم سواءً كان اسماً أو فعلاً.

١. الأسماء الموصولة تدل على العموم؛ سواءً كانت مفردة أو مثنى أو جمع.

مثال «الذي»:[٤] ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً...﴾.[٥]

مثال «مَن»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ...﴾.[٦]

مثال «ما»: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾.[٧]

---

١. التوبة: ٨٤

٢. البقرة: ٢٢٨.

٣. جمع خالد ين عبد الرحمن السبت ثلاثين قاعدة في العام والخاص والمطلق والمقيد، وقد قمنا بدمج بعضها ببعضى أو تلخيصها [راجع: *قواعد التفسير*: ٥٤٨/٢. ٦٢٥؛ كما أن بعض الموارد نقلناها من كتاب *أصول التفسير وقواعده*، و*القواعد الحسان*].

٤. قد يأتي الاسم الموصول المفرد بمعنى الجمع.

٥. البقرة: ١٧.

٦. الحج: ١٨.

٧. الحشر: ١.

مثال «أيّ»: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.[١]

٢. الجمع المعرف بالإضافة.[٢] مثال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾.[٣]

٣. أسم الجنس المفرد إذا كان نكرة، أو معرّف بالألف واللام غير العهدية، أو كان مضافاً، فإنّه يفيد العموم في كثير من الموارد.

مثال: النكرة: ﴿... ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾؛[٤] أي أطفالاً.

مثال: المفرد المضاف:[٥] ﴿... وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا...﴾؛[٦] أي نعم الله.

مثال: المفرد المعرّف بالألف واللام: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾؛[٧] أي الملائكة.

٤. النكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام، تدل على العموم.[٨]

ملاحظة: إنّ النكرة في سياق النفي تدل على العموم دلالة ظاهرية، فإذا بنيت على الفتح لتركبها مع «لا» أو كانت مسبوقة بـ«من» فإنها تكون نصاً في العموم.

مثال النفي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ...﴾.[٩]

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ...﴾.[١٠]

مثال النهي: ﴿...وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا...﴾.[١١]

مثال الاستفهام الاستنكاري: ﴿... هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.[١٢]

مثال الشرط: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ...﴾.[١٣]

٥. النكرة الموصوفة بوصف عام.

---

١. مريم: ٦٩.

٢. راجع: *القواعد الحسان*: ١٨.

٣. النساء: ١١.

٤. الحجّ: ٥.

٥. راجع: *القواعد الحسان*: ١٨.

٦. إبراهيم: ٣٤.

٧. الفجر: ٢٢.

٨ القواعد الحسان: ١٦؛ *قواعد التفسير*.

٩. الحجّ: ٥٢.

١٠. يونس: ١٠٧.

١١. النساء: ٣٦.

١٢. مريم: ٦٥.

١٣. فصلت: ٤٦.

مثال: ﴿... وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ...﴾؛[١] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ...﴾.[٢]

فلفظ «عبد» في الآية الأولى، ولفظ «قول» في الآية الثانية، كلٌ منهما يفيد العموم؛ لأنّه نكرة موصوفة بوصف عام.[٣]

٦. النكرة في سياق الإثبات لا تفيد العموم، باستثناء ثلاث صور:

أولاً: أن يضاف إليها «كلّ».

مثال: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.[٤]

ثانياً: النكرة في سياق الإمتنان.

مثال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾.[٥]

ثالثاً: قد تفيد النكرة في سياق الإثبات العموم بمجرّد دلالة السياق.

مثال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾؛[٦] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾.[٧]

٧. الفعل في سياق النفي وما في معناه يفيد العموم.

ملاحظة: المقصود منه: الفعل الذي يكون بتأويل المصدر. ويؤوّل إلى معنى النكرة في سياق النفي وما في معناه.

مثال: النفي: ﴿...وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾،[٨] النفي هنا يعمّ جميع أنواع الفلاح عن الساحر؛ ﴿...لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيى﴾.[٩]

مثال: النهي: ﴿...وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾،[١٠] فيقتضي عموم كل إلقاء باليد إلى التهلكة.

مثال: الشرط: ﴿...وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾،[١١] وهذا يعم سائر أنواع التولي.

---

١. البقرة: ٢٢١.
٢. البقرة: ٢٣٦.
٣. أصول التفسير وقواعده: ٣٨٢.
٤. ق: ٢١.
٥. الروم: ٢١.
٦. التكوير: ١٤.
٧. الشمس: ٧.
٨ طه: ٦٩.
٩. طه: ٧٤.
١٠. البقرة: ١٩٥.
١١. محمد: ٣٨.

مثال: الاستفهام: ﴿... قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ...﴾.[١]

٨ اسم الشرط واسم الاستفهام يمكن أن يدل على العموم.

مثال: اسم الشرط: ﴿...وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا...﴾.[٢]

مثال: اسم الاستفهام: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾.[٣]

إنّ مفردة «مَن» الواردة في الآيتين تفيد العموم.[٤]

٩. نفي المساواة يفيد العموم.

مثال ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ *-وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ﴾.[٥]

أ) في عرف الشرع والقرآن الأحكام إن الأحكام التي تجيئ بصيغة المذكر، ولم تأت بصيغة المؤنث، فإنّهما تشمل الرجال والنساء(أي تكون عامة).

مثال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾.[٦]

ب) الخطاب الموجّه لواحد من الأمة يعمّ غيره إلا إذا جاء دليل يخصصه.[٧]

ودليله هو استواء عموم المكلفين في أحكام التكليف، إلا بدليل خاص يجب الرجوع إليه.

مثال: ﴿...وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...﴾.[٨]

ولم يقبل بعض المحققين تخصيص الآية المباركة بنساء النبيﷺ؛ لأن تعليله لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه اطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة في قوله تعالى: ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...﴾ قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم الشامل لجميع المسلمين.[٩]

مثال آخر: الخطابات في القرآن موجهة إلى النبيﷺ والمؤمنين في صدر الإسلام،

---

١. الأحزاب: ١٧.

٢. النساء: ٩٢.

٣. البقرة: ٢٤٥.

٤. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٨٢.

٥. فاطر: ١٩. ٢٢.

٦. البقرة: ١٣٨.

٧. وقع اختلاف في الخطاب الواحد؛ هل هو صيغة في العموم أم لا؛ أمّا حكم الخطاب فمع وجود دليل آخر لا يشمل مورده.

٨ الأحزاب: ٥٣.

٩. *قواعد التفسير*:٢/ ٥٧٤.

ومع إلغاء الخصوصية يشمل جميع المسلمين على امتداد التاريخ؛ وكذلك الخطابات المتعلّقة بالمؤمنين الشاملة للنبيﷺ؛ إلّا إذا وجد دليل خاص.

مثال الخطاب الخاص بالنبيﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾.[١]

﴿... وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.[٢]

مثال الخطاب الخاص بالنبيﷺ والذي يفيد العموم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾.[٣]

ملاحظة: في الآية المباركة جاءت مفردة (طلّقونهن) بصيغة الجمع وهي قرينة على أنّ المراد عموم الناس.

ج) العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ بمعنى أنّه كلما كانت ألفاظ الآية عامة ولكنها نزلت في مورد فرد أو واقعة خاصة، تكون أحكام الآية عامة وتشمل جميع الأفراد.

وهذا من مصاديق بحث«العام والخاص»، بيد أنّ هناك قاعدة تفسيرية مهمة في موضوع «شأن النزول» أشار إليها المحققون في قواعد التفسير.[٤]

توضيح: ربما تحتوي ألفاظ القرآن على أدوات عامة فتفيد العموم، وأحياناً تحتوي على أدوات خاصة فتفيد التخصيص، وربما لا تكون هناك أدوات تدل على العموم، ففي هذه الصورة تجري القاعدة المشار إليها آنفاً وهي: الحمل على العموم.

مثال الحالة العامة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا...﴾.[٥]

ينقل الطبري، أن هذه الآية نزلت في المرأة المخزومية التي سرقت، وأمر النبيﷺ بقطع يدها.[٦]

فإن مفردة «السارق» الواردة في الآية الكريمة عامة وشاملة لجميع الرجال والنساء.

---

١. المائدة: ٦٧.

٢. الأحزاب: ٥٠.

٣. الطلاق: ١.

٤. راجع: *القواعد الحسان*: ١٠؛ *قواعد التفسير*.

٥. المائدة: ٣٨.

٦. راجع: *تفسير الطبري*: ٢٩٩/١٠.

مثال الحالة الخاصة: ﴿...وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.[١]

ومن الواضح اختصاص هذه الآية بالنبي ﷺ.

مثال الحالة الثالثة: آية الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا...﴾.[٢]

فقد نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت وزوجته،[٣] غير أن حكمها يشمل جميع الأشخاص الذين يظاهرون نسائهم؛ وهذا يعني أن خصوص شأن النزول لا يمنع عموم الآية.[٤]

ومثله ما ورد في آيات اللعان(النور، ٦. ٩)، آية القذف(النور، ٤)، والآيات المشابهة لها.

ملاحظة مهمة: توجد في هذا المجال قاعدة مفادها: من المقطوع به أن يكون مورد النزول داخل في عموم الآية.[٥]

مثال ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...﴾.[٦]

فالنكاح يطلق على الوطء كما يطلق على العقد. وبكل واحد من القولين قال جماعة من المفسرين. وإنما كان نزول الآية بسبب العقد لا الوطء. وعليه تكون صورة السبب هي العقد على الزانية. وبناء على ذلك يكون المنع من العقد على الزانية أقوى مما يدخل تحت عمومها. وكلّ قول أخرج هذه الصورة من حكم العام فهو باطل.[٧]

د) المفهوم الموافق والمخالف يحمل على العام.

مثال المفهوم الموافق: ﴿... فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ...﴾.[٨]

أمرت هذه الآية بعدم توجيه كلام يتضمنّ أدنى مراتب الأذى للآب و الأم، والمفهوم الموافق للآية هو عدم شتمهم أو ضربهم، و هو مثال عام يشتمل موارد متعددة، و هذا

---

١. الأحزاب: ٥٠.

٢. المجادلة: ٣.

٣. *أسباب النزول*: ٢٢٨.

٤. أن يقول الزوجة لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي، وهذا نوع من الطلاق في زمان الجاهلية.

٥. صورة السبب قطعية الدخول في العام (*قواعد التفسير*:٢/ ٦٠٢).

٦. النور: ٣.

٧. *قواعد التفسير*:٢/ ٦٠٣؛ *جامع الأصول*/٧٢٧.

٨. *قواعد التفسير*:٢/ ٦٠٣؛ *جامع الأصول*/٧٢٧.

المفهوم فمن طريق أولى داخل في حكم المنطوق (النهي).

مثال المفهوم المخالف: ﴿... وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾.[١]

منطوق الآية هو وجوب الإنفاق على المرأة الحامل، ومفهومها هو عدم وجوب الإنفاق على غير الحامل، فحكم عدم الوجوب عام يشمل جميع النساء غير الحوامل.

هـ) الحكم المبتني على العلة، يكون شاملاً لجميع الموارد المشابهة التي تكون فيها العلة موجودة.

مثال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا...﴾.[٢]

فحكم قطع اليد في هذه الآية مبتني على السرقة، وهو شامل لجميع موارد السرقة.[٣]

ملاحظة: في الحقيقة (العموم) في الموردين الأخيرين، لم يَدُل عليه لغة ولا عرف؛ لأن ألفاظ العام لم تستعمل فيها، ولهذا السبب عبّر عنها بعض المحققين بـ«العموم العقلي».[٤]

و) إذا اجتمعت صيغة تبعيض مثل(مِن) مع جمع معرَّف (بالألف واللام) أو بالإضافة، أو محصور(كأسماء العدد) وجب حمل الجمع على جميع أنواعه.

مثال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً...﴾.[٥]

فقوله: ﴿من أموالهم﴾ الأموال هنا جمع مضاف، وبهذا يكون من صيغ العموم، والمعنى: خذ من كلّ نوع من أموالهم صدقة.[٦]

ز) مقابلة المفرد بالمفرد.[٧] تفيد التوزيع.

مثال: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ...﴾.[٨]

---

١. *الطلاق*: ٦.

٢. المائدة: ٣٨.

٣. لقطع اليد شروط خاصة بيّنت في السنّة؛ راجع: *التفاسير الروائية* في ذيل الآية، *وسائل الشيعة*، ذيل بحث السرقة، *وتحرير الوسيلة*، للإمام الخميني، بحث السرقة.

٤. راجع: *قواعد التفسير*:٢/ ٥٧٥، ٥٧٧؛ *شرح الكوكب*:٣/ ١٥٦.

٥. التوبة: ١٠٣.

٦. *قواعد التفسير*:٢/ ٥٨٧.

٧. في مقابلة الجمع مع الجمع تارةً تقتضي مقابلة الكل لكلّ فرد، مثل: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ...﴾، البقرة: ٢٣٨؛ وتارة تقتضي مقابلة الأفراد للأفراد، مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾، النساء: ٢٣، فإنه لم يحرّم على كل واحد من المخاطبين جميع أمهات المخاطبين، وإنما حرَّم كلّ مخفيٍ على أمه.

٨ الإسراء: ١٤.

فهذا يكون لكلّ إنسان حيث يؤمر بقراءة كتابه.

ح) حذف المتعلّق يفيد العموم:

ذكرت هذه القاعدة تحت عنوان «حذف المعمول يفيد العموم النسبي» أي يفيد تعميم المعنى المناسب له.[١]

مثال: ﴿... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[٢]

أي: تعقلون عن الله كلّ ما أرشد إليه، وكلّ ما علمكموه، وكلّ ما أنزل إليكم من الكتاب والحكمة وبعبارة أخرى، إنّ حذف متعلّق التعقل يفيد العموم، ويشمل جميع الآيات الإلهية والأعمال والحكم التي تناسب مورد الآية.

ويدخل تحت هذا العنوان، الموارد التي جاء فيها: (لعلكم تذكرون،[٣] لعلكم تتقون)[٤] وأمثالها.

ط) السياق الخاص يراد به العموم:

اعتبر البعض أنّ هذه القاعدة من أسرار القرآن وبدائعه فذكر: أنّ سياق الآيات قد يقع في مور خاص ولكنّ الله يريد أن يحكم عليها، وذلك الحكم لا يختصّ بها، بل يشملها ويشمل غيرها، من الموارد المشابهة.[٥]

مثال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.[٦]

لم يقل الله تبارك وتعالى: واعتدنا لهم، وإنما قال ﴿...وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؛[٧] لأن قانون العذاب لم يكن خاصاً بالكافرين الوارد ذكرهم في صدر الآية، بل هو شامل لجميع الكافرين.

ي) عموم الألفاظ في مورد شخصي، يستلزم شموله لعموم الأحوال، والأزمان، والأمكنة وغيرها.

---

١. راجع: *قواعد التفسير*:٢، ٥٩٧؛ *القواعد الحسان*: ٥٠.

٢. النور: ٦١.

٣. الأنعام: ١٥٢.

٤. البقرة: ١٨٣.

٥. *القواعد الحسان*: ١٦٠.

٦. النساء: ١٥٠، ١٥١.

٧. النساء: ١٥١، ١٥٠.

عموم اللفظ يشمل العموم الزماني، والمكاني، والأفرادي، والأحوالي، ما لم تكن هناك قرينة تدل على الخلاف.

مثال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾.[١]

ففي الآية الكريمة جاء العدل عاماً ومطلوبيته شامله لجميع الأحوال (الغضب، والحب، والبغض، وغيرها)، كما أنّه يتعيّن في كلّ وقت، وفي مكلّ عصر ومكان، ولا يخص مورداً واحداً (مثل العدل بين النساء)، بل يطرّد ذلك في جميع متعلقاته.

مثال آخر: ﴿... فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ...﴾.[٢]

وفي هذه الآية جاء الحكم عاماً وشاملاً لجميع الأوقات، إلّا الأشهر الحرم التي تحدّدها الآية.

ملاحظات:

١. علاقة الخاص بالعمومات المتقدّمة عليه

قد ترد عمومات متعددة في كلام واحد ثمّ يتعقبها استثناء، فإلى أي منها يرجع؟

مثال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا...﴾.[٣]

فهل أنّ استثناء التائبين في الآية يعود فقط إلى الفاسقين، أم أنّه يعود إلى ما قبلها (فاجلدوهم ولا تقبلوا لهم) ويستثنى التائبون من تلك الأحكام.

وهنا توجد أربعة آراء:

الأول: الاستثناء يعود إلى الجملة الأخيرة.

الثاني: أن يكون الاستثناء الآتي بعد الجمل أو المفردات المتعاطفة عائداً إلى جميعها؛ لأنّ الغالب في الكتاب والسنة وكلام العرب هو رجوع الاستثناء إلى جميع الجمل.[٤]

الثالث: تكون الجملة مجملة؛ و إن كان رجوع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة متيقناً.

الرابع: التفصيل بينما إذا كان الموضوع واحداً للجمل المتعاقبة لم يتكرر ذكره، وقد ذكر في صدر الكلام مثل قولك: (أحسن إلى الناس واحترمهم واقض حوائجهم إلّا الفاسقين)

---

١. النحل: ٩٠.

٢. التوبة: ٥.

٣. النور: ٤.

٤. *قواعد التفسير*:٢/ ٦١١، ٦١٣.

وبين ما إذا كان الموضوع متكرراً ذكره لكلّ جملة كالآية الكريمة المتقدمة.

وقد اختار بعض الأصوليين الرأي الرابع واستظهره، ذاكراً وجه الجمع بين أقوال العلماء.[١]

٢. ثمة قواعد فرعية في بحث «المطلق والمقيد» نكتفي بالإشارة إليها:

الأولى: المطلق يحمل على الكامل.

مثال: ﴿... إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ...﴾،[٢] حيث يحمل على مكّة.

الثانية: إذا ورد على المطلق قيدان مختلفان، وأمكن ترجيح أحدهما على الآخر، وجب حمل المطلق على أحدهما، إذا كان ممكناً.

جاءت كفارة اليمين مطلقة عن القيد في قوله تعالى: ﴿... فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾.[٣] وأمّا كفارة الظهار فقد جاءت مقيدة بالتتابع في قوله تعالى: ﴿... فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ...﴾.[٤]

ومن هنا قال البعض: إنّ اليمين أقرب للظهار من التتابع؛ لأنّ لكلّ منهما كفارة، فيقيد صوم كفارة اليمين بالتتابع حملاً على الصوم في كفارة الظهار المقيد بالتتابع.[٥]

ملاحظة: يعرض لنا هذا المثال واحد من أشكال القياس الفقهي، والحكم الفقهي في حاجة هنا إلى الدليل والقرينة المعتبرين، ومن هنا أفتى بعض علماء الإسلام بتتابع الأيام في كفارة القسم.[٦]

الثالثة: الإطلاق يقتضي المساواة.

مثال: جاء في كفارة القسم: ﴿...فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾[٧] يستوي في ذلك الصيام في أول الشهر أو وسطه أو آخره.[٨]

١. وكما مرَّ سابقاً فإنّ إطلاق اصطلاح «القاعدة» على أكثر هذه الموارد غير مناسب؛ لأنّ هذه موارد ومصاديق وملحقات، بيّناها في مبحث العام.

---

١. *أصول الفقه*:٢/ ١٦٠، ١٦١.

٢. المائدة: ٩١.

٣. المائدة: ٨٩.

٤. البقرة: ١٩٦.

٥. *قواعد التفسير*:٦٢٤.

٦. راجع: *تحرير الوسيلة*: ١٢٨/٢؛ كتاب الكفارات؛ أحكام الكفارات، مسألة ٧.

٧. المائدة: ٨٩.

٨ *قواعد التفسير*: ٦٢٥.

٢. إنّ استفادة العموم في أكثر الموارد المشار إليها محل تأمل؛ لعدة أسباب:

الأوّلاً: استفادة العموم في بعض منها بالاستعانة بالقرائن الداخلية للآية أو الخارجية، كما المورد السادس: ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[١] والتي يستفاد منها العموم من لفظ(كل)، فلا تحتاج إلى بحث (النكرة في سياق الإثبات).

ثانياً: بعض الموارد خارجة عن المعنى الاصطلاحي، للعام، مثل: التي ذكرت في «ه، و» والتي عبر عنها بالعموم العقلي.

ثالثاً: بعض الأمثلة المضروبة، التي تدل على الجنس الكلّي، غير أنّه لا يمكن أن يقال أنّها تدلّ على جميع الأفراد.

وبعبارة أخرى، تدلّ على النوع والكلّي المبهم، وليس كلّ الأفراد.

مثال: ﴿... ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً...﴾[٢] التي تدل على أطفال النوع الإنساني، ولكنّه لا يشمل جميع الأفراد، علي سبيل المثال: آدمعليه السلامفي المرْحلة المؤقته؛ فإنّه على أساس ظاهر بعض الآيات،[٣] لم يولد من أب وأم، بل أنه خلق من التراب مباشرة.[٤]

٥. قاعدة: استعمال اللفظ في أكثر من معنى

مدخل(تاريخ وأهمية القاعدة)

قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى من المباحث الأصولية التي اهتم بها علماء الأصول المتأخرون، وقد وقع الخلاف بينهم في جوازها وعدم جوازها.[٥]

ومن هنا فإن لهذه القاعدة دور مؤثّر في تفسير بعض آيات القرآن، حتى أنّ بعض المفسرين المعاصرين اهتم بها وأوضح مكانتها واستفاد منها في تفسير القرآن.[٦]

---

١. ق: ٢١.

٢. الحجّ: ٥.

٣. ق: ٢١.

٤. توجد آراء في موضوع خلق آدم والآيات التي تتحدّث عنه، وعلاقتها بنظرية التكامل؛ راجع: *پژوهشي در اعجاز علمي قرآن ـ مدخل للإعجاز العلمي للقرآن ـ* للمؤلف، المجلد الثاني، بحث التكامل.

٥. راجع: *كفاية الأصول*: ١/٥٣؛ *أصول الفقه*: ١/ ٣٢.

٦. أكّد العلامة مكارم الشيرازي على هذه القاعدة قائلاً: وقد قلنا مراراً: إنّ استعمال لفظ واحد في أكثر من معنى ليس جائزاً فحسب، بل قد يكون أحياناً دليلا على كمال الفصاحة، وإنّ ما نقرؤه في الروايات من أنّ للقرآن بطوناً مختلفة يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى. راجع: *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*: ١٠/ ١٥٦.

ويستفاد من كلام بعض الباحثين في قواعد التفسير قبوله هذه القاعدة في الألفاظ المجملة، مشترطاً عدم كون المعاني التي يحتملها اللفظ متنافية.[١]

وبالالتفات إلى أهمية هذا الموضوع في التفسير، سوف نبحث هذه القاعدة وأدلتها بصورة مجملة:

توضيح الاصطلاحات

لكي نتعرف على معنى «استعمال اللفظ في أكثر من معنى» لابدّ من تبيين الفوارق بين بعض الاصطلاحات:

١. المشترك اللفظي: وهو اللفظ الموضوع لأكثر من معنى، مثل لفظ «عين» الموضوع: «للعين»، و«الينبوع»، وغيرهما.[٢]

٢. المترادف: وهي الألفاظ الموضوعة بشكل مستقل لمعنىً واحد، مثل لفظ «إنسان»[٣] و«بشر».[٤ و٥]

٣. الوجوه: وهي المفردة التي استعملت في القرآن الكريم في أكثر من معنى (بعضها غير موضوع للمعنى) مثل: الفتنة بمعنى: الامتحان[٦] وبمعنى: الشرك والصدّ عن سبيل الله،[٧] ويقابلها المشترك اللفظي.

٤. النظائر: وهي الألفاظ المتساوية المستعملة في معنىً واحد (بعضها غير موضوع للمعنى) مثل: الابتلاء[٨] والفتنة[٩]، الموضوعين لامتحان الأشخاص، ويقابلها المترادف.[١٠]

٥. استعمال اللفظ في أكثر من معنى «المشترك اللفظي» ومن الطبيعي فإنه إذا كان

---

١. *قواعد التفسير*:٢/ ٦٧٧.

٢. المائدة: ٤٥، «العين بالعين»، الكهف: ٨٦ «في عين حمئة».

٣. الحجر: ٢٦.

٤. آل عمران: ٤٧.

٥. راجع: *أصول الفقه*:١/ ٣١، ٣٢.

٦. البقرة: ١٠٢.

٧. البقرة: ١٩١ ـ ١٩٣.

٨. البقرة: ١٥٥.

٩. راجع: البقرة: ١٠٢.

١٠. راجع: *الإتقان*: ١٨٥؛ وجوه قرآن، تفليسي، مقدمة الدكتور مهدي محقق.

المشترك اللفظي مستعملاً في المعنيين ولا توجد قرينة على تعيين أحدهما أو كليهما، فهذا يكون خارجاً عن محل بحثنا.

وأما موضوع البحث في هذا المقام فهو أنّ المتكلّم في المشترك اللفظي الذي فيه أكثر من معنىً يقصد في استعمال واحد جميع المعاني، واللفظ يدل عليها معاً.

الأدلة والآراء

في قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى توجد عدة آراء، نستعرضها كما يلي:

أ) استحالة استعمال اللفظ في أكثر من معنى؛ لأنّه يستلزم الجمع بين لحاظّين في آن واحد، على ملحوظ واحد وهذا محال؛ لأنّ حقيقة الاستعمال عبارة عن: فناء اللفظ في المعنى واندكاكه فيه، أي أن اللفظ مرآة وعنوان للمعنى، ومن هنا فإنّ قبح المعنى وحسنه يسري إلى اللفظ وبالعكس. وفناء اللفظ في معنىً بصورة مستقلة يتنافى مع فنائه في المعنى الثاني.[١]

ب) جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى؛ لأن حقيقة الاستعمال عبارة عن: أن اللفظ علامة على المعنى، وأهم دليل على إمكان الشيء وقوعه، وما لا شك فيه أن استعمال اللفظ في أكثر من معنى موجود في كلمات أهل الأدب، وفيه نوع من اللطافة والجمال، حتى أنه يقال للشخص الكريم: «أنت كثير الرماد».

والروايات الكثيرة التي تدل على وجود البطون في القرآن[٢] هي من موارد استعمال اللفظ في أكثر من معنى.[٣]

وأن فناء اللفظ في المعنى لا دليل عليه، وأما سريان قبح وحسن المعنى إلى اللفظ إنما هو بسبب كثرة الاستعمال.

ج) التفصيل بين: المفرد، والمثنى، والجمع، ففي (المفرد) يكون محالاً، وأمَّا في (المثنى) و (الجمع) فهو جائز.

---

١. راجع: *كفاية الأصول*: ١/ ١٨٨؛ *أصول الفقه*: ١/ ٣٢.

٢. راجع: *بحار الأنوار*: ٨٩ باب (كتاب القرآن).

٣. راجع: *أنوار الأصول*: ١؛ *تهذيب الأصول*؛ محاضرات في أصول الفقه، مبحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى (تقريرات درس البحث الخارج).

د) التفصيل بين النفي والإثبات، بمعنى أنه يكون جائزاً إذا وقع في حالة النفي، وأمّا في حالة الإثبات فهو غير جائز.[١]

وبالجملة[٢] فإنّه يتضح مما تقدّم: أن استعمال اللفظ في أكثر من معنى ليس جائزاً فقط لوجوده في القرآن و في كلام العرب، بل إنه في نظر العقل لا يوجد تفاوت في استعمال اللفظ في معنيين حقيقي أو مجازي، ومجازي أو حقيقي و كنائي، بصورة مثبتة أو منفية.

وقد اعتبر بعض المفسرين الأصوليين: أن استعمال اللفظ في أكثر من معنى يحتاج إلى قرينة داخلية أو خارجية تعيّن المعنى.[٣]

تنبيه: ناقش المرحوم الآخوند الخراساني في الاستدلال بالبطون على استعمال اللفظ في أكثر من معنى، واعتبر أنّ هذا الموضوع محل تأمل، فهل أن البطون، هي من لوازم معنى الكلام، أو هي سنخ آخر؟[٤]

وقد تناولنا هذا الموضوع في المباحث السابقة.

ملاحظة: فيما يتعلّق بالاحتمالات المختلفة في الألفاظ المجملة كتب بعض المحققين في قواعد التفسير قائلاً: «إذا كانت المعاني التي يحتملها اللفظ غير متنافية ويمكن أن تكون مرادة من اللفظ فإنه يحمل عليها جميعاً».[٥]

ومن هذا الموضوع يمكن استفادة شرطين لاستعمال اللفظ في أكثر من معنى:

الأول: أن يتحمل اللفظ معنيين.

والثاني: أن لا يوجد تنافي بين المعنيين.

مثال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ...﴾.[٦]

ففي هذه الآية توجد مفردان«القانتين» و«القانتات» وهي مأخوذة من مادة «قنوت»، واستعملت في اللغة بمعنى«الطاعة مع الخضوع»، ومن هنا ذكر في تفسيرها ما يلي:

١. الطاعة.

---

١. راجع: *أنوار الأصول*:١/ ١٥١.

٢. بحث هذا الموضوع بشكل مفصل في علم الأصول، وقد اكتفينا بطرحه بصورة إجمالية.

٣. راجع: المصدر، ١٥١، ١٥٢.

٤. راجع: *كفاية الأصول*:٢٠٢/١ وما بعدها.

٥. *قواعد التفسير*:٦٧٧/٢ نقلاً عن *البحر المحيط*، الزركشي:٣، ٤٥٧.

٦. الأحزاب: ٣٥.

٢. الخضوع.[١]

وقد اهتمت التفاسير بهذين التفسيرين، ففي *تفسير الصافي*، فسّرت بمعنى: «المداومين على الطاعة»،[٢] وذكر أكثر المفسرين هذا المعنى، وفي صاحب تفسير *أطيب البيان*، ففسّرها بمعنى: الدعاء.[٣]

وليس ثمة مانع طبقاً لقاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى، أن تدل الآية على المعاني الثلاثة.

مثال آخر: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ...﴾.[٤]

وفي هذه الآية عرض المفسرون احتمالين لتفسير مفردة «الإسلام»: المعنى اللغوي وهو «التسليم»، والمعنى الاصطلاحي وهو «الإسلام» وقد اختار بعضهم أحد المعنيين،[٥] وأمّا صاحب *تفسير الأمثل* (والذي يعتقد بجواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى) فقد جمع بين المعنيين في تفسيره.[٦]

٦. قاعدة المفهوم والمنطوق

(تاريخ وأهمية القاعدة)

لم يكن موضوع المفهوم والمنطوق وهو من مباحث الدلالات جديد عهد، فقد طرح في علم أصول الفقه قديماً،[٧] ونظراً لكثرة استعماله فقد اهتم به علماء علوم القرآن، وقواعد التفسير، ومن جملتهم السيوطي في *الإتقان*، فقد ذكر الموضوع وعدّد أقسامه،[٨] وخالد بن عبد الرحمن السبت في *قواعد التفسير*، فقد خصص له فصلاً من كتابه.[٩]

---

١. *مفردات* الراغب الأصفهاني، مادة قنت.

٢. *تفسير الصافي*:١٩٠/٤.

٣. *أطيب البيان*، الطيب، ذيل الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

٤. آل عمران: ١٩.

٥. راجع: *تفسير أبو الفتوح الرازي*؛ *أطيب البيان*؛ *الكاشف*، ذيل الآية ١٩من سورة آل عمران، اختاروا معنى الدين،في *الميزان*؛ *برتوي از قران*؛ و*تفسير القمي*. اختاروا معنى: التسليم.

٦. راجع: *الأمثل*:٢٦٢/٢.

٧. راجع: *الأحكام*:٦٠/٣ ـ ٦٢؛ *المستصفى*:١٧٣/٢ ـ ١٩١؛ *كفاية الأصول*؛ *أصول الفقه*.

٨. *الإتقان في علوم القرآن*:٦٢/٢ (النوع الخمسون).

٩. *قواعد التفسير*:٦٢٧/٢ وما بعدها.

إن المكان المناسب لبحث هذا الموضوع هو في أصول الفقه، ونحن هنا نستعرض حصيلة هذه الأبحاث، ونحيل المباحث الاستدلالية المفصلّة إلى كتب علم الأصول.

تعريف الاصطلاحات

مفردة «المنطوق» اسم مفعول من «نطق»، وفي الاصطلاح هو (ما يدل عليه نفس اللفظ في حدّ ذاته على وجه يكون اللفظ المنطوق حاملاً لذلك المعنى وقالباً له).[١]

والمقصود من مفردة «المفهوم».[٢] هو (ما لم يكن اللفظ حاملاً له دالاً عليه بالمطابقة ولكن يدل عليه باعتباره لازماً لمفاد الجملة بنحو اللزوم البين بالمعنى الأخص).[٣]

كتب بعض المحققين في قواعد التفسير: المنطوق (ما دل عليه اللفظ في محل النطق) والمفهوم، (ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، فهو المعنى المستفاد من حيث السكوت اللازم فقط).[٤]

أقسام المنطوق

المنطوق على قسمين:

أ) المنطوق الصريح، الذي يدلّ بالدلالة المطابقية والتضمّنية.[٥]

يقسّم المنطوق من جهة وضوح الدلالة ومراتبها وخفاياها إلى النص والظاهر، والمؤول والمجمل، والذي تمّ بيانه في مبحث«المجمل والمبين».

ب) المنطوق غير الصريح، والذي يدل بالدلالة الالتزامية.[٦]

تقسّم الدلالة الالتزامية إلى ثلاثة أقسام: «اللزوم البيّن بالمعنى الأخص» و «اللزوم البيّن

---

١. *أصول الفقه*: ١٠٧/١.

٢. مفردة «المفهوم» قد تكون المعنى المدلول للفظ الذي يفهم منه، وقد تكون ما يقابل المصداق، فيراد منه كل معنى يفهم، وإن لم يكن مدلولاً للفظ، وقد تكون ما يقابل المنطوق، والمقصود هنا المعنى الثالث. [*أصول الفقه*:١/ ١٠٧].

٣. *أصول الفقه*:١٠٧/١.

٤. *قواعد التفسير*:٦٢٧/٢، ٦٣١.

٥. راجع: قاعدة «لزوم الاهتمام بدلالات الكلام».

٦. راجع: *المنطق*، المظفر:٧٩/١.

بالمعنى الأعم» و «اللزوم غير البيِّن». وذهب بعض المتخصصين، أنّ المنطوق غير الصريح ينقسم إلى دلالة الاقتضاء والتنبية (الإيماء) و الإشارة، و سيأتي توضيح ذلك.[١]

أقسام المفهوم

المفهوم على قسمين:

أ) مفهوم الموافقة: ما كان الحكم في المفهوم موافقاً في السنخ للحكم الموجود في المنطوق، فإن كان الحكم في المنطوق الوجوب ـ مثلاً ـ كان في المفهوم الوجوب أيضاً.[٢]

ويقسم مفهوم الموافقة إلى قسمين:

١. مفهوم الموافقة بدلالة الأولوية.

٢. مفهوم الموافقة المساوي.

مثال القسم الأول قوله تعالى: ﴿... فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ...﴾.[٣]

فالمنطوق في هذه الآية هو النهي عن قول «أف» وهو المنع من أدني شيء يدل على الزجر للأب والأم.

والمفهوم بدلالة الأولوية هو النهي عن الضرب والشتم للأبوين؛ لأنّ علّة النهي عن إيذائهما في الموارد الأخرى أشد إهانة و إيلاماً من التأفف الوارد في الآية.

مثال القسم الثاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾.[٤]

منطوق الآية، هو النهي عن أكل أموال اليتامى ظلماً، والمفهوم الموافق هو النهي عن شرب أموال اليتامى ظلماً، بل إنّه يشمل كلّ نوع من الإتلاف والتصرّف في أموال اليتامى ظلماً، فالإتلاف والظلم متساويان.

---

١. راجع: *قوانين الأصول*: ١٦٨؛١٧١؛ أصول الفقه، محمد الخضري: ١١٩ـ١٢٢. اعتبر المرحوم المظفر أنّ هذه الأقسام الثلاثة لا تسمى مفهوماً ولا منطوقاً [*أصول الفقه*:١٣١/١، ١٣٢]، وللشيخ خالد بن عبد الرحمن العك تقسيم آخر وهو: دلالة العبارة، دلالة الإشارة، دلالة النص، ودلالة الاقتضاء. (*أصول التفسير وقواعده*: ٣٥٢).

٢. راجع: *أصول الفقه*:١٠٩/١.

٣. الإسراء: ٢٣.

٤. النساء: ١٠.

ملاحظات

١. المفهوم الموافق بدلالة الأولوية يسمى (فحوى الخطاب)، وإذا لم يكن بالأولوية يسمى (لحن الخطاب).[١]

٢. لا نزاع في حجيّة مفهوم الموافقة، بمعنى دلالة الأولوية على تعدّي الحكم إلى ما هو أولى في علّة الحكم.[٢]

٣. عبد الرحمن العك لم يتناول المفاهيم في كتاب *أصول التفسير وقواعده*، غير أنه أشار إليها بـ«دلالة النص» في مبحث دلالات الاقتضاء والبيان، وهو يقصد مفهوم الموافقة،[٣] واستشهد بالأمثلة المشار إليها أعلاه.

ب) مفهوم المخالفة: هو المعنى اللازم المستفاد من الكلام (بدون أن يدل عليه اللفظ)، أي ما كان الحكم فيه مخالفاً في السنخ للحكم الموجود في المنطوق، مثلاً واحد واجب، والآخر حرام.[٤]

ومفهوم المخالفة له موارد متعددة، من جملتها:

١. مفهوم الشرط

﴿...وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ...﴾.[٥]

منطوق الآية يفيد: أنّ نفقة المرأة المطلّقة الحامل في عهدة الزوج، والمفهوم المخالف هو أن نفقة المرأة المطلقة غير الحامل ليست في عهدة الزوج.

٢. مفهوم الوصف

المقصود من الصفة هنا الأعم من النعت، والحال، والظرف.

أمثلة

قال تعالى: ﴿...وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ...﴾.[٦]

---

١. *الإتقان*: ٦٣/٢.

٢. *أصول الفقه*: ١١٠/١؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٣٠٧.

٣. دلالة النص هي: دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به على المسكوت عنه لاشتراكهما في معنىً يدركه كل عارف باللغة أنه مناط الحكم من غير نظر إلى قرائن أخرى [*أصول التفسير وقواعده*: ٣٦٨ ـ ٣٧٠].

٤. راجع: *أصول الفقه*: ١١٠/١.

٥. راجع: *أصول الفقه*: ١١٠/١.

٦. البقرة: ١٨٧.

وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ...﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿...عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ...﴾.[٢]

ملاحظة: ربما توجد قرينة تدل على عدم وجود المفهوم للوصف، كأن يأتي الوصف للغالب.

مثال: ﴿...وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم...﴾،[٣] فإنه لا مفهوم لمثل هذه القضية، إذ يفهم منه أن وصف الربائب بأنها في حجوركم؛ لأنها غالباً تكون كذلك.

٣. مفهوم العدد

مثال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً...﴾.[٤]

ملاحظة: قد توجد قرينة في مورد العدد تدل على عدم وجود المفهوم، كأن يكون العدد للكثرة:

مثال: ﴿...إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ...﴾.[٥]

﴿...وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ...﴾.[٦]

٤. مفهوم الغاية

مثال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ...﴾.[٧]

منطوق الآية، هو أن الشخص الذي يطلّق زوجته ثلاث مرات، لا يحق له مراجعة زوجته، ما لم يتزوجها شخص آخر.

ومفهوم الغاية مع الالتفات إلى الأداة (حتى) أنّ المرأة تحلّ لزوجها الأول بعد زواجها الجديد.(ومن الطبيعي وبعد الالتفات إلى تحقق الشروط ومن جملتها هي طلاقها من زوجها الثاني).

٥. مفهوم اللقب

كل اسم سواءً كان مشتقاً أوجامداً يقع موضوعاً للحكم:

---

١. البقرة: ١٩٧.

٢. البقرة: ١٩٨.

٣. النساء: ٢٣.

٤. النور: ٤.

٥. التوبة: ٨٠.

٦. لقمان: ٢٧.

٧. البقرة: ٢٣٠.

مثال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾.[١]

٦. مفهوم الحصر

مثال: ﴿...لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ...﴾.[٢]

﴿...لإِلَى الله تُحْشَرُونَ﴾.[٣]

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ...﴾.[٤]

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ...﴾.[٥]

﴿...فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ...﴾.[٦]

كل واحدة من هذه الجمل تدل على الحصر بصورة خاصة والتي يكون التفاوت النحوي فيها واضحاً.

المناقشة: اعتبر السيوطي جميع الأقسام حجة،[٧] وللأصوليين مباحث مفصّلة في أقسام مفهوم المخالفة، وفي المجموع يكون مفهوم الشرط والغاية والحصر حجة بشروط،[٨] وأما فيما يتعلّق بمفهوم الوصف واللقب فهناك خلاف بينهم، فقد أنكر بعض الأصوليين حجيّتها إلّا في موارد خاصة.[٩]

بعض المحققين في أصول الفقه يعتقد، أنّ الوصف إذا كان قيداً احترازياً سيكون له مفهوماً نحو: مثال الاعتكاف و الحج[١٠] الذي مرّ، وإذا لم يكن هناك قيد احترازي فلا مفهوم له نحو: مثال الربائب (بنات الزوجات) الذي مرّ،[١١] وغالباً ما يكون القيد للاحتراز.[١٢]

---

١. المائدة: ٣٨.

٢. آل عمران: ١٦٨.

٣. طه: ٩٨.

٤. الشورى: ٩

٥. الفاتحة: ٥.

٦. الشورى: ٩.

٧. ذكر السيوطي شرطي ان ها: ألّا أن يكون المذكور خرج للغالب. وألّا يكون موافقاً للواقع [*الإتقان*:٢/٦٣، ٦٤].

٨. راجع: *أصول الفقه*:١/١١١ وما بعدها.

٩. المصدر:١/١٣٠،١٢٩، ١٢٠؛ وكذلك راجع: *محاضرات في أصول الفقه*:٥/ ١٣٣.

١٠. البقرة: ١٨٧،١٩٧.

١١. النساء: ٢٣.

١٢. *أنوار الأصول*:٢/٥٩، ٦١، ٦٢.

العدد، إذا كان للكثرة أو وجدت قرينة تدل على عدم تحديد أو تشخيص عدد أفراده فلا مفهوم له، وأما الأعداد التي تكون في مقام التحديد (تشخيص العدد الأقل من الأفراد أو الأكثر منها أو كليهما معاً) فلها مفهوم.

إن أكثر الأعداد في الشريعة للتحديد؛ لوجود القرينة العامة، ومن هنا فإن العدد له مفهوم، مثل عدد أيام الصيام، وعدد الكفارات، وعدد الجلدات في الحدود والتعزيرات، وعدد نصاب الزكاة والخمس، وعدد أيام العادة والعدة.[١]

إن بعض الأصوليين لم يعتبر انتفاء الحكم بانتفاء العدد من باب المفهوم، بل هو من باب عدم إنجاز التكليف.[٢]

وأما اللقب فجميع الأصوليين لا يرون دلالته على المفهوم؛[٣] لأنّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، يعني أن إثبات حدّ القطع ليد السارق، لا ينفي حد القطع عن الآخرين، وبالطبع فإنّه حينما لا يكون الشخص سارقاً سوف يشمله حكم الآية، يعني لا تقطع يده؛ لأنه ليس متعلّقاً للحكم؛ وأن انتفاء السرقة موجب لانتفاء الموضوع.[٤]

ب) القواعد المشتركة بين التفسير والمنطق

قاعدة: لزوم العناية بدلالات الألفاظ

تمهيد (تاريخ وأهمية القاعدة)

مبحث الدلالات من المباحث المطروحة في علم المنطق،[٥] ونظراً لأهميته ودوره في فهم النصوص، اهتم به علماء أصول الفقه،[٦] وعلوم القرآن،[٧] وقواعد التفسير.[٨]

ومما هو جدير بالذكر أن قسماً من هذا الموضوع قد شرح في قاعدة المجمل والمبيّن،

---

١. راجع: *أنوار الأصول*:٨١، ٨٢.
٢. *المحاضرات*: ١٥٠.
٣. راجع: *المحاضرات*: ١٥٠.
٤. راجع: *أنوار الأصول*:٧٩.
٥. راجع: *منطق الشفاء*، ابن سينا؛ *حاشية الملا عبد الله على تهذيب المنطق للتفتازاني*؛ *المنطق*، للمظفر؛ وغيرها.
٦. راجع: *أصول الفقه*:١٣١/١ و كتب أخرى.
٧. راجع: *الإتقان*:٢، ٦٢، وما بعدها.
٨. راجع: *أصول التفسير وقواعده*: ٣٦٢ وما بعده؛ *القواعد الحسان*: ٣٣.

وقسم آخر ذكر في ذيل قاعدة المفهوم والمنطوق، وقسم من المباحث الكلية وتقسيماتها سنذكره هنا، وعليه فإننا سنتناول هذا البحث المنطقي بصورة مختصرة.

توضيح الاصطلاحات

مفردة الدلالة في اللغة تعني: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء.[١] وفي الاصطلاح، الدلالة هي: كون الشيء بحالة إذا علمتَ بوجوده انتقل ذهنك إلى وجود شيء آخر.[٢]

أقسام الدلالات

قسم علماء المنطق الدلالة إلى ثلاثة أقسام:

١. الدلالة العقلية: وهي فيما إذا كان بين الدال والمدلول ملازمة ذاتية، كدلالة المعلول على العلّة، ومثالها دلالة الدخان على النار.

٢. الدلالة الطبعية: وهي فيما إذا كانت الملازمة بين الشيئين ملازمة طبعية، كدلالة الأثر الطبيعي على الشيء، ومثالها دلالة السعال على الزكام.

٣. الدلالة الوضعية: وهي فيما إذا كانت الملازمة بين الشيئين تنشأ من التواضع والاصطلاح، على أنّ وجود أحدهما يكون دليلاً على وجود الثاني، مثل دلالة الألفاظ على المعاني.

الدلالة الوضعية[٣] على قسمين: دلالة لفظية، وغير لفظية (مثل الإشارات، والخطوط، والرسوم، وغيرها).

وأما دلالة ألفاظ القرآن على المعاني فهي دلالة وضعية.

أقسام الدلالات الوضعية واللفظية

تقسّم الدلالة الوضعية من جهات مختلفة إلى:

أوّلاً: قسّم أهل المنطق دلالة الألفاظ على المعاني إلى ثلاثة أقسام:

١. الدلالة المطابقية: وهي أن يدل اللفظ على تمام معناه الموضوع له ويطابقه، كدلالة لفظ البيت على كلّ البيت، أو دلالة لفظ (الكتاب، والقرآن، على جميع آياته).

---

١. *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة«دل».

٢. *المنطق*: ٣٦.

٣. راجع: *المنطق*: ٣٧.

٢. الدلالة التضمنية: وهي أن يدلّ اللفظ على جزء معناه الموضوع له الداخل ذلك الجزء في ضمنه، كدلالة لفظ البيت على الحيطان، أو البناء، أو دلالة لفظ القرآن على بعض آيات، أو على ورق القرآن.

٣. الدلالة الالتزامية: وهي أن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له لازم له يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته،[١] واللازم في الدلالة الالتزامية على قسمين: بيّن وغير بيّن، ودلالة اللازم البين على قسمين: أخص وأعم.

اللازم البين بالمعنى الأخص: وهو حصول الاطمئنان من تصوّر اللازم وتصوّر الملزوم، وتصوّر النسبة بينهما.

مثال: الاثنان نصف الأربعة.

اللازم غير البين: وهو عدم كفاية تصور اللازم والملزوم والنسبة بينهما، بل يحتاج إلى دليل لإثبات الملازمة.

مثال: زوايا المثلث تساوي ١٨٠ درجة.[٢]

مثال آخر: إنّ استفادة القواعد الكلية من الآيات بعد إلغاء خصوصية، شأن النزول والزمان والمكان والأشخاص، تعدّ من موارد المدلول الالتزامي غير البيّن الذي عبّر عنه بعض العلماء بباطن القرآن.[٣]

مثال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[٤]

فالآية بمفادها الظاهري ـ حسب تنزيلها ـ نزلت بشأن المشركين بالذات. لكنها بفحواها العام، تعمّ كلَّ جاهل بأصول الديانة وفروعها، فعليه أن يراجع العلماء في ذلك. وهذه هي رسالة الآية الخالدة، ومن ثمّ فهي مستند عقلائي ـ يحتج بها العلماء في كافة الأصقاع والأعصار على ضرورة رجوع الجاهل إلى العالم في جميع المعارف والعلوم.[٥]

ملاحظة: صرّح علماء المنطق:[٦] أن الدلالة الالتزامية هي نوع من الدلالة الوضعية

---

١. راجع: *المنطق*: ٣٩و٤٠.

٢. راجع: *المنطق*: ٩٠ و١٠٠.

٣. *التفسير الأثري الجامع*: ٣١/١و٢٣.

٤. النحل: ٤٣.

٥. *التفسير الأثري الجامع*: ٣١/١.

٦. *التفسير الأثري الجامع*: ٢٣/١و٣١.

اللفظية، وعليه كما تكون الدلالة المطابقية والتضمّنية حجّة كذلك تكون الدلالة الالتزامية، ونحوه ما صرح به علماء قواعد التفسير، وهي: أنّ مفسر القرآن كما ينبغي عليه أن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة، وما دخل في ضمنها، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني، وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرّج اللفظ على ذكرها، وقد ادّعى البعض الإجماع على إمكان الاستدلال بلازم الكلام الإلهي وعدّها قاعدة تفسيرية.[١]

ثانياً: قسّم علماء أصول الفقه دلالة الألفاظ على المعاني بلحاظ الخفاء والمراتب والوضوح إلى قسمين:

١. المبيّن (واضح الدلالة): الذي يشمل الظاهر، والنصّ، والمؤوّل.

٢. المجمل (غير واضح الدلالة): وقد تم إيضاحه في مبحث «المجمل والمبين».

ثالثاً: قسّم علماء المنطق وأصول الفقه دلالة الألفاظ بلحاظ إرادة المتكلم إلى قسمين:

١. الدلالة التصورية (المراد الإستعمالي): أي بمجرد صدور اللفظ من المتكلّم ينتقل الذهن إلى المعنى، كالشخص الذي يصدر منه كلام وهو في حال النوم أو الغفلة أو النسيان، في الحال الذي لم يكن قاصداً للمعنى، ولكن معنى اللفظ يأتي إلى الذهن.

وفي نفس النحو عندما يريد الشخص المعنى المجازي أو الكنائي أو الخاص، ففي بداية حديثة ينصرف إلى الذهن المعنى الحقيقي أو العام، في الحال الذي يكون فيه مراداً استعمالياً وليس مراداً جدّياً.

ملاحظة: الدلالة التصورية هي نفس المعنى الموضوع للكلمة بحيث أنّ اللفظ عادة ما يستعمل في ذلك المورد (المعنى الموضوع له).

٢. الدلالة التصديقية (المراد الجدّي)، أي دلالة اللفظ على المعنى الذي يقصده المتكلّم، كالمعنى الخاص والمقيد والمجازي والكنائي، والذي يكون مراداً نهائياً للمتكلّم، ولو أنّه ابتداءً استعمل المعنى العام، أو المطلق بمعانيها الحقيقية، إلا أن مجموع الكلام هو المراد النهائي الذي يريده المتكلم.

مثال: ﴿...اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾.[٢]

الدلالة التصورية والمراد الإستعمالي لمفردة «يد» هو اليد الجسمية المادية؛ غير أن

---

١. راجع: *القواعد الحسان*، ٣٥ (قاعدة ٣٥).

٢. الفتح: ١٠.

المقصود النهائي أو الدلالة التصديقية (المراد الجدي، للمتكلّم) هي: القدرة وأمثالها، والذي يفهم من خلال القرائن الأخرى مثل ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾،[١] أو بالبرهان العقلي.

شروط للدلالة التصديقية:

١. إحراز أنّ المتكلّم في مقام البيان.

٢. إحراز أنّ المتكلّم ليس في مقام الهزل، بل هو جاد.

٣. إحراز أنّ المتكلّم قاصد للكلام، وليس كالشخص الغافل أو النائم.

٤. إحراز عدم نصب قرينة على إرادة غير المعنى الأصلي الموضوع له اللفظ.[٢]

ملاحظات

١. أنّ الدلالة تابعة للإرادة؛ لأنّ الدلالة في الحقيقة منحصرة في الدلالة التصديقية، والدلالة التصورية التي يسمونها دلالة ليست بدلالة، وإنا سمّيت كذلك من باب التشبيه والتجوّز؛ لأنّ الدلالة التصورية في الحقيقة هي من باب تداعي المعاني الذي يحصل بأدنى مناسبة.[٣]

٢. لا يمكن تفسير القرآن ـ وهو كلام الله تعالى ـ على أساس الدلالة التصورية، بل ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار القرائن الموجودة في الكلام (الخاص والمقيد، وقرائن المجاز والكناية وغيرها) حتى نصل إلى المقصود النهائي لله تعالى، وتفسير القرآن يكون على هذا الأساس، وعليه لا يمكن بمجرد أن نفهم المعاني اللغوية لكلمات وآيات القرآن أن نعرف المقصود النهائي منها ونفسر القرآن على ضوئها وننسبها إلى الله تعالى؛ لأنه نوع من التفسير بالرأي.

وكما أوضحنا في تعريف التفسير، أنّه يلزم الالتفات إلى الدلالتين التصورية والتصديقية، وبعد الحصول على المراد الاستعمالي والدلالة التصورية للألفاظ، ولكي نفهم المراد الجدي لله تعالى، ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار قواعد العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز والكناية، وغيرها، حتى نحصل على المراد النهائي لكلام الله تعالى ونفسره على أساسه، وقد مرّت الأمثلة على هذه الموارد في المباحث السابقة.

٣. قسّم علماء أصول الفقه الدلالة من جهة استنباط المعنى مباشرة من اللفظ، أو من لوازم معناه إلى قسمين مفهوم ومنطوق.[٤]

---

١. الشورى: ١١.

٢. راجع: *أصول الفقه*: ١/ ١٩و٢١؛ *المنطق*، مبحث الدلالات.

٣. المصدر: ٢٠.

٤. راجع: أصول الفقه: ١/ ١٠٧، والكتب الأصولية الأخرى.

١. المفهوم: ما لم يكن اللفظ حاملاً للمعنى بالمطابقة، ولكن يدلّ عليه باعتباره لازماً لمفاد الجملة، وهو على قسمين: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.

ملاحظة: بيّنا المفهوم وأقسامه في مبحث المنطوق والمفهوم.[١]

٢. المنطوق: وهو المعنى المستفاد مباشرة من اللفظ. وقسّمه بعض العلماء إلى قسمين:[٢]

الأول؛ منطوق صريح، كالدلالة المطابقية والتضمنية.

ذكر بعض المحققين في قواعد التفسير هذا الموضوع تحت عنوان (دلالة العبارة)، وهي دلالة اللفظ على المعنى المتبادر منه، وهو الذي سيق الكلام له أصلاً أو تبعاً.[٣]

مثال: ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾.[٤]

فإن دلالة نص هذه الآية على حكمين، كلّ منهما مقصود من سياق النص، الأول منهما: حليّة البيع وحرمة الربا أصالةً، والثاني: التفرقة بين البيع والربا، ونفي المماثلة بينهما تبعاً؛ لأن الآية سيقت للردّ على قول المشركين ﴿... إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا...﴾.[٥]

ملاحظة: إنّ المنطوق الصريح للآيات هو قطعي ويلزم العمل والتفسير على طبقه.

الثاني: المنطوق غير الصريح، كالدلالة الالتزامية للكلام.

مثال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ...﴾.[٦]

فالدلالة المطابقية للآية هي إرجاع الأمانة إلى صاحبها، وأن يكون عادلاً في الحكم بين الناس.

والمعنى اللازم للآية هو وجوب حفظ الأمانات، وعدم إضاعتها والتفريط والتعدّي فيها، وأنّه لا يتمّ الأداء لأهلها إلا بذلك، وكذا الأمر بالحكم بين الناس بالعدل، فلازمه أنّ كل حاكم بين الناس في الأمور الكبار والصغار، لابدّ أن يكون عالماً بما يحكم به.[٧]

ملاحظات

١. اعتبر بعض العلماء أن المنطوق غير الصريح على ثلاثة أقسام: دلالة الاقتضاء، والتنبيه

---

١. المصدر.

٢. راجع: *قوانين الأصول*: ١٦٨/ ١٧١؛ *أصول الفقه*: ١١٩/ ١٢٢؛ *قواعد التفسير*: ٦٢٧/٢.

٣. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٦٢.

٤. البقرة: ٢٧٥.

٥. البقرة: ٢٧٥.

٦. النساء: ٥٨.

٧. هذا المثال ذكره عبد الرحمن السعدي في *القواعد الحسان*: ٣٦.

(الإيماء)، والإشارة، غير أنّ البعض الآخر ذكره في عَرَض المفهوم والمنطوق،[١] ومن هنا فإننا سنأتي بتقسيم واحد.

٢. كما مرَّ سابقاً أنّ الدلالة الالتزامية هي جزء من الدلالة الوضعية اللفظية، وعليه كما أنّ المنطوق الصريح حجّة، كذلك يكون المنطوق غير الصريح، ومن هنا تكون دلالة الاقتضاء، والتنبيه، والإشارة، حجّة.

٣. بعض علماء الأصول والمحققين في قواعد التفسير، عرضوا تقسيماً آخر للدلالات،[٢] وقسّموها إلى ثلاثة أقسام:

١. دلالة الاقتضاء

وهي أن تكون الدلالة المقصودة للمتكلم بحسب العرف، ويتوقّف صدق الكلام أو صحته، عقلاً، أو شرعاً، أو لغةً، أو عادةً عليها.[٣]

مثال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ...﴾.[٤]

فلا معنى لسؤال القرية، غير أن صحة الكلام عقلاً متوقّفة على تقدير كلمة «أهل» فنقول: إنّ المقصود هو «أهل القرية».

مثال آخر: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ...﴾.[٥]

فصحة الكلام شرعاً تقتضي أن يكون المقصود (الرقبة المؤمنة المملوكة)، وإلّا لم يكن لتحريرها اعتبار شرعي.

ومن الملاحظ أن مفردتي «أهل» و «مملوكة» لم ترد في المنطوق، غير أنّها تعدّ من لوازم الكلام.

---

١. سيأتي توضيح هذه المطالب.

٢. بعض الأصوليين جعل هذا التقسيم في عرض دلالة المفهوم والمنطوق، وأخرجه منها وأطلق عليه «الدلالة السياقية». [*أصول الفقه*:١٢٣/١]، وعدّها البعض الآخر جزءاً من دلالة المنطوق غير الصريح. [*قوانين الأصول*: ١٦٨. ١٧١ *وأصول الفقه*، محمد الحضرمي: ١١٩و١٢٢، *وقواعد التفسير*:٦٢٨/٢] والمهم بالنسبة لنا هو معرفة وتحليل هذه الدلالات، وإن توصلنا في كل حالة أنها من نوع الدلالة الالتزامية، إلا أن المباحث الفنية المتعلقة بها نوكلها إلى أصول الفقه.

٣. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*:٦٢/٢؛ *أصول الفقه*:١٣٢/١؛ *روش شناسى تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن*: ٢٤٥، ٢٤٦.

٤. يوسف: ٨٢

٥. النساء: ٩٢.

ملاحظة: كتب بعض المحققين في قواعد التفسير بعد أن بين دلالة الاقتضاء: وحكم دلالة الاقتضاء أنّه يثبت به الحكم الشرعي، كما يثبت بباقي الدلالات.[١]

٢. دلالة التنبيه

هي دلالة الكلام على المعنى اللازم ويشترط فيها القصد عرفاً، ولكن من غير أن يتوقّف صدق الكلام أو صحته عليها، وإنما سياق الكلام ما يقطع معه بإرادة ذلك اللازم أو يستبعد عدم إرادته.[٢]

مثال: إذا شكّ المكلّف في عدد ركعات الصلاة الثنائية وسأل الفقيه، فأجابه: «أعد الصلاة» فهذا الكلام فيه دلالة تنبيه، وهو أنّ الشكّ في الصلاة الثنائية موجب لبطلان الصلاة.

مثال آخر: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا...﴾.[٣]

منطوق الآية يدل على قطع يد السارق، ودلالة التنبيه تفهمنا، أنّ السرقة علّة للحكم، وأنّ الوجوب كان لأجلها.

الشيخ خالد بن عثمان السبت بعد أن ذكر المثال أعلاه اعتبر، أنّ هذا نوع من دلالة «الإيماء والتنبيه» وهو داخل ضمن أنواع المنطوق غير الصريح، وجعله قاعدة مستقلة تحت عنوان «إذا رتب الشارع حكماً على وصف مناسب، فإنّ ذلك يدل على أن ثبوته لأجله».[٤]

٣. دلالة الإشارة

وهي دلالة الكلام على المعنى اللازم له الذي لا يكون مقصوداً بالقصد الإستعمالي بحسب العرف، وصحة الكلام هذه لا تتوقف على هذا المعنى اللازم، ومن الممكن أن يستفاد هذا المعنى اللازم من كلام واحد أو كلامين.[٥]

مثال: دلالة الآيتين على أقل الحمل، وهما آية ﴿...وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا...﴾،[٦] وآية ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾[٧] فإنه بطرح الحولين من ثلاثين شهراً يكون الباقي ستة أشهر فيعرف أنه أقل الحمل.

---

١. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٧١، ٣٧٣.

٢. راجع: *أصول الفقه*: ١٣٣/١.

٣. *قواعد التفسير*: ٢/ ٦٢٨.

٤. راجع: *أصول الفقه*: ١٣٣/١.

٥. راجع: *الإتقان*: ٦٢؛ *أصول الفقه*: ١٣٥/١؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٣٦٥.

٦. الأحقاف: ١٥.

٧. البقرة: ٢٣٣.

وهذا المطلب غير موجود في منطوق الآية، بل هو من لوازم معنى الآيتين ومدلولهما الإشاري.

الملاحظة الأولى: اعتبر بعض المحققين أنّ دلالة الإشارة مدلولها لازم لمدلول الكلام لزوماً غير بيّن أو لزوما بيّناً بالمعنى الأعم.[1]

والبعض الآخر، عدَّ اللازم البيِّن بالمعنى الأخص من ظواهر الكلام، ولم يعتبر المعنى اللازم غير البيّن، والمعنى اللازم البين بالمعنى الأعم من ظواهر الكلام، وأيضاً لا يكشف عن مقصود المتكلّم في عرف المحاورة؛ لعدم الالتفات إلى التلازم الذهني.

وهذان الطرفان (اللازم غير البيّن والبيّن) اللوازم لا يحرزان انتباه المتكلّم لهذه اللوازم عند إلقاء الكلام.

وعليه تكون حجية دلالة الإشارة من باب الملازمة العقلية، كما يؤخذ المقرٌ بلوازم إقراره، ولو لم يكن قاصداً أو منكراً للملازمة.[2]

وكما أوضحنا سابقاً أنه وطبقاً لرأي أهل المنْطق، أنَّ جميع الأقسام دلالتها التزامية وهي من نوع الدلالة اللفظية الوضعية، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن القرآن الكريم هو كلام إلهي والله (عز وجل) مطلّع على جميع الأشياء، فينبغي الالتفات إلى كلامه تعالى وجميع مقاصده، وكذا اللوازم التي تنقدح في الذهن، وأمَّا أن يكون بعضها أقرب والبعض الآخر أبعد، أو بالنسبة للأفراد المختلفين فكما هو الحال في أنّ لظهور اللفظ مراتب.

وعليه يمكن القول أنّ دلالة الإشارة هي أيضاً من ظواهر الكلام، وحجيتها تكون من هذا الباب، وإن لم يكون ثمة مانع أن تكون حجيتها من باب الملازمة العقلية.

فالمحصلة هي: أن اختيار أياً من هذين المبنيين في أصل حجية دلالة الإشارة لا تأثير له.

ولا يوجد دليل على اختصاص دلالة الإشارة باللازم بالمعنى الأعم وغير البيّن؛ لأنّ دلالة الاقتضاء والتنبيه قد تكون أيضاً من هذين النوعين من لوازم الكلام.

الملاحظة الثانية: الفرق بين دلالة الاقتضاء، والإشارة، والإيماء يكون في الموارد التالية: في دلالة الإشارة، المعنى اللازم يكون مقصوداً للمتكلّم وصحة الكلام تتوقّف عليه. وأمّا في دلالة التنبيه، المعنى اللازم يكون مقصوداً للمتكلّم، إلا أنّ صحة الكلام لا تتوقّف عليه ولكن من خلال السياق والقرينة نعرف المعنى اللازم. وفي دلالة الإشارة لا يكون المعنى اللازم

---

١. *أصول الفقه*: ١٣٥/١.

٢. راجع: *روش شناسي تفسير ـ منهج تفسير القرآن* ـ: ٢٤٧، ٢٤٨.

عرفاً مقصوداً استعمالياً للمتكلم، ولكنّ المعنى اللازم، لازمه مدلول الكلام.

مع الالتفات إلى ما ذكرناه في الملاحظة الأولى يتضح أنّ جميع لوازم الكلام في القرآن الكريم تكون مقصودة لله تعالى، وعليه لا يكون هناك اختلاف بين دلالة الإشارة ودلالة التنبيه في القرآن بلحاظ قصد المتكلم، غير أنّه يمكن القول: بوجود قسمين من الدلالة في القرآن الكريم وهما دلالة الاقتضاء ودلالة الإشارة. وهذا ما فعله السيوطي في الإتقان حيث ذكر كلا القسمين ولم يشر إلى القسم الثالث (دلالة التنبيه)،[١] إلّا إذا أراد الشخص أن يجعل اختلافاً بين دلالة الإشارة والتنبيه فإنّ إحداهما تفهم من خلال السياق، والأخرى من خلال الملازمة العقلية.

الملاحظة الثالثة: وكما مرَّ سابقاً أنّ جميع الأقسام الثلاثة هي من نوع الدلالة اللفظية وتعد من ظواهر الكلام، ولذا تكون حجّة، وأنّ دلالة الاقتضاء والإشارة والتنبيه والتي تعد جزءً من الدلالات الالتزامية هي حجّة، ومن اللازم على المفسر أن يأخذها بنظر الاعتبار ويستدل بها في تفسير الآيات، وهذا ما صرح به بعض المحققين في قواعد التفسير، مدّعياً الإجماع عليه.[٢]

الملاحظة الرابعة: الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك في: *أصول التفسير وقواعده*، قسم دلالة الألفاظ على الأحكام إلى أربعة أقسام:

١. دلالة العبارة.

٢. دلالة الإشارة.

٣. دلالة النص.

٤. دلالة الاقتضاء.

ويتّضح من كلامه أنّ مقصوده من «دلالة العبارة» هو المنطوق.[٣]

ومقصوده من دلالة الاقتضاء[٤] والإشارة[٥] هو نفسه المعاني اللازمة للكلام والتي تمّ التعرض إليها.

وأمّا مقصوده من «دلالة النص» فالظاهر هو نفس مفهوم الموافقة؛ لأنّه كتب قائلاً: «هي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به على المسكوت عنه؛ لاشتراكهما في معنىً يدركه

---

١. *الإتقان في علوم القرآن*:٢/ ٦٢.

٢. راجع: *القواعد الحسان*:٣٥.

٣. هي دلالة اللفظ على المعنى المتبادر منه وهو الذي سيق الكلام له أصلاً أو تبعاً [*أصول التفسير وقواعد*: ٣٦٢].

٤. هي دلالة الكلام على مسكوت عنه، يتوقف على تقديره استقامة المعنى المقصود [المصدر: ٣٧١].

٥. هي دلالة اللفظ على حكم غير متبادر منه، ولكنه لازم للمعنى المقصود أصالة أو تبعاً [المصدر: ٣٦٥].

كل عارف باللغة أنه مناط الحكم من غير نظر إلى قرائن أخرى».[١]

ثمَّ استدل بآية ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ والتي تدل على حرمة ضرب وسبِّ الأبوين.[٢]

المناقشة: نعتقد أنه في هذا المبحث خلط بين المنطوق والمفهوم من جهة، وبين المنطوق الصريح وغير الصريح من جهة أخرى، ولم يجعل الدلالات الأربع في عرض واحد.

ج) قواعد اللغة العربية وآدابها

تمهيد

المقصود من اللغة العربية وآدابها في هذا المبحث، مجموع علوم: الصرف، والنحو، والبلاغة، ولهذه العلوم تأثير كبير في فهم وتفسير آيات القرآن؛ لأنّ تشخيص هيئة ومادة الكلمة، كالفعل الماضي والمضارع، واسم الفاعل، واسم المفعول يكون في علم الصرف، ومعرفة مكانة المفردات وموضعها في الجملة من جهة: الفاعل، أو المفعول، أو المبتدأ والخبر، والحال يكون في علم النحو، ومعرفة بعض المسائل تكون في عهدة علمي المعاني والبيان.

وقد يكون تشخيص ومعرفة هذه الأمور مشكل جداً؛ لأنّه في تركيب آية واحدة ربما تصل الاحتمالات إلى مائتين.[٣]

ومن هنا فإن قواعد اللغة العربية وآدابها تكون ضرورية في عملية فهم وتفسير القرآن، وان عدم الاهتمام بها قد يوجب الإبهام في فهم المراد من كلام الله تعالى، ولذا أكد المحققون في قواعد التفسير على هذه القواعد ومن هؤلاء: عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتاب *القواعد الحسان*، وخالد بن عثمان السبت في كتاب *قواعد التفسيري*، وعبد الرحمن العك في كتاب *أصول التفسير وقواعده*، وبعض المحققين في علوم القرآن كالسيوطي في *الإتقان في علوم القرآن* فقد ذكر بعض قواعد اللغة العربية التي لها تأثير في تفسير القرآن، وكذلك اهتم مؤلفوا كتاب *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن* بأسس هذا المبحث.

ومن المهم بمكان أن نشير إلى عدة نقاط:

أولاً: طريق الحصول على قواعد اللغة العربية وآدابها يكون بالرجوع إلى اللغة العربية

---

١. المصدر: ٣٦٨.

٢. المصدر: ٣٦٩.

٣. راجع: *الميزان*: ٢١٢/٦، ذيل الآية ١٠٧ من سورة المائدة.

الفصحى، وعادةً ما يرجع أدباء كلّ لغة إلى الأشعار والنصوص النثرية الفصيحة.

وقواعد اللغة العربية على قسمين:

١. القواعد التي هي محل اتفاق علماء اللغة.

٢. القواعد التي هل محل اختلاف علماء اللغة.

فعلى الأوّل، لا يوجد شك في أنّ تفسير القرآن يكون بالاستناد إليها، وعلى الثاني، يلزم التنقيب والتمحيص في المصادر وعرض تلك القواعد على أفصح النصوص العربية، وفي مقدمتها القرآن، ومن ثمّ كلام النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، واختيار القاعدة الصحيحة، وعلى ضوئها يتمّ تفسير القرآن.[١]

ثانياً: ظهرت علوم الصرف، والنحو، والمعاني والبيان بعد نزول القرآن الكريم،[٢] وكان للكتاب العزيز الدور الأساس في إيجادها؛[٣] لأنّ العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم غير الشعر الجاهلي المتناثر، وببركة القرآن وتفسيره[٤] وبتوجيه من اهل البيت عليهم السلام[٥] تشكلت علوم اللغة العربية عند العرب.

وليس من شكّ إنّ أهم وأتقن نص عربي وصلنا متواتراً هو القرآن الكريم، هذه التحفة الأدبية الإلهية التي تعد أفصح وأبلغ نص عربي، ولذا يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساس لقواعد اللغة العربية،[٦] وكذا يكون معياراً وميزاناً لصحة تلك القواعد، بمعنى أنّ قواعد بعض العلوم المذكورة إذا

---

١. راجع: *روش شناسي تفسير قران ـ منهج تفسير القرآن* : ١٠٨، ١٠٩.

٢. واضع علم النحو الإمام علي عليه السلام أو أبو الأسود الدؤلي بتوجيه من الإمام علي [*البهجة المرضية في شرح الألفية*: ٩؛ *الكنى والألقاب*: ٧/١؛ *تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام*: ٣٤ ـ ٤٠].

مؤسس «علم الصرف» أبو معاذ الهراء مؤدب عبد الملك بن مروان، مؤسس «علم البيان والفصاحة» محمد بن عمران المرزباني (م ٣٧٨ ق) (تأسيس الشيعة: ١٤٢ ـ ١٦٨).

٣. قال العقاد: لولا القرآن الكريم لكان من المشكوك فيه كثيراً أن يتوفر العلماء على وضع علم النحو. وعلوم البلاغة، واستقصاء المفردات وتحرّي مصادر الفصيح والدخيل...، ومما لا خلاف فيه أن اللغة العربية نشطت هذا النشاط وتقدمت هذا التقدم، لأنّها لغة كتاب مقدس يدين به المسلمون وهو القرآن الكريم. [*القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية*:٥٥].

٤. أكد العلامة الطباطبائي على هذا الموضوع، وعزا ظهور علوم الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، واللغة، و فقه اللغة، والاشتقاق إلى القرآن الكريم. [*القرآن في الإسلام*:٨٧].

٥. كما مرَّ سابقاً في الهامش (راجع: *البهجة المرضية في شرح الألفية*:٩؛ *تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام*:٣٤ ـ ٤٠).

٦. اقترح الدكتور عبد العال سالم مكرم في كتابه *القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية*: ٣٤٧، تشكيل لجنة من النحويين لتأسيس قواعد جديدة للنحو على أساس القرآن الكريم، وإلغاء القواعد التي لا يطمئن لها والمبتنية على أساس مجهول، أو الاصطلاحات الفلسفية والمنطقية. وفي صفحة ٣٠٦. ٣٢٨ عدد القواعد المتخذة من القرآن.

خالفت عبارات القرآن، فإنّ القرآن يقدّم، وتخطّأ القاعدة؛ لأنّ هذه المخالفة دليل على عدم صحة القاعدة أو ضعفها، وأنّ معيار صحة قواعد علوم اللغة العربية هو مطابقتها للعبارات الفصيحة لكلام العرب، وفي صورة التعارض يكون المعيار مطابقتها لأفصح نص عربي وهو القرآن الكريم.[١]

مضافاً إلى ما ذكرنا، أن القرآن هو المعجزة النبيﷺ التي وصلت إلينا صحيحة بالتواتر، وهذه الميزة لم تكن في أشعار عرب الجاهلية.

ثالثاً: إنّ قواعد علوم العربية (الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان) كثيرة، وتوضيح جميع الموارد فيها يخرجنا عن محل البحث، ومن هنا قمنا بفهرست بعض أهم هذه القواعد، والتي لها دور كبير في تفسير القرآن.

١. قاعدة الحصر (القصر) في القرآن

الحصر عني: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. ويقال أيضا: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، و هو على قسمين: قصر الموصوف على الصفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾[٢] قد يكون قصر الصفة على الموصوف نحو قوله تعالى: ﴿... لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ...﴾.[٣]

وأمّا أدوات وطرق الحصر فهي:

النفي، والاستثناء، وإنَّما، وأنَّما: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾،[٤] العطف بـ لا و بل، وتقديم المعمول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ...﴾؛[٥] ضمير الفصل: ﴿...فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ...﴾،[٦] تقديم المسند إليه معرفة: ﴿... لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...﴾؛[٧] تقديم المسند (تقديم الخبر على المبتدأ) ذكر المسند إليه ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...﴾؛[٨] تعريف الجزأين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾[٩] وغيرها.[١٠]

---

١. راجع: *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن* ـ ١٠٩.
٢. آل عمران: ١٤٤.
٣. محمد : ١٩.
٤. الأنبياء: ١٠٨.
٥. الفاتحة: ٥.
٦. الشورى: ٩.
٧. التوبة: ١٠١.
٨ الرعد: ٢٦.
٩. الفاتحة: ٢.
١٠. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*:٢/ ٩٧ـ١٠١.

٢. قواعد الإظهار والإضمار

الإظهار: هو التصريح باللفظ وإبرازه في الموضع الذي يغني عنه الضمير.

والإضمار: هو إسقاط الشيء لفظاً لا معنىً، فهو ما ترك ذكره من اللفظ وهو مراد بالنية والتقدير.

وللإظهار والإضمار قواعد متعددة من جملتها:

أ) وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه لوجود حكمة أو نكتة.

الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، كما أن الأصل فيه إذا كرا أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق؛ فإذا خولف هذا الأصل فلا بدّ وأن تكون هذه المخالفة لنكتة أرادها المتكلم، وإنّما يعرف ذلك من طريق السياق والقرائن الدالة عليه.[١]

مثال: قوله تعالى: ﴿... وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿... أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[٣]

يعتقد البعض أن تكرار لفظ الله في الآية الأولى جاء للتعظيم، وتكرار لفظ الشيطان في الآية الثانية جاء للتحقير.[٤]

ب) إعادة الظاهر بمعناه أفضل من إعادته بلفظه، وإعادته ظاهراً بعد الفاصلة أفضل من الإضمار.

مثال إعادة الظاهر بمعناه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.[٥]

مثال إعادة عين اللفظ في جملة مستقلة: وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ...﴾[٦] بعد قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ...﴾.[٧]

ج) إضمار كل معيّن (نكرة كان أو معرفة) «هذا» و «هذه».

مثال: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا...﴾،[٨] أي هذه سورة...

---

١. *قواعد التفسير*: ٣٣٨/١ و ٣٣٩.

٢. البقرة: ١٩٢.

٣. المجادلة: ١٩.

٤. راجع: *قواعد التفسير*: ٣٣٨/١ و ٣٣٩.

٥. الكهف: ٣٠.

٦. الأنعام: ٧٤.

٧. الأنعام: ٨٣.

٨ النور: ١.

د) كل فعل لله تعالى مذكور في القرآن، فإنه يصح فيه إضمار لفظ الجلالة «الله» وإن لم يسبق ذكره، لتعيّنه في العقول.

مثال: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء...﴾[١] والتقدير الله أنزل...، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾[٢] والتقدير الله خلق...

هـ) إذا استُدل بالفعل لشيئين، وهو في الحقيقة لأحدهما فإنه يقدر فعل محذوف للثاني.[٣]

مثال: ﴿... لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ...﴾.[٤]

ولا يصحّ أنْ يكون «مولود» معطوفاً على «والدة» لأجل تاء المضارعة، أو للأمر، فالواجب في ذلك أن نقدِّر مرفوعاً بمقدّر من جنس المذكور؛ أي: ولا يُضار مولود له.

٣. لا زيادة في القرآن

تطلق الزيادة عند أهل العربية على الحرف لغير الأصلي، ولها أطلاقان:

الأول: الكلمة التي لا فائدة منها.

الثاني: الكلمة التي وجودها وعدمها لا يخل بالمعنى الأصلي. وإن كان لها فائدة أخرى.

ولا توجد كلمات زائدة من النوع الأول في القرآن ـ أي ما لا فائدة له ـ لأنّ القرآن منزّه عمّا لا فائدة له. إذ ليس فيه حشو، في حين أنّ القرآن في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وهو أحد وجوه إعجازه.

وأمّا إطلاقه على النوع الثاني فإنه يمكن القول بوجوده؛ لأنّه قد تكون فيه فائدة التأكيد، أو فوائد أخرى، وفي هذه الصورة من غير المناسب أن نطلق عليها لفظ «الزيادة».

وهذا التفصيل هو وجه الجمع بين نظريتين:

الأولى: النظرية التي تنفي وجود الكلمات الزائدة في القرآن.

الثانية: النظرية التي تؤيد وجود الكلمات الزائدة في القرآن.[٥]

مثال قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ...﴾.[٦]

---

١. الرعد: ١٧.
٢. النحل: ٣.
٣. ذكرت لهذه القاعدة أقوال ومطالب أخرى [راجع: *قواعد التفسير*:١/ ٣٤٦].
٤. البقرة: ٢٣٣.
٥. راجع: *قواعد التفسير*:٣٥١/١؛ *البحر المحيط*:٤٦٠/١؛ *البرهان*:١٧٨/٢.
٦. آل عمران: ١٥٩.

قال البعض: «ما» زائدة، في حين أنها جاءت وصفاً يؤكد معنى اللين ويفخمه المعنى.[١]

قواعد فرعية

أ) زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى

مثال: ﴿... لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾.[٢]

ففي أمور الخير استعملت مفردة «كسبت»، وفي أمور الشرّ استعملت مفردة «اكتسبت»؛ ولما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلّف زيد في لفظ فعلها.[٣]

ب) يحصل عند اجتماع المُترادفَين معنى لا يحصل عند انفرادهما.

علاوة على ما ذكر فإنه يوجد في كلّ واحد من الألفاظ معاني دقيقة لا توجد في اللفظ الآخر.

أمثلة

قوله تعالى: ﴿... وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ...﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿... فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾.[٥]

وقوله تعالى: ﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾.[٦]

مفردة «شرعة» في الأصل بمعنى. إيجاد الطريق الواضح المادي أو المعنوي[٧] في حين أن مفردة «المنهاج» يكون أيضاً بمعنى الطريق. وكذا قال البعض: «شرعة ومنهاجاً» بمعنى الطريق والمقصود به هنا الدين، أو الشرعة، بمعنى: ابتداء الطريق والمنهاج، أو الطريق المستمر.[٨]

ج) كلّ حرف زيد للتأكيد فهو قائم مقام إعادة الجملة مرّةً أخرى.

مثال: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا...﴾.[٩] فهو بمنزلة «فيكيدوا لك فيكيدوا لك».[١٠]

---

١. *إعجاز القرآن للرافعي*: ٢٣١.

٢. البقرة: ١٨٦.

٣. راجع: *البرهان*:٣٤/٣.

٤. آل عمران: ١٤٦.

٥. طه: ١١٢.

٦. المائدة: ٤٨.

٧. *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*:٤١/٦، ذيل مادة «شرع».

٨ راجع: *التهذيب*:٤٢٤/١.

٩. يوسف: ٥.

١٠. *قواعد التفسير*:٣٦٠/١.

٤. قواعد الحذف والتقدير

الحذف هو: إسقاط حركة، أو كلمة، أو أكثر أو أقل. وقد يصير به الكلام موجزاً. أو هو: إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل، وأنّ دعوى الحذف لا تقبل إلّا لدليل؛ لأنّ الأصل في الكلام عدم الحذف.

والتقدير هو ما ينويه المتكلّم من الألفاظ في كلامه مما لم يصرّح به.[١]

لقد ذكرت للحذف والتقدير قواعد متعددة، ومن جملتها ما يلي:

أ) العرب تحذف ما يكفى منه الظاهر في الكلام إذا كان المستمع يعرف المحذوف، وظاهر الكلام يكفي عن المحذوف، فيحذف ذلك المطلب.

مثال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾.[٢]

وجوابه محذوف، والبعض احتمل المعنى بهذا الشكل:

ولو أن قرآناً سوى هذا القرآن سيّرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن»[٣] أو يكون الجواب محذوفاً «لكان هذا القرآن».

مثال آخر: ﴿... خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ...﴾.[٤]

وقد كتب البعض أن جملة «وإلا قذفناه عليكم» محذوفة.[٥]

ب) الغالب في القرآن وفي كلام العرب أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه مثال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾.[٦] وقال بعضهم: إنّ الجواب «لكفرتم بالرحمن» بدليل جملة﴿... وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ...﴾.[٧و٨]

ج) متى جاءت «بلى» أو «نعم» بعد كلام يتعلّق بهما تعلّق الجواب، وليس قبلها ما يصلح أن يكون جواباً له، فعلم أن هناك سؤالاً مقدراً، لفظه لفظ الجواب.

---

١. المصدر: ١/٣٦١، ٣٦٢.

٢. الرعد: ٣١.

٣. *أضواء البيان*: ٣/١٠٢.

٤. *تفسير الطبري*: ٢/٣٣٦.

٥. *قواعد التفسير*: ١/ ٣٦٧، ٣٦٨؛ *تفسير الطبري*: ٢/١٦٠.

٦. الرعد: ٣١.

٧. *أضواء البيان*: ٣/ ١٠٢.

٨ الرعد: ٣٠.

مثال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ...﴾.[١]

وقد اعتبر البعض أنّ التقدير يكون هكذا: «أليس من أسلم وجهه لله وهو محسن له أجره عند ربه»؟[٢]

د) حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وتضخيمه في مقامات الوعيد.[٣]

مثال: ﴿... وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً...﴾.[٤]

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾.[٥]

هـ) قد يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيُكتفى بأحدهما عن الآخر.

مثال: ﴿... سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ...﴾،[٦] وقد حذفت مفردة «البرد».

و) لا يُقَدَّر من المحذوفات إلّا أفصحها وأشدّها موافقة للغرض.

ز) يقدّر المقدّر مهما أمكن لتقلّ مخالفة الأصل.[٧]

٥. قواعد التقديم والتأخير

وفي هذا المجال ثمّة مجموعة من القواعد:

أ) التقدم في الذكر لا يعني التقدم في الوقوع والحكم.

ولا توجد عندنا قاعدة كليه في هذا المورد،[٨] بل أننا نراجع لأجلها الشواهد والقرائن.

مثال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٩] ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[١٠]

ففي هذه الآيات وطبقاً لترتيبها جاء، أن القتل حدث بعد كلام موسى، وهو أحد الطرق

---

١. البقرة: ١١٢.

٢. *قواعد التفسير*:١/ ٣٧٠.

٣. *القواعد الحسان*: ٥٦.

٤. البقرة: ١٦٥.

٥. التكاثر: ٥.

٦. النحل: ٨١

٧. راجع: *قواعد التفسير*:١/ ٣٧٥ و ٣٧٦.

٨ المصدر: ٣٧٩/١.

٩. البقرة: ٦٧.

١٠. البقرة: ٧٢.

الإلهية لمعرفة القاتل؛ ومعلوم أن الخلاف في القاتل وقع قبل أنّ يقول لهم موسى ذلك القول.

ملاحظة: قد تصدق هذه القاعدة في التقديم والتأخير بدون قرينة خاصة، مثلاً حرف العطف الفاء، أو توجد بينهما علاقة العلة بالمعلول.

ب) من عادة العرب أنهم لا يقدمون إلا ما يعتنون به غالباً، بسبب التشريف أو التعظيم أو قصد حث المخاطب عليه، ونحو ذلك.

مثال: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ...﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ...﴾.[٢]

٦. قواعد العطف

العطف يعني أن تكون الكلمة أو الكلام تابع لكلام آخر، وبين التابع والمتبوع حرف عطف.[٣]

للعطف قواعد متعددة ودور مهم في تفسير القرآن نشير إلى أهمها:

أ) عطف العام على الخاص يدل على التعميم، وعلى أهمية المعطوف عليه.

مثال: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٤]

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي...﴾[٥] وعليه تكون المناسك عبادة، والصلاة جزء منها.

ب) عطف الخاص على العام يدلّ على فضله وأهميته.

مثال: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى...﴾.[٦]

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ...﴾.[٧]

ج) يقتضي العطف المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراكهما في الحكم المذكور لهما.

مثال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾.[١]

---

١. البقرة: ٢٣.

٢. حروف العطف هي: الواو، الفاء، ثم، حتى، أو، أم، بل، لا، لكن، أما.

٣. راجع: *قواعد التفسير*: ٤٢٨/١ و٤٣٧.

٤. التحريم: ٤.

٥. الأنعام: ١٦٢.

٦. البقرة: ٢٣٨.

٧. البقرة: ٩٨.

د) الجملة الفعلية تدلّ على الحدوث والتجدد.

هـ) الجملة الاسمية تدل على الثبات والاستمرار.

مثال: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾،[٢] حيث تدلّ على استمرار اتساع العالم.

و) عطف الجملة الاسمية على الفعلية يفيد الدوام والثبات.

مثال: ﴿... قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٣] فقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ جملة فعلية تفيد التجدد والحدوث، وقوله ﴿وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ جملة اسمية تفيد الدوام والحدوث، وعطف الجملة الفعلية على الاسمية يفيد الدوام الثبات.[٤]

٧. قواعد الوصف

المقصود من الوصف في هذا المقام ما هو الأعم من النعت عند النحاة.

والوصف هو عبارة عن كل أمر زائد على الذات، يفهم في ضمن فهم الذات، ثبوتياً كان أو سلبياً.[٥]

أ) الصفة إذا وقعت للنكرة فهي مُخَصِّصة، وإن جاءت للمعرفة فهي موضحة.

مثال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ...﴾.[٦]

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ...﴾.[٧]

ب) إذا وقعت الصفة بين المضاف والمضاف إليه أوّلهما عددٌ، جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف إليه.

مثال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا...﴾.[٨]

﴿... سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾.[١]

---

١. الفرقان: ٥٩.

٢. الذاريات: ٤٧.

٣. الأنعام: ٥٦.

٤. *قواعد التفسير*: ٤٣٦/١.

٥. المصدر: ٤٣٩.

٦. البقرة: ٢٢١.

٧. الأعراف: ١٥٧.

٨ الملك: ٣.

وفي هذه الموارد من اللازم الالتفات إلى خصوصية المورد والقرائن الموجودة، حتى تعلم، هل أنّ الصفة للمضاف أوللمضاف إليه.

ج) عندما تشمل الجملة عدد من الصفات والأسماء في آخر الآيات، ولها ارتباط بتن الآية، فقد يكون للتعليل والتنبيه، والتبشير وغيرها.

مثال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾،[٢] حيث نهى عن طاعة الكافرين والمنافقين. وهذا النهي جاء على أساس العلم الإلهي لمنفعة الإنسان.

﴿... وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾،[٣] حيث نبّه الله عز وجل إلى المخالفة المتعمدة، ثمّ بشر بالرجوع والتوبة وفتح أبواب الرحمة الإلهية.

د) القواعد المشتركة بين التفسير وعلم اللغة

قواعد ومفردات التفسير

مدخل (تاريخ البحث وأهميته)

أُرسلَ كل نبيٍ بلغة قومه،[٤] وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ولكلّ لغة مفرداتها وأمثالها وقواعدها الخاصّة، وكذا القرآن له اصطلاحات ومفردات خاصّة. وعليه فإنه ومن أجل فهم القرآن نحتاج إلى فهم مفردات العرب وقواعد اللغة، كما أنّه من اللازم أن نهتم باصطلاحات ومفردات القرآن، ولم يكن هذا الموضوع جديد عهد، بل أنّه حظي باهتمام المفسرين وعلماء اللغة قديماً، فقد ألفوا كتباً متعددة في هذا المجال، ومن هنا فإنّ هذا الموضوع في الأساس مرتبط بعلم اللغة وغالباً ما يبحث فيه.

لقد دونت كتب كثيرة في مجال علم اللغة، منها: *معاني القرآن وغريب القرآن*، لأبان بن تغلب(ت ١٤١ ه)، و*معاني القرآن*، علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩ه)، و*حقائق التأويل ومجازات القرآن* للسيد الرضي (ت ٤٠ ه) و*المفردات في غريب القرآن* الراغب الأصفهاني (ت ١٣٨٤ ه)، و*قاموس القرآن*، للسيد علي أكبر القرشي، و*نثر طوبى* أو *دائرة معارف لغات*

---

١. يوسف: ٤٣.

٢. الأحزاب: ١.

٣. الأحزاب: ٥.

٤. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ...﴾، إبراهيم: ٤.

القرآن المجيد لأبي الحسن الشعراني. والكتابين الأخيرين باللغة الفارسية.

وقد اهتمت بعض كتب التفسير بشكل خاص بمفردات القرآن الكريم، كتفسير *مجمع البيان للطبرسي* (ت٥٤٨ هـ).

فيما اكتفت بعض المؤلفات بالتركيز على معاني المفردات، والبعض الآخر تعرّض إلى جذور بعض المفردات في اللغات غير العربية، ومن جملتها كتاب: *التحقيق في كلمات القرآن الكريم.* الذي ذكرناه، وكتاب «*واژگان دخيل ـ المفردات الدخيلة ـ*» لآثري جفري. وتناولت بعض الكتب موضوع الوجوه والنظائر في القرآن، مثل: كتاب *الوجوه والنظائر للدامغاني*.

وثمَّة كتب أخرى بحثت أساليب فهم المفردات وتحليلها وقواعدها، كتاب *لغة القرآن الكريم لعبد الجليل عبدالرحيم*، وكتاب *فقه اللغة وخصائص العربية*، للاستاد غلامعلي همايي كتاب *واژه شناسي قرآن مجيد ـ مفردات القرآن المجيد*.

وقد تناولت بعض كتب علوم القرآن مثل كتاب *الإتقان في علوم القرآن*[١] للسيوطي، القواعد اللغوية للقرآن، وكذا لم يغفل الباحثون في كتب قواعد التفسير هذا الموضوع ومن هؤلاء: خالد بن عثمان السبت في كتاب: *قواعد التفسير جمعاً ودراسة*. حيث خصص أحد قسمي الكتاب ببحث قواعد اللغة، وهكذا فعل مؤلفو كتاب *روش شناسي تفسير ـ منهج تفسير القرآن* في القاعدة الثانية وهي ضرورة العناية بمفاهيم الكلمات في سبب النزول، حيث بيِّنوا في ذيل هذه القاعدة مسائل تتعلق بقواعد مفردات القرآن.[٢]

وكما مرَّ سابقاً أنّ هذا المبحث من مواضيع علم اللغة في القرآن، حيث بُحث بصورة مفصّلة هناك، وتمّ بيان بعض الأمور المتعلّقة به في مبحث أصول التفسير ومصادره.[٣] وكذا بحثت بعض مسائله كمسألة حجية قول اللغوي في علم أصول الفقه.

ومن هنا فإننا نشير وبصورة موجزة إلى أصول مفردات القرآن وقواعدها المهمة.

١. لزوم الرجوع إلى المصادر اللغوية وعدم الاعتماد على الأذهان

من أجل فهم لغة العرب ومعاني مفردات القرآن، يلزم الرجوع إلى الكتب الأساسية والأصيلة في اللغة، ولا نكتفي بالمعاني المرتكزة في أذهان العرب أو المطلّعين على لغتهم؛ ويعود السبب

---

١. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*: ٢٤٢/١ وما بعدها (النوع السادس والثلاثون إلى النوع التاسع والثلاثين).

٢. راجع: *قواعد التفسير*: ٢٤٧/١.

٣. راجع: *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن* ـ ص ٨١ وما بعدها.

في ذلك إلى أنّ بعض المفردات في القرآن الكريم تُفسر على أساس ذهنية المترجمين أو المفسرين، في حين أن معناها اللغوي شيء آخر، كما هو الحال في مفردة «طوفان» والتي هي بلغة العرب بمعنى «السيل»، غير أن البعض يترجمها إلى مفردة «طوفان» في اللغة الفارسية والتي تعني «تن باد»[١] أي «العاصفة، أو الريح العاتية مع حدوث برق ورعد».

وكذا الحال في مفردة «عَرض» الواردة في الآية ١٣٣ من سورة آل عمران والتي بمعنى الاتساع،[٢] غير أنّها وطبقاً لذهن الناطقين بالفارسية بمعنى «پهنا» والتي تعني «الاتساع الذي يقابل الطول.[٣]

وأيضاً مفردة «صدقات» في الآية ٦٠ من سورة التوبة والتي تعني الزكاة، إلا أنّها في ذهن الناطقين بالفارسية بمعنى الإنفاق والعطاء.

ومن الواضح أنّ ترجمة القرآن الكريم، هي بمثابة التفسير أو مقدمة للتفسير، وإذا لم تترجم الآيات بصورة صحيحة ودقيقة فإنّ التفسير يواجه مشاكل كثيرة.

٢. حجية قول اللغوي في فهم مفردات القرآن

قد ينص اللغويون على المعنى الحقيقي للمفردة، فإن أفاد قولهم العلم بالوضع، فيكون قولهم حجّة، وإذا لم يحصل العلم من قول اللغوي بل أفاد الظن بالمعنى الحقيقية، ففي هذه الحالة يكون قول اللغوي حجة من باب بناء العقلاء في الرجوع إلى أهل الخبرة، أو من باب حكم العقل في رجوع الجاهل إلى العالم.[٤]

وحقيقة هذا الموضوع تعود أيضاً إلى مبحث أصول التفسير، في جواز الرجوع والأخذ بقول اللغوي في فهم الآيات. وكذا يعود إلى مبحث مصادر التفسير في المصادر الفرعية أو آليات التفسير اللغوية.

وعلى كل حال يمكن استنباط قاعدة من هذا الأصل والمصدر الفرعي يمكن جعلها كبرى الاستنباط من آيات القرآن.

---

١. راجع: ترجمة خرمشاهي، فولادوند، وترجمة الشيخ مكارم الشيرازي، ذيل الآية ١٣٣ من سورة الأعراف والآية ١٤ من سورة العنكبوت (الشيخ مكارم الشيرازي استفاد من ذيل الآية ١٤ من سورة العنكبوت من مفردتين «طوفان، وسيلان»).

٢. راجع: *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*: ٩٦/٨، «مادة عرض».

٣. راجع: ترجمة فولادوند، ذيل الآية ١٣٣٣ من سورة آل عمران.

٤. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١٤١/٢ـ ١٤٤.

٣. عند التعارض في أقوال اللغويين يرجع إلى قول المشهور

قال المفسر الكبير الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره ما نصه: «متى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد، إلّا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم.

وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة، والألفاظ النادرة فإنّه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله».[١]

٤. لزوم الالتفات إلى المعاني اللغوية في عصر نزول القرآن

إنّ المخاطب الأوّل في صدر الإسلام هم العرب، وتكلم النبيﷺ مع العرب بلغتهم،[٢] قد نزل القرآن بلغتهم، وعليه فمن اللازم معرفة معاني مفردات القرآن في عصر النزول حتى يتقدّم خطوة في تفسير القرآن.

ومحصلة هذا الكلام هي، أنّ المصادر اللغوية التي تكون أكثر اعتباراً من غيرها هي التي تكون أقرب إلى عصر النزول، ومن أجل معرفة مفردات القرآن لا يمكننا الرجوع إلى المعاجم اللغوية المعاصرة، *كالمنجد*، مثلاً، بل ينبغي الرجوع إلى المصادر اللغوية القديمة مثل معجم *مقاييس اللغة* لأبن فارس (ت٣٩٥ ه) و*حقائق التأويل ومجاز القرآن* للشريف الرضي (ت٤٠٤ه)، و*المفردات في غريب القرآن* للراغب الأصفهاني، وأمثالها.

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض المصادر اللغوية المعاصرة لها اعتبار خاص مثل كتاب *التحقيق في كلمات القرآن الكريم* للعلامة حسن المصطفوي؛ لأنّ جمع المصادر اللغوية القديمة، واستنبط منها المعاني المختارة.

مثال: مفردة «مكروه» حيث كانت في عصر النزول تشمل «الأمور المحرمة والذنوب الكبيرة»، غير أنها في العصور اللاحقة (في من الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام) استعملت بمعنى الأمور غير المستحسنة وغير المحرمة، واستعملت في عصرنا فقهياً بهذا المعنى، أي في قبال الواجب، والحرام، والمستحب، والمباح.

مثال آخر: مفردة «زكاة» ففي مكّة كانت تستعمل بمعنى «الإنفاق المالي» وفي المدينة

---

١. *التبيان*: ١، المقدمة.

٢. راجع: الآية ٣٨ من سورة الإسراء ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، وهذه الآية جاءت بعد النهي عن عن القتل، الزنا، وغيرها.

بمعنى «الواجبات المالية الخاصة».[١]

مثال ثالث: مفردة «نجس» في الآية ٢٨ من سورة التوبة، ففي صدر الإسلام كانت تستعمل بمعنى القذارة، وفي الاصطلاح الفقهي المعاصر بمعنىً «النجاسة في قبال الطهارة» وعلى أي من المعاني اللغوية فإن الحكم بنجاسة المشركين أو عدمها يكون مختلفاً.

ملاحظات

١. إنّ قولنا بضرورة الالتفات إلى معاني المفردات في عصر النزول، لا يعني أنّها منحصرة في تلك المصاديق التي كانت في عصر النزول؛ بل إنّ المفردات القرآنية على طول الزمان قد تجد مصاديقاً جديدة.

مثال مفردة «نور»، و«مشكاة» في الآية ٣١ من سورة النور فإنّ لها في كل عصر مصداقاً جديداً وأنها تشمل نور الشمعة، أو نور الطاقة النووية، أو المصابيح القديمة، وحتى المصابيح الجديدة.

وكذا مفردة «عَمَد» في الآية الكريمة ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾،[٢] فإنّها تشمل أعمدة الخيمة والأعمدة الحديدية، وأعمدة الطاقة غير المرئية، وقوة الجاذبية.

٢. إن العناية بالجو الحاكم في زمن النزول وبمعاني المفردات في صدر الإسلام، لا يعني التبعية لعناصر الثقافة عند عرب الجاهلية؛ لأنّ القرآن الكريم حارب ونفى العادات السلبية التي كانت سائدة من أمثال، «الظهار» و «الوأد» و«أكل الربا»، وأقرَّ العناصر الإيجابية في الثقافة العربية ـ والتي هي غالباً ما تعود في أصلها إلى الأديان السابقة ـ كالحجّ، كما أن القرآن الكريم قام بعملية إصلاح لانحرافات الناس في هذه الموارد.[٣]

٥. لزوم التمييز بين المعنى الحقيقي والمجازي، والمشترك اللفظي والمعنوي، والكناية

وقد مرّ هذا الموضوع في مبحث قواعد اللغة العربية ودلالاتها.

٦. لزوم العناية بالوجوه والنظائر

وقد مرَّ بيان هذا الموضوع أيضاً في مبحث قواعد اللغة العربية ودلالاتها.

---

١. راجع: ذيل الآية ٤ من سورة المؤمنون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ فإن بعض التفاسير ومنها تفسير الأمثل أشارت إلى الاختلاف في معنى الزكاة.

٢. الرعد: ٢.

٣. راجع: مقالة القرآن وثقافة عصره، للمؤلف؛ مجلة المعرفة، العدد٢٦.

٧. لزوم الالتفات إلى جذور المفردات الدخيلة ومعرفة دورها في التفسير

ومن الطبيعي أن يحصل تلاقح بين اللغات المختلفة بسبب العلاقات التجارية والثقافية في جميع اللغات.

وقد اعتبر أكثر العلماء، أن اللّغات غير العربية موجودة في القرآن،[١] وألّف السيوطي كتاباً في هذا الموضوع تحت عنوان: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب»، وفي كتاب *الإتقان*، ذكر السيوطي فوائد هذا الموضوع وأشار إلى المفردات غير العربية، وعددها مائة مفردة غير عربية، ومنها مفردة «أباريق» الفارسية و«فردوس» الرومية و«فوم» العبرية.[٢]

وكذا أورد الأستاذ همائي في كتاب *واژه شناسي قرآن مجيد ـ مفردات القرآن المجيد* نماذجاً من المفردات الدخيلة في اللغة العربية والتي منها: الآرامية، والفارسية، واليونانية، والكلدانية، السومرية، مناقشاً مسألة العلاقة بين اللغات وتأثيرها المتبادل.[٣]

وقد استفاد القرآن الكريم من اللغات غير العربية السائدة؛ وإن كان ثمَّة اختلاف في وجهات النظر في عدد هذه اللغات، ومن هنا فإن الذي يترجم القرآن ينبغي عليه مراجعة جذور الكلمات المذكورة، ويستكشف المعنى الأصلي والاستعمالي لها؛ حتى يتمكّن من تقديم تفسير أفضل.

ومن هنا فإننا نجد بعض كتب اللغة مثل *التحقيق في كلمات القرآن الكريم* في كثير من الموارد أولت أهمية لجذور الكلمات الآرامية، والعبرية، وغيرها من اللغات.

آرثري جفري، ألف كتاب *واژه هاي دخيل در قران ـ المفردات الدخيلة في القرآن* وترجمه إلى الفارسية فريدون بدره أي.

ملاحظة: في الموارد التي يكون فيها معنى المفردات الدخيلة معلوماً، عن طريق القرائن، أو مواطن الاستعمال التي تفيد، القطع، مثل الكثير من أعلام القرآن، ففي هذه الموارد لا تكون هناك حاجة إلى معرفة جذور تلك الكلمات؛[٤] لأنّ المعنى فيها صار أصلياً وقد يكون اكتسب معنى جديداً في استعماله الأخير.

نعم، في الموارد التي لا يكون فيها المعنى معيّناً نكون بحاجة إلى معرفة جذور الكلمات.

---

١. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*:١/ ٢٧١ ـ ٢٨١.

٢. راجع: المصدر:١/ ٢٧١ ـ ٢٨١.

٣. *واژه شناسي قرآن مجيد*: ٢٨ ـ ٣٨.

٤. *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن* ـ٩٧.

مثال مفردة «راعنا» في اللغة العربية بمعنى «ارعنا» واحفظنا؛ ولكن البعض ظن أن معناها باللغة العبرية بمعنى «اجعلنا رعناء، أي حمقى» وهو نوع من السب والاستهزاء،[١] وبعض اللغويين بحث عن جذرها باللغة العبرية ونفى أن تكون بمعنى «اجعلنا رعناء».[٢] وعليه فإن المفردة في الآية ﴿...لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا...﴾[٣] ليست بمعنى «اجعلنا رعناء أي حمقى»، بل بمعنى المراعاة والحفظ وهو لائق بالأطفال، ومن هنا فإن هذه المفردة استغلها اليهود بشكل سيء، وقد أمر القرآن باستعمال مفردة «أنظرنا».[٤]

٨. العناية بالوجوه والنظائر في القرآن

الوجوه والنظائر من العلوم المهمة في مفردات القرآن، حيث كانت في العصور السابقة تدرس ضمن علوم القرآن وعلوم العربية.[٥]

وقد صنّف فيه قديماً «مقاتل بن سليمان» (ت/١٥٠ هـ)، من المتأخرين ابن الجوزي، وابن الدامغاني، أبوالحسين محمد بن عبد الصمد المصري، وابن فارس، والتفليسي، وآخرون.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.[٦]

فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان في القرآن.[٧]

مثال: مفردة «الأُمَّة» والتي استعملت بمعنى: والشريعة،[٨] والسنة،[٩] والحين،[١٠] والقوم.[١١]

---

١. *تفسير نور*:١، ٢١٨ ذيل الآية ١٠٤ من سورة البقرة.

٢. *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*:١٤٤/٤ (ذيل مادة رعى).

٣. البقرة: ١٠٤.

٤. *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*.

٥. راجع: *الإتقان في علوم القرآن*:١/ ٢٨٣.

٦. المصدر.

٧. الوجوه تستعمل في قبال المشترك اللفظي (كمفردة العين) في المشترك اللفظي الذي تكون جميع معانيه على أساس الوضع اللغوي، وأمّا في الوجوه: فتكون معاني الألفاظ على أساس الاستعمال.

٨ البقرة: ٢١٣.

٩. هود: ٨

١٠. يوسف: ٤٥.

١١. الأعراف: ٣٤.

وكذلك مفردة «فتنة» فقد جاء استعمالها في القرآن في عدة معاني، بمعنى: الاختبار،[١] وطلب الفتنة،[٢] واثارة الفتنة.[٣]

النظائر: بمعنى الألفاظ المنسجمة والمتواطئة.[٤] مثل، مفردة «زنا» و «سوء» أحيناً تستعمل مفردة السوء ويراد بها: الزنا.[٥] وهكذا الحال في مفردة «قلب، وفؤاد، ونفس» فقد تستعمل ويراد بها الشخصيّة الواقعية للإنسان والمعنى فيها متشابه تقريباً، وإن كان استعمالها من جهات مختلفة. وكذا مفردة «لبّ، وعقل» ومفردة «تعقل، وتفكّر».

بعبارة أخرى، إنّ الوجوه تستعمل في المعاني والنظائر في الألفاظ، وأن العناية بعلم الوجوه والنظائر والدقة في تحديد معاني المفردات له أثركبير في تفسير القرآن، وبتعبير العلّامة معرفة: «إنه يفتح طريقاً لفهم معاني القرآن، وقد يوجب اشتباه البعض، وقد يكون ذريعة لطلاب الفتنة».[٦]

ولذا فعلى المفسر الالتفات إلى هذه القاعدة القرآنية المهمّة، ومراجعة الكتب المخصصة لهذا العلم مثل كتاب: *الوجوه والنظائر* للدامغاني، وكتاب: *وجوه القرآن، للتفليسي*؛ لكي يفهم المعاني الاستعمالية للكلمات وتطبيقاتها في القرآن.

وقد عدد السيوطي كثيراً من المفردات المتعلّقة بالوجوه والنظائر، نحو: هدى، سوء، رحمة، روح، فتنة، قضا، ذكر، دعا، إحصان.[٧]

والأستاذ همائي كذلك بسط البحث في بيان المطالب المتعلّقة بتعريف الوجوه والنظائر وأقسامها (الوجوه في الكلمة، والجملة، وغيرها).[٨]

٩. قاعدة الترادف

مدخل

---

١. البقرة: ١٠٢.

٢. البقرة: ٣. ٩١.

٣. آل عمران: ٧.

٤. راجع: *علوم قرآني*، معرفة: ٣٢٠.

٥. يوسف: ٢٥؛ مريم: ٢٨.

٦. راجع: *علوم قراني*، معرفة: ٣١٨.

٧. راجع: *الإتقان*: ٢٨٤/١ ـ ٢٨٦.

٨ *واژه شناسي قرآن مجيد*: ٤٨ وما بعدها.

إن موضوع الترادف هو من الموضوعات المتعلّقة بعلم مفردات القرآن الكريم،[١] كما أنّه من الموضوعات المطروحة في علم «أصول الفقه»[٢] و «كتب قواعد التفسير».[٣]

ومن هنا فإن أصل هذا الموضوع يبحث في علم اللغة؛ غير أنّ له استخداماً في التفسير سنشير إليه.

مفهوم الترادف

مفردة الترادف في اللغة بمعنى «التتابع»،[٤] وفي الاصطلاح تعني: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.[٥]

وثمّة نظريات متعددة في وجود الترادف وعدمه:

أ) عدم وقوع الترادف في اللغة،[٦] بل إنّه وفي جميع اللغات الاختلاف في العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني. وعليه فإن بعض الكتّاب، بَحَثَ الفروق اللغوية في ظاهر المترادفات، وألَّف كتاباً في هذا الموضوع،[٧] واستدل بهذا النحو: ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد، إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فإمّا إذا أريد بالثاني ما أريد بالأوّل، فعطف أحدهما على الآخر خطأ،[٨] ومن ثمَّ يأتي بنماذج كثيرة من الفروق اللغوية، مثل «لب، وعقل» و «المعرفة، والعلم».

مثال: ﴿...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾.[٩]

فإن المعنى الظاهر هو أن «شرعة، و منهاج» واحد؛ غير أن البعض يرى: أنّ الشرعة لبداية الطريق، والمنهاج لمتسعه.[١٠]

---

١. راجع: *الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن.*

٢. راجع: *أصول الفقه*: ٣١/١.

٣. راجع: *قواعد التفسير*: ٤٥٩/١، ٤٦٠.

٤. *معجم مقاييس اللغة*، مادة «ردف».

٥. *قواعد التفسير*: ٤٥٩/١.

٦. راجع: *البحر المحيط*: ١٠٧/٢؛ *إرشاد الفحول*: ١٨؛ *الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن*: ٣٩و٥٩و ٨٢ و ٩٥و ١٣٩و ١٤٥؛ *قواعد التفسير*: ٤٥٩/١ و ٤٦٠؛ *أصول الفقه*، المظفر: ٣١/١.

٧. راجع: *الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن*: ١٠ـ ١٦.

٨ المصدر: ١٠ـ ١٦.

٩. المائدة: ٤٨.

١٠. *مفردات الراغب الأصفهاني*، في مادة «شرع» و «نهج» حيث اعتبر الاثنين بمعنى «الطريق الواضح».

ب) إن الترادف موجود في اللغة إلّا أنّه ممتنع في القرآن.[١]

ج) إنّ الترادف واقع في اللغة، وموجود في القرآن،[٢] والمقصود هنا إنّما هو التطابق في المعنى الأصلي، وإن كان لكلّ لفظة معنىً زائد يخصّها ويميزها عن غيرها.[٣]

مثال: لفظ «إنسان» و «بشر» حيث استعملت في القرآن لآدم وأولاده وبشكل مترادف، غير أنّه يقال لأولئك «إنسان» لأنّه بمعنى أنس وألفة، أو نسي.[٤] ولفظ «بشر» يقال؛ لأنّ شعر أجسامهم قليل، والبشرة ظاهر الجلد.[٥]

أسباب الترادف

إن أسباب الترادف هي:

١. الوضع: وهو أن يضع الشخص عدة مفردات لمعنىً واحد، كما هو الحال في عصرنا، حيث وضعت لفظة «كمبيوتر» و «الحاسوب الآلي» للآلة الخاصة.

٢. اختلاف لغات قبائل العرب: فتضع قبيلة مثلاً لفظاً لمعنى، وقبيلة أخرى لفظاً آخر لذلك المعنى، أو تضع قبيلة لفظاً لمعنى وقبيلة أخرى ذلك اللفظ لمعنى آخر. وعند الجمع بين هذه اللغات باعتبار أنّ كل الّغة منها لغة عربية صحيحة يجب اتباعها يحصل الترادف والاشتراك. والظاهر أنّ الاحتمال الثاني أقرب إلى واقع اللغة العربية، كما صرح به بعض المؤرخين للغة، وعلى الأقل فهو الأغلب في نشأة الترادف والاشتراك ولذا نسمع علماء العربية، يقولون: في لغة الحجاز كذا، ولغة حمْير كذا ولغة تميم كذا... وهذا دليل على تعدّد الوضع بتعدد القبائل والأقوام والأقطار في الجملة.[٦]

قاعدة ثانوية

بعض المحققين بيّن في هذه المسألة قاعدتين فرعيتين وهما:

١. مهما أمكن حمل ألفاظ القرآن على عدم الترادف فهو المطلوب،[٧] يعني أن الأصل

---

١. *الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن*: ١٠ ـ ١٦.

٢. المصدر: ١٦٣ ـ ٢١١؛ *قواعد التفسير*: ٤٦٠.

٣. المعاني التكميلية والتي يسمونها «الخادمة» فإن كل لفظ له دلالته الخاصة من هذه الحيثية (*قواعد التفسير*: ٤٥٩/١)

٤. لفظ «إنسان» أصله «نسي» (*مفردات الراغب*، مادة أنس).

٥. المصدر، مادة «بشر».

٦. *أصول الفقه*: ٣٢/١.

٧. *مقدمة في أصول التفسير*: ١٥؛ *الإتقان*: ٢٠٠/٤؛ *قواعد التفسير*: ١/ ٤٦٠.

في المعاني اللغوية عدم الترادف، إلّا إذا ثبت الخلاف.

مثال: ﴿... فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾،[١] فالهنيء، الخالص من كلّ كدر، والمريء، المحمود العاقبة، وهذا أولى من القول بالترادف.[٢]

٢. قد يختلف اللفظان المعبَّر بهما عن الشيء الواحد، فيُستَملَح ذكرهما على وجه التأكيد.[٣]

بمعنى أن إحدى فوائد ذكر اللفظين المترادفين التأكيد الحاصل في الكلام.

مثال: ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.[٤]

٣. المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند إنفراد أحدهما.[٥]

بمعنى أنّ التركيب في اللفظين المترادفين، يوجد معنىً إضافياً.

مثال: ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾.[٦]

وقوله تعالى: ﴿... وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.[٧]

الإعوجاج قد يأتي أحيانا بصورة انحناء قليل، وقد يكون انحناءً كبيرً. وهذا الإدبار يصوّر حالة جديدة عند الإنسان.

١٠. قاعدة الاشتراك

مدخل

يعتبر موضوع «الاشتراك» من مباحث: «مفردات القرآن»، «أصول الفقه» و «قواعد التفسير».[٨]

ومن هنا فإن هذا الموضوع يبحث في علوم أخرى، غير أنّ له في التفسير تطبيقات كثيرة، وله أثر بارز في استنباط الأحكام الشرعية وتفسير القرآن، سوف نشير إليها فيما يلي:

مفهوم الاشتراك

---

١. النساء: ٤.

٢. *الفروق اللغوية*: ٢٤٤و ٢٤٥؛ *قواعد التفسير*: ٤٦٧/١.

٣. راجع: *المدخل*: ٢٣٦_٢٣٨؛ *قواعد التفسير*: ٤٦٩/١.

٤. الحجر: ٣٠.

٥. راجع: *البرهان*: ٢/ ٤٧٢. ٤٧٧؛ *الإتقان*: ١٩٩/٤، ٢٠٠؛ *قواعد التفسير*: ١/ ٤٧٠.

٦. طه: ١٠٧.

٧. النمل: ٨٠

٨ راجع: *أصول الفقه*: ٣١/١؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٣٩٢.

شرك: الشركة و المشاركة خلط المُلكَين،[١] وفي الاصطلاح: هو كلّ لفظ له أكثر من معنى، وقد وضع لجميعها. وهو على قسمين:

١. الاشتراك اللفظي: وهو أن يكون اللفظ موضوعاً لعدة معاني، مثل لفظ «عين» بمعنى العين الباصرة، والينبوع، والذهب، وغيرها.

مثال قرآني: لفظ «الدّين» والذي يأتي بمعنى «الشريعة» و «الطاعة» و «الجزاء» ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢] بمعنى الشريعة؛ ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٣] بمعنى الجزاء؛ ﴿دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٤] بمعنى الطاعة.

٢. الاشتراك المعنوي: وهو أن يكون بين المعنيين معنىً يجمعهما، فتطلق الكلمة على كلٍّ منهما لهذا المعنى الجامع، كلفظ «المولى» للسيد والعبد، فإن معناه في الأصل: الناصر.[٥]

مثال قرآني: لفظ الإنسان، والذي يستعمل في أفراد الإنسان، ولفظ «خليفة» بمعنى المُستخلَف،[٦] وقد يكوْن بمعنى خليفة الله، وقد يكون خلافة الناس بعضهم على البعض.[٧]

أسباب الاشتراك

١. اختلاف لهجات القبائل العربية في إطلاق الألفاظ على المعاني.[٨]

٢. أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنىً مشترك بين معنيين، فتصلح الكلمة لكلٍّ من هذين المعنيين، لوجود المعنى الجامع بينهما، وعلى توالي الزمن يغفل الناسُ هذا المعنى، فيعدّون الكلمة من قبيل المشترك اللفظي، مثل«القرء»، فإنّه اسم لكلّ وقت أعتيد فيه أمر خاص، فيقال: «للحمى: قرء» أي دور معتاد تكون فيه، وللمرأة «قرء» أي: لها وقت تحيض فيه، وللثريا «قرء» أي: وقت أعتيد معها نزول المطر.[٩]

---

١. *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة «شرك».

٢. الكافرون: ٦.

٣. الحمد: ٤.

٤. العنكبوت: ٦٥.

٥. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٩٢؛ *دستور العلماء*: ١١٨/١.

٦. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ البقرة: ٣٠.

٧. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم﴾ يونس: ١٤.

٨. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٩٣.

٩. المصدر.

٣. المعنى المجازي الذي يصير حقيقاً شيئاً فشيئاً.

أي: أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى، ويستعمل في معنىً آخر على سبيل المجاز، لعلاقة بين هذا المعنى والمعنى الأول، ثمّ يشتهر استعمال هذا اللفظ في المعنى المجازي، وينسى التجوّز مع الزمن حتى يصبح حقيقة عرفية فيه، وينقل اللفظ إلى أبناء اللسان على أنه حقيقة في المعنيين، لا على الأول أنه حقيقة، ولا على الثاني أنه مجاز.[١]

وقد يذكر هذا النوع بعنوان الوضع التعيُّني.[٢]

٤. أن ينقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى اصطلاحي، فيكون حقيقة لغوية في الأول، وعرفية في الثاني، وينقل اللفظ إلينا بعنوان أنّ له معنيين حقيقيين، وبذلك يكون مشتركاً بينهما.[٣]

وقد يذكر هذا النوع بعنوان الحقيقة المتشرعية،[٤] مثل لفظ «القرآن» الذي يكون بمعنى المقروء، غير أنّه في عرف المسلمين بمعنى الكتاب المقدّس الخاص.

طرق حلّ الإبهام في الألفاظ المشتركة

المفسّر بحاجة إلى فهم الألفاظ المشتركة، وإلا فإنّه سوف يتحيّر في تفسير القرآن، ومن هنا فلا حيلة له إلّا أن يتعرّف على الطرق والقرائن التي تعين له المقصود.

١. المشترك المعنوي

أ) إذا وجدت قرينة تعيّن أحد معاني اللفظ، فإن المعنى يتعيّن بها.

مثال: ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾.[٥]

مفردة «خليفة» يمكن أن تكون بمعنى خلافة نوع الإنسان من الله، أو خلافة نوع من الموجود الأرضي، كانوا يعيشون علي سطح الأرض قبل الإنسان.

العلامة الطباطبائي رحمه الله وبالالتفات إلى القرائن الموجودة في الآيات الأخرى يؤيد المعنى الأول؛ لأنّ الآية ٦٩ في سورة الأعراف، والآية ١٤ في سورة يونس، والآية ٦٣ من سورة

---

١. المصدر: ٣٩٤.

٢. راجع: مبحث الوضع في كتب أصول الفقه؛ مثل *أصول الفقه*، المظفر:١٠/١؛ *كفاية الأصول*.

٣. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٩٤.

٤. راجع: *أصول الفقه*، المظفر:٣٦/١.

٥. البقرة: ٣٠.

النحل مع لفظ «جعلكم وجعلناكم» تعتبر جميع أفراد البشر خليفة.[١]

ب) إذا لم توجد قرينة على تعيين أحد معاني اللفظ، فيكون اللفظ مطلقاً (بمعنى عدم وجود القيد والقرينة) فيمكن أن يشمل جميع المعاني؛ مثل لفظ «بشر» المجرد عن القرينة لموضوع الحكم، فإنه يمكن أن يكون شاملاً لجميع أفراد البشر: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا...﴾.[٢]

٢. المشترك اللفظي

أ) إذا وجدت قرينة تعين أحد معاني اللفظ، فإنّ المعنى يتعيّن بها.

مثال: الألفاظ التي وردت في القرآن، ولها معنىً لغوي ومعنىً اصطلاحي شرعي؛ مثل الصلاة، والزكاة، والحجّ، والصيام، والطلاق... إلخ وهذه الألفاظ تحمل على المعنى الشرعي، لأنّ الغالب في القرآن أن يكون المقصود بها المعنى الشرعي، إلّا إذا وجدت قرينة صارفة للمعنى اللغوي.

مثال آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[٣]

فإن لفظ «الصلاة» مشترك لفظي بين المعنى اللغوي «الدعاء» والمعنى الاصطلاحي الشرعي «الصلاة»، غير أنه لا توجد قرينة في الآية تفيد أن المقصود هو الصلاة، بل للمقصود هنا الدعاء، لأنّ «الصلاة» في الإسلام هي العبادة الخاصة المعروفة.

ب) إذا لم توجد قرينة على تعيين أحد معاني اللفظ.

وهنا فإن كان الشخص يقبل قاعدة استعمال اللفظ في أكثر معنى، ولا يوجد تنافي بين معنيي اللفظ، فيمكن القول إنّ كلا المعنيين مقصود للفظ.

وإذا لم يقبل الشخص قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى، أو لا يمكن الجمع بين معنيي اللفظ (مثل لفظ «القرء» المردد بين معنى: الحيض، والطهر) ففي هذه الحالة يكون اللفظ مجملاً وعلى المفسّر التوقّف والتأمل أو يكتفي بذكر الاحتمالات.

مثال: الآية الكريمة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾،[٤] فإننا نفهم من خلال قرينة السياق والجو الحاكم على السورة، أنّ مفردة «الدّين» بمعنى «الشريعة».

---

١. *الميزان*: ١١٧/١.

٢. الفرقان: ٥٤.

٣. الأحزاب: ٥٦.

٤. راجع: قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى في هذا الكتاب.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ...﴾[١] ليس من الواضح أن يكون معنى مفردة «الإسلام» هو المعنى الاصطلاحي، الذي هو «دين الإسلام» أو المعنى اللغوية بمعنى «التسليم».

وقد ذكر مفسرو القرآن كلا المعنيين في تفسيرهم للآية،[٢] فإذا لم يعثر المفسر على قرينة تعيّن المعنى، فإنّه يمكن أن يحمل الآية على كلا المعنيين بناءً على قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى،[٣] وإذا لم يقبل المفسّر هذه القاعدة فإن الآية تكون مجملة ولا حيلة للمفسر إلى أن يذكر المعنيين.

وقد أشار إلى كلا المعنيين صاحب *تفسير التبيان*، و*تفسير مجمع البيان*، في ذيل الآية ١٩ من سورة آل عمران، وإن كان ظاهر كلامهما يوحي أن الإسلام بمعنى: الدين، إلا أنهما لم يقدّما رأياً قطعياً.

الملاحظة الأولى: وقد توقف بعض المحققين وقال بإجمال المشترك اللفظي، الذي لا توجد قرينة على تعيين أحد المعاني فيه،[٤] إلّا أنه ومع الالتفات إلى ما تقدّم يتضح أنّ الإجمال يحصل عند من لا يقبل استعمال اللفظ في أكثر من معنى، أو التنافي بين معاني المشترك اللفظي.

الملاحظة الثانية: الاشتراك اللفظي يوجب الإجمال اللفظي، وقد يكون في الأسماء، والأفعال، والحروف، وحتى هيئة الكلمات (التركيب)، مثل معاني أبواب الفعل الثلاثي المزيد الذي يحتاج إلى قرينة معينة، أو في الموارد التي يوجد فيها فاعل، ومفعول، أو فعل معلوم أو مجهول، أو مذكر ومؤنث، على إثر إعلال شكل واحد، بحاجة إلى قرينة تعينه،[٥] مثل مفردات من قبيل، مختال،[٦] مرتاب،[٧] لا يضّار،[٨] يدعونني.[٩]

---

١. الكافرون: ٦.

٢. فيما يتعلق بالمعنى اللغوي للتسليم، ذهب إليه كل من صاحب تفسير: *پرتوی از قران*: ٥٢/٥؛ *الميزان*:١٢٦/٣، ذيل الآية، وأما من فسرها بدين الإسلام فهم صاحب تفسير: *أطيب البيان*:١٤٢/٣؛ *الكاشف*:٢، ٢٦.

٣. جمع صاحب تفسير الأمثل بين معنى الإسلام التسليم في الآية، (راجع: *تفسير الأمثل*، ذيل آية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ فالشيخ يعتقد بجواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى).

٤. راجع: *أصول التفسير وقواعده*: ٣٩٧؛ *محاضرات في أصول الفقه الإسلامي*:٩٤، *روش شناسي تفسير قران ـ منهج تفسير القرآن* ـ:١١٢.

٥. راجع: *روش شناسي تفسير قران ـ منهج تفسير القرآن* ـ:١١٢.

٦. لقمان: ١٨.

٧. غافر: ٣٤.

٨ البقرة: ٢٨٢.

٩. يوسف: ٣٣.

الملاحظة الثالثة: خلاصة ما مرَّ من المطالب يكون ضمن المخطط التالي:

اللفظ والمعنى
- لفظ واحد ومعنى واحد ــ أصل
- لفظ واحد وعدة معاني ــ مترادف
- عدة معاني ولفظ واحد ــ مشترك

الاشتراك
- المعنوي
  - مع وجود القرينة ـ يتعين المعنى
  - مع عدم وجود القرينة ـ يمكن أن تكون جميع المعاني مقصودة
- اللفظي
  - مع وجود القرينة ــ يتعين المعنى
  - مع عدم وجود القرينة
    - إمكان استعمال اللفظ في أكثر من معنى ـ جميع المعاني مقصودة
    - عدم إمكان استعمال اللفظ في أكثر من معنى ـ يكون مجملاً

هـ) قواعد علم اللغة في تفسير القرآن

إنّ معرفة لغة أي نص هي مفتاح فهمه. وبناءً عليه فمن أجل فهم وتفسير القرآن، يلزم أن نعرف لغته وخصائصها، وعلى ضوء هذه المعرفة يمكننا تقديم التفسير الأفضل.

ومن الشروط اللازمة لأيٍّ مفسّر أو مترجم هي معرفة اللغة العربية وآدابها، وقد أشرنا إلى هذا الموضوع في مبحث شروط المفسر؛ أمّا هنا فما هو المقصود بـ«لسان القرآن»؟

لمفردة «اللسان» عدة معاني واستعمالات وتعاريف مختلفة من جملتها:

أ) وهي عضلة متحركة داخل الفم تشكل أهم وسيلة للنطق[1] (المعنى اللغوي).

ب) الكلام الخاص للشعب أو الجماعة، مثل اللغة الفارسية والانجليزية.[2]

ج) اللسان: هي اللغة وهي إحدى قدرات ذهن الإنسان لإيجاد الارتباط والانتقال للخطاب، حيث يكون التكلّم هو الهيئة اللفظية والظهور الخارجي لهذه القدرة.[3]

---

١. (معجم) *نخستين فرهنگ الفبايي قياسي زبان فارسى*: ٥٣٤.

٢. *لغت نامه (معجم) دهخدا*: ١١١٣٠.

٣. *زبان وتفكر ـ اللغة والفكر ـ*: ١١٢.

د) عالم اللغة المعروف سور يقول: اللغة هي مجموعة (التراكيب والنظم (Stracture) ونظام من العلامات المرتبطة بعضها مع البعض الآخر، وقيمة كل علامة يتبع وضعها التركيبي.[١]

وللغة وظائف مختلفة منها؛ وصف الحقائق، تبيين العلة والمعلول للظواهر، الفعل الكلامي، تصوير الأحاسيس الداخلية للإنسان، نقل التجارة وثقافة الماضين والربط المستمر بين الماضي والحاضر والمستقبل، الذي يمثل الدور الأساس للغات التي بينها علاقة معرفية وانتقال الخطاب[٢]

وبالإمكان أن تكون اللغة نصاً له عدة مستويات ومجالات، كما هو الحال في بعض آيات القرآن الكريم وأشعار حافظ.

والمقصود من اللغة هنا، أسلوب بيان المطالب وخصائص وعناصر لغة القرآن. وللغة القرآن خصائص من اللازم اختيار نظرية في علم اللغة واختيار مبنى فيها؛ لأنّ لها دوراً أساسياً في تفسير وترجمة القرآن وبعض هذه الخصائص نظير القواعد في التفسير، لها وظيفة أساسية؛ ومن جملتها:

١. واقعية لغة القرآن

لم تكن القضايا التي ذكرها القرآن على الصعد المختلفة كالتاريخ، والأقوام، والقصص وغيرها أساطير وخرافات، بل إنّ جميع ما يحكيه القرآن هو واقعي؛ والباطل لا طريق له إليه، لأن جميع قصصه حق.[٣]

وإذا كان الشخص يتصوّر بأنّ لغة القرآن رمزية وأسطورية وغير واقعية، ولا معنى لها،[٤] فإنّ التفسير وترجمة القصص القرآني سوف تأخذ منحىً آخر.

٢. العناصر الفنية في لغة القرآن

لو اعتبرنا أن لغة القرآن لغة عرفية، فإنه يمكن أن نوجد تغييرات مختصرة في موارد الكلمات المعادلة، ولكن لو اعتبرنا لغة القرآن لغة فنية وعلمية فإن إيجاد التغييرات يكون أمراً مشكلاً.

---

١. *مباني زبان شناسي ـ أصول علم اللغة ـ*:٨.

٢. *تحليل زبان قرآن وروش شناسي فهم آن ـ تحليل لغة القرآن ومنهج فهما ـ*: ٢٠ ـ ٢٢.

٣. ﴿إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾، آل عمران: ٦٢.

٤. للإطلاع على نظريات اللغة، راجع *زبان دين ـ لغة الدين ـ؛ تحليل زبان قرآن وروش شناسي فهم آن ـ تحليل لغة القرآن ومنهج فهمه ـ؛ أصول ومناهج التفسير*.

وعلى سبيل المثال يمكن أن نستبدل كلمة (زود پز[١]) بكلمة (قدر الضغط الكاتم) في الاستعمال pressure cooker مع أن اعتماد الأولى على آلية العمل والأخرى على نتيجة العمل.[٢]

وأمّا فيما يتعلق بالقرآن يمكن القول: إنّ لغته هي لغة العرف الخاص، ولكن حينما يتحدث القرآن عن الأحكام والقوانين الشرعية، كالإرث، والقصص، والزواج، والطلاق، والعبادات، والأموال (الخمس، والزكاة) فإنّه يعرضها بلغة فنية وعلمية دقيقة، ولا مجال للمسامحات العرفية، لأنها قد تسيء إلى هذه القضية.

وبناءً عليه فمن المهم بمكان أن يلتفت المترجم إلى هذه النقطة وهي معرفة لغة القرآن، حيث إنّ لغة القرآن لغة العرف الخاص، ولكنه قد يتحدّث باللغة الفنية والعلمية الدقيقة، والدقة مطلوبة في الترجمة والتفسير.

مثال: ﴿... فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ...﴾.[٣]

وثمة قاعدة وهي أن تقديم ما حقه التأخير يستوجب الحصر والغفلة عن هذه القاعدة في الترجمة يترك أثراً في التفسير.

٣. الاصطلاحات الخاصّة في لغة القرآن

لغة القرآن هي نفسها لغة القوم، وقد تشكّلت على أساس العرف، إلّا أنّ لها اصطلاحات خاصّة قد تختلف عن المعنى اللغوي، فالاصطلاحات القرآنية يتضح معناها بالمقارنة بين المفردات المستعملة فيه، وإذا لم يلتفت المترجم إلى هذه الاصطلاحات ويكتفي بالمعنى اللغوي، فإنه قد يقع في الخطأ.

وعلى سبيل المثال مفردة «كافر» والتي هي بمعنى «الستر»،[٤] إلا أنّه في القرآن استعملت في منكري أصول الدين كالنبوة وغيرها. وكذا الحال في مفردة «الإيمان» والتي هي بمعنى «الهدوء والطمأنينة»،[٥] غير أنّها في اصطلاح القرآن الكريم بمعنى الاعتقاد بالله والمعاد

---

١. أي بمعنى: قِدر، سريع الطبخ، القذور الكاتمة.

٢. مجلة مترجم، العدد: ٤٣/١٠.

٣. النساء: ١١.

٤. *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة «كفر».

٥. المصدر، مادة «آمن».

وغيرها. وهكذا الحال في مفردة «الزكاة» التي هي بمعنى «النمو والطهارة»،[١] ولكنّها في القرآن الكريم بمعنى الحقوق الأموال الخاصة.

ملاحظة: كما أن في لغة المبدأ (العربية) اصطلاحات خاصة كذلك الحال في لغة المنتهى، فينبغي أن نأخذها بنظر الاعتبار حتى لا نقع في المحذور.

مثال: قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ...﴾.[٢]

والمخالطة في اللغة الفارسية بمعنى «آميزش»، غير أن هذه المفردة في العرف الفارسي المعاصر تستعمل ويراد بها المخالطة الجنسية، وعليه لا يمكن استعمالها في قبال«المخالطة».

٤. الأخذ بنظر الاعتبار المفردات الأساسية، والمركزية والمحورية

عرفنا فيما مضى أنّ علماء اللغة، كالراغب الأصفهاني في *المفردات غريب القرآن*، وأبي منصور الثعالبي النيشابوري في كتاب *فقه اللغة*، وعلماء الأصول في مبحث الوضع التعييني والتعيني، والحقيقة الشرعية، وغيرها[٣] اهتموا إلى حدٍّ ما بالكلمات الأساسية للقرآن.

وهذه الظاهرة حظيت مؤخّراً بعناية علماء اللغة وعلماء الدلالة الكبار، ومن جملتهم البروفسور توشيهيكو ايزوتسو مترجم القرآن إلى اللغة اليابانية، وأستاذ جامعة (مكجيل) الكندية حيث قام ببحث مفصّل حمل عنوان *الله والإنسان في القرآن* وترجمه إلى الفارسية أحمد آرام. وإلى العربية الدكتور هلال محمد الجهاد، وكذا الدكتور بي آزار الشيرازي، في المجلد الأول من كتاب *القرآن الناطق*، حيث أكد على هذه المسألة، واعتبر أن الاهتمام بهذه الكلمات من شروط المترجم.[٤]

وقد عرف البروفسور ايزوتسو اصطلاحات هذا البحث بما يلي:

الاصطلاحات الرئيسية: هي الكلمات التي لها دور واقعي وقطعي في بناء النظرة الكونية التصوّرية للقرآن، والتي نعبّر عنها بالاصطلاحات الرئيسية للقرآن، من قبيل كلمات: الله، والإسلام، والإيمان، والكافر، والنبي، والرسول.[٥]

---

١. المصدر مادة «زكا».

٢. البقرة: ٢٢٠.

٣. راجع: *كفاية الأصول*:١/٢٤ ـ ٣٧.

٤. *القرآن الناطق*:١/٣٠٤ ـ ٣١٢.

٥. الله والإنسان في القرآن: ٢٢ و ٢٣.

مثال:

١. مفردة «كفر» في الأصل بمعنى «الستر».

٢. استعملت هذه المفردة بمعنى الإنسان غير الشكور؛ لأنَّه أغمضَ عينيه عن رؤية النعم. وهذا هو معنى الكفر الذي يقابل الشكر.

٣. مفردة «الكفر» تحت تأثير مفردة«الإيمان» وفي ارتباطها مع لفظ الجلالة «الله» ومعناها الجحود لفضل الله ونعمته. (وهذه هي المرحلة الأولى في التطَور الدلالي لهذه الكلمة في السياق القرآني).

٤. مفردة *«الكفر»* اتخذت معنى نفي الإيمان شيئاً فشيئاً، وهي قريبة من عدم التصديق، ولا توجد مفردة أخرى للكفر ضد الشكر، بل نقيض «الإيمان» وجعل الكافر في مقابل المؤمن (المرحلة الثانية لاتساع معنى الكفر في القرآن).

٥. وقوع مفردة الكفر تحت تأثير مرادفات، كالشرك ولوازمه، واتباع الظن، والضلالة، والظلم، واتباع الهوى، والكبر والطغيان، والاستهزاء بالوحي والرسالة، وإنكار أصول الإسلام الثلاثة، وترك الأوامر الإلهية، وهي جزء من تلك المفاهيم الأخلاقية.

البروفسور ايزوتسو ومع التفاته إلى المجال الواسع لمعنى هذه المفردة؛ بأنّه لا يمكن ترجمة هذا النوع من الكلمات إلي أية لغة، ومفردات مثل *«عدم الشكر»*، و*«عدم التصديق»*، و*«الستر»*[١] و*« عدم التدين»*[٢] في الفارسية أو(unbeliever) في الانجليزية؛ لأنّ هذه المعاني هي معاني محدودة بالنسبة للمفاهيم الواسعة لهذه الكلمة الواردة في القرآن في القرآن.

وهذا النوع من الكلمات والاصطلاحات الرئيسية كبقية الاصطلاحات الأخرى في كل علم ومدرسة لابدّ من أن تكون محفوظة، ولابدّ أن توضح مفاهيمها تحت عنوان قاموس اصطلاحات وبصورة مختصرة في بدايته أو نهايته.[٣]

الكلمات المركزية

من بين الكلمات الأساسية توجد بعض الكلمات ذات جنبة مركزية، والمقصود منها هي: الكلمات الأساسية الخاصَّة التي تمثّل وتحدد مجال ومساحة تصورية للمعنى، بحيث

---

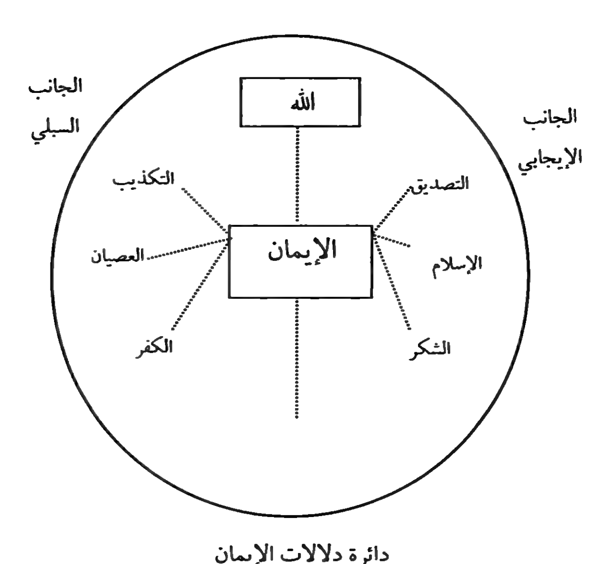
١. ذهب إلى ذلك (معزّى) في ترجمته.

٢. هكذا في *المستخلص في ترجمان القرآن* محمد بن نصر البخاري:١٥.

٣. راجع: *الله والإنسان في القرآن*، البروفسور ايزوتسو، ترجمة أحمد آرام: ٢٢ـ٢٧.

يكون مستقلاً نسبياً ومميزاً، يقع ضمن جامعٍ أكبر من الكلمات.

مثال: كلمة «الإيمان» مع جميع الكلمات المشتقة من جذرها، فإذا لاحظناها من جانب الكلمات المركزية فإننا نشاهد بعض الكلمات الأساسية على شكل حبّات العنقود حولها بحيث تشكل جميعها مجالاً تصورياً داخل جميع كلمات القرآن، وتقع بعض هذه الكلمات، كالشكر، والإسلام والتصديق والله في الجانب الإيجابي، والعصيان والنفاق في الجانب السلبي حول الكلمة المحورية للإيمان.[1]



دائرة دلالات الإيمان

الكلمات المحورية

في كلّ سور من سور القرآن كلمة أو كلمات محورية، وهي تربط آيات وموضوعات السورة المتنوعة ببعضها البعض؛ وبعضها ذات محور خاص، والبعض الآخر ذات محور عام، وهذه الكلمات من أمثال: العهد والميثاق، والتأويل والذكر.

مثال مفردة «التقوى» وهي محور جميع الكتب السماوية بشكل عام،[2] ومحور القرآن بشكل خاص؛[3] ومحور سورة البقرة بشكل أخص؛ بدليل ورود هذه الآيات في مطلعها، وهي

١. راجع: المصدر؛ *والقرآن الناطق*:٣٠٩/١.

٢. بدليل الآية ١٣١ من سورة النساء.

٣. بدليل الآية ١ من سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾،[١] بدليل أنّ الآيات جاءت في مفتتح هذه السورة، وإذا نظرنا إلى أقسامها المختلفة، فإننا نرى أنها تعتمد عليها في كل قسم من أقسام السورة وهو على ارتباط في جميع الموضوعات التي هي مورد بحث السورة كاملاً.

إنّ كشف الكلمات المحورية والاهتمام بها، يساعد المترجم والمفسّر على ربط جميع الآيات، والحصول على ترجمة وتفسير مترابطين.[٢]

المناقشة

إن الاهتمام بالكلمات الأساسية، والمركزية والمحورية، يعدُ أصلاً في فهم معاني المفردات، وهو أمر لازم للتفسير والترجمة. وكما بُيِّن في المقدمة أنّ هذا الموضوع كان محط اهتمام علماء اللغة في القرآن، مثل: الراغب الأصفهاني، وإن كانت لم تسمى الكلمات الرئيسية والمحورية والمركزية، إلا أنه يلتفت إلى أصل الموضوع للمعنى اللغوي لكلمات، مثل «كافر» الذي يختلف معناها اللغوي عن معناها الاصطلاحي.

وهذا المطلب أيضاً صحيح إلى حد مّا، لحفظ المفردات الأساسية للقرآن في الترجمة؛ مثل مفردة كافر، مؤمن، وإيمان، ففي الترجمات الفارسية عادةً تبقى بنفس، و نفس الألفاظ الصورة؛ لأنّ ترجمتها مشكلة جداً، فقد تكون كلمة مثل «الله» تشتمل ترجمتها علي عدة جمل: «الذات التي لها جميع صفات الكمال والجمال المتحيّرة فيه الموجودات والتي تلجأ إليه و..».[٣]

وأن جميع هذه المسائل لا تعني أن هذه الألفاظ لا تترجم بأي لغة، بل أن ترجمتها صعبة، ومطولة، ومن هذا المنطلق من الضروري الاستفادة من معادل واضح نسبياً، مثل كلمة «خدا» في قبال كلمة «الله» التي تعطي معنى واجب الوجود، ولكنها لا تعطي الأبعاد الأخرى لمعنى كلمة«الله».[٤]

---

١. البقرة: ١و٢.

٢. راجع: *الله والإنسان في القرآن*؛ *القرآن الناطق*: ٣١١/١ و٣١٢.

٣. مفردة «الله» اعتبره البعض مشتق من ألَه (عبد) أله (تحير)، لاه (احتجب)، ولاه (محبوب)، والبعض الآخر أعتبره غير مشتق (راجع: *مجمع البيان*، ذيل الآية الأولى من سورة الحمد؛ *مفردات الراغب الأصفهاني*؛ *قاموس القرآن*، السيد على أكبر القرشي، مفردة «الله»).

٤. يمكن القول بعدم وجود كلمة مرادفة لكلمة «الله» في اللغة الفارسية بحيث ترادف كلمة «الله»، وجميع الكلمات لا توصل تمام المعنى لكلمة «الله»؛ لأن «خدا» مخفف «خداي ـ أي الرجوع إلى الذات ـ» وهو التعبير الذي يستعمله الفلاسفة لإيصال معنى واجب الوجود، ومن المحتمل أن مفردة الغني الواردة في القران هي أقرب شئ إلى مفردة «الله».

وعليه من اللازم الاهتمام بالكلمات المحورية، وهذا الموضوع يصبّ في الهدف الصحيح لفهم القرآن، وأهداف السور القرآنية.

٥. العناصر العرفية والعقلائية للغة القرآن

إنّ لغة القرآن مثل لغة الناس، ففيها العام والخاص، والمطلق والمقيد، والكنايات، والمجازات، والتشبيهات، والأمثلة؛ ومن هنا فإنّها تُفسّر وتُترجم وفقاً لأصول المحاورة العقلائية،[١] ووفقاً لعرف أهل اللغة، يتضح معنى الكنايات والأمثال وغيرها.

وللمثال، آية ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ...﴾،[٢] فإذا لم يؤخذ بنظر الاعتبار المثل، فإن معنى الجملة يكون هكذا: «يا مريم، أخت هارون»، وهو ما أخطأ بعض المستشرقين في فهم معناه، حتى قال: «وهذه المسألة خطأ تاريخي في القرآن؛ لأنّ هارون عليه السلام أخو موسى عليه السلام كان يعيش قبل حياة مريم أم عيسى عليه السلام بعشرات السنين؛ وعليه لا يمكن اعتبارها أختاً لهارون».[٣] في حين أنّ الجملة هي من الأمثال المعروفة عند بني إسرائيل، وهو أن كل امرأة يتسم بالطهارة يقولون لها: يا أخت هارون؛ أي «يا أخت هارون في الطهارة». وهذا ما حكي في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وصرَّح به بعض المفسرين.[٤]

وتعابير أخرى مثل ﴿... ضَرْبًا فِي الأَرْضِ...﴾،[٥] بمعنى «السفر»، و﴿...مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ...﴾،[٦] بمعنى العبيد.

ومما يلحظ أن أكثر المفسرين لم يلتفتوا إلى العناصر العرفية والعقلائية للغة القرآن، وكذلك المستشرقين، الذين وقعوا بأخطاء كثيرة، ومنها ما قدمناه.

٦. تطوّر لغة المبدأ والمنتهى

يتغير معنى المفردة بمرور الوقت، وعلى سبيل المثال مفردة «مكروه» ففي عصر

---

١. بحثت قوانين أصول المحاورة العقلائية في علم أصول الفقه.

٢. مريم: ٢٨.

٣. راجع: *دفاع عن القرآن*: ١٦١؛ *دائرة معرف القرآن* / لايدن:١، مدخل هارون.
Encyclopedia of the Quran Aorom – Andrew Rippin

٤. *مجمع البيان*، الطبرسي، ذيل الآية ٢٨ من سورة مريم؛ *نور الثقلين*:٣/٣٣٣؛ *تفسير الأمثل*:١٣/٥١.

٥. البقرة: ٢٧٣؛ النساء: ٩٤.

٦. المؤمنون: ٦.

النبيﷺ كانت هذه الكلمة في الآية الكريمة﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾،[١] تعني الأمر غير المرضي و الذي لايريده الله تعالى، وهو الذي يشمل الذنوب الكبيرة، كالقتل والزنا، التي مرَّ ذكرها في الآيات التي سبقتها، وفي عصر الأئمة(ع) (يحتمل في عصر الإمامين الباقر والصادق(ع)) استعملت بالمعنى الاصطلاحي الشرعي ويعني «الشيء الذي يكون تركه أفضل، ولكنّه ليس حراماً»، وهو الاستعمال الرائج في عصرنا أيضاً.

ومن أجل أن تكون الترجمة دقيقة فعلى المترجم أن يهتمّ بظاهرة تطوّر معاني المفردات، مع التركيز على محيط وزمان نزول الآية، حتى يحصل على المعنى الأصلي، وإذا لم يتحرَّ المترجم الدقة ولم يلتفت إلى هذا الموضوع، فإنّه يقع في هفوات.

وكذا الحال في لغة المنتهى، فإنّ التغير في المعاني يشملها؛ بمعنى أنه وعلى امتداد الزمان، يحصل تغيّر وتطوّر في معاني المفردات ـ كالمفردات في اللغة الفارسية مثلاً ـ ويمكننا الإشارة إلى ملاحظتين مهمتين وهما:

أوّلاً: لا يمكن التقليد في الترجمة بدون إخضاع المفردات للدراسة. وثانياً: وعلى هذا الأساس، يكون من الواضح أننا وفي كل عصر بحاجة إلى ترجمة جديدة للقرآن الكريم، وعلى أساس المفردات الجديدة والمناسبة لفهم المخاطب وجيل الشباب.

٧. مستويات وأبعاد لغة القرآن

نقل في أحاديث متعددة عن النبيﷺأن للقرآن ظاهر وباطن،[٢] وهذا يعني أنه وبالإضافة إلى الدلالة الظاهرية، فثمَّة معاني مستورة ومخفية، تارة يمكن الحصول عليها بإلغاء الخصوصية،[٣] وتارةً أخرى بإرشاد وتعليم من اهل البيت(ع)، والراسخون في العلم المرتبطون بالمصدر الإلهي.

وليس بالإمكان بيان جميع بطون القرآن الكريم؛ غير أنه ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة في التفسير؛ لأنه قد يكون من اللازم من أجل فهم الآية الرجوع إلى القرائن التي ترشد إلى البطن.

---

١. الإسراء: ٣٨.

٢. راجع: *بحار الأنوار*: ٧٨/٩٢ وما بعده.

٣. الشيخ معرفة عنده نظرية في معرفة على الباطن عن طريق إلغاء الخصوصية. (راجع: *التفسير الأثري الجامع*: ٢٩/١ وما بعده).

وهذا النوع من القرائن قد بُيِّن في الأحاديث، في مصادر التفسير الروائي، كتفسير *نور الثقلين*، والبرهان، وغيرها.

و) القواعد المشتركة بين التفسير وعلم المعاني

قاعدة تمييز المعنى الحقيقي للفظ عن غيره

مدخل

من المواضيع المهمة التي بحثها علماء الأصول،[1] وعلماء المعاني والبيان،[2] وعلماء التفسير، هو بحث المعنى الحقيقي للفظ وفرقه عن المعنى المجازي، والكنائي، وغيرها من المعاني.

ومما يجدر ذكره، أن هذا الموضوع مرتبط ببحث الوضع في الألفاظ، ومن هنا صار له دور مؤثر في فهم مفردات القرآن الكريم، وهو الذي دعا علماء القرآن،[3] وقواعد التفسير[4] لأن يولوه اهتماماً خاصاً.

وفي هذا المبحث سنشير إلى هذا الموضوع، إلا أننا سنتعرض إلى المباحث الأصولية والبلاغية بصورة مختصرة، ونركز البحث على الآثار والنتائج التفسيرية له.

ولابدّ لنا في هذا المقام ـ ومن أجل إيضاح الأهداف التفسيرية وتهيئة الأرضية المناسبة للبحث في الحقيقة والمجاز ـ من التعرض إلى المطالب المرتبطة بهذا الموضوع، كالوضع وأقسامه.

١. وضع الألفاظ وأثره في تفسير القرآن

مفهوم الوضع

هو جعل اللفظ بإزاء المعنى وتخصيصه به.[5] ومثاله حينما يهب الله تعالى الإنسان ولداً يطلق عليه اسم «علي».

---

١. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ۹/۱ و۱۰و۱۹و۲۳؛ وكذلك الكتب الأصولية الأخرى *كالكفاية* للآخوند الخراساني، و*حلقات الأصول السيد الشهيد الصدر*، وغيرها.

٢. راجع: *مختصر المعاني*، بحث المجاز العقلي.

٣. راجع: *الإتقان*: ۷۱/۲ (النوع الثاني والخمسون).

٤. راجع: *أصول التفسير وقواعده*: ۲۸۰؛ *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن ـ*: ١١٤.

٥. *أصول الفقه*: ۱۰/۱.

والوضع لغةً يحتاج إلى واضع، ومن المسلم أن واضع جميع الألفاظ العربية والفارسية وغيرها من اللغات لم يكن شخصاً واحداً، بل الناس وعلى أساس الحاجات اليومية يضعون الألفاظ في معاني مقصودة لهم، وعلى أساسها يتفاهمون فيما بينهم، وشيئاً فشيئاً تتشكل لغات القبائل والشعوب.

أقسام الوضع

١. الوضع التعييني: يطلق الوضع التعييني ويراد به دلالة الألفاظ على المعاني الناشئة من الجعل والتخصيص،[1] ومثاله تسمية الأطفال.

٢. الوضع التعيُّني: يطلق الوضع التعيُّني ويراد به اختصاص اللفظ بالمعنى الحاصل هذا الاختصاص من الكثرة في الاستعمال.

بمعنى أن كثرة استعمال المفردة في معنىً معين؛ فإن أذهان الأفراد تأنس بهذا الاستعمال، بشكل إذا سمع اللفظ ينتقل السامع منه إلى المعنى، وهذا ما يصطلح عليه بالوضع التعيني.

مثال: مفردة «الصلاة» في ما يتعلّق «بالعبادة الخاصّة» بين المسمين، ومفردة «الزكاة» فيما يتعلّق «الحقوق الشرعية في الأشياء الخاصة»، وهذه المفردات ونتيجة لكثرة الاستعمال في المعنى الاصطلاحي، ابتعدت عن المعاني اللغوية للدعاء والنمو والطهارة، وكلما وردة هذه الألفاظ في القرآن الكريم فإنّه يحمل المراد بها على المعنى الاصطلاحي، إلى إذا وجدت قرينة تدل على المعنى اللغوي.

الحقيقة الشرعية والمتشرعية وأثرها في تفسير القرآن

فيما يتعلّق بمفردات، كالصلاة، والزكاة، وغيرها طرح بعض علماء الأصول السؤال التالي:

نحن نعلم أن المسلمين ملتفتون إلى المعاني الاصطلاحية الشرعية لهذه الألفاظ، ولكن هل أنّ هذه الألفاظ وضعت للمعاني الاصطلاحية في زمن النبيﷺ على نحو الحقيقة الشرعية، أو أنّ هذه الألفاظ وضعت للمعاني لما بعد عصر النبيﷺ على نحو الحقيقة المتشرعية؟

فإذا كانت هذه الألفاظ على نحو الحقيقة الشرعية، فإنه يلزم أن تفسر ألفاظ، كالصلاة، والزكاة، وأمثالها في القرآن وسنّة النبيﷺ بالمعنى الاصطلاحي.

---

١. راجع: المصدر.

وإذا كانت هذه الألفاظ على نحو الحقيقة المتشرعية، فإنه يلزم أن تفسر تلك الألفاظ في القرآن والسنة تفسيراً لغوياً.

وقيل في جواب هذين السؤالين:

أن وضع الألفاظ على النحو التعييني لم يقع من شخص النبيﷺ، ولو وقع لنقل إلينا.

ومن ثمَّ فإن وضعها يكون على النحو التعيُّني الناشئ من كثرة الاستعمال،[١] وهذه الألفاظ على عدة مجموعات في القرآن الكريم:

أ) الألفاظ المحفوفة بالقرائن، وقد استعملت في المعاني اللغوية والاصطلاحية، فتفسر طبقاً للقرائن التي تدل على المعنى، وأكثر ألفاظ القرآن من هذا النوع.

ب) الألفاظ المجردة عن القرائن، فإذا كان لهذه الألفاظ استعمال كثير، كالصلاة، والزكاة، فإنّه من المستبعد أن لا تكون هذه الألفاظ بصورة المعاني الاصطلاحية موجودة في عصر النبيﷺ،[٢] فإنّها تحمل على المعنى الاصطلاحي، إلّا إذا وجدت قرينة تدلّ على الخلاف.

ج) الألفاظ النادرة والمشكوك فيها (التي لا تتوفر فيها كثير من القرائن أو موارد الاستعمال)، وفي هذه الحالة لا يمكن إثبات استعمال هذه المعاني الاصطلاحية في عصر النبي.ﷺ. وعليه لا يمكن أن نحملها ونفسرها على أساس المعنى الاصطلاحي الجديد.

مثال: مفردة «الزكاة» استعملت بعدة معاني في القرآن الكريم:

١. المعنى اللغوي للزكاة والمراد به، النمو والطهارة.[٣]

مثال قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾.[٤]

فالله سبحانه وتعالى أطلق مفردة زكاة والمراد بها الطهارة ليحيى عليه السلام، وهذا الاستعمال له قرينة وهو أن الزكاة فيما يتعلّق بالأفراد تستعمل بهذا المعنى.

٢. مفردة الزكاة بالمعنى الاصطلاحي، أي ضريبة مالية خاصة التي فرضها الله تعالى على أموال خاصَّة. كالحنطة والشعير وغيرها بشرائط معلمومة.

مثال قوله تعالى: ﴿... فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ...﴾.[٥]

---

١. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١/١٤.

٢. المصدر.

٣. *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة «زكا».

٤. مريم: ١٥.

٥. التوبة: ٥.

وشبيه هذا الاستعمال في القرآن الكريم كثير،[1] ومن هنا نفهم أن استعمال الزكاة في عصر النزول كان كثيراً، وما نذهب إليه هو أنها كانت على نحو الوضع التعيُّني، وعليه فإن المعنى الأصلي للزكاة في القرآن الكريم هو هذا (أي الاصطلاحي)، ما لم ترد قرينة تدل على الخلاف.

٣. مفردة الزكاة بمعنى الإنفاق المستحب.

مثال قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.[2]

وفقاً للروايات و عند كثير من المفسرين، أن هذه الآية نزلت في قضية تصدق أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه‌السلام بخاتمه في الصلاة أثناء الركوع، وهذا التصدّق كان مستحباً،[3] واستعمال الزكاة بهذا المعنى جاء بقرينة الروايات، وشأن النزول، والجو الحاكم على الآية.

٤. مفردة الزكاة في الموارد المرددة بين الزكاة الواجبة والمستحبة.

مثال قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.[4]

وقد اختلفت آراء المفسرين في المراد من مفردة «الزكاة» فهل أن المقصود منها الزكاة بالمعنى اللغوي، أي طهارة النفس من الرذائل؟ أو أنّ المقصود منها الزكاة الواجبة أو المستحبة؟

قال العلامة الطباطبائيرحمه‌الله: «ذكْر الزكاة مع الصلاة قرينة على كون المراد بها: الإنفاق المالي دون الزكاة، بمعنى: تطهير النفس بإزالة رذائل الأخلاق عنها. و لعل المراد بالزكاة المعنى المصدري و هو تطهير المال بالإنفاق منه دون المقدار المخرج من المال، فإنّ السورة مكّية، وتشريع الزكاة المعهودة في الإسلام إنّما كان بالمدينة ثمّ صار لفظ الزكاة عَلَماً بالغلبة؛ للمقدار المعيّن المخرَج من المال.

و بهذا يصح تعلق «للزكاة» بقوله: «فاعلون» و المعنى: الذين هم فاعلون للإنفاق المالي، وأما لو كان المراد بالزكاة نفس المال المخرج لم يصح تعلّقه به، إذ المال المخرَج ليس فعلاً متعلّقاً بفاعل، و لذا قدّر بعضاً من حمل الزكاة على هذا المعنى لفظ التأدية، فكان التقدير

---

١. راجع: *أصول الفقه*: ١/٩ـ١٠ـ١٩ـ٢٣؛ وكذلك الكتب الأصولية الأخرى *كالكفاية* للآخوند الخراساني، *وحلقات السيد الشهيد الصدر*، وغيرها.

٢. التوبة: ٥.

٣. راجع: *تفسير الصافي*: ٤٤/٢ *وتفسير نور الثقلين*، *البرهان*، *الميزان*، *الأمثل*، ذيل الآية ٥٥ من سورة المائدة.

٤. المؤمنون: ٤.

عنده و الذين هم لتأدية الزكاة فاعلون، و لذا أيضا فسّر بعضهم الزكاة بتطهير النفس عن الأخلاق الرذيلة فراراً من تعلّق «لزكاة» بقوله: «فاعلون».[١]

مثال آخر: مفردة «مكروه» في عصر نزول القرآن كانت تستعمل بالمعنى اللغوي وهو الأمر الغير المستحسن، وفي عصر الأئمة عليهم السلام (يحتمل في عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام) استعملت بالمعنى الاصطلاحي الشرعي، ويعني: «الشيء الذي يكون تركه أفضل ولكنه ليس حراماً».

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.[٢]

مفردة مكروه في هذه الآية جاءت بالمعنى اللغوي «الأمر غير المستحسن»، ولا يمكن حملها على المعنى الاصطلاحي الشرعي؛ لأنّ الآيات (٣١-٣٧) من سورة الإسراء منعت بعض الأمور مثل: القتل، الزنا، أكل مال اليتامى، وفي النهاية ذكرت: أن هذه الأمور مكروهة.

ملاحظة: قيل أن الألفاظ التي وردة في سنّة النبي صلى الله عليه وآله، المظنون أنها جاءت بالمعنى الاصطلاحي، أمّا الألفاظ التي وردت في عصر الإمام علي عليه السلام وما بعده في سنّة اهل البيت عليهم السلام فهي تستعمل في المعاني الاصطلاحية وصارت حقيقة شرعية،[٣] وما نراه أنه لا يوجد حكم كلّي لجميع الألفاظ في عصر النبي صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام، وألفاظ السنّة، كألفاظ القرآن فإن لها مواردَ مختلفة.

علامات وضع الألفاظ للمعاني

١. التبادر: وهو انسباق المعنى الخاص بدون قرينة.

مثال مفردة «عيد» في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً...﴾،[٤] فالعيد في اللغة هو: «كل حالة تعاود الإنسان»،[٥] وفي الاصطلاح فهو اليوم السعيد والمبارك الذي: يُحتفل فيه، وهذا هو المعنى الاصطلاحي الذي ينسبق إلى الذهن، وعليه يمكن أن نحمل الآية على المعنى الاصطلاحي لهذه الآية؛[٦] لأنّ دلالة الألفاظ على معانيها، إمّا أن تكون عن طريق المناسبة الذاتية، أو عن طريق الوضع، أو عن طريق

---

١. *الميزان*:١٥/ ٩ و١٠.

٢. الإسراء: ٣٨.

٣. *أصول الفقه*، المظفر:٣٧/١.

٤. المائدة: ١١٤.

٥. *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة «عود».

٦. لتعيين المعنى اللغوي والاصطلاحي شروط أخرى ذكرت في موضوع حجية قول اللغوي.

القرينة الحالية أو المقالية، والتي هي غير موجودة هنا، فإذا علم أن الدلالة مستندة إلى نفس اللفظ من غير اعتماد على قرينة، فانه يثبت أنّها من جهة العلقة الوضعية.[١]

٢. عدم صحة السلب، وصحة حمل اللفظ على المعنى: إن صحة حمل اللفظ «المحمول» على ما يشك في وضعه له «الموضوع» وهذا الحمل الذي يكون على نحو الحمل الأولي أو الشائع يكون صحيحاً، ولا يمكن أن نسلب اللفظ عن المعنى، ودليله أن هذا اللفظ موضوع لهذا المعنى.

مثال قوله تعالى: ﴿... فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾.[٢]

ففي هذه الآية يشك في لفظ (الصعيد) بين أن يكون موضوعا لمطلق وجه الأرض أو لخصوص التراب الخالص، فإذا وجدنا صحة الحمل وعدم صحة السلب بالقياس إلى غير التراب الخالص من مصاديق الأرض؛ يعلم قهراً تعيين وضعه لعموم الأرض. وإن لم يصح الحمل وصح السلب؛ علم أنّه ليس من أفراد الموضوع له ومصاديقه الحقيقية.

٢. الحقيقة والمجاز

مفهوم الحقيقة والمجاز

إن استعمال اللفظ في المعنى يكون على ثلاثة أنحاء:

١. الحقيقة: استعمال اللفظ في المعنى الموضوع له، مثل استعمال لفظ «محمد» للنبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

فالحقيقة كما هي: « اللفظ المستعمل فيما وضع له. فيشمل هذا الوضع، اللغوي والشرعي والعرفي والاصطلاحي».[٣]

٢. المجاز: استعمال اللفظ في غير ما وضع له اللفظ، ولكنه مناسب للمعنى الحقيقي للفظ، كأن يستعمل لفظ «الأسد» ويراد به الرجل الشجاع.

ملاحظة: إن استعمال اللفظ في المعنى المجازي لا يحتاج إلى مراجعة وضعه، بل يستعمل على أساس استحسان الطبع، ومناسبة المعنى.

---

١. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ٣٢/١.

٢. النساء: ٤٣؛ المائدة: ٦.

٣. *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول*، *أصول التفسير وقواعده*: ٢٨٠.

٣. الغلط: استعمال اللفظ في معنىً غير موضوع له مع عدم وجود مناسبة للمعنى الحقيقي،[1] مثل استعمال لفظ الجلالة «الله» لشخص«سهراب» الذي هو إنسان.

علامات المعنى الحقيقي

قد يطّلع الإنسان إمّا عن طريق نصٍّ أهل اللغة، أو هو نفسه كان من أهل اللغة أنّ هذا اللفظ موضوع لمعنىً كذا.

وقد يكون «وضع اللفظ» مشكوكاً لديه ولا يعرف هل أن اللفظ مستعمل على نحو الحقيقة أو المجاز فإذا كان على سبيل الحقيقة فلا يحتاج إلى قرينة، و إذا كان على سبيل مجاز فيحتاج إلى نصب القرينة. ويمكننا تمييز المعنى الحقيقي عن طريقين:

أقسام المجاز

فيما يتعلق في وقوع المجاز في القرآن الكريم ثمّة رأيان:

قال السيوطي: «لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، وهي: كلّ لفظ بقي على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير، وهذا أكثر الكلام.

وأما المجاز، فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه، وأنكره جماعة منهم الظاهرية، وابن القاص من الشافعية، وابن خويز منداد من المالكية، وشبهتهم أنّ المجاز أخو الكذب، والقرآن منزّه عنه، وأنّ المتكلّم لا يعدل إليه إلّا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى.

وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد، وتثنية القصص وغيرها».[2]

ومن ثمّ ذكر السيوطي كتاباً مستقلاً أفرده بالتصنيف الإمام عزّ الدين ابن عبد السلام، ولخّصه السيوطي مع زيادات كثيرة في كتاب أسماه *مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن*.

واعتبر أنّ المجاز على قسمين:

١. **المجاز اللغوي**

---

١. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ١٩/١.

٢. *الإتقان في علوم القرآن*: ٧١/٢.

ويسمي المجاز في المفرد، ويسمى المجاز اللغوي، وهو: استعمال اللفظ من غير ما وضع له أوّلاً، وأنواعه كثيرة. أحدها: الحذف، والثاني: الزيادة، والثالث: إطلاق اسم الكل على الجزء، والرابع: عكسه، والخامس: إطلاق اسم الخاص على العام. والسادس: عكسه، والثامن: عكسه والتاسع: إطلاق المسبب على السبب. والعاشر: عكسه. والحادي عشر: تسمية الشيء باسم ما كان عليه، والثاني عشر: تسميته باسم ما يؤول إليه، والثالث عشر: إطلاق اسم الحال على المحل، والرابع عشر: عكسه، والخامس عشر: تسمية الشيء باسم آلته، والسادس عشر: تسمية الشيء باسم ضده و....[1]

ملاحظة: إن التعرّض إلى جميع موارد وأمثلة المجاز خارج عن محل هذا البحث، حيث إن هذا الموضوع من بحوث علمي المعاني والبيان، وأمّا هنا فنكتفي بذكر بعض الأمثلة:

﴿... يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم...﴾،[2] أي: أناملهم. (إطلاق الكلّ على الجزء).

﴿... فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾،[3] أي: كسبتم. (إطلاق الجزء على الكل).

﴿... إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،[4] أي: أرسله. (إطلاق الخاص على العام).

﴿... لا يَجِدُونَ نِكَاحًا...﴾،[5] أي: المؤونة من مهر ونفقة. (إطلاق المسبب على السبب).

٢. المجاز العقلي

وهو نفسه المجاز في التركيب، أو المجاز في الإسناد، وهو: إسناد الفعل أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هوله في الظاهر، عند المتكلّم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هوله.[*جواهر البلاغة*: ٢١٢].[6]

مثال: جملة «أنبت الربيع الزهر» فالربيع ليس السبب المباشر في إنبات الزهر، بل هو ظرف زمان للإنبات.

مثال: ﴿...وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾.[7]

---

١. المصدر: ٧٢ـ٨٠.

٢. البقرة: ١٩.

٣. الشورى: ٣٠.

٤. الشعراء: ١٦.

٥. النور: ٣٣.

٦. *الإتقان في علوم القرآن*:٧١/٢.

٧. الأنفال: ٢.

وفي هذه الآية الكريمة نسب زيادة الإيمان إلى الآيات، في حين أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، والآية الكريمة تعد سبباً وواسطةً.

حكم المجاز: عندما يستعمل اللفظ في المعنى المجازي، فإنه يثبت في الأحكام وغيرها.[١]

ولغرض إثبات المعنى المجازي، فإننا بحاجة إلى القرينة الصارفة والمعينة؛ بمعنى القرينة التي تثبت أن المعنى الحقيقي غير مراد، وتعين المعنى المجازي، وتكفي قرينة واحدة لإفادة المعنيين.[٢]

٣. الكناية

الكناية في اللغة: مصدر كنيتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به، و منها أخذت الكنية، لأنّ فيها موراة للإسم، و عدم التصريح به وفي الاصطلاح: استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة غير مانعة من إرادة المعني الوضعي.[٣]

وكتب السيوطي قائلاً: «إن الكناية أبلغ من التصريح، وعرفها أهل البيان بأنها: لفظ أريد به لازم معناه».[٤]

ثم عدد أقسام الكناية ومن جملتها:

١. التنبيه على عظم القدرة

مثال: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾.[٥]

فإن المقصود من «نفس واحدة» آدم.

٢. ترك اللفظ إلى ما هو أجمل، مثل كلمة «زوجها» في الآية المتقدّمة، فإنه كناية عن حواء.

٣. يكون التصريح مما يستقبح ذكره، كالكناية عن الجماع، بالملامسة أوالمباشرة أوالإفضاء أوالرفث أوالدخول أوالسر.[٦]

٤. قصد والمبالغة، مثل ﴿... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾،[٧] وهو كناية عن سعة الكرم الإلهي.

---

١. *أصول التفسير وقواعده*:٢٨٣.

٢. *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن ـ*: ١١٥.

٣. راجع: *مفتاح العلوم*: ١٦٩و ١٧٠؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٢٨٥؛ *روش شناسي تفسير قران*: ١١٧.

٤. الإتقان في علوم القرآن:٤٧/٢.

٥. الأعراف: ١٨٩.

٦. راجع: البقرة: ٢٣٥؛ الأعراف: ٤٧.

٧. المائدة: ٦٤.

حكم الكناية: التوقف في المعاني الكنائية فيها حتى يتبيّن المراد من المستور فيها بالدليل.[١]

وهذا يعني أننا بحاجة إلى قرينة لإيضاح المعنى الكنائي من خلال ألفاظ المتكلم، وإذا ثبت لازم المعنى، فإنه كالمعنى المطابقي المعتبر؛ لأننا بيّناً فيما سبق أنّ الدلالة الالتزامية تعدّ من الدلالات اللفظية وظواهر الكلام.[٢]

٤. التعريض

التعريض، ويسمى التلويح: وهو ما يفهم به السامع مراد المتكلّم من غير تصريح.[٣]

مثال: ﴿... بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾.[٤]

فإن إبراهيمعليه السلام قال لهم أسألوهم، في حين أنّه يعلم بعدم نطقهم، وهذا الكلام جاء على سبيل الاستهزاء وإقامة الحجة بما عرض له به.

ملاحظة: قال الزمخشري في الفرق بين التعريض والكناية: «الكناية: ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له. والتعريض: أن تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره».[٥]

ز) القواعد المشتركة بين التفسير وعلم القراءات

قاعدة: رعاية القراءات المعتبرة للقرآن

مدخل: نبذة تاريخية وأهمية الموضوع

طُرِح مبحث القراءات، واختلاف طرق قراءة القرآن منذ عصر النبي الأكرمصلى الله عليه وآله،[٦] وعلى مدى التاريخ فقد دونت كتب كثيرة في هذا الموضوع،[٧] ويعد موضوع «أصول وأنواع

١. *أصول التفسير وقواعده*: ٢٨٦.

٢. راجع: مبحث الدلالات في هذا الكتاب.

٣. *التعريفات*، الجرجاني: ٥٥.

٤. الأنبياء: ٦٣.

٥. *الإتقان في علوم القرآن*: ٤٨/٢؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٢٨٦.

٦. قصة اختلاف عمر مع هشام بن الحكيم وتحكيم النبيصلى الله عليه وآله فيما يتعلق بالقراءة معروفة. راجع: *صحيح البخاري*:٩٠/٣؛ ١٠٠/٦؛ ٥٣/٨ و ٢١٥؛ *صحيح مسلم*: ٢٠٢/٢، *والترمذي*:٦٠/١١.

٧. راجع: *القراءات واللهجات*، ابن الجوزي؛ *طبقات القراء*؛ *الإتقان*، *سنن البيان* للخوئي، *التمهيد في علوم القرآن* للشيخ معرفة؛ وغيرها.

القراءات واعتبارها» من مباحث تاريخ القرآن وعلومه، وبالأخص قرّاء القرآن الذين يهتمون بالقراءات السبعة، أو العشرة، أو غيرها.

وقد انتشر هذا الموضوع بين الناس، حتى طرحت بعض المباحث الفقهية في قراءة سورة «الحمد»، وصدرت فتاوى حول هذا الموضوع.[١]

ولم يقتصر هذا الموضوع على الفقه، بل أنه طرح في علم الأصول،[٢] كما أن هذا الموضوع بحث في التفسير أكثر من بقية العلوم، مما جعل بعض المفسرين، كالشيخ الطبرسي في مجمع *البيان* أن يفرد قسماً خاصاً للقراءات في كل آية؛ غير أن المفسرين المعاصرين تناولوا هذا الموضوع بشكل أقل، ولعل السبب في ذلك يعود إلى مبانيهم في عدم تواتر أو اعتبار تلك القراءات.[٣]

وكيفما كان، فإن إثبات هذا الموضوع أو نفيه له دور في التفسير، و لابدّ من أن تكون القراءة المعتبرة للقرآن الكريم ـ والتي تعد من مباني التفسير ـ واضحة، و المكان الطبيعي لمبحث القراءات هو في علوم القرآن وتاريخه، غير أننا سنكتفي بطرحه هنا بصورة إجمالية.

مفهوم القراءة

«قرأ» بمعنى الجمع. والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل.[٤]

وفي الاصطلاح، «القراءة تعني وجهاً من محتملات النص القرآني».[٥]

وفي هذا المقام ينبغي أن نفرق بين ثلاثة أمور:

١. القرآن: هو: كلام الله المنزل على رسوله، المكتوب في المصاحف، والذي وصلت جيلاً بعد جيل بالتواتر.

٢. القراءات القرآنيّة: وهي الوجوه التي كان القرّاء ـ وعلى امتداد التأريخ ـ يقرؤون على أساسها القرآن الكريم، ونقلت لنا. وأشهرها القراءات السبع، وأمّا القرّاء السبع فهم:

---

١. راجع: *العروة الوثقى*، السيد محمد كاظم اليزدي، مبحث قراءة الصلاة، المسألة ٥٧و٥٨ وحواشيها.
٢. *أنوار الأصول* (تقريرات درس البحث الخارج) ناصر مكارم الشيرازي: ٣٨١/١.
٣. راجع: *تفسير الميزان*، و*تفسير الأمثل* وغيرها من كتب التفسير.
٤. *مفردات الراغب الأصفهاني*، مادة «قرأ».
٥. *التمهيد في علوم القرآن*: ٩/٢.

نافع بن نعيم المدني (١٧٦ أو ١٦٩ هـ)، عبد الله بن كثير المكّي (٤٥ ـ ١١٠هـ)، عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت١٢٧ أو ١٢٨ هـ)، حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت٨٠ ـ ١٥٦ هـ)، علي بن حمزة الكسائي (١٧٩ أو ١٨٩هـ)، أبو عمر بن العلاء البصري (٧٠ ـ ١٥٤ هـ)، عبد الله بن عامر الدمشقي (٢١ ـ ١١٨ هـ).

وكذلك وجود القراءات العشر، أو الأربع عشرة ورواة القراءات السبع، فلكلٍ منها قراءة أو رواية خاصّة.[١]

٣. القرآن المكتوب: وهو الخط الذي كتب بهـ القرآن في عصر النبيﷺ، ومن ثمّ في خلافة عثمان قام بجمع المصاحف في مصحف واحد، وعلى امتداد التاريخ جرت عليه تغييرات جزئية في رسم الخط، كالكوفي، والنسخ، وغيرهما. وقد تطور تاريخياً ووضعت وعليه العلامت و الحركات مع النقط.[٢]

يده مناقشة التواتر وحجية القراءات السبع:

إن دراسة هذا الموضوع ومناقشته بحاجة إلى البحوث الرجالية والأصولية والفقهية والتي عادة ما تبحث بشكل كامل في «مباني وأصول القراءات»، ونحن هنا نشير إلى المقدار الضروري من الآراء والأدلة:

أ) مؤيدو التواتر وحجيّة القراءات السبع: ادعى الزركشي: أنّ جميع القراءات السبع متواترة،[٣] وكذا الزرقاني قال بتواتر القراءات السبع عن النبيﷺ، وهو ما ذهب إليه المحققون من الأصوليين، والقراء، كابن السبكي، وابن الجزري والنويري،[٤] ومن ثمّ صرَّح برأيه المبني على تواتر القراءات العشر.[٥]

---

١. راجع: *طبقات القراء*، *القراءات واللهجات*، ابن الجوزي؛ *پژوهشي در تاريخ قرآن كريم ـ التحقيق في تاريخ القرآن الكريم* ـ ٣٠٩ وما بعدها.

٢. أول من نقَط القرآن، يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذا أبي الأسود الدئولي، وقد وضعا العلامات والحركات مع النقط بتوجيه من أبي الأسود الدؤلي، وقد قام الخليل بن أحمد الفراهيدي بضبط الحركات. راجع: مناهل العرفان:١/٣٣٩ ـ ٤٠٠؛ تاريخ القرآن: ٦٨؛ *تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام*: ٥٢؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٣٦٠ ـ ٣٦٣؛ *دائرة معارف القرن العشرين*:٣/ ٧٢٢ و *پژوهشي در تاريخ قرآن كريم ـ التحقيق في تاريخ القرآن الكريم* ـ ٣٨٥ وما بعده (وقد بحث في الكتاب الأخير تاريخ تدوين وتطور خط القرآن الكريم).

٣. *البرهان في علوم القرآن*: ٤٦٦.

٤. *مناهل العرفان*:١/٤٣٦.

٥. المصدر:٤٧٠.

ويرى المرحوم السيد محمد جواد العاملي مؤلف كتاب *مفتاح الكرامة*: أنّ أكثر علمائنا يذهبون إلى وجوب القراءة على أساس ما تواتر من قراءات، وهي القراءات السبع. ناقلاً الإجماع أو عدم الخلاف على تواتر القراءات السبع.[1]

يضاف إلى دليل الإجماع والتواتر، فقد اعتبروا.[2] أن القراءات السبع قد تكون مصداقاً لرواية النبيﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف».[3]

ب) مخالفو تواتر القراءات السبع: أنكر بعض المحققين كالسيد الخوئي،[4] وصاحب تفسير *أطيب البيان*،[5] وابن طاووس، ونجم الأئمة، والمحدّث الكاشاني، والسيد الجزائري، والوحيد البهبهاني، والزمخشري، والفخر الرازي،[6] والزركشي ـ تواتر القراءات السبع؛ وعلى فرض صحة سندها، فإنّها مسندة إلى النبيﷺ بخبر الواحد.[7]

وقد أثبت الشيخ معرفة عدم تواتر القراءات، وأكّد على أنّ هذا الموضوع لا ربط له بأصل تواتر القرآن،[8] ومن ثمّ نقل الشيخ كلام الشهيد الثاني في كتابه *المقاصد العليّة في شرح الألفية*، والذي يقول فيه: «إنّ كلاً من القراءات السبع، من عند الله، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلينﷺ تخفيفاً على الأمة وتهويناً على أهل هذه الملة»، معتبراً كلام الشهيد غريباً، وصدر منه من غير تحقيق.[9]

وقد اعتبر بعض المحققين: أنّ أقصى تواتر يمكن القبول به، بالنسبة إلى القراءات السبع، هو تواترها عن القراء المذكورين، على الرغم من أنّ هذا التواتر نفسه بحاجة إلى دراسة ونقاش، ولكن لا دليل صحيح وموثوق على تواتر هذه القراءات في عصر القرّاء السبعة، وما

---

١. راجع: *مفتاح الكرامة*:٢/٤٣٤.

٢. راجع: *صحيح البخاري*: ٦/٢٢٧ و ٢٢٨؛ *صحيح مسلم*:٢/٢٠٢ و ٢٠٣ و*مسند أحمد*:٥/١٢٧.

٣. (اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً. الثالث أن المراد بها سبع قراءات) *الإتقان*:١/١٤٥؛ *تأويل مشكل القرآن*: ٣٣.

٤. راجع: *البيان في تفسير القرآن*، الخوئي: ١٦٥ و ١٧٢ (حيث ذكر عشرة أشخاص من الذين ينكرون تواتر القراءات).

٥. راجع: *أطيب البيان*:٦٢٧ و ٦٢٨.

٦. راجع: *مفتاح الكرامة*: ٢/ ٣٩٠؛ *مستمسك العروة الوثقى*:٦/٢٣٤؛ *كتاب الصلاة*:٢/ ٨٨؛ *البرهان في علوم القرآن*:١/٣١٨؛ *التمهيد في علوم القرآن*:٢/٤٧ ـ ٨٨؛ *جواهر الكلام*:٩/٢٩٥؛ *كتاب الصلاة*: ٢٠٤.

٧. راجع: *البيان*: ١٤٠ ـ ١٦٥.

٨ *التمهيد في علوم القرآن*: ٢/٤٧.

٩. نفس المصدر: ٥٧ و ٥٨.

قبله، انتهاءً بعصر الصحابة والرسول الأعظمﷺ. إنّ استقراء حال الرواة يثبت أنّ القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد.[١]

مناقشة أدلة الموافقين

أدلة الموافقين هي:

١. دعوى الإجماع: ومع الأخذ بعين الاعتبار أن جمعاً كثيراً من علماء الشيعة والسنّة، قد أنكروا لتواتر القراءات فلا يمكن قبول دعوى الإجماع.

٢. دعوى التواتر: ومع الالتفات إلى ضعف السند، أو خبر الواحد في القراءات السبع، فإنه لا يمكن إثبات القرآن عن طريقها؛ لأنّ القرآن يثبت بالتواتر، بالشكل الذي يؤدي إلى القطع، حيث يكون بالإمكان نقل الآية ونسبتها إلى الله تعالى، غير أنّ خبر الواحد على الأكثر يفيد الظن والقرآن لا يثبت بالظن، وهذا النحو من نقل القراءات السبع أو العشر أو غيرها لا يمكن نسبته إلى الله تعالى، ولا يكون حجةً أو أصلاً تفسيرياً.

٣. القراءات السبع، هي مصداق لرواية: «نزل القرآن على سبعة أحرف»: أعتبر بعض المحققين أنّ هذا المطلب (وعلى فرض صحة سند الرواية أعلاه) غير صحيح.[٢] فإن ابن مجاهد، والقراء السبعة جاءوا بعد النبيﷺ بعد قرون، ولا يستطيعون أنْ يبيّنوا مقصود النبيﷺ في زمن نزول القرآن.

ومما يجدر ذكره أن بعض الروايات الشيعية، تعلن رفضها لمسألة نزول القرآن على سبعة أحرف، حيث حكي عن الإمام الصادقؑ: «أنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة».

وعن الفضيل بن يسار، قال قلت لأبي عبد اللهؑ: «إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد».[٣]

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن ـ*: ٦٩.

٢. (وقد ظن جماعة ممن لا خبرة له بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبيﷺ بقوله «نزل القرآن على سبعة أحرف» فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف، من تلك الأحرف، ولقد اخطأ من نسب ذلك إلى ابن مجاهد). (راجع: *البرهان في علوم القرآن*:٣٠٥/١) النوع الحادي عشر (أبو شامة المقدسي) (ت٦٥٥) (*المرشد الوجيز*: ١٤٦).

٣. *أصول الكافي*:٦٣١/٢.

وكذا حكيت روايات نزول القرآن على سبعة أحرف في المصادر الشيعية، إلا أنّ سند تلك الروايات ضعيف أو هو مورد شك.[١]

ماهي القراءة التي يعتمد عليها المفسرون؟

ثمة آراء ونظريات في هذه النقطة:

١. جواز تفسير القرآن بكلّ القراءات بالشروط الثلاثة التالية:

قال خالد بن عثمان السبت في *قواعد التفسير*، القاعدة التالية: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة».[٢]

وقال في القاعدة التي تلتها ما نصه: «تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات».

وقال أيضاً مبيناً مراده: «إذا كان لكل قراءة تفسير يغاير القراءة الأخرى، فإن القراءتين بمنزلة الآيتين».[٣]

مثال: قوله تعالى﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾،[٤] وفي قراءة ﴿المجيدِ﴾ بالكسر، فقراءة الرفع يكون (المجيد) صفة لله عزّ وجلّ، وعلى قراءة الجر يكون (المجيد) صفة للعرش فكأنهما آيتين.[٥]

وهذا من عجائب تاريخ التفسير وقراءات القرآن، حيث يعتقد البعض بتواتر القراءات السبع (أو العشر)، وفي نفس الوقت يقبل إذا كانت للآية عدة قراءات فإنها تكون بمنزلة آيتين أو عدة آيات، في حين أنه ثبت أن القراءات هي غير القرآن، والتي هي أخبار آحاد لا يمكن إثبات القرآن عن طريقها.

وقد استبعد الزركشي توجيه هذا الاختلاف في القراءات بقوله: «وقد جعلوا تعارض القراءتين في آية واحدة كتعارض الآيتين»؛ لأنه قد يستلزم وجود آيتين متناقضتين في القرآن وهو محال.[٦]

---

١. راجع: *التمهيد في علوم القرآن*:٩٣/٢ و ٩٤.

٢. *قواعد التفسير*:٨٤/١.

٣. المصدر/٨٨ وكذا راجع: *مجموعة الفتاوى*:١٣، ٣٩١، ٣٩٢؛ *البرهان*:٣٢٦/١؛ *الإتقان*:١، ٢٢٧؛ *أضواء البيان*:٨/٢؛ *فصول في أصول التفسير*: ١٢٨؛ *شفاء العليل*:٩٦.

٤. البروج: ١٥.

٥. *قواعد التفسير*:٨٨/١

٦. *البرهان*:٣٢٦/١.

وهنا نشير إلى كلام ابن قتيبة الذي يوضح فيه شأن القرّاء والقراءات: حيث إنّ كثيراً من القراء المشهورين ومن جملتهم القراء السبعة، لم يكن لهم فهم كاف، وكانوا يطلبون الشهرة، وأكثر ما كانوا يقرؤونه كان بدعةً ولم يقرأ النبيﷺ طبقاً له:

وبناءً عليه فإن يمكن القول: إن قراءات القرّاء (وبالأخص المتأخرين منهم) لا تكون حجّة.

قال ابن قتيبة: «وكذلك لحن اللاحنين من القرّاء المتأخرين، لا يجعل حجة على الكتاب وقد كان الناس قديماً يقرأون قديماً بلغاتهم. ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع باللغة وعلم المتكلف، فهفوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرأوا بالشاذ واخلوا. منهم رجل (يريد حمزة بن حبيب أحد القراء السبعة) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقرّبه من قلوب بالدين، لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءاته أكثر تخليطاً ولا أشد اضطراباً منه... وليس هكذا كانت قراءة رسول اللهﷺ ولا خيار السلف والتابعين ولا القرّاء العالمين...».[١]

٢. جواز تفسير القرآن وفقاً لقراءة المسلمين المتواترة: تبين مما سبق أن القرآن غير القراءات، والقراءات ليست متواتراً، وأما نفس القرآن فقد وصل إلينا متواتراً عن النبيﷺ، وأنّ جميع المسلمين كانوا يقرأونه جيلاً بعد جيل، وهذه القراءة المتواترة هي حجّة علينا وتعدّ أصلاً لتفسير القرآن.

وأن قراءة حفص عن عاصم هي أكثر القراءات تطابقاً مع قراءة المسلمين المتواترة، ومن هنا نالت رواجاً وشهرة عندهم، أكثر المسلمين في عصرنا يعتمدونها قراءة وكتابةً، وإذا لم تكن قراءة عاصم موافقة لقراءة المسلمين، فإنها لا تعدو أن تكون خبراً واحداً، وهو ليس بحجة.

وقد حكي، أن المهاجرين والأنصار قاطبة عند الصلاة لم يعدلوا عن قراءة عامّة الناس،[٢] وكان أبو عبد الرحمن السلمي ولمدة ٤٠ عاماً في مسجد الكوفة يعلّم طلاب القرآن وفقاً لقراءة عامّة الناس،[٣] وألزم تلميذه عاصم الكوفي بتعلّم وتعليم قراءة عامة الناس.[٤]

---

١. *تأويل مشكل القرآن*:٥٨ـ٦٣. وراجع: *البحر المحيط*:٣١٩/٧؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٣٦/٢ـ ٣٨.

٢. *المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز*، أبو شامة المقدسي: ٦٨ـ١٤٤.

٣. *معرفة القراء الكبار*، الذهبي:٢٧٢/١؛ ٥٦٣/٢.

٤. *معرفة القراء الكبار*، الذهبي:١٤١/؛ غاية النهاية، ابن الجزري:٢٥٤/١.

ويظهر أن هذا المطلب هو الذي حكي في أحاديث اهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة.[١]

وكذا ورد عن الإمام الصدق عليه السلام أنه يأمر بقراءة القرآن كما يقرأ الناس، فقد روى محمد بن يعقوب، عن بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم بن أبي سلمة. قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

كفّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس.... .[٢]

ومن الواضح أن مقصود الإمام الصادق عليه السلام ليس القراءة وفقاً للقراءات السبع للقرآن؛ لأن الإمام الصادق عليه السلام توفي في سنة ١٤٨هـ وقد عاش بعض القراء بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام، مثل الكسائي(ت/٢٤٠هـ)، نافع (ت/١٦٩هـ)، وحمزة(ت/١٥٦هـ).

إذن جواز القراءة يختص بقراءة عموم الناس، بمعنى جواز القراءة طبقاً للقراءة المشهورة والمتواترة عند المسلمين،[٣] وهذا الجواز يستلزم جواز تفسير القرآن؛ لأن القرآن وصلنا متواتراً عن النبي صلى الله عليه وآله وكان عموم المسلمين يقرأونه.

---

١. *أصول الكافي*:٦٣٠/٢.

٢. بعضهم ضعّف سند هذه الرواية؛ لأن سالم بن سلمة الوارد في سند الرواية مجهول، وربما هذا هو السبب الذي ضعف الحديث من أجلة في كتاب *مرآة العقول*.

البعض وفي صدد الدفاع عن هذه الرواية، ذهب إلى أنّ هذه الرواية نقلت في *وسائل الشيعة* عن سالم بن أبي سلمة، وعبد الرحمن بن هاشم في أبواب الفقه نقل عن سالم بن أبو سلمة ولكنه لم ينقل عن سالم بن سلمة.

فيكون نقل صاحب *الوسائل* صحيح وتضعيف الشيخ ل«لسالم ابن أبي سلمى» كان لهذا السبب فقد اعتبره مع سالم بن مكرم (المعروف بابي خديجة) شخصاً واحداً، في حين هما شخصان، وسالم بن أبي سلمى موثق من قبل النجاشي. (*روش شناسي تفسير قرآن*: ٧٢ و ٧٣).

٣. ورد في ذيل الرواية في *أصول الكافي* (حتى يقوم القائم قرء كتاب الله عز وجل على حدّه، وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام و...) والمقصود من الرواية أن راوي القرآن يقرأ مع التأويل وشأن النزول والتفسيرات المنقولة عن اهل البيت عليهم السلام التي كانت تختلف عن القراءة العادية للناس، ومن هنا منع الإمام عليه السلام منها وقال اقرأ كما يقرأ الناس. إلا أن الظهور البدوي للرواية ليس ناظر إلى القراءة الاعتيادية للقرآن، رغم أن قراءة القرآن طبقاً للطريقة العادية للناس هي القراءة المطابقة للقراءة المتواترة بينهم، ولا يبعد عدم وجود المانع من الاستفادة من الرواية السابقة.

وقد صرّح بعض المفسرين بهذا المطلب؛ من جملتهم العلامة البلاغي حيث كتب قائلاً: «ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامّة المسلمين جيلاً بعد جيل، استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد، فلم يؤثّر شيئاً على مادته وصورته، وما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القرّاء السبعة المعروفين وغيرهم، فلم تسيطر على صوته قراءة أحدهم إتباعاً له ولو في بعض النسخ و...ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً فضلاً عن وهنها بالتعارض، ومخالفتها للرسم المتداول بين عامة المسلمين في السنين المتداولة».[1]

وكتب آية الله طيب قائلاً: «ذهبت جماعة إلى أن القراءة الجائزة للقرآن هي القراءة المطابقة للمشهور، ومنهم المرحوم الشيخ البلاغي رحمه الله والنظر الصحيح هو القول الأخير.[2]

والقراءة الوحيدة منذ عصر النبي صلى الله عليه وآله وإلى يومنا هذا هي قراءة المسلمين المعتبرة والتي وصلتنا بالتواتر. والدليل على هذا المدّعى هو أن آيات القرآن التي نزلت تعامل معها المسلمون بكل جديّة ورغبة وضبطوها مكرراً مصححين لها، ومجموعة كبيرة في عهد النبي صلى الله عليه وآله كانوا يحفظونها ويقرأونها على رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد تلك الفترة كتبت آلاف المصاحف، وتكفّل بحفظها الآلاف، وإذا كان ثمة قرآن يخالف قراءة المسلمين المتواترة فإنهم يقومون بتصحيحه، يضاف إلى ذلك وجود المصاحف الكثيرة المنافسة، وإذا كان هناك شخص يقرأ على خلاف قراءة المسلمين المتواترة فإنه يعد مخطئاً، وحتى الأشخاص الراغبين بمراعاة قراءات القراء، فإنهم يشيرون إلى ذلك في حواشي القرآن وباللون الأحمر.

ومن هنا فإنّ قراءة المسلمين وصلتنا متواترة، بل أكثر من ذلك، فمنذ زمن النبي صلى الله عليه وآله وصلتنا بلا أدنى خدشة. وإذا كان هذا النحو من التواتر فيه مشكلة فإنه لا يتفق مع التواتر. وفي هذه الحالة يجب أن نتأمل في سند القرآن، ومن هنا يعرف أن القراءة المكتوبة المطابقة لقراءة حفص عن عاصم هي خاطئة، بل إن كانت قراءته مطابقة لقراءة القرآن المتواترة، وما قبل حفص وعاصم، فإن جميع المصاحف كانت تقرأ طبقاً. لتلك القراءة التي كان يقرأها المسلمون.

---

١. *آلاء الرحمن في تفسير القرآن*: ٢٩/١.

٢. *تفسير أطيب البيان*: ٦٢٧/١.

والدليل الآخر هو أن قراءة المسلمين كانت متواترة بإجماع المسلمين، بل إن ضرورة الدين تقتضي أن تكون صحيحة ولا يستطيع أي شخص أن يشكل عليها، وأما غير قراءة المسلمين المتواترة، فإنّها إن لم تكن باطلة فهي محل شبهة وإشكال، وعليه يجب علينا أن لا نترك الأمر القطعي ونعمل بما هو مشكوك».[١]

الشيخ معرفة، وبعد أن بيّن أن القراءات السبع ليست متواترة، قال: «المعروف من مذهب أهل البيت عليهم السلام: أنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة كما في الحديث المتّفق عليه عن الصادق عليه السلام، وعلى ذلك سار فقهاء الإمامية خلفاً عن سلف، لم يشذّ عنهم أحد لا قديماً ولا حديثاً».[٢]

ومن ثمّ أكد الشيخ على الاختلاف بين القرآن والقراءات وقال:

«إن النص الأصلي هو ما ثبت في المصحف الكريم، والذي اجتمعت الأمة عليه نصاً واحداً، وإنّما جاء الاختلاف في كيفية قراءته وفي أسلوب تعبيره، الأمر الذي لا يتنافى وثبوت تواتر الأصل...ويزيدنا وضوحاً ما قدمناه سابقاً: أن اختلاف القرّاء كان عن اجتهاد منهم في تحقيق الكلمة تعبيراً في حين وحدة النص الثابت في المصحف».[٣]

وأضاف قائلاً: «ونحن إذا كنا نعتبر القرآن ذا حقيقة ثابتة ومستقلاً بذاته متغايراً عن القراءات جملة، فإن مسألة (اختيار القراءة الصحيحة) عندنا منحلّة، وهي التي تتوافق مع النص المتواتر بين المسلمين، منذ الصدر الأول وإلى الآن، ولم يكن اختلاف القراءات سوى الاختلاف في كيفية التعبير عن هذا النص، حسب اجتهادات القرّاء ولا عبرة بهم إطلاقا وإنما الاعتبار بالنص الأصل المحفوظ كاملاً على يد الأمة عبر الأجيال».[٤]

ويمكن أن نفهم من هذا الكلام أنّ الملاك الأصلي لتفسير القرآن، هو القراءة المطابقة للنص المتواتر عند المسلمين، وليس القراءات السبع أو غيرها.

بعض المحققين المعاصرين وبعد أن قام بدراسة تواتر القراءات كتب قائلاً: «إنّ في

---

١. *تفسير أطيب البيان*:١/٣١ـ٣٢.

٢. *التمهيد في علوم القرآن*:٢/٤٧.

٣. المصدر:٥٧.

٤. المصدر:٨٢.

مواضع اختلاف القراءات، فإنه لا يمكن تفسير القرآن بها حتى لو كانت من القراءات السبع، إلا إذا كانت مراداً احتمالياً؛ لأنّها جميعاً ليست قرآناً حقيقياً».[١]

ملاحظة: يحتمل أن تكون مسألة عدم اعتبار القراءات في التفسير هي التي دفعت الكثير من المفسرين المتأخرين إلى عدم الاهتمام ببحث القراءات، واختصار البحث فيه.

موافقة القراءة مع قراءة المسلمين المتواترة

وكما مرَّ سابقاً أن القراءات بذاتها ليست متواترة، وغير حجّة، ولا يثبت القرآن بها؛ بل إن القرآن هو الألفاظ المتواترة التي وصلتنا بشكل متواتر عن النبيﷺ وقرأ على أساسها مشهور الناس، والتي عادة ما تكون مطابقة لقراءة حفص عن عاصم.[٢]

فإذا كان عندنا قراءتان في آية واحدة مثل «مالك» و«ملك»، وكلتاهما مشهورتان،[٣] ويكون معناهما مختلفاً، ففي هذه الحالة نعود إلى قراءة عموم الناس، لقول الإمام: «اقرأ كما يقرأ الناس»،[٤] ونلاحظ أن قراءة «مالك» منسجمة مع قراءة عامة الناس بالشكل الذي يطابق ما هو مكتوب في القرآن (وهو ما ينسجم مع قراءة عاصم) ومن ثمّ نجعلها أصلاً للتفسير والقراءة.[٥] ونترك القراءة الثانية «ملك»؛ وبالطبع فإن تواتر أية قراءة على طول تأريخ المسلمين يورث القطع و وهو يورث الحجية.

ملاحظة١: مطابقة هذه القراءة لقراءة عاصم لا يدل على اعتبارها؛ بل من جهة أن قراءة عاصم موافقة للقراءة الاعتيادية والمتواترة للمسلمين. ولعل مقصود الشيخ معرفة من موافقة القراءة مع النص المتواتر والمكتوب هو ما ذكرناه آنفاً.[٦] وبناءً عليه فإن الرأي الثاني والرابع متساوقان، متشابهان (عدا ما في الشروط الإضافية).

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن*: ٧١.

٢. بعض المعاصرين قال: إنّ تطابق قراءة عاصم مع القرآن المكتوب والمتواتر عند المسلمين دعوى بدون دليل (*روش شناسي تفسير قرآن*: ٧٩) ولكن مع التأمل والتدقيق فيما يتعلّق باختلاف القراءات ومقارنتها بقراءة المكتوب والمتواتر بين المسلمين، يتضح ان تطابق قراءة عاصم معها دعوى بدليل.

٣. الطبرسي في *مجمع البيان*:١، ذيل الآية ٤ من سورة الحمد كتب قائلاً: «قرأ عاصم، والكسائي، وخلف ويعقوب الحصري: «مالك» بالألف، والباقون «ملك» بغير ألف.

٤. *أصول الكافي*:٦٣٣/٢.

٥. ربما يمكن أن نطلق على هذه الطريقة «سيرة المسلمين في قراءة القرآن».

٦. وهذا المطلب تفضل به الشيخ في مناقشات شفهية.

ملاحظة٢: فيما يتعلّق بجواز القراءة في الصلاة، ثمَّة مباحث فقهية مفصّلة بحثها الفقهاء في موضوع «قراءة الصلاة».[١]

وهذه المباحث خارجة عن محل البحث ولسنا بحاجة للخوض فيها، ولكن نكتفي بالإشارة فقط إلى أساس مبنى حجية القراءة المتواترة للمسلمين (والتي تطابق مكتوب القرآن وغالباً ما تكون موافقة لقراءة حفص عن عاصم)، فإنّه يوضح مبحث قراءة القرآن في الصلاة؛ لأن القرآن لا يثبت بالقراءات السبع وغيرها.

وعليه فإن اشتغال ذمة المكلف بالصلاة والقراءة يقتضي حصول البراءة اليقينية، وأنّ أداء التكليف والبراءة فقط تحصل مع القراءة المتواترة للمسلمين.

ملاحظة٣: قد يكون المقصود من القراءات هو اختلاف اللهجات؛ مثل لهجة عرب العراق، أو مصر، وسورية، ولهجة غير العرب عند قراءة القرآن وعند الصلاة. وهذا الموضوع لا ربط له بمبحث«قراءات القرآن» وتفسيره؛ لان اختلاف اللهجات من أمر طبيعي.

ح) القواعد المشتركة بين التفسير وعلوم القرآن

١. قاعدة النسخ

مدخل: نبذة تاريخية وأهمية القاعدة

حظي مبحث النسخ ومنذ القدم باهتمام المفسّرين و المهتمّين بعلوم القرآن،[٢] وكذا علماء أصول الفقه والفقهاء؛[٣] لأنّ له ـ وعلى فرض إثباته ـ تأثير كبير ودور مهم في تفسير الآيات والأحكام الفقهية.

ومما يلحظ أنّ بعض المحققين ذكر مسألة النسخ ضمن القواعد التفسيرية.[٤]

---

١. راجع: *العروة الوثقى*، أحكام القراءة، (مسألة ٥٨: يجوز في كفواً احد أربعة وجوه، مسألة ٥٧: يجوز قراءة مالك وملك يوم الدين و..)؛ مستمسك *العروة الوثقى*، في شرح مبحث قراءات الصلاة، *العروة الوثقى وتحرير الوسيلة*، والكتب الفقهية *كالجواهر*، وغيرها.

٢. راجع: *البرهان*، الزركشي؛ *الإتقان*، السيوطي، *التمهيد في علوم القرآن*، معرفة، *البيان*، الخوئي، وغيرها.

٣. راجع: *كفاية الأصول*؛ *الرسائل*، الشيخ الأنصاري؛ *أصول الفقه*، *حلقات الأصول*، وغيرها.

٤. راجع: *قواعد التفسير*: ٢ / ٧٢٤؛ *أصول التفسير* وقواعده: ٢٩٧.

ومن هنا فإن هذا المبحث بحث بشكل موسع في علوم القرآن وأصول الفقه،[١] ونحن سنشير وبشكل مختصر إلى المباحث العامة للنسخ، ونركّز على المباحث الخاصة للنسخ القرآني.

مفهوم النسخ

النسخ في اللغة هو: «إزالة شيء بشيء يتعقّبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب. فتارة يفهم منه الإزالة وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران. ونسخ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يتعقّبه.[٢]

وفي الاصطلاح هو: «رفع تشريع سابق ـ كان يقتضي الدوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق، بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إمّا ذاتاً، إذا كان التنافي بينهما بيّناً، أو بدليل خاص، من إجماع أو نص صريح».[٣]

فإذا كان الحكم محدوداً وصريحاً من أول الأمر، فارتفاعه بانتهاء أمده لا يكون نسخاً في الاصطلاح.

وهكذا إذا ارتفع تكليف عند مصادفة حرج، أو اضطرار أو ضرر شخصي، أو لمصلحة وقتية، لا يكون من النسخ في شيء، واختلاف النسخ عن التخصيص والتقييد هو رفع الحكم عن تمام أفراد الموضوع.

وأما في التخصيص والتقييد، ورفع الحكم عن بعض أفراد الموضوع، عن طريق المخصص أو المقيّد.[٤]

ملاحظة: إن مفردة النسخ في اصطلاح القدماء ليست بالمعنى الاصطلاحي المعاصر، والذي هو: رفع الحكم عن الآية؛ بل بمعنى التخصيص أو التقييد بالاصطلاح الحديث، وربما هو الذي دفع القدماء إلى أنّ الآيات المنسوخة كثيرة.

وهذا ما صرح به بعض علماء الإسلام، ومن جملتهم: خالد بن عبد الرحمن السبت في *قواعد التفسير*، فقال: «تعريف النسخ في الاصطلاح: يطلق عند السلف ويراد به البيان، فيدخل فيه تخصيص

---

١. راجع: المصادر المتقدمة.

٢. *مفردات غريب القرآن*، الراغب الأصفهاني، مادة (نسخ).

٣. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ٢٧٤.

٤. المصدر.

العموم، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، ورفع الحكم(وهو النسخ في اصطلاح المتأخرين).[١]

وفي هذا المورد كتب الشيخ معرفة قائلاً: «إطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً في متداول السلف، ومن ثمَّ أكثروا القول في عدد الآي المنسوخة».[٢]

أقسام النسخ

للنسخ تقسيمات متعدد نشير إلى قسم منها:

١. النسخ في التقسيم التقليدي، وهو ينقسم إلى عدة أقسام:

أ) نسخ الحكم والتلاوة: ويعني رفع حكم الآية المنسوخة وسقوطها من القرآن، ومثالها آية «الرضاع».[٣]

وقد رفض علماء القرآن هذا النوع من النسخ؛[٤] لأنه يستلزم تحريف القرآن.

وضرب الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك، مثالاً على هذا النوع من النسخ بنسخ استقبال بيت المقدس، باستقبال الكعبة، ونسخ صيام عاشوراء بصيام رمضان،[٥] في حين أن المورد الأول من باب نسخ السنة بالقرآن، والمورد الثاني دعوى بلا دليل، وكلاهما يستلزم تحريف القرآن.

ب) نسخ الحكم دون التلاوة: وهذا النوع من النسخ مشهور ضربت له أمثلة متعددة، وعد بعض القدماء أنّ مائتي آية منسوخة،[٦] إلا أن بعض المحققين لم يرتض ذلك إلا نسخ آية واحدة وهي آية النجوى.[٧]

وهذا المورد بحاجة إلى توضيح وهو أن بقاء أصل مطلوبية الحكم، إلا أن الوجوب يرفع.

---

١. *قواعد التفسير*: ٢ / ٧٢٥، وكذا راجع: *الاستقامة*: ١ / ٢٣؛ *مجموع الفتاوى*: ١٣ / ٢٩و٢٧٤؛ ١٠١/١٤؛ *أعلام الموقّعين*: ١ / ٣٥؛ ٢ / ٣١٦؛ *الموافقات*: ٣ / ١٠٨.

٢. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ٢٧٨.

٣. في حديث عن عائشة قالت: كان فيما أنزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» ثمّ نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن (*صحيح مسلم*: ٢ / ١٦٧؛ *سنن الترمذي*: ٣ / ٤٥٦).

٤. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ٢٨٣.

٥. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٠٠.

٦. المصدر: ٢٩١و٣١٧.

٧. المجادلة: ١٢؛ راجع: *البيان في تفسير القرآن*، مبحث نسخ.

ج) نسخ التلاوة دون الحكم: وقد ادّعي لهذا النوع من النسخ بنسخ آية«رجم الشيخ والشيخة».[١]

وقبل بعض المحققين المعاصرين في قواعد التفسير هذا النوع من النسخ بالرواية.

إلا أنّ أصحاب النظر والمحققين في علوم القرآن، لم يقبلوا هذا النوع من النسخ، لأنه يستلزم تحريف القرآن.[٢]

٢. تقسيم النسخ بلحاظ الناسخ والمنسوخ:

أ) نسخ القرآن بالقرآن: وهذا النوع من النسخ جائز، وقد ادعي وجوده في موارد متعددة من القرآن، إلاّ أنّ وقوعه محل شك حقيقي، والمثال الوحيد الذي قُبِل هو آية النجوى،[٣و٤] غير أنّه ـ وكما مرَّ سابقاً ـ قد نوقش في هذا المثال.

ب) نسخ السنّة بالقرآن: وهذا النوع جائز أيضاً وواقع في القرآن، ومثاله المشهور مسألة القبلة التي كانت في صدر الإسلام ﷺ حيثُ كان المسلمون ـ وعلى أساس سنة الرسول ـ يتجهون في الصلاة إلى بيت المقدس، وبعد نزول آيات تغيير القبلة،[٥] صارت قبلة المسلمين اتجاه الكعبة.[٦]

ج) نسخ القرآن بالسنة القطعية أو الإجماع: وقد قبل هذا النوع من النسخ الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك، حيث كتب قائلاً: «ودليل ثبوت نسخ الكتاب بالسنة ما جاء في الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قرأ في صلاته سورة المؤمنين، فأسقط منها آية، ثمّ قال: بعد الفراغ: «ألم

---

١. عن عمر بن الخطاب: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم». [راجع: *صحيح البخاري*: ٨ / ٢٠٨ـ٢١١؛ *صحيح مسلم*: ٥ / ١١٦ و ٤ / ١٦٧؛ *المستدرك*: ٤ / ٣٥٩؛ *مسند احمد*: ٢٣/١ و ٢ / ٤٣؛ *سنن الترمذي*: ٤ / ٣٩ و ٣ / ٤٥٦؛ وكذا *الإتقان*: ٣ / ٧٢ـ٧٥؛ *الدر المنثور*: ٤ / ٣٦٦؛ *المحلى*: ١١ / ٢٣٤ـ٢٣٦].

٢. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ٢٨٧؛ *البيان*: ٣٠٤.

٣. المجادلة: ١٢.

٤. ذهب السيد الخوئي في البيان، إلى أن آية الوحيدة التي نسخت هي آية النجوى، وناقش في نسخ الايات الأخرى، و أمّا الشيخ معرفة في المجلد الثاني من *التمهيد*، ذهب إلى نسخ ثمان آيات، إلا أنّه أنكر أخيراً وقوع أصل النسخ المصطلح في القرآن [في مقابلة شفهية معه].

٥. البقرة: ١٤٤.

٦. راجع: تفاسير القرآن، ذيل الآيات من سورة البقرة، ١٤٤ـ١٥٠.

يكن فيكم أُبيّ»؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «هلا ذكّرتنيها»، فقال ـ أي: أبي ـ: «ظننت أنها نسخت» فقالﷺ: «لو نسخت لأنبأتكم بها».

فاعتقاد الصحابة أن الكتاب تنسخ أحكامه بالسّنة، والرسول عليه الصلاة والسلام لم ينكر عليهم ذلك، يدلّ دلالة قطعية على جواز نسخ الكتاب بالسنة».[١]

مثال آخر لنسخ القرآن بالسنة، فقد ادعي نسخ الآية التالية:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ...﴾.[٢]

ففي الجاهلية كان العرف يقضي ببقاء المرأة المتوفى عنها زوجها سنة كاملة في بيتها وينفق عليها من تركته.

وقد نسخت الآية بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾،[٣] والتي هي أربعة أشهر وعشرة أيام.

وقد ادّعي الإجماع على النسخ،[٤] وكذا وردت روايات متعددة من الشيعة والسنة وبالأخص عن أمير المؤمنينؑ والإمامين الباقر والصادقؑ،[٥] بنسخ الآية ٢٤٠ من سورة البقرة بآيات العدة والإرث.[٦]

ويرى بعض المحققين بجواز هذا النوع من النسخ،[٧] واعتبر أن هذه الطريقة مطابقة لإجماع الأمة في جميع العصور فيما يتعلّق بالآيات المنسوخة.[٨]

قد أشكل على ذلك بما يلي:

١. يكون هذا الموضوع صحيحاً فيما إذا كان «الإجماع» حجة في تفسير القرآن، قد اختلفوا في ذلك.[٩]

---

١. *أصول التفسير وقواعده*: ٣٠٣.

٢. البقرة: ٢٤٠.

٣. البقرة:.٢٣٤.

٤. النساء: ١٢.

٥. *تفسير شبر*: ٧٦.

٦. راجع: *بحار الأنوار*: ٩٣ / ٦؛ *تفسير الصافي*: ١ / ٢٠٤؛ *الدر المنثور*: ١ / ٣٠٩؛ *وسائل الشيعة* ١٠ / ٤١٥، كتاب الطلاق، أبواب العدد، باب ٣٠.

٧. *قواعد التفسير*: ٢ / ٧٢٩؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٣٠٠.

٨. راجع: *التمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ٣٠٣، ٣٠٤.

٩. راجع: *أصول التفسير* في هذا الكتاب، مبحث الإجماع.

٢. في رواية أُبي(وعلى فرض صحة سندها) كان كلاماً افتراضاً، ولم يثبت النسخ، وعليه فإن دعوى تقرير النبيﷺ لا تكون صحيحة.

٣. من الممكن أن يكون معنى النسخ هنا ليس بالمعنى المصطلح عليه اليوم؛ لأنّ في الآية ٢٤٠ من سورة البقرة لم يكن الكلام عن عدة الوفاة وأرث الزوجة حتى يتنافى مع حكم الآية ٢٣٤ من سورة البقرة والآية ١٢ من سورة النساء؛ وأمّا المحافظة على العدّة لمدّة سنة كاملة والبقاء في بيت الزوج والاستفادة من النفقة فإنّه حقٌّ لها، أي أنّه قد أُعطي الحقّ للمرأة أن تبقى في بيت زوجها المتوفّى سنة كاملة إن أرادت ذلك، وتستفيد من النفقة طبقاً لوصيّة زوجها في جميع هذه المدّة، ومن هنا رفض بعض المفسرين المعاصرين نسخ هذه الآية.[١]

٤. يمكن أن يقال: بعدم جواز هذا المورد من النسخ؛ لأنّه ووفقاً للأحاديث المتعددة الواردة، وهي أنّ كلّ حديث يخالف القرآن لا يكون معتبراً،[٢] ولم يصدر من النبيﷺ والأئمةعليهم السلام ما يخالف القرآن، وعليه فلا يمكن للأحاديث أن تنسخ القرآن في موارد الشك، فيجب أن يُتأمل في دلالة الآية أو الرواية، وينقّح سند الأحاديث.

٥. الأصل هو عدم النسخ؛ وقد صرح بهذا المحققون والعلماء،[٣] وعليه لا يثبت النسخ في موارد الشكّ، ففي الموارد التي يشكّ فيها بالنسخ أو في دليله فإنّه لا يثبت.

٣. تقسيم النسخ إلى مطلق ومشروط(النسخ التمهيدي والنسخ التدريجي):

طرح العلامة معرفة ـ إلى جانب النسخ المعروف ـ نوعاً جديداً أطلق عليه اسم (النسخ المشروط) أو (النسخ التمهيدي).

وضرب مثالاً له (بالرق) فقد جاء الإسلام، والرق معترف به في جميع أنحاء العالم، بل كان عملة اقتصادية واجتماعية متداولة، لا يستنكرها أحد، ولا يفكّر في إمكان تغييرها أحد. لذلك كان تغيير هذا النظام أو محوه أمراً يحتاج إلى تدرج شديد وزمن طويل، كان إبطاله بحاجة إلى زمن أطول مما تتسع له حياة الرسول، وهي الفترة التي كان ينزل فيها الوحي بالتنظيم والتشريع.

---

١. راجع *تفسير الأمثل*: ٢ / ١٥١ و ١٥٢.

٢. ورد عن النبيﷺ«فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» *(الكافي*: ١ / ٦٩؛ *وتفسير العياشي*: ١ / ٨).

٣. *قواعد التفسير*: ٢ / ٧٣٣؛ *فتح الباري*: ٢ / ١٧٦.

ففي الخطوة الأولى قام الإسلام بتجفيف منابع الرق القديمة، ذلك هو الاقتصار على رقّ الحرب، والذي يشمل الرجال الذين يقاتلون ضد الإسلام ثم يؤسرون، فيؤخذون كعبيد وبذلك خرج أفراد كثيرون من دائرة الرقية، كالنساء، والأطفال، وكبار السن.

وفي الخطوة الثانية شرّع الإسلام طرقاً لتحرير الأسرى (لكي تمحى ظاهرة العبيد بصورة تدريجية من المجتمع الإسلامي، ونلاحظ الآن في البلدان الإسلامية انعدام هذه الظاهرة مع عدم وجود قانون يمنع الرقية).

العلاّمة معرفة، وبعد أن أشار إلى المثال المتقدّم، وأشار على معالجة الإسلام لحقوق المرأة وإحياء شخصيتها تدريجياً قال: «واتخاذ هذه الإجراءات لقطع جذور عادة جاهلية ساطية، قد اصطلحنا عليه (بالنسخ التدريجي) الميسّر مع الزمان، مما قد مهّدت أسبابه منذ البدء وعلى عهد صاحب الشريعة».[١]

ومثال آخر على النسخ التدريجي أو التمهيدي، هو معالجة الإسلام لظاهرة شرب الخمر.

ومن الواضح أن هذا النوع من النسخ ليس نسخاً بالمعنى اللغوي، والذي يعني إزالة شيء بشيء، ويختلف أيضاً عن النسخ الاصطلاحي، وإن بيّنا عدم وجود النسخ الاصطلاحي في القرآن، وبالإمكان أن يكون النسخ التدريجي طريقاً مناسباً لتنفيذ الأحكام الإسلامية في بعض البلدان في العصر الحاضر.

٢. قاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

مدخل: أهمية وتاريخ القاعدة

إحدى القواعد المستفادة من القرآن الكريم هي: «قاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات» والمستنبطة من الآية السابعة من سورة آل عمران.

ولم يكن مبحث المحكم والمتشابه جديد عهد، بل إنّه حظي بعناية علماء القرآن عند الفريقين، وذكر هذا الموضوع بعنوان قاعدة تفسيرية في كتب قواعد التفسير؛ ومن جملتهم عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتاب *قواعد التفسير*، وذكر هذه القاعدة بعنوان«القرآن كله محكم باعتبار وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث»، وكذا تعرّض لهذا الموضوع خالد بن عثمان السبت في كتاب *قواعد التفسير*، واستنبط عدة قواعد

---

١. *شبهات وردود*، الشيخ معرفة: ١٥٠، ١٥١.

فرعية، والشيخ خالد بن عبد الرحمن العك، في كتاب *أصول التفسير وقواعده*، حيث تناول موضوع المحكم والمتشابه بشكل مستقل. وقد بحث هذا الموضوع بشكل فرعي في منهج تفسير القرآن بالقرآن في المناهج التفسيرية.[١]

ومن هنا فإنّ هذا الموضوع بحث بشكل مفصّل وكامل في علوم القرآن، وسنبحثه هنا بشكل مختصر، مؤكدين على البعد العلمي له يعني«إرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمة».

مفهوم المحكم والمتشابه

فيما يتعلّق بمعنى المحكم والمتشابه، هناك تفسيرات ومعاني مختلفة بحثت في كتب التفسير وعلوم القرآن؛[٢] إلا أنّنا في هذا المقام نكتفي بذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أ) مفردة «المحكم» في اللغة أصلها من «الحكم» بمعنى: المتقن، والمحكم هو ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى.[٣]

وقد اعتبر بعض المحققين المعاصرين أنّ«الإحكام هو الإتقان، يوصف به الكلام إذا كان ذا دلالة واضحة، بحيث لا يحتمل وجوهاً من المعاني، ولا كان مظنةً للريب والتشكيك، إذن المحكم ما لا تعرض فيه شبهة لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى».[٤]

مثال قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛[٥] ﴿... إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،[٦] وغيرها.

ملاحظة: يستفاد من التعريف الذي ذكرناه آنفاً أن محكمات القرآن تشمل النصوص والظواهر.[٧]

ب) مفردة «المتشابه» في اللغة أصلها«شَبَه» بمعنى المماثلة من جهة الكيفية، وفي

---

١. راجع: *منطق تفسير القرآن (٢)، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية*، للمؤلف، مبحث أنحاء تفسير القرآن بالقرآن: ٨٧

٢. راجع: كتب التفسير للشيعة والسنة في تفسير الآية ٧من سورة آل عمران؛ وكتب علوم القرآن، مثل *الإتقان* للسيوطي، *والبرهان* للزركشي، *والتمهيد* لمعرفة، وغيرها.

٣. راجع: *مفردات غريب القرآن*، مادة«حكم».

٤. راجع: *التمهيد في علوم القرآن*: ٣ / ٦.

٥. *التوحيد*: ١.

٦. الأنفال: ٧٥.

٧. راجع: *الإتقان*: ٢ / ٢.

القرآن والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللفظ أو من حيث المعنى.[١]

وقال بعض المحققين في علوم القرآن معرّفاً التشابه: «هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة... ومن ثمّ فهو كما يصلح للتأويل إلى وجه صحيح، يصلح للتأويل إلى وجه فاسد، ولأجل هذا الاحتمال صار مطمعاً أهل الزيغ والفساد، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله إلى ما يتوافق مع أهدافهم الضالة.

فالمتشابه محتاج إلى دفع الشبهة عنه، فهو أخصّ من المبهم المفتقر إلى رفع الإبهام، وعليه فتأويل المتشابه رفع ودفع، رفع للإبهام ودفع للشبهة».[٢]

مثال: قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء...﴾.[٣]

فالآية الكريمة متشابهة من جهة نسبت الهداية والضلال إلى الله تعالى، وهذا لا يتناسب مع اختيار الإنسان.

وأمّا كيفية شرح الصدر وضيقه فالآية تكون مبهمة.

أقسام الآيات بلحاظ التشابه والإحكام

يمكن أن ننظر إلى آيات القرآن من ثلاث جهات:

أ) جميع آيات القرآن محكمة:

﴿... كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ...﴾.[٤]

والمقصود من المحكم هنا المعنى اللغوي، أي أنّه في غاية الإحكام، وقوة الاتساق. كما أنّه بالغ في الحكمة الغاية القصوى. إذ إخباره كلّه حق وصدق، لا تناقض فيها ولا اختلاف.[٥]

وفيما يتعلق بالآية الكريمة كتب العلامة الطباطبائي: «المراد بالإحكام ربط بعض الشيء

---

١. راجع: *مفردات غريب القرآن*، مادة«شبه».

٢. *التمهيد في علوم القرآن*: ٣ / ٦و٧.

٣. الأنعام: ١٢٥.

٤. هود: ١.

٥. راجع: *التمهيد* ٣ / ١٥؛ *قواعد التفسير*: ٦٦١/٢.

بعضه الآخر وإرجاع طرف منه إلى طرف آخر، بحيث يعود الجميع شيئاً واحداً بسيطاً غير ذي أجزاء وأبعاض. ومن المعلوم أنّ الكتاب إذا اتصف بالإحكام والتفصيل بهذا المعنى الذي مرّ فإنما يتّصف بهما من جهة ما يشتمل عليه المعنى والمضمون لا من جهة ألفاظه أو غير ذلك..».[١]

وفي موضع آخر تعرض الطباطبائي إلى معنى المحكم في القرآن[٢] قائلاً: «والمراد ههنا (آل عمران: ٧) من الإحكام إتقان هذه الآيات من حيث عدم وجود التشابه فيهما كالمتشابهات، وإن وصف كتابه بإحكام الآيات في قوله تعالى: ﴿...كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾؛[٣] لكن اشتمال الآية على ذكر التفصيل بعد الإحكام دليل على أنّ المراد بالإحكام حال من حالات الكتاب كان عليها قبل النزول، وهي كونه واحداً لم يطرأ عليه التجزّي والتبعيض بعد بتكثر الآيات، وهو إتقانه قبل وجود التبعيض، فهذا الإحكام وصف لتمام الكتاب، بخلاف وصف الإحكام والإتقان الذي لبعض الآيات بالنسبة إلى البعض الآخر من جهة امتناعها عن التشابه في المراد».[٤]

ب) جميع آيات القرآن متشابهة[٥]

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا...﴾.[٦]

والمقصود هنا من«المتشابه» المعنى اللغوي؛ أي في الحسن، والصدق، والهدى، والنفع، وأمثالها.[٧]

قال العلاّمة الطباطبائي: «كتاباً متشابهاً، أي يشبه بعض أجزائه بعضاً، وهذا غير التشابه الذي في المتشابه المقابل للمحكم، فإنه صفت بعض آيات الكتاب، وهذا صفة الجميع».[٨]

---

١. *الميزان*: ١٠ / ١٤٠.
٢. آل عمران: ٧؛ هود: ١.
٣. هود: ١.
٤. *الميزان*: ٣ / ٢٠.
٥. راجع: *التمهيد*: ١٦؛ *قواعد التفسير*: ٦٦١/٢.
٦. الزمر: ٢٣.
٧. آل عمران: ٧.
٨ الميزان: ٢٥٦/١٧.

ج) بعض آيات القرآن محكمة والبعض الآخر متشابهة

﴿هُوَ الَّذِی أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾.[١]

والمقصود من المحكم والمتشابه في الآية الكريمة هو المعنى الاصطلاحي الذي مرَّ بيان مفهومة.

عدد الآيات المتشابهة

ثمَّة اختلاف في مقدار وعدد الآيات المتشابهة، وتوجد ثلاثة آراء حول هذه المسألة:[٢]

١. اعتبر البعض أن جميع آيات القرآن محكمة واستدل بالآية الأولى من سورة هود،[٣] ومن الواضح أن في الآية إشارة إلى المعنى اللغوي للمحكم وليس الاصطلاحي.

٢. البعض الآخر اعتبر أنّ جميع آيات القرآن متشابهة، واستدل بالآية ٢٣ من سورة الزمر،[٤] ومن الواضح أيضاً أنّ في الآية إشارة إلى المعنى اللغوي للمتشابه وليس الاصطلاحي.

٣. ذهب أكثر المحققين والعلماء إلى أن بعض الآيات محكمة والبعض الآخر متشابهة،[٥] مستدلين بالآية السابعة من سورة آل عمران،وقد صرَّح بعض المحققين، أنّ عدد الآيات المتشابهة بعد حذف المكررات في حدود ١/٣٠ من القرآن أي أقل من ٢٠٠ آية.

نماذج من الآيات المحكمة والمتشابهة

١. الآيات المحكمة: عدة مجموعات من آيات القرآن أكثرها محكمة؛ من جملتها:

أ) آيات التشريع (آيات الأحكام): كالآيات المتعلّقة بالحدود(القصاص، حدّ الزاني، حدّ السارق وغيرها) وآيات الإرث، والزواج، والطلاق، والأطعمة المحرمة.[٦]

ب) آيات الموعظة والآداب: كالآية ٥٨ من سورة النور في موضوع آداب علاقة الأولاد بالأب والأم، والآية ٥٣ من سورة الأحزاب حول آداب الضيافة وغيرها.

---

١. آل عمران: ٧.

٢. ذكر ابن حبيب النيشابوري ثلاثة أقوال، (راجع: *الإتقان*: ٢/٢).

٣. *التمهيد*: ١٤.

٤. المصدر: ١٥.

٥. المصدر؛ *وقواعد التفسير*: ٦٦١؛ *القواعد الحسان*: ٧٦ـ٧٧؛ *أصول التفسير وقواعده*: ٢٨٩.

٦. الأنعام: ١٥١.

ج) الآيات المتعلقة بمعرفة الله

مثل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.[١]

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾.[٢]

﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾.[٣]

٢. الآيات المتشابهة: عدة مجموعات من آيات القرآن أكثرها متشابهة؛ من جملتها:

أ) الآيات المتعلّقة بالتقدير والهداية والضلال.

مثل: ﴿... فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء...﴾.[٤]

ب) الآيات المتعلقة بالصفات والأفعال الإلهية.

مثل: ﴿...يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾.[٥]

﴿وَجَاء رَبُّكَ...﴾.[٦]

﴿...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾.[٧]

٢. الطريق المناسب هو إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

وصف الله عز وجل في الآية السابعة من سورة آل عمران الآيات المحكمة بأنها: «أمّ الكتاب». ومفردة «أمّ» تطلق على: «ما كان أصلا لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه».[٨]

قال العلامة الطباطبائي: «و قد وصف المحكمات بأنّها أم الكتاب، و الأمّ بحسب أصل معناه ما يرجع إليه الشيء، و ليس إلا أنّ الآيات المتشابهة ترجع إليها، فالبعض من الكتاب و هي المتشابهات ترجع إلى بعض آخر و هي المحكمات».[٩]

فالآيات المحكمة، هي بمثابة الأم والمرجع للآيات الأخرى وتتصرف بظواهرها،

---

١. التوحيد: ١.

٢. الحشر: ٢٣.

٣. الشورى: ١١.

٤. إبراهيم: ٤.

٥. الفتح: ١٠.

٦. الفجر: ٢٢.

٧. الأنفال: ١٧.

٨ مفردات غريب القرآن: مادة «أم».

٩. المصدر.

وتوضح المعنى والمقصود الصحيح من الآية المتشابهة.

فالآية المتشابهة في القرآن، ينبغي فيها الرجوع إلى الآية المحكمة المناسبة لموضوعها، وتأويلها وتوجيهها يتضح بقرينة الآية المحكمة.

مثال: قوله تعالى: ﴿...يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾،[١] وقوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ...﴾.[٢]

وهذه الآيات متشابهة؛ لأنه ومع قطع النظر عن الآية المحكمة يمكن استفادة معنى جسمانية الله، إلا أنّه ومع الرجوع إلى قوله تعالى﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾،[٣] يتضح المقصود، وهو أن المراد من الآية ليست اليد الاعتيادية والمجيء الجسماني، وإلاّ فيكون الله تعالى كالآخرين، إذن، المقصود من الآية الأولى: القدرة الإلهية، أمثالها،[٤] وفي الآية الثانية ثمّة مضاف محذوف وتقديره«جاء أمر ربك».

وقال العلامة الطباطبائي متحدّثاً عن الآية الآنفة الذكر: «نسبة المجيء إليه تعالى من المتشابه الذي يحكمه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و عليه فهناك مضاف محذوف و التقدير جاء أمر ربك أو نسبة المجيء إليه تعالى من المجاز العقلي».[٥]

مثال آخر: ﴿... فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء...﴾.[٦]

ويمكن أن يفهم من ظاهر الآية أنّ الإنسان مجبور على الهداية والضلال، غير أنه وبعد الرجوع إلى قوله تعالى: ﴿... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾،[٧] وقوله تعالى ﴿يُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ...﴾[٨] يتضح أن ضلال الإنسان هو نتيجة لفسق أو ظلم الإنسان نفسه، إذن هو أمر اختياري، كذلك الحال في مقدمات الهداية فإنها اختيارية.

---

١. الفتح: ١٠.

٢. الفجر: ٢٢.

٣. الشورى: ١١.

٤. في تفسير«يد الله» للمفسرين آراء متعددة. فقد ذهب البعض أنها منزلة تنزيل يد النبيﷺ بمكان اليد الإلهية، ويعتقد البعض أنها من باب الاستعارة التخييلية أو الكنائية، ويرى البعض الآخر أن المقصود يد القدرة والنصرة، ويعتقد آخرون أنها النعمة والعطاء. (راجع: *الميزان*: ١٨ / ٢٧٤ـ٢٧٥).

٥. *الميزان*: ٢٠ / ٣١١ و ٣١٢.

٦. إبراهيم: ٤.

٧. البقرة: ٢٦.

٨ إبراهيم: ٢٧.

٣. قواعد النزول

مدخل

إن لمعرفة الخصائص المرتبطة بالنزول ـ مثل شأن النزول، وأسباب النزول، وثقافة المعاصرين للنزول، ومكان النزول(المكي والمدني) ـ دورٌ مهم في فهم وتفسير القرآن. ومن هنا فقد بحثت هذه المواضيع ومنذ القدم في التفاسير وكتب علوم القرآن.

وعلى سبيل المثال نلاحظ التفاسير الروائية تعرضت إلى شأن النزول، ومن التفاسير الروائية لأهل السنة *تفسير الطبري* و *الدر المنثور* للسيوطي، ومن التفاسير الروائية للشيعة *تفسير العياشي* و *البرهان* و *نور الثقلين*. وعلاوة على ذلك فقد أولت التفاسير الاجتهادية كتفسير مجمع *البيان* أهميةً خاصّةً لشأن النزول.

وقد تناول السيوطي هذا الموضوع في كتابه: *الإتقان في علوم القرآن*، تحت عنوان «معرفة أسباب النزول» في النوع التاسع. وقد ألفت كتب مستقلة في هذا المجال منها *أسباب النزول* للواحدي النيشابوري، و*لباب النقول* للسيوطي، و*نمونه بينات در شأن نزول آيات* *نموذج البينات في شأن نزول الآيات* للدكتور محقق، و*أسباب النزول* للدكتور السيد محمد باقر حجتي، حيث تناول المباحث النظرية لأسباب النزول، ونقل بعضاً ـ كما فعل السيوطي والنيشابوري ـ من المصاديق والروايات، وقد تعرض الدكتور محقق إلى بيان شأن وسبب نزول ما يقرب من ألف آية.

وثمّة اهتمام بهذا الموضوع أولاه المحققون في قواعد التفسير، حيث تناولوا القواعد المتعلّقة بأسباب النزول، ومن جملتهم خالد بن عبد الرحمن السبت في *قواعد التفسير*، وخالد بن عبد الرحمن العك في *أصول التفسير وقواعده*، وعبد الرحمن بن ناصر السعدي في *القواعد الحسان*، ومؤلفي كتاب *روش ناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن ـ*.

القاعدة الأولى: ضرورة مراعاة شأن وسبب النزول في فهم وتفسير الآيات

مفهوم شأن وسبب النزول

توجد تعاريف متعددة لشأن وأسباب النزول، فقد يعدان شيئاً واحداً،[1] وقد يختلفان.[2]

---

١. راجع: *تفسير الأمثل*: ١ / ١٤٥و ٣١٢ وغيره؛ *كشف الأسرار*: ٢ / ٢٩٥ (ذيل الآية ١٤٤ من آل عمران).

٢. *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٥٣.

شأن النزول: «الأمر الذي نزل القرآن ـ آية أو سورة ـ لتعالج شأنه، بياناً وشرحاً أو اعتباراً بمواضع اعتباره».[١]

سبب النزول: فهو يتعلّق بخصوص المشكلة الحاضرة، سواء كانت حادثة أبهم أمرها، أم مسألة خفي وجه صوابها، أم واقعة ضل سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها، وتضع حلاً لمشكلاتها، فتلك هي أسباب النزول، أي السبب الداعي والعلة الموجبة للنزول.

وعليه فالاختلاف بينهما هو أن شأن النزول أعم،[٢] وشامل لحوادث زمان نزول الآية أو الأزمنة الماضية، وعلى سبيل المثال: واقعة أبرهه يمكن أن تكون شأناً للنزول وليست سبباً له.

قرينية سبب النزول في التفسير

ذهب عدد ممن كتب في علوم القرآن إلى أن تفسير الآية غير ممكن، ما لم يلاحظ قصتها ويتعرف على سبب النزول فيها.[٣]

ـ وأمّا البعض الآخر فقد أكد على دور أسباب النزول في فهم وتفسير الآية.[٤]

ويرى العلامة الطباطبائي: أنّ الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العلمية الدائمة لا تحتاج كثيراً أوْ لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول،[٥] حيث كتب قائلاً: «هذه القضايا التي سببت نزول السور أو الآية هي المسماة بـ«أسباب النزول»، ومعرفتها تساعد إلى حد كبير في معرفة الآية المباركة وما فيها من المعاني والأسرار... هذه الأحاديث من طرق أهل السّنة كثيرة جداً... و أمّا من طريق الشيعة فهي قليلة... و يلاحظ أن هذه الأحاديث ليست مسندة وصحيحة، بل فيها المرسل الضعيف والنظر والتأمل فيها يدعو الإنسان إلى الشك فيها».[٦]

مثال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾.[٧]

---

١. *التمهيد في علوم القرآن*: ١ / ٢٥٤.
٢. المصدر.
٣. *مناهل العرفان*: ١ / ١٠٩.
٤. راجع: *البرهان*: ١ / ١١٧؛ *الإتقان*: ٩٣/١؛ *التمهيد*: ٢٤٢/١؛ *روش شناسي تفسير*: ١٤٥.
٥. القرآن في الإسلام: ١٢٠.
٦. المصدر: ١١٨.
٧. البقرة: ١٥٨.

فلو دققنا النظر في ظاهر الآية المباركة، نفهم جواز السعي بين الصفا والمروة في الحجّ، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار سبب نزول فإننا نفهم المعنى المراد من الآية.

ففي العصر الجاهلي كان قد وضع على الصفا صنم يقال له: «إساف» و على المروة صنم يقال له: «نائلة» و كان المشركون يطفون بينهما فتحرّج المسلمون عن الطواف بينهما لأجل الصنمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية،[١] حيث كان المسلمون يرون أنّ الصفا و المروة مما ابتدع أهل الجاهلية فتوهموا المنع. وإذا صدر الأمر بعد توهم المنع، فإنّه لا ينافي أصل الوجوب.

القاعدة الثانية: سبب وشأن النزول لا يوجب حصر معنى الآية في موردها

إن شأن وأسباب نزول الآية على عدة أنحاء:

أ) إن شأن وسبب النزول لا يوجب حصر الآية بمورد نزولها، وهو ما يعبّر عنه اصطلاحاً«العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد»، وهذا يعني أنّ شأن أو سبب النزول يبين واقعة وهي إحدى مصاديق، أو المصداق الكامل للآية الآية، ولا منافاة في شمولية وعموم العبارات والألفاظ المستعملة. وعليه فإن سبب النزول لا يسوّغ رفع اليد عن عموم الآية.

وهذا الموضوع هو مورد تأكيد أكثر المفسرين وعلماء القرآن.[٢]

مثال: آية الظهار،[٣] التي نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها،[٤] وسبب النزول لا يوجب انحصار الحكم في هذه القضية. وكذا آيات اللعان[٥] التي نزلت في اتهام هلال بن أمية لزوجته، أو لسؤال عويمر،[٦] وهذا أيضاً لا يوجب انحصار الحكم بهؤلاء.

ملاحظة: كثيراً من الأحاديث في المصادر التفسيرية والحديثية للشيعة وردت في خصوص الآيات المتعلّقة باهل البيت عليهم السلام، وهي من باب تعيين المصداق أو المصداق

---

١. راجع: *أسباب النزول*: ٢٧، ٢٨؛ *مجمع البيان*: ١ / ٤٤٥.

٢. راجع: *البرهان في علوم القرآن*: ١ / ١٢٦؛ *الإتقان*: ١ / ٩٥؛ *مناهل العرفان*: ١ / ١٢٥ ـ ١٣٤؛ التمهيد: ٢٦١/١، وكتب التفسير عند الشيعة والسنة التي نقلت شأن نزول الآية.

٣. المجادلة: ١ـ٤.

٤. *لباب النقول*، السيوطي: ٢٢٨؛ *الإتقان*: ١ / ٦١.

٥. النور: ٦ـ٩.

٦. المصدر: ١٦٧.

الأكمل، وهذا لا يوجب انحصار الآية في الإمام عليه السلام.

مثال: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الذي ورد في ذيل بعض الآيات، نقلت بعض الأحاديث أنها نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام أو اهل البيت عليهم السلام،[١] في حين أن أمير المؤمنين عليه السلام واهل البيت عليهم السلام هم المصداق الأكمل للعمل الصالح، وهذه الأوصاف غير منحصرة بأولئك العظماء.

وهذا هو اللبس والخلط هو الذي دفع بعض الكتاب إلى الظن بأنّ الآيات منحصرة في أفراد خاصين،[٢] أو التخمين بأن أسم علي عليه السلام كرر ألف مرَّة في القرآن الكريم،[٣] في حين أن آيات وصفات خاصَّة كقوله تعالى﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾،[٤] تطبق على الإمام علي عليه السلام،[٥] وقد صرح العلامة الطباطبائي أن هذه الآيات من باب الجري والانطباق.[٦]

ب) إن بعض آيات القرآن نزلت في مورد خاص، وخصوصية ذلك المورد محل تأمل؛ ونماذج هذه الآية قليلة مثل: آية التطهير،[٧] و آية الولاية،[٨] وآية إكمال الدين،[٩] وآية المباهلة.[١٠]

مثال: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[١١]

نقل في شأن نزول الآية: أن النبي صلى الله عليه وآله وجّه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقيهم

---

١. راجع: ذيل الآية ٨٢، البقرة (*تفسير البرهان*: ١ / ٢٦٢)؛ ذيل الآية ٣٠، من الكهف (البرهان: ٥ / ٣١ وتأويل الآيات: ١ / ٢٩٢)؛ ذيل الآية ١٠٧، من الكهف؛ الآية ٩٦، من مريم؛ الآية ٥٠، الحج؛ الآية ٥٥، النور؛ الآية ١١، البروج (*تفسير البرهان*).

٢. راجع: *أنوار القرآن*: ٧٠.

٣. المصدر: ١٨١.

٤. الفاتحة: ٦.

٥. راجع: *تفسير البرهان*: ٧ / ١٠٦؛ *تفسير القمي*: ٢ / ٢٥٤.

٦. *الميزان*: ١ / ٤١.

٧. الأحزاب: ٣٣.

٨. المائدة: ٥٥.

٩. المائدة: ٣.

١٠. آل عمران: ٦١.

١١. آل عمران: ١٧٣.

أعرابي من خزاعة، أو نعيم بن مسعود، أو ركب عبد القيس فقال: إن القوم قد جمعوا لكم.[1]

وبناءً على هذا تكون مفردة «الناس» الواردة في الآية لا تشمل عموم الناس، بل هي قضية خارجية.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.[2]

هذه الآية، بناءً على شأن النزول، نقلها المفسّرون بصور متعددة، في خصوص علي عليه السلام حينما تصدق على الفقير بخاتمه وهو راكع.[3]

إذن، قوله تعالى: «الذين آمنوا» قضية خارجية تشير إلى فرد خاص.

ج) في الموارد التي يشك فيها، هل أن شان النزول يوجب انحصار الآية في مورد خاص أم لا؟ وما نذهب إليه أنّ الأصل هم عدم الانحصار؛ وذلك أولاً: إنّ القرآن كتابٌ عالمي خالد، ولم ينزل لجماعة خاصّة دون أخرى. وثانياً: في حالة عدم وجود قرينة معتبرة على تخصيص الآية في مورد معين لا يمكن تفسير الآية.

ملاحظة: ينبغي أنّ نلاحظ أن روايات شأن وأسباب النزول ليست على مستوىً واحد من حيث الاعتبار، وعندما يراد استعمالها كقرينة لابدّ أن تكون من ناحية الصدور والدلالة معتبرة؛ وإلا فإذا كانت مطابقة للظاهر فهي تؤخذ بعنوان شاهد أو مؤيد في التفسير، وإذا لم تكن مطابقة لظاهر الآيات ولا تكون معتبرة سنداً ودلالةً، لا يمكن الاعتماد عليها كقرينة في التفسير.

القاعدة الثالثة: الآيات القرآنية بألفاظها ومعانيها من الله

القرآن الكريم هو: كلام الله الموحى لنبيه لفظاً ومعنىً، والنبي لم يغيّر أيّ شيء في إبلاغه إلى الناس. وهذا هو المستفاد من ظاهر الآيات القرآنية،[4] وقد ورد التهديد لشخص النبي صلى الله عليه وآله في أنه إذا نسب بعض الأمور إلى الله من عنده فإن سينتقم عنه بقوة.

---

١. راجع: *لباب النقول*: ٦٢؛ *أسباب النزول*: ١٦٧ـ١٧٦.

٢. المائدة: ٥٥.

٣. راجع: *مجمع البيان*: ٣ / ٣٦١؛ *الكشاف*: ١ / ٤٦٩؛ *أسباب النزول*: ٢٩ـ٣٠، وغيرها.

٤. ستأتي الآيات المتعلّقة بهذا الموضوع، مثل: الحاقة: ٤٠.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.[1]

ومن هنا نفهم كم هي الدقة التي كان عليها رسول الله ﷺ في تلقيه للوحي الإلهي، حتى على مستوى مفردة «قل» حيث كان يحرص على نقلها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛[2] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾؛[3] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾،[4] في حين أنّ الأمر إذا كان من شخص آخر فإنه قد يحذف مفردة «قل»؛ غير أن النبي ﷺ ولغرض حفظ الأمانة كان ينقل المفردة النازلة باعتبارها قرآناً موحى به. إذن، لا معنى لقول القائل: إنّ المعاني النازلة على النبي ﷺ هي وحي، والألفاظ من صنع النبي؛ بل إن الإعجاز اللفظي للقرآن الكريم (المتمثل بالفصاحة والبلاغة وغيرها) متوقف على هذا الأمر، وإن الاختلاف بين أحاديث النبي ﷺ والقرآن هو في قضية الإعجاز، وهي نفسها شاهد حقيقي على أن آيات القرآن ليست من صنع البشر.

بعبارة أخرى، إنّ معاني القرآن والأحاديث النبوية، كلٌّ من عند الله؛ غير أن الفارق يكمن في مستوى الكلامين والذي يدلّ على أنّ ألفاظ الأحاديث النبوية من النبي ﷺ، وألفاظ القرآن هي من الله تعالى.

ومن هنا يمكن القول، أنّ أصل تفسير القرآن هو ذات الألفاظ القرآنية الموحى بها للنبي ﷺ والتي وصلتنا بالتواتر.

القاعدة الرابعة: معرفة ثقافة المعاصرين للنزول دور في فهم وتفسير القرآن

المقصود من الثقافة: هي الآداب، والسنن، والعقائد، والعلوم والجو الفكري، والاجتماعي والسياسي لعصر نزول القرآن والتي كانت سائدة عند عرب الجزيرة العربية عند نزول الوحي.

إنّ معرفة هذه العناصر تشكّل أرضية وقرينة لفهم بعض الآيات. بعبارة أخرى، بعض الآيات القرآنية ناظرة إلى الوقائع والسنن والآداب لذلك العصر، وأن عدم الاهتمام بها يشكّل عقبةً في فهم القرآن.

---

١. الحاقة: ٤٠ـ٤٦.

٢. التوحيد: ١.

٣. الناس: ١.

٤. الفلق: ١.

إن قرينية العناصر الثقافية لزمان النزول في فهم الآيات، هي أمر موافق لسيرة العقلاء، وثمّة شواهد قرآنية متعددة تؤيدها، وهذا ما صرَّح به بعض المحققين في قواعد التفسير.[١]

مثال:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾.[٢]

في نظرة أولية لهذه الآية، ينقدح في الذهن هذا السؤال، وهو أنّ دخول البيوت من أبوابها أمرٌ طبيعي، فلماذا يذكره القرآن؟ ولكن بعد التّأمل في الثقافة السائدة عند عرب الجاهلية في خصوص الحجّ فإنّ الآية ستكون واضحة. فقد كانت عقيدة سائدة عند مجموعة من عرب الجاهلية، وهي أنهم في حال الإحرام لا ينبغي أن يدخلوا البيت من الباب الاعتيادي، بل المستحسن هو الدخول من ظهر البيت عن طريق فتحة.[٣] وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع رادّاً هذه الخرافة الجاهلية.

مثال آخر: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ...﴾،[٤] في قضية تأخير الأشهر الحرم واستبدال مواعيدها، وهي إحدى العادات الجاهلية.[٥]

ملاحظة هامَّة

يمكننا أن نفترض ثلاثة أساليب واجه بها القرآن ثقافة عرب الجاهلية

أ) النفي الكامل لثقافة العرب

ب) القبول الكامل لثقافة العرب.

ج) رفض العناصر السلبية وقبول الإيجابية.

الأسلوب الأول يوجب نفي العناصر الإيجابية في الثقافة العربية؛ مثل: الحجّ، وإكرام الضيف، وغيرها.

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن ـ منهج تفسير القرآن*: ١٦٧ـ١٦٠.

٢. البقرة: ١٨٩.

٣. راجع: *أسباب النزول*: ٣١؛ *لباب النقول*: ٤٥؛ *مجمع البيان*: ج٢، ذيل الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

٤. التوبة: ٣٧.

٥. راجع: *مجمع البيان*: ٥ / ٥٣؛ *لباب النقول*: ١٩٠.

الأسلوب الثاني، يوجب قبول خرافات عرب الجاهلية، وإيجاد الأمور الباطلة في القرآن الكريم.

وقد سلك القرآن الكريم الأسلوب الثالث؛ أي أنه استبعد العناصر السلبية في الثقافة الجاهلية، وحارب الخرافات وشدد عليها النكير، ومنها، الظهار،[١] واعتبار المتبّنى ولد حقيقي[٢] ومنعهم الزواج من زوجة الابن بالتبني،[٣] وأد البنات،[٤] أكلهم الربا.[٥]

وفي قبال ذلك نجد القرآن يقبل العناصر الإيجابية في الثقافة الجاهلية، ويرفع مستواها ويرقيها؛ وعلى سبيل المثال مراسم الحج، الإبراهيمي، حيث كان عرب الجاهلية يقيمونها. وقد أكد عليها الإسلام. ومن الطبيعي أن يستفيد القرآن الكريم في عرض المطالب من المفردات والأمثال والكنايات والصناعات الأدبية؛ وذلك لأنه نزل بلغة القوم.

وكل أمر له وجود حقيقي في الثقافة العربية مثل مبحث الجن، والملائكة، والشيطان نجد القرآن الكريم تناوله بالتوضيح، وأمّا الأمور الباطلة والخيالية فقد نأى القرآن بنفسه عنها ولم يذكرها، كالغول في أشعار عرب الجاهلية، وما كان يقال حول «أنياب الاغوال» فإن القرآن تجاهلها.

وعليه، ليس من الصحيح من يظن أنّ القرآن حينما ذكر مسائل مثل«الجن، والشيطان، وبعض الحدود والأحكام» أنه جاء بها من ثقافة عرب الجاهلية.

فلم يكن القرآن متأثراً بثقافة عرب الجاهلية أو تابعاً له؛ بل أنه قارع السلبي منها، وأثّر فيها، مؤسساً ثقافة وحضارة جديدة.[٦]

القاعدة الخامسة: زمان ومكان النزول لهما دور مؤثر في تفسير القرآن

إنّ معرفة مكّي السور من مدنيها، وبعبارة أشمل، معرفة زمان ومكان نزول الآيات له تأثير في فهم وتفسير الآيات. وهذا الموضوع يبحث عادة في علوم القرآن، ومن هنا فإننا نشير

---

١. المجادلة: ١ـ٤.

٢. الأحزاب: ٣٧.

٣. الأحزاب: ٤.

٤. التكوير: ٨.

٥. البقرة: ٢٧٥ـ٢٧٩.

٦. راجع: مجلة فصلنامه معرفت؛ مقالة: قرآن وفرهنگ زمانه ـ القرآن وثقافة عصره ـ للمؤلف، حيث بحث الآراء والأدلة في هذا الموضوع.

إليه بشكل مختصر، وثمّة تناسب بين مسألة المكّي والمدني ومسألة شأن النزول؛ لأنّ الحديث عن فضاء النزول وأثره في تفسير القرآن.

وأمّا فيما يتعلق بمعيار وضابطة المكّي والمدني، فقد يلحظ المعيار الزمني وهو الآيات التي نزلت قبل الهجرة والآيات التي نزلت بعد الهجرة، وقد يلحظ المعيار المكاني وهو الآيات التي نزلت في مكّة وما حولها، والآيات التي نزلت في المدينة وما حولها، وقد يكون المعيار بلحاظ نوع الخطاب.[١]

وعلى أية حال، فمسألة المكّي والمدني والقرائن التاريخية المكانية والزمانية، لها دور مؤثر في فهم القرآن، ومن اللازم على مفسر القرآن العناية بها.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.[٢]

ورد في سبب نزول الآيات المباركة أنّها نزلت حينما نذر الإمام علي عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام إن برئ الحسن والحسين عليهما السلام، ممّا بها أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا، وما معهم شيئ، فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير، و عند الإفطار تصدقوا بما عندهم من الخبز لمدة ثلاث ليال إلى المسكين واليتيم والأسير.[٣]

ويصر البعض من الذين لا يميلون لاهل البيت عليهم السلام أن هذه السورة مكيَّة.[٤] واعتبر مفسرون آخرون أن السورة مكية مستدلين بالسياق،[٥] في حين أنهم غفلوا عن أن في مكّة ومحيطها لم يكن هناك أسير قد أسر في الحرب، حتى يعطوه الطعام. ومن هنا فقد صرَّح البعض أن السورة كلها مدنية.[٦]

مثال آخر:

﴿...فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾.[٧]

---

١. راجع: *علوم قرآني*: ٧٠؛ *الإتقان*: ١ / ٢٣؛ *البرهان في علوم القرآن*: ١ / ١٨٩.
٢. الإنسان: ٧ـ١٠.
٣. راجع: مجمع *البيان*: ج ١٠، ذيل سورة الإنسان بتصرّف؛ *شواهد التنزيل*، الحسكاني: ٢٢٩ـ٣١٥.
٤. *الدر المنثور*: ٦ / ٢٩٧ (نقل عن عبد الله بن الزبير).
٥. *في ظلال القرآن*: ٢٩ / ٢١٥.
٦. *التمهيد في علوم القرآن*: ١ / ١٥٤، ١٥٥.
٧. النساء: ٢٤.

يعتقد الشافعي، أن هذه الآية منسوخة،[١] وناسخها الآيات ٥ـ٧ من سورة المؤمنون؛ في حين أنّ سورة المؤمنون مكّية، وسورة النساء مدنية، والمنسوخ عادةً ما يقع بعد الناسخ، وليس قبله.[٢]

مثال آخر: مفردة«زكاة» في السور المكّية بمعنى الإنفاق المستحب، وأمّا في السور المدنية فهي بمعنى الحقوق المالية الخاصّة بالزكاة؛ لأنّ الزكاة لم تكن واجبةٌ في محيط مكّة، ومن هنا لم تفسّر الآية ٤ من سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، والآية ٧ من سورة فصّلت وأمثالها بالزكاة الواجبة.[٣]

مثال آخر: آية ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾.[٤]

ففي هذه الآية المقصود من تثبيت الأقدام، هو المعنى المجازي يعني الاستقامة في الحرب، أو المعنى الحقيقي له. وحملها بعض المفسرين على المعنى المجازي؛ لأنّهم لم يلتفتوا إلى الجو الحاكم لنزول الآية، أي: أنّ ساحة معركة بدر كانت أرضاً موحلة أرضه، وعن طريق المطر تلبّدت الأرض وصارت صلبة وتوحّلت أرض العدو.[٥]

أسئلة وبحوث

١. عرِّف القاعدة التفسيرية، وعدد أهم مصادر استخراج قواعد التفسير.

٢. هل أنّ استعمال اللفظ في أكثر من معنى جائز؟ وما هو تأثيره في تفسير القرآن؟

٣. وضّح قاعدة الحذف والتقدير، وبين دورها في تفسير القرآن.

٤. وضّح قاعدة الوجوه والنظائر، وبين دورها في تفسير القرآن.

٥. وضّح واقعية لغة القرآن، وبين دورها في تفسير القرآن.

٦. وضّح الكلمات الرئيسية والمركزية للقرآن، وبين دورها في التفسير.

---

١. *مناهل العرفان*: ١ / ١٩٥؛ *علوم قرآني*: ٧٠.

٢. *مناهل العرفان*: ١ / ١٩٥؛ *علوم قرآني*: ٧٠.

٣. راجع: تفاسير القرآن ذيل الآية ٤ من سورة المؤمنون؛ والآية ٧ من سورة فصلت، و*علوم قرآني*: ٦٨.

٤. الأنفال: ١١.

٥. راجع: *مجمع البيان*: ٤ / ٤٣٨ ذيل الآية ١١ من سورة الأنفال؛ *فصول في أصول التفسير*: ٤٥؛ *وروش شناسي تفسير قرآن*: ١٥٩.

٧. هل أنّ القراءات السبع حجةٌ في التفسير؟ وما هي القاعدة في القراءات؟
٨. استعرض القواعد الإضافية في كتاب *قواعد التفسير* لمؤلفه خالد بن عثمان السبت، وانقدها.
٩. ابحث مسيرة تطور مفهوم «القاعدة» في كتب التفسير، وأصول الفقه، والفقه، والمنطق.

مصادر للمطالعة والبحث

١. *قواعد التفسير*، خالد بن عثمان السبت.
٢. *روش شناسي تفسير-منهج تفسير القرآن* ـ بابائي وآخرون.
٣. *منطق تفسير القرآن(٢) روش‌ها وگرايش هاي تفسير ـ دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية* ـ محمد علي رضائي الأصفهاني.
٤. *أصول التفسير وقواعده*، خالد بن عبد الرحمن العك.
٥. *قانون التفسير*، السيد كمالي دزفولي.
٦. *القواعد الحسان لتفسير القرآن*، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
٧. *الإتقان في علوم القرآن*، السيوطي.

الفصل الثالث

القواعد الخاصّة بالتفسير (غالباً)

المدخل

١. قاعدة السياق

أهمية السياق وتاريخه

السياق، هو عبارة عن خصوصية الكلمة أو الكلام الحاصل من ارتباط العبارات، وتعتبر إحدى القرائن المرتبطة بالكلام وتأثيرها في الظهور و ما يراد بالمعنى للمفردات والجمل من أصول المحاورة العقلائية، ويعمّ تأثيرها هذا الكثير من اللغات المختلفة، واعتمدها العلماء المسلمون والمفسّرون في فهم وتفسير الآيات القرآنية.[١]

واعتبر الزركشي أن السياق هو: سبيل الوصول إلى فهم بعض القرآن، والذي لم يثبت فيه حديث معتبر.[٢]

واعتبره رشيد رضا في *تفسير المنار* أفضل قرينة تقوم على حقيقة المعنى اللفظ موافقته لما سبق من القول.[٣]

واستخدم العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان قرينة السياق في مواطن متعددة، بحيث

---

١. سيأتي ذكر بعض النماذج لاحقاً، فمثلاً راجع: *الميزان*: ١٨ / ٣٥، وج١٧ / ٩، وكذلك *روح المعاني*: ملجد١٥، ج٢٩ / ١٧٨، وكذلك: *دروس في علم الأصول، الحلقة الأولى*: ١٠٣.

٢. *البرهان في علوم القرآن*: ٢ / ٣١٣.

٣. *المنار*: ١ / ٢٢.

بلغ الإكثار منه به أن قدّمه على ظاهر الروايات.[١]

وللسياق تأثير كبير على الدلالة وفي قصد المتكلم، وقد يظهر أحياناً معنيان متناقضان من الكلمة الواحدة أو من الجملة الواحدة من غير أن تكون الكلمة مختلفة في بنائها الداخلي، وأنّ الشيء الوحيد الذي تغيّر هو السياق والقرائن المحيطة بالكلمة.[٢]

مفهوم السياق

أ) السياق في اللغة العربية:

والسياق في الأصل، من مادة «سَوَقَ» بمعنى الجلب والطرد.[٣]

قيل: إنها (من السَوَقَ) بمعنى البعث على الحركة من جهة الخلف إلى الأمام.[٤]

فتكون بمعنى السوق الظاهري أحياناً[٥] أو بمعنى السوق المعنوي.[٦] وقد يكون السياق بمعنى: النزع ـ يقال: هو في السياق، أي: الاحتضار.

ب) السياق في الاصطلاح

وقد ذكروا تعاريف كثيرة للسياق منها:

١. كتب الشهيد الصدر فيه قائلاً: «ونريد بالسياق كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه، من دوال أخرى، سواء كانت لفظية، كالكلمات التي تشكّل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالية، كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع».[٧]

٢. وكذا عرّف السياق بشكل آخر، هو: «الجوّ العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات».[٨]

٣. وعبروا عنه كذلك بما يلي: عادةً ما تؤثر القرائن ـ السابقة أو اللاحقة ـ الموجودة في

---

١. *الميزان*: ١٧ / ٧و٩.

٢. *كيف نفهم القرآن*: ١٢٥.

٣. *مفردات الراغب الأصفهاني*: ٥ / ٢٧١، مادة «سَوَقَ».

٤. *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*: ٥ / ٢٧١، مادة «سَوَقَ».

٥. نحو: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾، فاطر: ٩.

٦. نحو: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾، القيامة: ٣٠.

٧. *دروس في علم الأصول، الحلقة الأولى*: ١٠٣.

٨. *كيف نفهم القرآن*: ١٢٥.

الكلام أو السماع أو الكنايات المتعارفة في إعطاء معنى خاص للجملة وتحدد المقصود أكثر، وهو ما يعبر عنه في الاصطلاح، بالسياق أو المساق.[1]

٤. وعرّفه بعض المحققين كما يلي:

السياق: هو نوع خصوصية للمفردات أو العبارة أو الخطاب، يتأتى إثر اتصالها بكلمات أو جملٍ أخرى، وعلى سبيل المثال، لو قال الآمر: جملة: (اذهب إلى البحر) فإن صاحَبتها جملة أخرى مثل: (واستمع حديثه باهتمام)، حصلت على خصوصية ما كانت تتحقق فيما لو قلتها وحدها. وعليه فأنّها مع إلحاقها للجملة الثانية يكون معناها: اذهب إلى الرجل العالم، وأما إذا قيلت وحدها فسيكون معناها: اذهب إلى البحر الحقيقي.[2]

المناقشة

إن التعريف الأول والثاني أوسع مما نحن بصدده وبالتالي فهو ليس مانعاً للأغيار؛ لأنّه يشمل القرائن المتّصلة وغير المتصلة في الحال الذي يقتصر فيه السياق على شمول القرائن المرتبطة المستفادة من العبارة وهو المقصود بالسياق. وعلاوة على ذلك، فإن التعريف الثاني متوجّه إلى قسم من السياق، وهو سياق الكلمة دون التوجه إلى سياق الجمل والعبارات.

وهذه الحال على عكس ما جاء في التعريف الثالث، فهو قد سلّط الضوء على سياق الجمل دون التوجه إلى سياق الكلمات.[3]

وأشير في التعريف الثالث، إلى أنّه يمكن أن يتحقق السياق من تتابع الكلام؛ من العبارة السابقة أو اللاحقة للكلام. ولم يُصرّح في التعريف الرابع بعنصر تأثير السياق في المعنى، وإن كان ذلك قد أشير إليه في المثال.

وعلى ما تقدم يمكن تعريف السياق بما يلي:

الخصوصية والجوّ العام للمعنى الناشئ من وضع الكلمات والجمل جنباً إلى جنب وتتابعها ويمكنه التأثير في معنى المفردة أو العبارات.

وعلى سبيل المثال، عندما نقرأ ورقة قد كتب فيها (اقتلوه) فإن كانت تلك الموضوع رسالة أخلاقية، كان معنى الجملة هذه محاربة النفس وكسرها، و مخالفة الهوى، وإذا كانت

---

١. *شناخت قرآن*: ٥١.

٢. *روش شناسي قرآن*: ١٢٠.

٣. سيأتي ذكره في بحث أقسام السياق وأمثلته.

موضوع الورقة حكماً لمحكمة كان معناها: الإعدام لشخصٍ ما.

وكذلك فإن معنى مفردة (الدين) في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١] مع ملاحظة إضافة كلمة (مالك) إلى كلمة (يوم) وإضافة كلمة (يوم) إلى كلمة (الدين) تكون هذه الكلمة ظاهرة في معنى الجزاء؛ في نفس الوقت الذي تكون فيه هذه الكلمة تعني في القرآن بمعنى آخر، كالشريعة.[٢]

أنواع السياق وتطبيقاته:

أ) سياق المفردات

المراد بسياق المفردات: هو اقتران و نظم المفردات إلى بعضها البعض لتشكيل جملة خاصة[٣] تتحقق به خصوصية وجوّ للمعنى يضيف معنى جديداً إلى الكلمة، أو يحدد ويعيّن معنى مشخص لها.

وسياق المفردات هو من أقوى السياقات المقبولة عند المفسرين والمتخصصين، ولا يوجد أدنى شك في اعتباره وحجيته.

مثال: إن كلمة (أمّة) تكون بالمعاني التالية وذلك بملاحظة موارد الاستعمال وقرينة السياق للآيات:

١. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾[٤] فهي بمعنى: الجماعة أو الشعب.

٢. ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٥] أي: بمعنى المدّة الزمنية.

٣. ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾[٦] بمعنى: النهج والطريقة.

مثال آخر: مفردة (الدين) فأنها تكون بمعاني مختلفة وذلك بملاحظة السياق:

١. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٧] هنا بمعنى: الشريعة.

---

١. الحمد: ٤.

٢. الكافرون: ٦.

٣. ويمكن أن تكون هذه الجملة اسمية أو فعلية (من المبتدأ والخبر، أو من فعل وفاعل ومفعول به).

٤. آل عمران: ١١٠.

٥. يوسف: ٤٥.

٦. الزخرف: ٢٢.

٧. التوبة: ٣٣.

٢. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١] بمعنى: العبادة والإطاعة.

٣. ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[٢] بمعنى: القانون الجزائي.

٤. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾،[٣] بمعنى الجزاء.

وكذلك توجد أمثلة أخرى كما في مفردة (الفتنة، والكتاب)، ولهذا البحث ارتباط وثيق مع بحث الوجوه والنظائر في علم المفردات. ومن هذا الباب كان اللغويون كالراغب الاصفهاني -*في مفرداته* ـ يستخدمون هذا الأسلوب في تعيين المعاني اللغوية لمفردات القرآن الكريم.

ب) سياق الجمل

فقد تكون أحياناً الجملة الواحدة من الآية القرآنية قرينة على المعنى لجملة أخرى في نفس تلك الآية، وتؤثر في معناها أو تحدد وتشخّص معنى معيّن من بين المعاني المحتملة.

وهذا القسم من السياق كان منذ القديم محط اهتمام المفسرين والمتخصصين في القرآن الكريم، وتمّ إثباته كقرينة معتبرة لفهم الآيات.

مثال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛[٤] ذهب البعض: ألى أنّ المقصود من جملة (تؤتي الملك من تشاء): ملك الجنة.

واستدل السيد الرضي ـ بعد ردّه هذا القول ـ قائلاً: وهذا القول غير مرضي عندي؛ لأنّ فيه استكراهاً وتعسّفاً، وذلك أنّ سياق الآية والآية التي تليها تدلّ على أن هذا الملك الذي يؤتيه الله وينزعه إنما هو في الدنيا دون الآخرة، ألا ترى إلى قوله تعالى تالي ذلك: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ وهذا كله من أحوال الدنيا، لا مدخل فيه لأمر الآخرة.[٥]

ومثال آخر على ذلك مفردة شهيد في آخر آية (٢٨٢) من سورة البقرة والتي جاءت بمعنى

---

١. البينة: ٥.

٢. يوسف: ٧٦.

٣. الحمد: ٤.

٤. آل عمران: ٢٦.

٥. *حقائق التأويل في متشابه التنزيل*: ٦٥ ـ ٦٦.

الشاهد المطلع الذي يستطيع أن يدلي بشهادته أمام العدالة، لا بمعنى الشهيد الاصطلاحي أي. المقتول في سبيل الله. وإنّما يتعيّن ذلك المعنى من خلال الالتفات إلى الجمل التي في صدر الآية.

ج) سياق الآيات

لقد قسّموا العبارات والجمل القرآنية إلى أقسام مختلفة، كالسورة والآية وغيرها. وقد تكون الآيات طويلة أحياناً وأخرى قصيرة. وقد تكون الآية كلمة واحدة فقط، نحو قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[1] وقد تتكون الآية من عدة جمل طوال مثل آية الدَيْن.[2]

إن سياق الآيات التي هي أقل من جملة واحدة إنما هو في حكم سياق المفردات (الكلمات) والذي بيّناه سابقاً.

وسياق الآيات التي تكون من جملة واحدة أو أكثر من جملة في حكم سياق الجمل المبيّن سابقاً كذلك.

وفي بعض الأحيان تشكّل الآيات السابقة للآية والآيات اللاحقة لها جوّاً ذا معنى خاص يضيف للآية خصوصية ومعنى خاص جديد. وبعبارة أخرى إن سياق الآيات الأخرى يؤثر على ظهور المعنى في آية ما.

مثال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾.[3]

فإن ظاهر الآية: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ـ إذا لم نلتفت إلى الآيات السابقة واللاحقة ـ يدل على الاحترام والمدح وتشجيع المخاطب، ولكن وبمجرد الالتفات إلى الجوّ التهديدي والمعنى التخويفي الذي تشكله الآيات السابقة واللاحقة للآية، ندرك أنّ الله تبارك وتعالى في مقام توبيخ وملامة المذنبين الجهنميين الشاكّين في القيامة وفي العذاب الأخروي.

د) سياق السور:

وهذا الموضوع قابل للبحث من جهتين:

---

١. الرحمن: ٦٦.

٢. البقرة: ٢٨٢.

٣. الدخان: ٤٣ ـ ٥٠.

١. سياق الآيات في داخل كل السورة.

تنتظم بعض الآيات في مجموعة تسمى السورة، وعادة ما تكون تلك الآيات ذات ارتباط فيما بينها، وترمي إلى هدف واحد أو إلى أهداف معينة.[١] ومن هنا كان لكلّ سورة جوّ خاص للمعاني يؤثر في تفسير جميع الآيات التي في السورة أو بعضها، كما هو الحال في سياق الآيات والجوّ الخاص للمعاني المتولد منه، والذي يعدّ قرينة على تعيين مكّية السورة أو مدنيتها.

إنّ الجو أو الفضاء الخاص للمعاني ـ المعنائي ـ للسور وأهدافها العامة إنّما هما مستبطنان في سياق آيات السورة والذي يعتبر من القرائن على فهم وتفسير الآية، وكذلك مستنبطان منه.

وقد جمع الدكتور عبد الله محمود شحاته هذه الأهداف في كتابه الموسوم بـ*أهداف كلّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم*.

وقد أبدى بعض المفسرين المتأخرين اهتماماً ملحوظاً بأهداف السور، أمثال العلامة الطباطبائي، فقد كتب في هذا الصدد:

إنّ لكلّ طائفة من هذه الطوائف من كلامه (التي فصّلها قطعاً قطعاً، وسمّى كلّ قطعة سورة) نوعاً من وحدة التأليف والتمام، لا يوجد بين أبعاض من سورة ولا بين سورة وسورة، ومن هنا نعلم: أن الأغراض [الأهداف] والمقاصد المحصلة من السور مختلفة، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصّل لا تتم السورة إلاّ بتمامه، وعلى هذا فالبسملة في مبتدأ كل سورة راجعة إلى الغرض الخاص من تلك السورة.[٢]

وفي الحقيقة فإن البروفيسور ايزوتسو يؤكد على هذا الموضوع في بحث (كلمات القرآن المحورية). فالكلمات المحورية هي المفردات التي تربط الآيات والمواضيع المختلفة الموجودة داخل السورة الواحدة، وعلى سبيل المثال، فهو يعتبر كلمة (التقوى) محوراً لسورة البقرة.[٣]

ويذكر الدكتور بي آزار شيرازي: إن مفتاح نطق القرآن هو الالتفات أو الاهتمام بالارتباط بين الآيات والمواضيع المتنوعة المركبة في سورة واحدة.[٤]

مثال: مال العلامة الطباطبائي برأيه إلى أنّ البسملة في مبتدأ كل سورة راجعة إلى الغرض

---

١. ويوجد هنا آراء مختلفة في هذا الموضوع يمكنك مراجعة: *البناء الهندسي للسور القرآنية*.

٢. *الميزان*: ١ / ١٦.

٣. *خدا وإنسان در قرآن [الله والإنسان في القرآن]*: ٢٠ ـ ٣٦ وغيرها.

٤. *قرآن ناطق*: ١ / ٣١٢.

الخاص من تلك السورة، فالبسملة في سورة الحمد راجعة إلى غرض السورة والمعنى المحصّل منه، والغرض الذي يدلّ عليه الكلام في هذه السورة، هو حمد الله بإظهار العبودية له سبحانه، فالمعنى: باسمك أُظهر لك العبودية.[١]

مثال آخر: مفردة (الدين) في سورة (الكافرون) فإنّه كما مرّ فقد ذكرنا أنّ مفردة (الدين) في القرآن لها عدة معان: كالجزاء، والشريعة، والعبادة، الطاعة، والقانون الجزائي. وأمّا في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢] فإنه يحتمل أن المعنى يكون المعنى هو: الجزاء أي ولكم جزاؤكم ولي جزائي: هذا بعد أن قال العلامة: إن المراد به العبادة للأصنام يختص بكم....[٣] أي يردّ ما يحتمل من كون المعنى من الدين الجزاء، وذلك لأنه ينافي الفهم العام للسورة.[٤]

إنّ سياق آيات السورة والجو العام لها تدلّ على الابتعاد بين حدّ الإسلام والكفر، وعلى عدم الانسجام بينهما وهذا المطلب لا ينسجم مع كون المعنى المراد من كلمة (الدين) هو الجزاء.[٥]

إن شريعة عبادة الأصنام عند مشركي مكّة لم تكن ديناً إلهياً فلا تستحق إطلاق كلمة (الدين) عليها. ويمكن أن يقال: إن المقصود من مفردة (الدين) في ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الشريعة الشاملة للدين الحقيقي، والمراسم العبادية للشرك.

والمقصود من مفردة (الدين) في (ولي دين) الدين الحقيقي.

مثال آخر: وقع الاختلاف في أنّ سورة الكافرون هل هي مكّية أو مدنية، والعلامة الطباطبائي يذهب إلى أنها مكّية مستدلاً على ذلك بالسياق.[٦]

٢. السياق الناتج من ارتباط الآية الأخيرة في السورة مع الآية الأولى في السورة التي بعدها

اعتبر بعض المفسرين وبعض العلماء في علوم القرآن، أنّ السور القرآنية جميعها مرتبطة

---

١. *الميزان*: ١ / ١٦ـ١٧.

٢. الكافرون: ٦.

٣. *الميزان*: ٢ / ٥٢٨.

٤. المصدر.

٥. ورد في شأن النزول لهذه السورة ما يؤكد هذا المطلب، إذ حكي أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة فنزلت سورة الكافرون على صدر النبي ﷺ لحسم الامر. راجع: *الدر المنشور*، السيوطي، و*تفسير القمي* عند تفسيره سورة الكافرون).

٦. *الميزان*: ٢ / ٥٢٦.

مع بعضها البعض، وذكروا في بعض الأحيان وجه علاقة بين الآية الأولى لسورة ما والآية الأخيرة للسورة التي قبلها.[١]

وألّف البعض في هذا الموضوع،[٢] ومن الواضح أن لا دليل لهؤلاء إلاّ السياق.

ومع الالتفات إلى إجماع المفسرين و علماء القرآن، على أن السور القرآنية نظمت على خلاف ترتيب النزول، وهذا الأمر من قطعيات التأريخ القرآني، وأنّ الأكثر يعتبر هذا الترتيب للسور في المصحف أمراً اجتهادياً،[٣] ولا يوجد دليل معتبر على توقيفيّة ترتيب السور، فلم يثبت اعتماد أو استناد السياق الفعلي للسور إلى الوحي أو إلى توقيف النبي الأكرم ﷺ. وعليه فلا دليل على ارتباط السور وعلاقتها فيما بينها، ولا على وجه العلاقة والمناسبة لاقترانها؛ ولا لاقتران أول آية من السورة مع آخر آية للسورة التي قبلها. فلا يمكن اعتباره مدلولاً قرآنياً، ولا يمكن نسبته إلى الله تبارك وتعالى.[٤]

أدلّة حجّية السياق:

السياق من القرائن الظنية لفهم القرآن وتفسير آياته؛ لأنّ السياق مأخوذ من ظهور العبارات القرآنية والظهور لا يفيد أكثر من الظن،[٥] وكما أنّ للظهور قوةً وضعفاً فإن للسياق قوةً وضعفاً.

فيتبين لنا أنّ حجّية وقيمة السياق راجعة إلى الظهور القرآني، وحجّية الظهور قائمة على أساس البناء العقلائي وسيرة العقلاء؛ لأنّهم يعتمدون على ظواهر الألفاظ على خطاباتهم وفي أمور حياتهم ويرتّبون عليه الثواب والعقاب والمعاني الأخرى، وعليه يحمل الجدّي من المداليل، وعليه يرتبون الآثار، هذا كلّه من جهة.

---

١. ومنهم الطبرسي صاحب *مجمع البيان*، والفخر الرازي في *مفاتيح الغيب* فقد ذكروا نوع علاقة ووجهها بين بداية كل سورة ونهاية التي قبلها عدة مرات، وكذلك فعل الزركشي في *البرهان*: ١ / ١٣٠ وما بعدها.

٢. راجع *الاتقان*: ١٩٤/١، (النوع الأول) وكتاب *پژوهشي در تاريخ قرآن* [بحث في تاريخ القرآن] في مقابل الدكتور صبحي الصالح وآخرين ممن يعتبر أن ترتيب السور أمراً توقيفياً (مباحث في علوم القرآن: ٧١ ـ ٧٣).

٣. *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٤٢ ـ ١٤٣.

٤. انظر *البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن*، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي توفي ٧٠٨ ق، وكتاب *أسرار ترتيب القرآن أو تناسق الدرر في تناسب السور*، للسيوطي توفي ٩١١ ق، وكتاب *جواهر البيان في تناسب سور القرآن*، عبد الله بن محمّد الصديقي الغماري، *ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، إبراهيم بن عمر البقاعي توفي ٨٨٥ ق.

٥. لقد تمّ بحث موضوع حجّية ظهور ألفاظ القرآن في مبحث مباني التفسير.

ومن جهة أخرى، تكون الحجّية راجعة إلى الانسجام الداخلي للكلام أو للكتابة الصادرة عن فرد عاقل حكيم؛ لأنّ الشخص الحكيم عندما يستعمل ألفاظاً أو عبارات لا يمكن أن يريد بها معانٍ غير متناسبة وغير منسجمة وإلاّ ستكون جملاً فارغة من المعنى، أو متناقضة المعنى، أو ناقصة، بحيث يكون ذلك الكلام لغواً لا فائدة منه وهو خلاف الحكمة، وهذا مالا يقوم به الشخص الحكيم. بل على العكس فإنّ الشخص العاقل والحكيم عندما يريد أن يبيّن أمراً فإنه يقول كلاماً منسجماً ومتناسقاً في كلماته شاملاً لكلمات وجمل متناسبة. وعليه يمكن أن نستفيد من القرائن الداخلية للنص في فهم الجوّ العام للمعنى لجميع النص، ومن ثمّ تعيين المعاني المناسبة للمفردات.

فالسياق قرينة متصلة ومستفادة من ألفاظ النص، وهو أحد الأصول في المحاور العقلائية إذ يعتبر قرينة الفهم الحاصلة من انسجام النص.

ولابدّ أن نشير إلى أنّ الآية ـ في بعض الأحيان ـ قد تكون منسجمة مع معنى أو مع معنيين، وفي هذه الحالة يمكن نسبة المعنيين إلى القرآن الكريم؛ وإنْ كان سياق الآية يمكن أن يكون قرينة مرجحة لأحد المعاني، ولكن لا يستطيع السياق أن يعيّن أحد المعاني لأنه قرينة ظنية فحسب.

مثال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ...﴾.[١]

فجملة ﴿يزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ...﴾ من هذه الآية يمكن أن يكون لها معنيان:

١. أن يكون المقصود هو: أنّ الله يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء.

٢. أن يكون المقصود هو: أنّ الله يزيد في خلق المخلوقات ما يشاء.

كلا المعنيين منسجم مع ظاهر الآية واختيار أي منهما لا يؤدي إلى الاختلال أو التعارض داخل النص؛ وإن كان السياق للآية في مورد الملائكة وهو أكثر انسجاماً مع المعنى الأول.

كما أشار العلامة الطباطبائي إلى ذلك حيث اعتبر الجملة غير خالية من الإشارات إلى أن من الملائكة ما له أكثر من أربعة أجنحة.[٢]

---

١. فاطر: ١.

٢. *الميزان*: ١٧ / ٧. وجاء في كتاب *روش شناسي تفسير* في حاشية: ١٢٣، إشكال على العلاّمة الطباطبائي؛ لأنه قال ذلك، وفي حال كون السياق في مورد المعنى الأول ولم يختاره العلاّمة كمعنى متعيّن ولم يعتبر السياق دليلاً راجحاً. ولربما نشأ هذا الإشكال من كون الملاك والمناط لقرينيّة السياق عند مؤلفي الكتاب، هي الانسجام التام للمعنى الشامل بين الجمل في الحال الذي تكون فيه لقرينيّة السياق ملاكاً عندنا.

ضوابط وظروف حجّية السياق:

لابدّ من توفّر الضوابط والظروف التالية من أجل تحقق السياق وتحقق حجّيته:

أ) الارتباط الصدوري (عند النزول)

إذا قمنا بجمع مجموعة كلام المتكلم، فإن السياق الظاهر من تتابع الجمل واقترانها ببعضها يتوقف تماماً على صدق تتابع الجمل وواقعية اقترانها عند صدور المتكلم.[١] وفي أي حالة من الحالات التي يثبت فيها عدم الارتباط والاقتران الصدوري بين الجمل لا يثبت وجود السياق بين الجمل فلا نستطيع أن نعتمده كقرينة متصلة.

مثال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اهل البيت وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ والتي هي جزء من آية ٣٣ من سورة الأحزاب، يمكن أن يقال بعدم وجود الارتباط الصدوري فيما بينها وبين ما قبلها، وذلك لحن بسبب الآية وخصوصيات الألفاظ وضمائر المذكر والمؤنث يختلف بين هذا الجزء من الآية وما قبله وما بعده، فإن ما قبله يتعلّق بزوجات النبي ﷺ وهذا القسم من الآية يتعلّق بأشخاص آخرين، نسبة الرجال فيهم أكثر من النساء وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام،[٢] وذلك اعتماداً على الأحاديث المنقولة عن النبي الأكرم ﷺ.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وهو جزء من الآية الثالثة لسورة المائدة، فإن سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها إضافة إلى الروايات[٣] تدلّ على أنّ هذا القسم من الآية غير مرتبط بحرمة اللحوم، بل هو قسمٌ مستقل يتعلّق بقضية غدير خم وتنصيب الإمام علي خليفة للرسول ﷺ.

ب) الارتباط الموضوعي والمضموني بين الجمل

وهناك شرط آخر يتحقق به السياق وهو أن تكون الجمل ذات ارتباط موضوعي ومفهومي، بأن تكون جميع الجمل تتحدّث حول موضوع واحد ومن أجل إفادة مطلب واحد. وعلى هذا فلو وجدت جملة معترضة ـ أو أكثر ـ فيما بين تلك الجمل لا يمكن التمسك بالسياق والتأثير به على المعنى الظاهر للجمل المعترضة، أو العمل على حمل

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٢٨، (بتصرّف).

٢. راجع *البحار*: ٣٥ / ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٦ ـ ٢٢٣؛ ومجمع *البيان*: ٨ / ١٥٦ ـ ١٥٧؛ *والدر المنثور*: ٥ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧؛ وغيرها.

٣. راجع: *نور الثقلين*: ١ / ٥٨٧ ـ ٥٩٠؛ *والدر المنثور*: ٢ / ٤٥٧ ـ ٤٥٨؛ *والميزان*: ٥ / ١٦٧.

المعترضة على معنى مناسب لما قبلها أو بعدها؛ لأن عدم الارتباط بين الجمل السابقة واللاحقة من جهة وبين الجملة المعترضة من جهة أخرى ليس أمراً غير عقلائي أو غير معقول ولا يؤدي إلى اضطراب كلام المتكلم وعدم انسجامه.[١]

مثال: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.[٢]

هذه الآيات الأربعة تتعلّق بالبعث وقد نزلت في سورة القيامة، ومن هنا فقد فسّرها بعض المفسرين بقراءة صحيفة الأعمال يوم القيامة[٣] ورفض بعض المفسرين هذا التفسير؛ لأنّ هذه الآيات الأربعة عبارة عن جمل معترضة تختصّ بموضوع قراءة القرآن حاملة معها أمراً خاصاً بالنبي الأكرمﷺ.[٤]

ج) عدم تعارض السياق مع قرينة أقوى

لقد بينّا سابقاً: أن السياق قرينة ظنّية قائمة على ظهور الكلام، وعليه فإذا وجدت قرينة أقوى نقلية كانت (كآية أو رواية قطعية) أو عقلية (كالبرهان العقلي) أدى ذلك إلى سقوط الحجية عن السياق، إذ لا يمكنه أن يضفي ظهوراً لأي معنى لكلمة أو لجملة مادامت هناك قرينة أقوى منه.

وبعبارة أخرى فإنه يمكن عدّ حالات تعارض السياق مع القرائن الآخرى كما يلي:

١. تعارض السياق مع المعنى اللغوي للمفردة: وفي هذه الحالة يكون السياق مقدّم، كما مرّ في التعامل مع مفردة (الدِّين) و(الأمّة)؛ لأنّ السياق مؤثّر وفعال في ظهور مفردة (الدين) و(الأمة) ويثبت المعنى اللغوي الاستعمالي، علماً أن الاستعمالات اللغوية لا يمكنها إثبات أصل الوضع للمفردة، ولا يمكن نفيها بظهور استعمالي آخر.

وهذا مساعد بن سليمان في *ضوابط التفسير باللغة* يؤكد ـ أيضاً ـ أنّه يجب على المفسّر عند التفسير اللفظي أن يراعي السياق، وأن لا يختار معنى لا يتناسب مع السياق.[٥]

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٢٦، (مع التلخيص).
٢. القيامة: ١٦ ـ ١٩.
٣. *مجمع البيان*: ١٠ / ١٩٧، نقلاً عن البلخي.
٤. *الميزان*: ٢٠ / ١١١.
٥. *فصول في أصول التفسير*: ٤٣.

٢. تعارض السياق مع الآيات القرآنية المحكمة في السور الأخرى: وفي هذه الحالة يجب إرجاع الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة وعلى ذلك الأساس يتمّ التفسير؛ أي يُقدم الدليل القطعي ـ وهو الآيات المحكمة ـ وأما السياق هو الدليل الظني يوضع جانباً. (وسنذكر مثالاً لاحقاً).

٣. تعارض السياق مع دليل عقلي قطعي: وفي هذه الحالة يقدّم الدليل القطعي العقلي على السياق والذي هو دليل ظني.

مثال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾.[١] فإن ظهور كلمة (يد) على أساس سياق صدر الآية ونهايتها (فوق أيديهم) يدل على المعنى الجسمي لليد وأنها الجارحة. ولكن ومع الالتفات إلى البرهان العقلي الدال على أن الله ليس جسماً أو بالرجوع إلى آية محكمة كقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يظهر لنا ضعف ذلك الظهور، وإنها ليست اليد المادية المعروفة بل كناية عن القدرة وما شابهها.

٤. تعارض السياق مع الروايات القطعية: (المتواترة أو المحفوفة بالقرائن) والتي صدرت عن المعصوم، وفي هذه الحالة كذلك تقدم الرواية القطعية ويؤخر العمل بالسياق الظني.

والمثال على هذه الحالة هو ما جاء في مورد آية التطهير[٢] من روايات، وكذلك ما جاء في آية إكمال الدين.[٣]

٥. تعارض السياق مع الروايات الظنية: هناك آراء مختلفة في موضوع حجية خبر الواحد في تفسير القرآن الكريم،[٤] فإن اختار الباحث أنّ خبر الواحد ليس حجة في التفسير فهو يُقدم السياق في جميع الأحوال، وأما من اعتبر الحجية لخبر الواحد فإنه سيقع التعارض بين دليلين ظنيين، السياق وروايات الآحاد. وعند التعارض لابدّ أن نفسّر الآية على الظن الأقوى، وفي حالة التساوي نراجع القرائن الأخرى ونقوم بترجيح أحد الدليلين الظنيين.

وقد نسب إلى العلاّمة الطباطبائي: أنه في حالة تعارض ظاهر الرواية مع سياق آية ما، لابد من التصرّف في ظاهر الرواية لينسجم مع السياق ولا يعارضه.[٥] وهذا الأمر يحكي ما في

١. الفتح: ١٠.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. المائدة: ٣.

٤. لقد مرّ في مباني التفسير: أنّ حجية السنة من جملة أخبار الآحاد.

٥. *الميزان*: ١٧ / ٧ ـ ٩.

نظر العلاّمة من أنّ سياق الآية أقوى من ظاهر الرواية.[١]

وهناك نقطتان جديرتان بالذكر في كلام العلاّمة الطباطبائي:

أ) إنّ لعلامة الطباطبائي لا يعتبر الحجّية لخبر الآحاد في التفسير. وقد يكون تقديم السياق على خبر الواحد في هذه الآية[٢] مبنياً على ذلك.

ب) قام العلامة الطباطبائي بتقديم السياق الذي تؤيده رواية على رواية خاصة مخالفة للسياق، كالرواية (التي تقسم الملائكة إلى ثلاثة أقسام: ذي جناحين، وذي ثلاثة، وذي أربعة) وبعبارة أخرى أنه يقدم السياق إذا أضيف إليه رواية على رواية بدون سياق.

أصالة السياق أو أصالة عدم السياق

وهنا سؤال يطرح نفسه في كل حالة شك في وجود السياق وتحققه للآيات أو لا، وذلك السؤال هو: ما هو الأصل في حالة الشك، هل أنّ الأصل هو وجود السياق عند الشك السياق، أو أنّ الأصل هو عدم السياق؟ فما هي الأصالة الحاكمة؟

ذهب الشيخ معرفة إلى أن أصالة السياق ووجوده هي الحاكمة؛ لأن السياق بحسب الطبيعة الأولى للآيات موجود ومحفوظ، أي بمعنى أنّ الأصل الأوّلي هو البناء على الترتيب الفعلي للآيات هو نفسه ترتيب النزول إلاّ أن يثبت الخلاف بالدليل، وهو ما لم يتحقق إلاّ في موارد قليلة جداً. وكذلك لم يثبت وضع الآية في غير مكانها الأصلي بحسب النزول إلاّ القليل جداً وذلك لأمر النبيﷺ وإرشاده بوضعها في مكان آخر وأما الباقي فقد رتبت آياته بأمر النبيﷺ وبهذا تلاحظ المناسبة والعلاقة بين آياته وهو ما يحقق السياق.[٣]

وكتب بعض المؤلفين في هذا الصدد ما يلي:

أن السياق متحقق ومحفوظ في الموارد التي يراعى فيها ترتيب النزول، وأما في الموارد التي تمّ فيها ترتيب الآيات على خلاف النزول وكان ذلك بأمرٍ من النبيﷺ وبتأييد من الأئمة المعصومينعليهم السلام فإن السياق كذلك ثابت لا سيما مع ملاحظة وصايا النبيﷺ والأئمةعليهم السلام للأمة وإرجاعها وشدّها إلى القرآن الموجود الآن بين أيدي المسلمين.

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٢٢.

٢. فاطر: ١.

٣. *التمهيد في علوم القرآن*: ١ / ٢٨٠.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، أنّ النّاس إنّما يفهمون القرآن الكريم عبر قنوات، ومنها السياق ويلاحظونه في تفسيرهم إلاّ في مواطن لم يحرزوا فيه وجود السياق، ومع ذلك فإن لم يصدر أي تحذير أو تنبيه أو منع من قبل الأئمة عليهم السلام، حول الاحتياط عن إعمال السياق في الفهم والإفادة منه في التفسير في جميع الموارد.

فإننا نستنتج من ذلك كلّه، أنّ السياق موجود ومتحقّق في جميع الآيات القرآنية إلاّ في موارد ثبت فيها بالدليل خلاف ذلك، وهذا بمعنى ثبوت أصالة السياق.[١]

دور السياق في التفسير الموضوعي

يؤدى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بصورتين، كما يلي:

أ) عرض الموضوع الذي يراد دراسته على القرآن وأخذ النتيجة من القرآن، فعلى سبيل المثال نأخذ موضوع (الليبرالية)، أو موضوع (التعددية) ثمّ نعرضه على آيات القرآن الكريم، ثمّ نفحص الآيات الموافقة والآيات الرافضة لهذا الموضوع عاملين على استخلاص النتيجة الحق.

ب) اختيار موضوع قرآني كالإنفاق أو الحياة، ثمّ تجمع الآيات الخاصة بهما واستخلاص النتيجة منها. وهذا الأسلوب من التفسير أصبح ضرورة لازمة لهذا العصر، بحيث أصبح من اللازم كتابة تفاسير موضوعية علمية وتخصّصية، لا سيما في العلوم الإنسانية، كالقرآن والاقتصاد، أو القرآن والإدارة، ففي هذا التفسير يُفك اقتران الآيات وارتباطها الترتيبي، ثمّ تجمع وكأنها الدر المتناثر من جميع أطراف القرآن في مجموعة إلى جانب بعضها البعض فيتحقق بينها ارتباط موضوعي جديد، وفي هذه الحالة قد تتضائل أهمية السياق وتصير إلى خانة النسيان. وأما دوره فكما يلي:

١. من اللازم الالتفات إلى التفسير الترتيبي للآيات قبل الخوض في التفسير الموضوعي؛ وذلك رعاية لأصالة السياق لآيات القرآن الكريم، أي أن يبحث السياق للآيات أولاً، ثمّ يستعمل المعنى التفسيري ــ الحاصل من الآية ــ في مجموعة تفسير الآيات بالتفسير الموضوعي. فإنه كثيراً ما اتضح أن الآية المبحوثة ـ بعد بحثها ـ على خلاف ظاهرها وليس لها مدخلية أو استخدام في تفسيرنا الموضوعي المطلوب، ومن ثمّ يكون المفسر ــ فيما لو أخطأ ـ في حالة من الاضطراب والابتعاد عن الحقيقة.

---

١. *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٤٢.

مثال: إذا نظّم أحدٌ تفسيراً موضوعياً في خصوص الزكاة، فأنه لا يستطيع أن يستدل بكل مفردة (زكاة) بدون أن يلاحظ السياق؛ لأن مفردة (الزكاة) الواردة في آية قد تكون بمعنى (الانفاق). كما احتمل ذلك بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾؛[١] لأن آيات سورة المؤمنون مكّية، ولم يشرع بعد وجوب الزكاة في الفترة المكية.[٢]

وهذا المطلب نفسه يتكرر في كلمة (تأويل) في آية ٦ و آية ١٠٠ من سورة يوسف، فقد جاءت هذه المفردة بمعنى تفسير الأحلام وتعبيرها ولم تكن بمعنى التأويل الاصطلاحي، وفي خصوص كلمة (الدين) و(الفتنة) وشبههما كما أشرنا إلى ذلك سابقاً واللاتي يتغير معناها ولها في كل آية معنى استعمالي خاص، والذي يفهم من خلال مراعاة السياق والقرائن الأخرى.

٢. لا يمكن للمفسّر ـ في التفسير الموضوعي ـ أن يكتفي بالسياق، بل قد يلزم عليه أن يتحرك بخلاف السياق؛ وذلك لأنّ تجميع الآيات القرآنية الموضوعية وإرجاع المتشابهات إلى المحكمات قد يكسر هالة السياق ويحيلها إلى العدم. وبعبارة ثانية فإن السياق قرينة ظنية وقد يجد المفسر في حركته قرائن أقوى، كالآيات المحكمة، والأدلة العقلية، والقرائن الروائية المخالفة للسياق، فيعمل بها المفسر، أي بحسب اقتضاء الأقوى من الأدلة. مثلاً في تفسير الآيات التجسيم لله سبحانه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً نحو (يد الله، وجاء ربك، والعرش، والكرسي، إلى ربها ناظرة وغيرها) فإنّه يمكن تفسيرها على خلاف الظاهر، وذلك بالرجوع إلى الأدلة العقلية، والآيات المحكمة مثل: ﴿مثل لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[٣]

فيجب على المفسّر أن يتحرر من الظاهر وما يقتضيه السياق وأن لا يكون أسيراً لهما.

٣. لقد ذكرنا أنّ بعض الآيات القرآنية قد تكون مخالفة للسياق، فمعرفة هذه الآيات ـ كآية التطهير،[٤] وآية إكمال الدين[٥] ـ ضروري في إتقان التفسير الموضوعي والفهم العام الصحيح.

٤. لابدّ للمفسّر في التفاسير التخصصية أي التفاسير الموضوعية العلمية للقرآن الكريم، أن يراعي الأصول والفرضيات في تلك العلوم، وبعبارة أخرى أن يطلّع على أسلوب التفسير الموضوعي العلمي لكي يساعده ذلك على الجمع الصحيح للآيات وتبويبها.

---

١. المؤمنون: ٤.

٢. راجع: *تفسير الأمثل*؛ والتفاسير الأخرى في تفسير هذه الآية سورة المؤمنون: ٤.

٣. الشورى: ١١.

٤. الأحزاب: ٣٣.

٥. المائدة: ٣.

فإنّ الظاهر من سياق الآيات القرآنية العلمية أن هدفها ليس البيان العلمي المنظّم للإدارة أو الاقتصاد أو السياسة أو علم الفلك أو الطب وأمثالها، بل هي إشارات علمية لا غير، وأما كثرتها وتكرارها فهي تصبّ في طريق معرفة الله والمعاد[1] والالتفات إلى هذه النقطة عامل مساعد وموجّه جديد في تدوين التفاسير التخصصية الموضوعية.

والتفسير الموضوعي من دون التوجه للسياق قد يؤدي إلى التفسير بالرأي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التوقّف في السياق وترك التفسير الموضوعي يقلّلان انتفاعنا بالقرآن، وتترك الأسئلة في المستجدّ من الموضوعات بلا جواب، وعندها يقلّ فهمنا للقرآن الكريم. ومن هنا يجب سلوك طريق وسطي يهتم المفسر فيها تارة بالسياق وأخرى يرفع اليد عنه ويتوقف فيه.

لقد ناقش بعض الكتاب في معنى (أصل) و(أصالة السياق) وناقش بعضهم في مقدمات الأدلة السابقة.[2]

فمع الالتفات إلى الأدلة السابقة يحصل للإنسان اطمئنان بهيمنة أصالة السياق على آيات القرآن الكريم فيكون حاله حال أي كتاب آخر في استخدام السياق في فهم وتفسير آياته و البراعة في ذلك وهذا النظم لا يكون معجزة إلاّ من خلال الارتباط فيما بين الآيات وإضفاء المعنى المكمّل لبعضها البعض.

الأبحاث الجديدة

١. دراسة معاني كلمة (الفتنة) و(الكتاب) من خلال تسليط الضوء على سياق للآيات.
٢. دراسة معاني كلمة (فاقتلوا) من خلال تسليط الضوء على سياق الآيات.
٣. دراسة العلاقة بين موضوع السياق مع الوجوه والنظائر مع مراعاة آراء أصحاب هذا العلم.
٤. دراسة ونقد أدلة المخالفين لأصالة السياق في آيات القرآن الكريم.
٥. دراسة العلاقة بين السياق والهرمنوطيقيا.
٦. جمع وتنظيم ودراسة الموارد التي تمسّك بها العلاّمة الطباطبائي بالسياق.

---

١. انظر: الآيات الأولى لسورتي: الرعد، والحجّ، وكتاب *درآمدى بر تفسير علمي للقرآن* للمؤلف.

٢. راجع: *روش شناسي تفسير قرآن*: ١٤١ ـ ١٤٢.

مصادر حول الموضوع

١. *روش شناسي تفسير قرآن*، تأليف بابائي وآخرين، نشر مؤسسة سمت.

٢. *مقدمات التفاسير الشيعية والسنّية* (وبالأخص، تفسير الميزان، ومجمع *البيان*، *والتبيان*).

٣. كتاب *دروس في علم الأصول* (الحلقات) للشهيد الصدر.

٤. *كيف نفهم القرآن*، للحسيني.

٥. *شناخت قرآن*، محمد علي كرامي.

٢. قاعدة الجري والتطبيق

تمهيد

الأهمية والتاريخ

يُعتبر القرآن الكريم الكتاب الخالد الذي يصلح لجميع الأزمنة ولجميع الأجيال، والكتاب العالمي لكلّ مكان ولجميع الشعوب، فلا يتحدد بقيود الزمان أو المكان، بل الحال واحدة في تطبيق الآيات على الناس الذين هم في صدر الإسلام والناس الذين هم في العصور اللاحقة.

فحياة القرآن وتفسيره مرتبطان بإعمال هذه القاعدة، كما جاء ذكر هذه النقطة في بعض الأحاديث.[١]

لقد ذكرت قاعدة الجري في أحاديث اهل البيت عليهم السلام في صدر الإسلام ولكنها لم تحضَ باهتمام المفسرين والمتخصصين في علوم القرآن.

لقد تناول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) جزئيات هذه القاعدة في كتابه *القواعد الحسان لتفسير القرآن* في قاعدة رقم ٢١، واعتبرها قاعدة جليلة وعظيمة، ولكنه لم يذكر اصطلاح (الجري) بل أشار إلى تطبيق التعاليم الإرشادية للقرآن ـ على أساس العرف والعادة ـ على الحالات والمسائل المعاصرة.[٢]

ولكنَ مفسرين آخرين أولوا الأهمية الكبرى لهذه القاعدة، كالعلاّمة الطباطبائي في

---

١. سنذكر هذه الأحاديث في طيات هذا البحث.

٢. *القواعد الحسان لتفسير القرآن*: ٧٩.

تفسيره *الميزان*، واستخدمها في تفسير الآيات واعتبرها قاعدة، وأن هذا الاصطلاح مأخوذ من كلام اهل البيت عليهم السلام.[١]

المفاهيم

أ) المعنى اللغوي للجري والتطبيق[٢]

كلمة «الجري» في الأصل تدل على الحركة المنظمة والدقيقة ـ في المكان ـ طولاً، وانسياح الشيئ، يقال: جرى الماء يجري جَرية مثل جريان الماء أو السفينة في البحر أو الشمس.[٣] وهناك كثير من اللغويين لم يقيدوا كلمة (الجري) بالحركة في المكان بل اعتبروها خلاف السكون لا غير.[٤] وأما كلمة «التطبيق» فهي بالأصل بمعنى وضع الشيء على آخر بشكل يغطيه ويساويه.

ب) المعنى الاصطلاحي للجري والتطبيق[٥]

ذكر العلاّمة الطباطبائي: أنّ اصطلاح (الجري) أُخذ من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ثم أشار إلى تلك الروايات، و كتب في تعريف قاعدة الجري ما يلي: وهذا منهج اهل البيت عليهم السلام فإنّهم يطبّقون الآية القرآنية على موارد تقبل الانطباق عليها وإن كانت خارجة عن مورد نزول القرآن.

فهو يطبق قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٦] على الإمام علي عليه السلام والذي جاء ذكره في الروايات فاعتبر العلاّمة، أنها من موارد تطبيق قاعدة الجري.[٧]

وعرف بعض الكتّاب هذه القاعدة بما يلي: الجري والتطبيق عبارة عن انطباق الألفاظ والآيات القرآنية على مصاديق مغايرة لما نزلت حولها آيات القرآن الكريم.[٨]

---

١. راجع: *الميزان*: ١ / ٤١ ـ ٤٢.

٢. لقد وردت كلمة الجري في الأحاديث المتعلّقة بهذه القاعدة (كما سيأتي لاحقاً) بعكس كلمة التطبيق، ولكن الاسم المشهور لهذه القاعدة هو الجري والتطبيق ونحن ذكرنا الاسم مركباً من أجل التمييز بين القاعدة وبين موضوع (البطن) من جهة أخذه كقاعدة كلية.

٣. راجع: *مصباح اللغة*؛ *مقاييس اللغة*؛ لسان العرب: مادة «جَرَيَ».

٤. *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*: ٢ / ٧٧، مادة «جَرَيَ».

٥. *مقاييس اللغة ومصباح اللغة*: مادة «طبق».

٦. الحمد: ٦.

٧. *الميزان*: ٦ / ٤١ ـ ٤٢.

٨. *روش هاى تأويل قرآن*: ١٤٧.

دراسة مفاهيم الجري والتطبيق وتمايزها عن غيرها

يبدو لنا أنّه من اللازم أن نفصّل ونميّز بين عدة من الاصطلاحات؛ لكي يتّضح لنا معنى (الجري والتطبيق) أكثر فأكثر ولابّد أن نشخّص الفرق بينه وبين الاصطلاحات الأخرى. ومن هذه المفاهيم ما يلي:

١. التفسير: الكشف، أو رفع الستار عن الإبهامات في الكلمات والجمل القرآنية وتوضيح مقاصدها وأهدافها.[١]

٢. التأويل: وله معاني كثيرة ولكن المشهور عند المتأخرين، هو: بيان المعنى المخالف لظاهر الآية اعتماداً على قرينة عقلية أو نقلية.[٢]

٣. البطن: وله معاني عديدة ونذكر أحدها ـ وهو ما ذهب إليه أحد العلماء الكبار المعاصرين ـ وهو: أخذ القاعدة الكليّة من الآية بعد إلغاء خصوصيتها وانطباقها على مصاديق جديدة.[٣]

٤. الجري والتطبيق: وهي انطباق ظاهر القرآن [الكلمات أو الجمل] والذي هو المفهوم العام، الكلّي أو المطلق على المصاديق الجديدة الحاصلة على مرّ العصور والأجيال واختلاف الأماكن.

ولا يختلف الأمر في الآية [الكلمة أو الجملة] سواءً نزلت في شخص أو قضية خاصة، أو لم تنزل كذلك.

وهذا التوضيح والفصل بين المصطلحات يبيّن لنا أن (الجري) يمكن أن يُعدّ نوعاً من التفسير؛ لأنّه يشخص ويعيّن مصاديق الآية، وهو نوع من رفع الإبهام وإنارة المقصود من الآية، وبعبارة أخرى أن قاعدة الجري من قواعد التفسير. قال الإمام الصادقعليه السلام: «الصراط المستقيم يعني أمير المؤمنين»[٤] بينت هذه الرواية مصداق (الصراط المستقيم) أي تجعل المفهوم العام الكلي للصراط المستقيم متشخصاً في أمر جزئي.

ومن الواضح أن تعيين مصداق الصراط المستقيم بالإمام عليعليه السلام لا ينفي وجود المصاديق الأخرى للآية مثل النبيصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومينعليهم السلام، كما ذكرت ذلك بعض

---

١. لقد مرّ ذكر بحث حول معنى التفسير.

٢. قدّمنا في الفصل الأول دراسة وافية حول معنى «التأويل».

٣. تمّ تفصيل الكلام في معاني «البطن» في الفصل الأول.

٤. *تفسير العياشي*: ١ / ٣٨، ح٢٥.

الروايات، أي: أن جميع الأئمة هم الصراط المستقيم.[١]

فقاعدة الجري غير التأويل للآية؛ إذ يكون النظر في التأويل إلى المعنى المخالف للظاهر بخلاف الجري فيكون التركيز على المعنى الظاهري كذلك.

وقاعدة الجري غير البطن؛ لأن انطباق الظاهر العام أو المطلق للآية على المصاديق يكون انطباقاً مباشراً.

وأما في البطن ـ على أساس أن معناه أخذ القاعدة الكلية ـ نقوم أولاً بإلغاء الخصوصية ثمّ نحصّل القاعدة الكلّية على أساس مراعاة الهدف من الآية، عندها تطبق القاعدة على المصاديق الجديدة.[٢]

في حال أننا لم نكن نحتاج إلى تحصيل القاعدة الكلية والعبور من الظاهر في إعمال قاعدة الجري؛ أي أننا في قاعدة الجري نصل من الكلي إلى الجرئي بعكس قاعدة البطن فإنّنا نصل من الجزئي إلى الكلي، ثمّ من الكلي إلى الجزئيات الأخرى. وبعبارة أخرى، نستطيع القول: إن قاعدة الجري والتطبيق هي عبارة عن نوع تطبيق لظواهر القرآن على المصاديق، أما البطن فهو عبارة عن نوع تطبيق، باطن القرآن على مصاديق جديدة، أي هناك نوعان من التطبيق، وهو ما يستفاد من حديث الفضل بن يسار المشهور والمنقول عن الإمام الباقرعليه السلام واصفاً القرآن: «ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر»:[٣]

أي أنّ القرآن يتحرّك ويجد مصاديق جديدة وهذه المصاديق يمكن أن تكون مصاديقاً لظاهر القرآن (أي مشمولة بقاعدة الجري والتطبيق) ويمكن أن تكون مصاديقاً لباطن القرآن فتكون مشمولة لمسألة البطن، وأشار العلاّمة الطباطبائي إشارة ما إلى هذين النوعين من التطبيق.[٤]

---

١. عن الإمام السجادعليه السلام: «نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم». *الميزان*: ١ / ٤١.

٢. راجع: *التفسير الأثري الجامع*، مبحث التأويل والبطن.

٣. *تفسير العياشي*: ١ / ١١٠؛ *وبصائر الدرجات*: ١٩٥، وتم بحث هذا الحديث بشكل مفصّل في بحث الدلالة فيما يلي.

٤. فقد صرّح العلاّمة الطباطبائي عند ذكر هذه الرواية بما يلي: وقوله منه ما مضى يأتي ظاهره رجوع الضمير إلى القرآن باعتبار اشتماله على التنزيل والتأويل، فقوله: يجري كما يجري الشمس والقمر يجري فيهما معاً، فينطبق في التنزيل على الجري الذي اصطلح عليه الأخبار في انطباق الكلام بمعناه على المصداق كانطباق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)، على طائفة من المؤمنين الموجودين في الأعصار المتأخرة عن زمان نزول الآية وهذا نوع من الانطباق، وكانطباق آيات الجهاد على جهاد النفس، وانطباق آيات المنافقين على الفاسقين من المؤمنين، وهذا نوع آخر من الانطباق أدق من الأول... [*الميزان*: ٣ / ٧٢].

إشكال الجري والتطبيق واستخداماتها

يمكن أن يكون الجري والتطبيق لكلمات القرآن وجمله على المصاديق الجديدة بعدة صور وأشكال منها:

أ) الجري والتطبيق بمساعدة القرائن النقلية (الآيات والروايات):

مثال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾،[١] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾.[٢]

فإنّ مصاديق الآية الأولى تتشخّص من خلال الآية الثانية، فيكون المقصود واضحاً أن (الذين أنعمت عليهم) هم: الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين.

ملاحظة: إنّ الجري والتطبيق للقرآن من خلال يستفاد الروايات واستعمالاتها في مواردها واستخداماتها المتنوعة، سوف نذكرها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ب) الجري والتطبيق بمساعدة القرائن غير النقلية:

يمكننا أحياناً استنباط وتشخيص المصاديق الجديدة للآيات بواسطة القرائن العقلية أو العقلائية أو من خلال خصوصية أدبية أو تاريخية أو الظروف الزمانية أو المكانية.

مثال: إن للسنن الإلهية المذكورة في القرآن كسُنّة الابتلاء والامتحان[٣] والتغيير[٤] مصاديق متجددة مع كلّ عصر، فمثلاً قد تبتلي مجموعة من الناس بالخوف والجوع والمشاكل الجسمية والمالية وغيرها، فيكونون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ﴾.[٥]

استخدامات قاعدة الجري

١. بيان مصاديق الألفاظ العامة:

قد تستخدم أحياناً ألفاظاً عامة في آيات القرآن ثمّ تتبين مصاديقها بواسطة الأحاديث.

---

١. الحمد: ٣.

٢. النساء: ٦٩.

٣. البقرة: ١٥٥؛ والعنكبوت: ٢.

٤. الرعد: ١١؛ والأنفال:٥٣.

٥. البقرة: ١٥٥.

مثال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[١] قال الإمام الباقر عليه السلام: «الأبرار نحن هم والفجار هم عدونا».[٢]

ففي هذه الآية يذكر الأبرار والفجار مع الألف واللام، وهذا ما يجعل اللفظ يشمل جميع الأبرار وجميع الفجار في الأمم السابقة إضافة إلى الأمة الإسلامية، ولكنّ الحديث أعلاه يعتبر مصاديقها هم: اهل البيت عليهم السلام، أي، هم الأبرار وأعداؤهم مصاديق الفجار. وتفسير الآية بهذه المصاديق ليس مقتصراً على أفراد محدّدين فقط. فنجد هكذا نوع من تعيين المصداق في روايات اهل البيت عليهم السلام كثيراً. كما ذكرت مصداق قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٣] بأنّه الإمام في كلّ زمان.[٤] وكذلك مصاديق قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٥] والذين هم ـ كما جاء في الحديث ـ النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام واهل البيت عليهم السلام.[٦]

٢. بيان مصاديق الألفاظ المطلقة[٧]

أ) تعيين المصاديق الفردية

نجد بعض المفردات أو الجمل القرآنية مطلقة ولا يوجد أي قيد لتعيين مصداق لها، ولكن بواسطة الأحاديث يتشخص ويتعين مصداقهما أو موردها المحدد، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[٨] فقد روي عن ابن عباس، أنه قال:

المقصود من (الذين آمنوا) اليوم هو علي عليه السلام، و(الذين أجرموا) منافقوا قريش.[٩]

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[١٠] فعن الإمام الباقر عليه السلام:

---

١. الانفطار: ١٣ ـ ١٤.

٢. *البرهان*: ٢ / ٤٣٦، ح٣.

٣. الرعد: ٧.

٤. *الكافي*: ٣ / ٦٩١.

٥. التوبة: ١١٩.

٦. *شواهد التنزيل*: ١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٢.

٧. يمكن معرفة الألفاظ العامة أو الدالة على العموم عبر أدوات العموم نحو (كلّ، أو الجمع المحلّى بالألف واللام، وغيرهما) وأما الألفاظ المطلقة فيمكن معرفتها مجرّده عن القيد عبر مقدمات مقدمات الحكمة: (انظر: كتب أصول الفقه، *كالحلقات للشهيد* الصدر؛ أو *أصول الفقه* للمظفر).

٨. المطففين: ٢٩.

٩. *شواهد التنزيل*: ٢ / ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

١٠. الزمر: ٩.

نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون.[١]

فعن الإمام الصادقعليه السلام ـ ما مضمونه ـ تأويل[٢] هذه الآية:

هل يستوي الذين يعلمون، أن محمداًصلى الله عليه وآله رسول الله، والذين لا يعلمون ذلك، يضمرون في قلوبهم أنه ساحرٌ كذاب.[٣]

في المثالين السابقين تجد العبارات في الآيات مطلقة، ففي الآية الأولى يمكن أن تشمل جميع المؤمنين والمجرمين، وفي الآية الثانية يمكن أن تشمل العالمين والجاهلين، ولكن الروايات التي مرّ ذكرها تشخّص بعض المصاديق من الآية، لكنها ليست في مقام القصر أو الحصر للتفسير أو لمصداق الآية في الموارد المذكورة فقط. ومن هذا المنطلق تجد في الرواية الثانية أنها ذكرت مصاديق عدة.

ويمكنك أن تلاحظ مثلها في الأحاديث التفسيرية لاهل البيتعليهم السلام، كما هو الحال في الأحاديث المبيّنة لمصاديق قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[٤] بأنهم: اليهود أو النصارى،[٥] أو من لا يعرف إمام زمانه.[٦]

ب) تعيين المصاديق تبعاً للأحوال والأفعال

إنّ الآيات المحكمة في القرآن وأحكامه الأساسية لا تتغير مهما طال الزمن، كالصلاة، والصوم، والحجّ، ونفي الشرك، وحرمة القتل ظلماً، وحرمة الزنا، والخمر وهذه لا تتبع الزمان والمكان أو لا تتأثر بهما. ولكن هناك مواضيع للأحكام وللآيات يمكنها أن تتغير بحسب مقتضيات الزمان. أي أن بعض الآيات بينت بصورة مطلقة ولها مصاديق خاصة في عصر النزول، تشخّصت وتعينت على أساس العرف والعادات آنذاك، ولكنّ العرف والعادات والأساليب في المجتمع تتغيّر بمرور الزمن.

وهذا ما يؤدي إلى أن تجد الآيات مصاديق جديدة على أساس ما مقتضى كل زمن وما يتطلبه، فتجري الآيات فيها بناءً على مقتضيات الزمان و المكان وأشار بعض العلماء إلى هذا

---

١. *الكافي*: ٨ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٢. التأويل هنا يحتمل أن يكون بمعناه اللغوي أي بمعنى الرجوع إلى الأفراد أو الواقعة الخاصة.

٣. *شواهد التنزيل*: ٢ / ١١٦.

٤. الحمد: ٧.

٥. *البرهان*: ١ / ٤٧.

٦. *نور الثقلين*: ١ / ٢٤ ـ ٢٥.

المطلب، وأصرّ على أنه قاعدة مستقلة ويقع تحت عنوان «القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال، في أحكامه الراجعة إلى العرف والعوائد»، فاعتبرها قاعدة جليلة القدر وعظيمة الفائدة.[١] ومن الواضح أن هذا المبحث جزءٌ من قاعدة الجري لا غير.

مثال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.[٢]

لم تشخّص معالم الإحسان في خصوص الأقوال أو السلوك، وفي كلّ عصر يتجدد نوع من هذه المصاديق والحالات والأفعال الجديدة. ففي صدر الإسلام كان تأمين الطعام واللباس المناسب للإحسان في ذلك الزمان، والقول الحسن من مصاديق الإحسان، ولكن في عصرنا هذا يمكن تستجّد مصاديق ألطف، كالاتصال الهاتفي، أو بالبريد الإلكتروني، أو بالفاكس، وغيرها فتكون مشمولة للإحسان ومعانيه. وهكذا الحال في المفاهيم الأخرى، كالمعروف[٣] الذي أمر بإعماله في خصوص السلوك مع الآخرين وكذلك (صلة الرحم)[٤] والذي له في كل عصر أفعال وأقوال وأحوال وموارد جديدة تكون مصداقاً له. وكذلك الإسراف،[٥] واللباس،[٦] والقوة والاستعداد القتالي،[٧] والعدل والقسط،[٨] والتجارة،[٩] والتي لها مصاديق عرفية وشرعية وعقلية متعددة متجددة بحسب الزمان فتكون محور الآية ومصادقها.

٣. بيان مصاديق الآية بعد إلغاء الخصوصية وأخذ القاعدة الكلية منها.

لقد ذكرنا فيما مرّ أن قاعدة (الجري) وتطبيق الآيات على المصاديق يتحقق بصورتين.

أ) تطبيق ظاهر الآية على مصاديقها بشكل مباشر.

ب) تطبيق القاعدة الكلية ـ المأخوذة من الآية ـ على المصاديق، ويسمى تطبيقاً غير مباشر.

أي أن نلغي ـ في الخطوة الأولى ـ القيود الزمانية والمكانية، بمعنى إلغاء الخصوصية للآية،

---

١. *القواعد الحسان لتفسير القرآن*، ناصر السعدي: ٧٩.

٢. البقرة: ٨٣؛ والنساء: ٣٩؛ والأنعام: ١٥١، وما يشابهها في الأحقاف: ١٥.

٣. راجع: النساء: ١٩؛ والبقرة: ١٧٨و ١٨٠ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣١ و٢٣٤ وآل عمران: ١٠٤ و١١٠ و١١٤.

٤. راجع: البقرة: ٢٧؛ والرعد: ٢٥.

٥. الأعراف: ٣١.

٦. الأعراف: ٢٦.

٧. الأنفال: ٦٠.

٨ المائدة: ٨

٩. النساء: ٢٩.

ونستخرج هدفها ثمّ تؤخذ القاعدة الكلية منها ثمّ تحمل هذه القاعدة على المصاديق الجديدة.

وبعبارة أخرى، فإنه يوجد أكثر ألف آية في القرآن لها (شأن نزول).[1] وتوجد آيات كثيرة نازلة بشأن القرى والشعوب والأمم السابقة على عصر الإسلام، ففي هذه الموارد لابد من إلغاء الخصوصية، ومن ثمّ يعمم العمل بالآية في الموارد المشابهة على مرّ العصور اللاحقة.

مثال: قصة يوسف، أو عاد، أو ثمود، أو فرعون، أو موسى عليه السلام، يمكنها أن تبقى في قيد الزمان والمكان وتُعدّ آنذاك تقريراً وإخباراً عن التاريخ ومجرياته فحسب، ويمكن إلغاء خصوصيتها وتطبيقها وعلى ما شابهها من موارد في طول التاريخ البشري أي الزمن الحاضر.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[2] حكي في خصوص هذه الآية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن القسطاس هو الإمام».[3]

وكذلك مع كلمة (الميزان).[4] فقد نقل كثيراً من اهل البيت عليهم السلام أن المقصود به هو: الإمام العادل.

والحقيقة إننا انتقلنا من الميزان المادي بعد إلغاء الخصوصية وتشخيص هدفه وهو آلة للوزن والقياس وجعله محط النظر. وتوضيحه بشكل قاعدة كلية أي أن في القياس والتقييم هو الميزان العادل والمستقيم. وهذا المعيار يمكن أن يكون مادياً كالميزان الدنيوي، أو معنوياً كالإنسان الكامل يعني الإمام عليه السلام، والذي هو ميزان الأعمال للناس وبه يقاس ما يقبل وما لا يقبل منهما. وبعبارة أخرى فإنّ الآيات التي مرّ ذكرها تتكلّم في بادئ الأمر والظاهر الأولي عن خصوص الميزان المادي، ولكن وبإلغاء الخصوصية وأخذ القاعدة الكلية يمكننا العثور على مصاديق جديدة. ولقد أشرنا إلى أنّ هذا النوع من الجري يدرس تحت عنوان البطن القرآني[5] فيعد أحد معاني البطن[6] وعليه فلا محل له تحت عنوان الجري والتطبيق لظواهر القرآن وإن اعتبره بعض الكتّاب المعاصرين من أقسام مصطلح، الجري والتطبيق.[7]

---

١. راجع: *أسباب النزول*، للواحدي، وللسيوطي؛ و كتاب *نمونه بينات در شأن نزول آيات*، د. محقق.

٢. الإسراء: ٣٥.

٣. *البحار*: ٢٤ / ١٨٧.

٤. الرحمن: ٩؛ والأنبياء: ٤٧.

٥. راجع: *التفسير الأثري الجامع*: ١، مبحث التأويل والبطن.

٦. راجع: مبحث البطن من نفس الكتاب، وكذلك مفاهيم (الجري والتطبيق).

٧. راجع: *روش هاى تأويل قرآن*: ١٦٤، وما بعدها.

أدلة قاعدة الجري والتطبيق

ذكرت أدلة عدة طرق لإثبات صحة قاعدة الجري وجواز إعمالها في الآيات القرآنية، ومن تلك الأدلة ما يلي:

أ) الدليل العقلي:

القرآن الكريم هو الكتاب الخالد،[١] فهو لجميع الأمكنة والأزمنة ولجميع أجيال البشرية، فإن انحصر تطبيقه على عصر النزول من مفاهيم ومصاديق وموارد ولم يتعدى إلى العصور والأماكن والأجيال اللاحقة لمات القرآن وأصبح جيس ذلك العصر فقط.

فيرتبط إذن خلود القرآن وحياته في جميع العصور بإجراء قاعدة (تجري) وبواسطتها تصل رسالة القرآن الخالدة للأجيال اللاحقة ويتضح بها واجباتهم وطريقهم. وهذا المطلب هو الدليل الذي أشارت إليه الأحاديث التي نذكر منها:

إن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام، ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلاّ غضاضة؟ فقال عليه السلام: لأن الله (تبارك وتعالى) لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، عند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة.[٢]

وكذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام:

ولو أن الآية إذا أُنزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوله على آخره مادامت السموات والأرض.[٣]

وأشار بعض المفسرين والعلماء إلى هذا المطلب منهم العلاّمة الطباطبائي فقد كتب بعد أن أشار إلى روايات الجري قائلاً: «والاعتبار يساعده، فإن القرآن نزل هدى للعالمين، يهديهم إلى واجب الاعتقاد، وواجب الخلق، وواجب العمل، وما بيّنه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال ولا زمان دون زمان وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرّعه من حكم عملي لا يتقيّد بفرد دون فرد ولا عصر دون عصر، لعموم التشريع».[٤]

وكتب بعض الكتّاب المعاصرين: إضافة إلى المنقولات التي تؤيد وتصحح التطبيق ـ ولو

---

١. إنّ عالمية القرآن وخلوده من أسس التفسير وأصوله ومرّ ذكر أدلته في بحثه.

٢. بحارالأنوار: ٨٩ / ١٥.

٣. *تفسير العياشي*: ١ / ٢١ (سيأتي لاحقاً ذكر الحديث كاملاً).

٤. *الميزان*: ١ / ٤٢.

في الجملة ـ فإنّ العقل والعرف على ذلك النهج أيضاً، لأنّ القرآن هو الكتاب الخالد. وعليه فلابدّ أن يكون له دورٌ في هداية الفرد والمجتمع وأن تنطبق آياته على المصاديق والأفراد والظروف والمقتضيات لكلّ زمان ومكان.[١]

ب) الآيات القرآنية

تعتبر بعض الآيات القرآنية دليلاً على قاعدة الجري وعلى الأقل فهي شاهد عليها:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[٢]

الأصل في كلمة (العبرة) هو العبور والتجاوز من حال إلى حال، والاعتبار والعبرة بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد.[٣] أي على العقلاء أن يشاهدوا ماضي الأنبياء أو يسعوا إلى أن يعتبروا بها ويأخذوا منها درساً لحياتهم يجعلوا من حياة الانبياء عليهم السلام دروساً لهم وقواعد عامة يتخذونها في حياتهم اليومية، ويجعلونها نقاط قوة، حتى لا يقعوا في ابتلاءات المشاكل الدنيوية.

وكذلك الآيات التي بينت السنن الإلهية والقوانين الكلية وغير القابلة للتغيير[٤] فيمكنها أن تشمل حال من لهم الظروف المشابهة في كل عصر ومكان. وكذلك الآيات التي دعت الناس إلى السير في الأرض والنظر في ماضي الأقوام السابقين والتأمل والاعتبار بحالهم[٥] كلّها تشير بنحو من الإشارة إلى قاعدة الجري، أي أنّ تلك السنن والحوادث الماضية يمكنها أن تحدث مرةً أخرى.

إذن، فلا ينبغي تلقّي تلك الآيات مجرد إخبارات تاريخية وتقادير عمّا جرى في الماضي لا غير، بل هي آيات إلهية قابلة للتكرار ولها مصاديق متجددة على مرّ العصور يمكن انطباقها على الحاضر. ومن الممكن أن تتكرر قصص: عاد، وثمود، وفرعون وموسى، وقوم لوط، وتتحقق مرة أخرى في تاريخ البشرية، فتجري هذه الآيات في مورد الأمم اللاحقة وتطبق عليهم.

---

١. *الميزان*: ١ / ٤٢.

٢. *روش هاى تأويل قرآن*: ١٥٧.

٣. *مفردات الراغب الأصفهاني*؛ *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*: مادة «عبر».

٤. راجع: سورة آل عمران: ١٣٧؛ والنساء: ٢٦؛ والإسراء: ٧٧؛ والأحزاب: ٦٢؛ وفاطر: ٤٣؛ والفتح: ٢٣؛ وغيرها.

٥. راجع: سورة يوسف: ١٠٩؛ وآل عمران: ١٣٧؛ والروم: ٩؛ وفاطر: ٤٤؛ محمّد: ١٠ وغيرها.

ج) الأحاديث

لقد أشرنا فيما سبق أن بعض الأحاديث صرحت بقاعدة الجري، وبعض الأحاديث أشارت إليها، ولم تصرّح بها ومن أهم تلك الأحاديث، حديث (فضيل بن يسار) والذي اعتبر البعض سنده صحيحاً.[١] حدثنا محمّد بن عبد الجبار بن إسماعيل عن منصور بن أذينة عن الفضل بن-يسار، قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن هذه الرواية «ما من آية إلاّ ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلاّ وله حدّ ومطلع». ما يعني به قوله لها ظهر وبطن؟

قال عليه السلام:

ظهر وبطن تأويلها منه ما قد مضى، ومنه ما لم يجئ، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء فيه تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه.[٢]

لقد ذكرت هذه الرواية في كتاب *بصائر الدرجات*، للصفار (ت/٢٩٩ هـ) مسندة، ولكنها جاءت في تفسير العياشي (ت/٣٢٠هـ) ولكن بدون سند عن فضيل بن يسار، وفيها اختلاف بسيط ألاً وهو: «قال ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلّما جاء منه شيء وقع قال...».[٣]

وكذلك نقل عن الإمام الصادقعليه السلام قوله:

ثم قال للقرآن تأويل يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، فإذا جاء تأويل شيء منه وقع، فمنه ما قد جاء ومنه ما يجيء.[٤]

ونقل كذلك عن الإمام الصادقعليه السلام عن أبي بصير قال:

قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فقالعليه السلام: رسول الله المنذر، وعليٌ الهادي، يا أبا محمد، هل من هادٍ اليوم؟ قلت: بلى، جُعلت فداك! ما زل منكم هاد بعد هاد حتى دفعت إليك.

فقال رحمك الله! يا أبا محمد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثمّ مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنّه حيّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى.[٥]

---

١. الدكتور شاكر في كتاب: *روش هاى تأويل قرآن*: ١٥٠.

٢. *بصائر الدرجات*، (فضائل أهل‌البيت): ١١٩.

٣. *تفسير العياشي*: ١ / ٢٢ ـ ٢٣ *والبحار*: ١٩ / ٩٤ *والبرهان*: ١ / ٢٠؛ *والصافي*: ١ / ١٧ ـ ١٨.

٤. *البحار*: ٢٣ / ٧٩، نقلاً عن غيبة النعماني: ٦٦.

٥. *الكافي*: ١ / ١٩٢، كتاب الحجة، باب أن الأئمةعليهم السلام هم الهداة: ح ٣.

المناقشة في السند

اعتبر البعض أنّ هناك ضعفاً في رجال الحديثين[١] والحديث الأخير كان مرفوعاً، ومع هذا فإنّ هذا المطلب لايضرّ بهذا البحث؛ لأنّ مضمون هذه الأحاديث تكرر في الأحاديث الصحيحة، مع أن لهذه القاعدة أدلتها العقلية والقرآنية الكافية فقد لا تتعدى الروايات عن كونها مرشدة.

فعن الإمام الباقر عليه السلام:

يا خيثمة القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومَثَل، ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء؛ ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السموات والأرض، ولكلِ قومٍ آية يتلونها [و] هم منها من خير أو شرّ.[٢]

المناقشة في مضمون الروايات

يمكننا أن نفهم من هذه الأحاديث عدة نقاط:

١. القرآن كأنّه الشمس في جريانها، أي كما أنّ للشمس في كل يوم إشراق جديد، وترسل النور لأناس جدد، إذ إنّه في كل يوم يأتي إلى الدنيا أناس جديدون ويذهب عنها آخرون، فليس نور الشمس متكرراً ولا المستضيؤن ثابتون، وعليه فالقرآن كذلك فهو في كل يوم هداية وعلم جديد ومصداق جديد جيل جديد.

٢. إن هذه الأحاديث كانت تشير إلى أسرار بقاء القرآن وخلوده، كما جاء صريحاً في رواية خيثمة، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾. وقاعدة (الجري والبطن) إنّما هي من أسرار ذلك الخلود. وبعبارة أخرى فإن القرآن بمساعدة هاتين القاعدتين تحرر من قيد الزمان والمكان وسرى في جميع الأزمنة والأمكنة.

٣. لقد أشير في هذه الروايات إلى الاصطلاحات الثلاث (الجري) و(البطن) و(التأويل) وهو ما يظهر ترابط هذه المطالب الثلاث في بعض الموارد واشتراكها.

٤. إن الفاعل للفعل (يجري) ـ في الرواية ـ هو القرآن الكريم ـ وهذا ما أشرنا إليه فيما

---

١. في الحديث الأول محمد بن سنان الزاهري، عدّ ضعيفاً في الرجال بل وكذّاب وغالي ووضّاع للحديث [راجع: معجم رجال الحديث]، وفي الحديث الثاني محمد بن جمهور فهو من الغلاة [راجع: جامع الرواة].

٢. تفسير العياشي: ١ / ٢١؛ والبحار: ١٩ / ٣٠.

سبق وأشار إليه العلاّمة الطباطبائي[1] ـ ونعلم أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، وقاعدة الجري والتطبيق عاملة وفعالة في ظواهر القرآن كما هو الحال في باطن القرآن (بمعنى أخذ القاعدة الكلّية وتطبيقها على المصاديق الجديدة).

٥. إن بعض المصاديق تحققت وكذلك بعض البطون والتأويلات للقرآن فقد وجد بعضها وتحقق، ولسوف يتحقق ويوجد البعض الآخر في المستقبل.

يستفاد هذا المضمون من معاني بعض الروايات بشكل جيد، مثل رواية فضيل بن يسار (كلما جاء فيه تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، كلما جاء منه شيءٌ وقع) ورواية خيثمة (لكلٍّ قوم آية إذا نزلت في قوم، ثمَّ مات...).

٦. وبواسطة هذه الروايات وبواسطة قاعدة الجري المستنبطة منها، يتّضح لنا مفاد كثير من الروايات الأخرى والتي تصرح بأن قسماً كبيراً من آيات (الربع أو الثلث أو...) تعلّق باهل البيت عليهم السلام، وآخر تعلّق بأعدائهم.[2]

وهكذا نوع من الأحاديث إنما تبيّن وتعيّن المصداق أو المصداق الكامل للآيات. أي: أنّ القرآن عندما يذكر المؤمنين أو الصالحين أو الشهداء فإن اهل البيت عليهم السلام وأصحابهم ومحبيهم من المؤمنين الصالحين أفضل المصاديق لتلك الآيات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ما أنزل الله آية فيها ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلاّ وعليٌّ رأسُها وأميرُها.[3]

وفي هذا الاتجاه نرى في رواية خيثمة، بعد تقسيم القرآن إلى ثلاث أقسام ـ فيما يتعلّق باهل البيت عليهم السلام وأعدائهم والأمثلة المضروبة ـ أنّها تشير إلى قاعدة (الجري) وأن القرآن ليس خاصاً بزمان دون آخر، وله في كلّ عصر مصاديق جديدة.

هذا، في الوقت الذي لم يلتفت بعض المفسرين والمتخصصين إلى قاعدة الجري المستفادة من روايات اهل البيت عليهم السلام، واعتبروها روايات مفسرة للقرآن فقط. وظنوا أنّ الآيات القرآنية انحصرت مصاديقها في اهل البيت عليهم السلام المذكورين في تلك الروايات.[4]

---

١. راجع: مبحث مفهوم الجري؛ وكذلك، *الميزان*: ٣ / ٧٢.

٢. راجع: *تفسير العياشي*: ١ / ٢١، فقد نقلت عدةّ روايات في هذا الباب، وكذلك راجع: *الكافي*: ٢ / ٦٢٨؛ و*مرآة الأنوار*: ٥، ورواية خيثمة واحدة منها والتي ذكرنا متنها فيما سبق.

٣. *الدر المنثور*، عند التفسير الآية ١٠٤، من سورة البقرة، و*الميزان*: ١ / ٢٤٩.

٤. طبع في الآونة الأخيرة كتاب تحت عنوان «أنوار القرآن» حيث جمع أكثر تلك الروايات، واعتبرها تفسيراً للقرآن.

٧. نستفيد من تلك الروايات، أنّ قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١] معطوف على لفظ الجلالة (الله) في ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ والأئمة من الراسخين في العلم الذي يعلمون: تأويل الآيات، وبطنها، والجري، والتطبيق لها.

ومن هنا يلاحظ أنّ روايات اهل البيت عليهم السلام كثيراً ما تشخّص وتعيّن مصاديق الآيات الكريمة (كما مرّ ذكره سابقاً).

ولابدّ من القول أنّ هذه الروايات نفسها من باب الجري، أي تشخيص المصداق الكامل للراسخين في العلم وهم الأئمة ولكنّ الفهم المستفاد من، الجري، والتأويل، والبطن لا يحصر الراسخين في العلم في باهل البيت، بل في كلِّ عالم ربّاني ومفسّر عميق الفكر، فيمكنه أن يكون من الراسخين في العلم ويُعد من الثابتين فيه.

٨. إن اهل البيت عليهم السلام كانوا في صدد ترويج قاعدة (الجري) وتعليمها لأصحابهم الرواة، وهذا ما يظهر من رواية أبي بصير، ومن طرح بعض الأسئلة عليهم بحيث يلفتون أنظارهم إلى وجود المصاديق الجديدة للآيات في العصور الجديدة، بل إن الإمام الصادق عليه السلام ـ عندما شجّع أبو بصير بقوله: «رحمك الله»؛ لأنّه ذكر المصداق الجديد لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ـ ذكّر بقاعدة الجري.

إنّ حياة القرآن قائمة بهذه القاعدة؛ لأنّ خلوده مرتبط بها ومتوقّف عليها، وإلاّ فسيكون القرآن كتاباً تاريخياً ليس إلاّ.

٣. قاعدة المنع من استعمال الإسرائيليات في التفسير

تمهيد

الأهمية والتاريخ

طلع فجر الإسلام في أرض الحجاز، وبالأخص في أرض المدينة المنورة، والتي يعيش فيها مجموعات من اليهود والمسيح ومن الطبيعي أن يكون لهم نوع من الاختلاط ومن التفاعل مع المسلمين.

وأحد أنواع التفاعل بين المسلمين وغيرهم هو التفاعل الثقافي، ولا سيما في خصوص الآيات

---

١. آل عمران: ٧.

الكثيرة التي أشارت إلى التوراة والإنجيل،[١] أو في ما يتعلّق بقصص الأنبياء الماضين عليهم السلام، كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام[٢]، أو سيدنا موسى عليه السلام،[٣] أو سيدنا سليمان عليه السلام،[٤] أو سيدنا عيسى عليه السلام،[٥] فقد حظيت هذه الآيات أو القصص باهتمام اليهود والمسيح القاطنين هناك.

و حيث إن القرآن بيّن هذه القصص من الجهة التربوية فلم يتطرّق لجميع الجزئيات ولم توضح جميع زوايا تلك القصص، ومن هنا توجه بعض المسلمين بالأسئلة ـ حول الأنبياء السابقين ـ إلى اليهود وإلى المسيح فطلبوا المعلومات التكميلية لتلك القصص من التوراة والإنجيل، كما نُقل ذلك عن عمر.[٦] هذا كلّه من جهة ومن جهة أخرى، فإن بعض العلماء اليهود والمسيحيين كانوا يدخلون الإسلام، وهذا الأمر يساعد على التبادل الثقافي، بحيث تشكّلت أقطاب الاسرائيليات كشخصيات بين المسلمين أمثال، كعب الأحبار، ووهب بن منبه[٧] فكان بعض أولئك الأفراد يدخل مواضيع ومعلومات محرّفة من التوراة أو من الإنجيل في الوسط الإسلامي ويزرعها في الثقافة الإسلامية، إمّا عمداً أو سهواً، وقد يقدّمونها بشكل أحاديث مرفوعة إلى بعض الأنبياء.[٨] وقام بعض الرؤساء المسلمين بتهيئة وتوفير الأرضية لنمو هؤلاء الأفراد، وذلك لأغراض سياسية وثقافية خاصة،[٩] فأصبح ذلك الأمر خطراً كبيراً يهدد الثقافة الإسلامية. ولم يكن هذا الخطر يهدد المجال التاريخي بما يخصّ الأنبياء فقط، بل تجاوز إلى الحديث والتفسير، ومن هنا وجدت بعض المطالب الإسرائيلية طريقها إلى التفاسير.[١٠]

ومن هنا يعتبر التعرّف على الأحاديث الإسرائيلية، وتمحيص التفاسير والأحاديث منها أمرٌ ضروري، ويجب أن تكون معايير معرفة الإسرائيليات معروفة واضحة عند المفسّر وكذلك الشخصيات والنماذج والمواضع المهمة لها أو أماكن وجودها (في أي

---

١. راجع: آل عمران: ٣و٤٨ و٥٠ و٦٥و٩٣؛ والمائدة: ٤٣ و٤٤ و٤٦ و٦٦و ٦٨ و١١٠.

٢. راجع: البقرة: ١٢٤ و١٤٠ و ٢٥٨ و٢٦٠؛ وآل عمران: ٤٣ و٦٥ و٦٨ و٨٤ و٩٥ وغيرها.

٣. راجع: البقرة: ٥١ و٦٧ و٨٧ و٩٢ و١٠٨ و١٣٦ وغيرها.

٤. راجع: البقرة: ١٠٢؛ والنساء: ١٦٣؛ والنمل: ١٥ و٤٤؛ وسبأ: ١٢؛ وسورة ص: ٣٤.

٥. راجع: البقرة: ٨٧ و١٣٦ و٢٥٣؛ وآل عمران: ٤٦ ـ ٥٩ وغيرها.

٦. *مسند أحمد بن حنبل*: ٣٨٧/٣، *وفتح الباري في شرح البخاري*: ٢٨١/١٣.

٧. راجع: *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٩٤/٢ وما بعدها.

٨. *أضواء على السنة المحمدية*: ١٧٣ و١٧٤.

٩. المصدر: ١٨٠ و١٨١.

١٠. سيأتي لاحقاً ذكر نماذج لتلك الأحاديث.

موضوع) ذلك لكي يستطيع المفسّر تجنبها والاحتياط منها.

وهذا البحث واسع جداً، بحيث يحتاج الكتاب مستقل لكي نستوعبه وهذا ما فعله البعض من الكتّاب والباحثين فهناك، رسائل علمية كتبت في هذا الموضوع مثل *الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير* لرمزي نعنانه، و *پژوهشي در إسرائليات*[١] للدكتور محمّد تقي دياري، و*جعل الحديث* للدكتور ناصر رفيعي. وبعضهم خصّصَ فصلاً كاملاً في كتابه لهذا الموضوع مثل الكاتب محمود أبو ريه في كتابه *أضواء على السّنة المحمدية*، والشيخ محمّد هادي معرفة في *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، الجزء الثاني.

المصطلحات:

كلمة الإسرائيليات جمع إسرائيلية، والنسبة فيها إلى إسرائيل هو لقب سيدنا يعقوب النبيعليه السلام و إليه تنسب اليهود. ومن هنا يقال لأولاده أو لليهود: بنو إسرائيل.

وأصل كلمة (إسرائيل) عبرية بمعنى: الغلبة على الله.[٢]

قال الشيسخ محمّد هادي معرفة في تعريف الإسرائيليات: هي قصة أو أسطورة تروى عن مصدر إسرائيلي، سواءً أكان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة.[٣]

ولفظ (إسرائيليات) وإن كان بظاهره يدل على القصص التي يروى أصلاً عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث، ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية. فهو في اصطلاحهم يدلّ على كلّ ما تطرّق إلى التفسير والحديث والتاريخ عن أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهوديّ أو نصرانيّ أو غيرهما، بل توسّع بعض المفسرين والمحدّثين ما دسّه أعداء الإسلام، من اليهود و غيرهم على التفسير والحديث، من أخبار لا أصل لها حتى في مصدر قديم و إنما هي من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نيّة وسوء طويّة، ثمّ دسّوها في التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.[٤]

---

١. دراسة في الإسرائيليات.

٢. (إسراء) بمعنى الغلبة و«ائيل) بمعنى القدرة الكاملة وهو لقب لله تعالى ـ عندهم ـ ولقب النبي يعقوب هذا مأخوذ من القصة الموضوعة لمصارعة النبي يعقوب مع الله تعالى ليلة كاملة و غَلَبته عليه عند الصباح. المذكورة في التوراة (*الكتاب المقدس*، سفر التكوين، إصحاح ٣٢، عدد ٢٥) راجع: *قاموس الكتاب المقدس*، جميزهاكس: ١٤٢،٥٣، وكذلك *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٧٩ ـ ٨٠.

٣. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٧٩.

٤. المصدر: ٨٠

فالإسرائليات في الاصطلاح: هي المطالب والمواضيع التي جاءت من الثقافة اليهودية والمسيحية ودخلت الثقافة الإسلامية ثمّ استقبلت بعنوان أنها مطالب إسلامية (في الحديث أو التفسير أو التاريخ).[١]

أهم الشخصيات الناقلة للإسرائيليات

١. كعب الأحبار: وهو كعب بن ماتع الحميري، من علماء اليهود الكبار، تعلّم الكهانة عن أبيه، وقد ولد عام ٧٢ قبل الهجرة، ودخل الإسلام بعد وفاة النبيﷺ في أوائل خلافة عمر، ومات عام (٣٢ هـ.) عن عمر يقارب ١٠٤وكان من أهل اليمن وجاءوا به إلى المدينة واعتبره الإمام عليعليه السلام كذّاباً وذمّه.[٢] وهدده عمر بالنفي بعد أن منعه من التحديث نتيجة كذبه ونشره للمفتريات.[٣]

ثمّ هاجر إلى الشام وأصبح يتمتع بحماية معاوية وعنايته.[٤] وأمره بسرد القصص في بلاد الشام، ومن هذه النقطة ولجت أحاديثه الإسرائيلية الفكر الإسلامي.[٥]

ذمّه كلٌّ من أحمد أمين المصري،[٦] ومحمود أبو ريّه،[٧] ويعتقد أبو ريه أنّ كعب الأحبار كان قد دخل الإسلام على أساس الخدعة والتظاهر بالإسلام، وكان ينقل عن كتب قديمة غير معتبرة روايات كثيرة في فضل الشام (فلسطين وما حولها) والتي تعدُّ إسرائيليات غير معتبرة.[٨]

يقول ابن حجر: إنّ «أبا هريرة» ومعاوية، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير من الذين ينقلون الحديث عن كعب الأحبار.[٩]

---

١. الظاهر من كلام الشيخ معرفة أن كلمة (الإسرائيليات) قد تستعمل في المعنى الأعم فتشمل ما يوضع افتراءاً، لكننا لن نتناولها الآن؛ لأن حكمها واضح في التفسير فلقد ذكرنا في مبحث حجية السنة في التفسير؛ أنه لا يجوز التفسير إلاّ بالأخبار القطعية (المتواترة أو المحفوفة بالقرائن) والأخبار الصحيحة المعتبرة (طبقاً لبعض الأسس) فهما حجة، وأما الأخبار الضعيفة والمجعولة والمكذوبة فليست معتبرة.

٢. شرح *نهج البلاغة*، ابن أبي الحديد: ٤ / ٧٧.

٣. *تاريخ أبو زرعة الدمشقي*: ١ / ٥٤٤؛ *والبداية والنهاية*: ٨ / ١٠٨؛ *وسير أعلام النبلاء*: ٣ / ٤٠٩.

٤. *تهذيب التهذيب*: ٨ / ٤٣٩.

٥. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٩٧؛ *وأضواء على السنة المحمدية*: ١٨١.

٦. *فجر الإسلام*: ١٦٠ ـ ١٦١.

٧. *أضواء على السنة المحمدية*: ١٧٠ ـ ١٧١.

٨ المصدر: ١٦٧ ـ ١٧٠.

٩. *الإصابة*: ٣ / ٣١٦.

ويعتقد أبو ريّه؛ أن كعب الأحبار قام بتربية «أبي هريرة» لكي يدخل خرافاته ومنقولاته إلى الدين الإسلامي، بل عمل على نقل كلام كعب الأحبار على أنّه حديث مرفوع إلى النبيﷺ.[١]

٢. عبد الله بن سلام: واسمه الحصين بن سلام بن حارث الإسرائيلي، وكان من علماء اليهود، وقد أسلم في بداية قدوم النبيﷺ إلى المدينة أو قبل سنتين من رحلتهﷺ ومات (سنة ٤٣ هـ)، وكان ينقل الأحاديث من التوراة، لا سيما صفات النبيﷺ وأموراً كثيرة حوله، وذلك من أجل إلفات أنظار المسلمين جلب اهتمامهم.[٢]

٣. تميم بن أوس الداري: هو أبو رقيّة، تميم بن أوس بن حارثة، أو خارجة الداري، وكان مسيحياً وراهباً عابداً دخل الإسلام عام ٩ للهجرة. وهو أول من أسس لقراءة القصة في المسجد، وقد أخذ الإذن في ذلك من عمر.[٣]

ولكن الإمام عليعليه السلام طردهم من المسجد[٤] وقد نقلت عنه قصة «الجسّاسة»[٥] وادعى أنّ النبيﷺ تعلّم هذه القصة منه وإسناد هذه الروايات ضعيف.[٦]

٤. وهب بن منبه: خراساني من أهل هرات، أبعده حاكم إيران إلى اليمن، وأسلم في عصر النبيﷺ وكان يدعي أنه قرأ ٧٢ كتاباً من كتب الأنبياء، ونسبت إليه قصص كثيرة وإسرائيليات عديدة.

٥. محمّد بن كعب القرضي: كان من اليهود، ومن القصّاصين في المساجد، حيث ينقل القصص من الكتب القديمة.[٧]

٦. عبد الله بن عمرو بن العاص: وقد ولد عام ٧ قبل الهجرة، ومات عام ٦٥ هـ. وأسلم قبل العام الثامن للهجرة، وكان ينقل الأحاديث من الكتب اليهودية، وكان ينقلها على أنها أحاديث للنبيﷺ يعدّه عملاً جائزاً.[٨]

---

١. *أضواء على السنة المحمدية*: ١٦٤؛ *والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ١٠٢.

٢. راجع: *سير أعلام النبلاء*: ٢ / ٤١٨ ـ ٤١٩؛ *والإصابة*: ٢ / ٣٢١؛ *والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٩٥ ـ ٩٦.

٣. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ١٠٣ ـ ١٠٥.

٤. *فجر الإسلام*: ١٥٩ ـ ١٦٠.

٥. الجساسة: هي دابة تعيش في جزيرة في البحر رآها تميم، وحكت له عن النبيﷺ وعن الدجال (على ما ادعاه تميم). راجع: صحيح مسلم: ٢٠٣ ـ ٢٠٥؛ ومسند *أحمد بن حنبل*: ٦ / ٢٧.

٦. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ١٠٣ ـ ١٠٧.

٧. *المصدر*: ١٠٩؛ *وتهذيب التهذيب*: ٩ / ٤٢٠ ـ ٤٢٢.

٨ حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج (*صحيح البخاري*: ٤ / ٣٠٧).

٧. أبو هريرة: لم يجدد اسمه أو لقبه على وجه الدّقة والتعيين، لكنّه في الثلاثين من عمره وصل إلى المدينة، في النسة السابعة من الهجرة، بقي مع النبيﷺ فترة قصيرة، إلاّ أنه حدّث عن النبيﷺ أحاديث كثيرة. وكان من تلاميذ كعب الأحبار وكان يورد أحاديثه تحت عنوان أحاديث مرفوعة عن النبيﷺ.[١]

٨ ابن جريح: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، وكان رومياً مسيحياً، نقل الإسرائيليات في عصر التابعين بشكل واسع، حتى نقل الطبري الكثير من أحاديثه وكان متّهماً بالتدليس.[٢]

أدلة المنع من الإسرائيليات في التفسير

أ) الدليل العقلي

إنّ التوراة والإنجيل كتابان سماويان، أيد القرآن الكريم أصلهما،[٣] لكنهما وعلى مرّ التاريخ حرّفا وأدخلت فيهما بعض الخرافات والأمور غير الواقعية، وأشار القرآن إلى هذه الحقيقة.[٤] وتشهد على ذلك شواهد تاريخيّه وأخرى من داخل النص (التوارة والإنجيل)، بحيث اعترف بعض العلماء المعاصرين أنّ بعض أقسام التوراة كتبت بعد ٨٠٠ سنة من وفاة سيدنا موسىعليه السلام.[٥] ومن ذلك قصّة وفاة النبي موسىعليه السلام ودفنه، قد ذكرتا في التوراة،[٦] وذكرت بعض الأمور غير المناسبة للأنبياءعليهم السلام.[٧]

وأما الأناجيل فهي في شكلها أشبه ما تكون بكتاب سيرة وقصة حياة للنبي عيسىعليه السلام، فهي تذكر قصة حياته منذ ولادته إلى عروجه، ولا يوجد فيه إلاّ جملة واحدة يمكن أن تكون وحياً.[٨]

والآن فإن أراد شخص أن يفسر كتاباً ومعجزة سماوية كالقرآن الكريم وأن يفهمه ويبينه وأن

---

١. *أضواء على السنة المحمدية*: ١٦٤؛ *والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢/ ١١٠٢ ـ ١١٤.

٢. راجع: *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ١٢٠؛ *وتهذيب التهذيب*: ٦ / ٤٠٢ ـ ٤٠٦.

٣. راجع: آل عمران: ٢١؛ والمائدة: ٤٨؛ والأحقاف: ٣٠.

٤. راجع: النساء: ٤٦؛ والمائدة: ١٣و٤١؛ البقرة: ٧٥.

٥. *علم ودين*: ١٣٠.

٦. *الكتاب المقّدس، العهد القديم*: سفر التثنية، باب ٣٤.

٧. راجع: المصدر: *سفر التكوين*، باب ١٩.

٨. *إنجيل متى*: الباب الثالث، رقم ١٧.

طريق النجاة والسعادة فهل يمكنه الاستعانة بما في التوراة والإنجيل من معلومات وهما قد حُرّفا؟!

ومن الواضح أنّ عقل الإنسان لا يقبل بهذا الأمر أو يقتنع به؛ لأنّ هذا المنهج وهذه المصادر لا توصلنا إلى الحقيقة، بل قد تبعدنا عن الهداية والسعادة والكمال وتؤدي بنا إلى التيه.

ب) الدليل القرآني

لقد وجّه القرآن الكريم خطابه للمشركين الشاكين في رسالة النبي الأكرمﷺ أو في القرآن بأن يتوجهوا إلى أهل الكتاب بالسؤال وأن يراجعوهم للفصل في هذه القضية، ولكنّ هذا الأمر كان خاصاً بالمشركين وفي بداية الأمر، بعدها حذّر القرآن الكريم من خطورة التبادل الثقافي مع أعداء الإسلام وبأنهم سوف لن يدّخروا جهداً في إدخال الفساد والانحراف فيما بينكم أيها المسلمون فلا تمدّوا بينكم وبينهم جسور المحبة (وبالأخص المشركين وأهل الكتاب...).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[١]

ومن هنا اعتبر بعض المتخصصين أنّ هذه الآية نهيٌ صريح عن الرجوع إلى أهل الكتاب.[٢]

ج) الدليل من السنّة

يستفاد من بعض الأحاديث المحكية عن النبيﷺ أنهﷺ منع المسلمين من الإتيان بالمعلومات أو المواضيع من التوراة والإنجيل وإدخالها في الثقافة الإسلامية، بل ونهى في بعض الموارد عن سؤالهم[٣] ومن تلك الأحاديث:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: إنّ عمر بن الخطاب أتى النبيﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه (وفي نسخة أحمد: فقرأه النبيﷺ) فغضب فقالﷺ: «أمتهوّكون[٤] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي

---

١. آل عمران: ١١٨.

٢. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٨٢.

٣. ولابد أن نشير أن لهذه الموارد يوجد استثناء، سنذكره لاحقاً.

٤. متهتك: متهور غير مبالي.

نفسي بيده، لو أنّ موسى عليه السلام كان حيّاً ما وسعه إلاّ أن تبعني».[١]

ونقل هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري بشكل آخر: أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال، إنّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى نكتب بعضها؟ فقال صلى الله عليه وآله: «أمتهوّكون كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى عليه السلام حيّاً لما وسعه إلاّ اتباعي».[٢]

وإننا مع الالتفات إلى الأدلة العقلية والقرآنية والروائية لن يبقى مكان لجواز الرجوع لأهل الكتاب ولا لقبول ما نقله الصحابة عنهم، وهذا ما قاله الكاتب محمود أبو ريه في الرد على الزرقاني: وما نقله الزرقاني من رأيه: «إن ما روي عن الصحابي مما لا مجال للرأي فيه موقوفاً عليه، فإن له حكم المرفوع، وإن احتمل أخذ الصحابي له عن أهل الكتاب تحسيناً للظن به، فهو رأيٌ باطل مردود عليه».[٣]

وكذلك فقد كتب الشيخ هادي معرفة ـ بعد نقل كلام الدكتور الذهبي والذي يستدل على جواز الرجوع لأهل الكتاب بآيات السؤال منهم ـ[٤] قائلاً: «هذه الدلائل غير وافية بإثبات المطلوب، ولا هي تبرّر مراجعة أهل الكتاب في شيء من تفسير القرآن الحكيم أو تاريخ الأنبياء».[٥]

أشكال الرجوع إلى أهل الكتاب

هناك أنحاء عدّة للرجوع لأهل الكتاب ولإعمال ذلك في تفسير القرآن، لكنّها متفاوتة لكلّ شكل حكمه الخاص:

أ) سؤال أهل الكتاب على أنّه مصدر لتفسير القرآن

لقد تقرّر فيما مضى أنّ التوراة والإنجيل لا يمكنهما أن يكونا مصدران لتفسير القرآن؛ وذلك لتحريفهما ولشمولهما للخرافات ولما يخالف الواقع. فليس من الصحيح أن يسأل

---

١. مسند *أحمد بن حنبل*: ٣ / ٣٨٧؛ راجع: *فتح الباري في شرح البخاري*: ٣ / ٢٨١؛ وقال ابن حجر: رجاله موثوقون... إلاّ أن في (مجالد) ضعفٌ... غير أن البخاري قال: إنه صدوق.

٢. هامش سير *أعلام النبلاء*: ٢ / ٤٨ ـ ٤٩؛ وأخرج الحديث عن مجمع *الزوائد*: ١ / ١٧٣ ـ ١٧٤.

٣. أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو ريه: ١٧٥.

٤. لقد أشرنا إلى هذه الآيات والجواب على الاستدلال بها (الأنبياء: ٧؛ والنمل: ٤٣).

٥. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢/ ٩٢.

شرّاح التوراة والإنجيل أي علماء اليهود والنصارى فيما يخص آيات القرآن؛ لأنّهم سيجيبون عن مصادر محرّفة وغير معتبرة، فيؤدي في النهاية إلى تسلل الإسرائيليات إلى دائرة التفسير ولهذا السبب جاء المنع عن سؤال أهل الكتاب في الأحاديث النبوية.[١]

ب) نقل مضامين التوراة والإنجيل على أنّها أحاديث إسلامية وتفسير للقرآن

وهذا النوع هو أبرز الأشكال من نقل الإسرائيليات ومن البديهي أنه غير جائز.

ج) نقل المواضيع من التوراة والإنجيل في التفسير بدون ذكر المصدر

وينتهي هذا الشكل إلى دخول الإسرائيليات في التفسير. وعليه يعدّ من أحد أنواع الإسرائيليات الممنوعة.

د) نقل المطالب المستندة إلى التوراة والإنجيل من أجل الدراسة والنقد والإبطال وإثبات صدق القرآن.

لابد أن يكون لكل باحث قرآني بعض الحالات التي تصادفه ـ في تفسير القرآن ـ أن يحتاج إلى تناول التوراة والإنجيل وحتى الكتب السماوية الأخرى، من أجل إثبات حقانية القرآن وبيان البطلان الذي يحيط بتلك الكتب أو من أجل أن يتعرف على الأحاديث الإسرائيلية وأن يردها.

هكذا نوع من الحاجة في البحث لابد أن تكون ضرورية للباحثين وهي بلا أدنى شك جائزة، ففي الحقيقة أنّ هذا أحد موارد الاستثناء من قاعدة المنع من استخدام الإسرائيليات لأن روح القاعدة والهدف من المنع هو الوقوف أمام تسلل الإسرائيليات، إلى الثقافة الإسلامية والمنع من اختلاط الحق بالباطل، في حين أنّ هذا المورد لا يؤدي إلى ذلك المحذور بل ستكون من نتائجه تمحيص الثقافة الإسلامية عن الإسرائيليات وإثبات حقانية القرآن ويكون هذا المورد جائزاً مع مراعاة الشروط التالية:

١. الرجوع إلى التوراة أو الإنجيل وأمثالها بهدف مقارنتها بالقرآن وإثبات حقانية القرآن: ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٢] نرى ما يشبهه في *الكتاب المقدس* (في العهد القديم) في كتاب *الزبور*[٣] وهو «لأن الشريرين سوف

---

١. *مسند أحمد بن حنبل*: ٣ / ٣٨٧؛ و*مجمع الزوائد*: ١ / ١٧٣ ـ ١٧٤.

٢. الأنبياء: ١٠٥.

٣. راجع: *تفسير الأمثل*: ٥ / ٣٢.

ينقطعون، أما المتوكلون على الله فسيرثون الأرض، وبعد مدة سوف لا يكون هناك شريرون، أمّا الحكماء والصالحون فسيرثون الأرض».[١]

وهذا المطلب شاهدٌ على صحة ما جاء به القرآن؛ لأنه قد ذكر قبله في زبور سيدنا داود، ومن هنا قام بعض المفسرين بذكر هذا المطلب من زبور سيدنا داودعليه السلام في ضمن تفسيره.[٢]

٢. الرجوع إلى الكتب المحرّفة من أجل مقارنتها بالقرآن وردّ خرافاتها.

مثال: مقارنة بين القرآن والتوراة في نظيرتهما إلى نبي الله لوطعليه السلام و عائلته فقد جاء في القرآن فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.[٣]

بينما ذكرتهم التوراة كما يلي: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة جميع أهل الأرض، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر أبناً ودعت اسمه (مواب) وهو ابو الموابين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه (بن عمي) وهو أبو بني عمون إلى اليوم.[٤]

إن التعامل الثنائي للقرآن والتوراة المحرّفة مع النبي لوطعليه السلام وعائلته يشير إلى مدى اهتمام القرآن بالمقام السامي للنبي لوطعليه السلام وبعصمته وعفة عائلته بعكس ما تنقله التوراة من خرافات وأمور شنيعة، وهذا ما يمثل شاهداً على حقانية القرآن وصحته وصدقه، وشاهداً على تحريف التوراة فيمن الواضح أن نقل هذه المطالب من التوراة والإنجيل وأمثالهما وبهذه الكيفية لا ضرر فيه ولا منع، بل فيه خدمة للقرآن وللأديان الإلهية.

---

١. *الكتاب المقدس*، *العهد القديم*، *زبور داود*: مزمور ٣٧، رقم ٢٩ـ٣٠؛ وكذلك راجع: المصدر: رقم ٩ و١٠ و١١ و١٧ و١٨.

٢. *تفسير الأمثل*: الآية: ١٠٥ من سورة الأنبياء.

٣. الأعراف: ٨٦؛ والنمل: ٥٦.

٤. *الكتاب المقدس*: سفر التكوين، باب ١٩، رقم ٣٠ و٣١.

٣. أن تكون المطالب المنقولة من التوراة أو الإنجيل أو ما شابههما مرفوعة بذكر المصدر وأن تكون متميّزة عن المتن التفسيري بشكل كامل سواءً كان ذلك بنوع الخط أو بوضعها داخل معقوفتين، بحيث لا يقع الخلط.

ملاحظة:

إن وجود الشرط الأول والثاني كمانعة الخلو؛ أي لا يلزم أن يكونا متوفرين معاً بل يكفي تحقق شرط واحد منهما مع وجود الشرط الثالث.

كتب الشيخ معرفة بعد أن بيّن أقسام الإسرائيليات قائلاً: «وفي العهد القديم جاءت تفاصيل الحوادث مما أوجز بها القرآن وطواها في سرد قضايا قصار، آخذاً بمواضع عبرها دون بيان التفاصيل، فتجوز المراجعة إلى تكلم التفاصيل لرفع بعض المبهمات في القضايا القرآنية، ولكن على حذر تام وفق التفصيل التالي: فالموجود في كتب السلف فيما يمس المسائل القرآنية، أما موافق مع شرعنا في أصول مبانيه وفي الفروع أو مخالف أو مسكوت عنه، فالأخذ به وتركه سواء، شأن سائر أحداث التاريخ.[١]

ثمّ يضرب مثلاً لما وافق الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء ولما خالف قصة النبي لوط عليه السلام وبناته.[٢]

كيف نعرف الإسرائيليات

يمكننا معرفة وتشخيص الأحاديث اليهودية أو المسيحية الدخيلة على الثقافة الإسلامية من خلال طريقين:

أ) عن طريق السند

إن دراسة سند الأحاديث التفسيرية توضّح لنا حقيقة وجود الرواة للإسرائيليات أولاً، فإن كان في السند أشخاص أمثال كعب الأحبار فإن احتمال كون الحديث من الإسرائيليات كبير، وعلى أقل التقادير فلا يمكن الاعتماد على ذلك الحديث.

مثال: ومن أمثلة ذلك ما نقله كعب الأحبار من روايات عند تفسيره آيات من سورة الكهف في التفاسير، أو في التاريخ وكذلك الروايات المغالية في فضيلة بيت المقدس والشام

---

١. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ١٣٣ ـ ١٣٨.

٢. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ١٣٩ ـ ١٤٠.

المنقولة عنه، وعن وهب بن منبه، وعن أبي هريرة، نحو: قال كعب: إن العرض والحساب من بيت المقدس، وإن مقبور بيت المقدس لا يعذب، قال وهب بن منبه: أهل بيت المقدس جيران الله وحق الله (عزّ وجلّ) ألاّ يعذب جيرانه.[1]

ب) عن طريق المتن

تعتبر الأحاديث النبوية ﷺ وأحاديث اهل البيت عليهم السلام مطالبَ ومعلومات إلهية نابعة من الوحي السماوي وعليه لا يتطرّق إليها ما يخالف العقل، أو العلم القطعي، أو الآيات المحكمة، أو السنة القطعية، أو المنقولات التاريخية القطعية.

فإن عُثر على حديث فيه نوع من هذه الأنواع الخمسة ولموضوعه ذكر في التوراة والإنجيل وملحقاتها أو في التلمود فإنه سوف يسقط من الاعتبار ويحتمل كثيراً أن يكون من الإسرائيليات الدخيلة على الثقافة الإسلامية.

مثال: الروايات التي تذكر ترتيب السماوات على أساس علم الهيئة البطليموسية: إن السموات بعضها من فضة وبعضها من الزبرجد، وأن السيارات مركوزة في السماوات على الترتيب المذكور في كتب اليونان، مثل، أنّ القمر في السماء الدنيا، وعطارد بالثانية وهكذا إلى السابعة، وهكذا إن السموات موضوعة على رأس جبل محيط بالأرض يقال له قاف، وإن الأرض موضوعة على قرن ثور قائم فوق ظهر حوت يسبح في الماء.[2]

ومن الواضح أنّ هذه الأحاديث تخالف قطعاً الحقائق العلمية لعلم النجوم والفضاء في يومنا هذا، ولابد أن نشير إلى أنّ القرآن الكريم يعتبر أنّ الكرة الارضية متحركة على خلاف النظرية الفلكية البطليموسية،[3] وليس المقصود من السماوات السبع[4] في القرآن هي الأفلاك البطليموسية ولا تتطابق مع الأفلاك التسع، بل يمكن أن يكون العدد سبعة كناية عن الكثرة وإشارة إلى الطبقات الجوية للأرض، أو إشارة إلى النجوم أو الكواكب والمجرّات العديدة أو إشارة إلى السماوات على أنها سبعة ولم يكشف منها إلا واحدة، السماء الدنيا وبقي ستة لم يكتشفها العلم.[5]

---

١. راجع: *أضواء على السنة المحمدية*: ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠.

٢. المصدر: ١٦٨.

٣. ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ النمل: ٨٨

٤. هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٩.

٥. راجع: بژوهشي در *اعجاز قرآن ـ التحقيق في الإعجاز العلمي للقرآن* ـ للمؤلف: ١، مبحث السموات السبع.

مثال آخر: فقد روى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول اللهﷺ بيدي، فقال:

خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الأثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدوات يوم الخميس، وخلق آدمﷺ بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل.

وقد روى هذا الحديث أحمد، والنسّائي أيضاً عن أبي هريرة. وقال البخاري، وأبن كثير وغيرهما: إن أبا هريرة قد تلقّى هذا الحديث عن كعب الأحبار، لأنّه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام.[١]

ملاحظات

١. إنّ مخالفة الآيات القرآنية المحكمة أو العقل أو العلم القطعي أو السنة القطعية أو التاريخ القطعي تعدّ من المناطات والضوابط العامّة التي تشمل الإسرائيليات وغيرها.

٢. لا يمكن اعتبار صرف التشابه بين الأحاديث الإسلامية، وبين ما في المصادر اليهودية أو المسيحية مقياساً ومناطاً على كون الحديث من الإسرائيليات فلا يكون ذلك كافياً في إسقاطه من الاعتبار والحجية؛ لأنّ هناك من المطالب الحقة ما هو موجود في التوراة والإنجيل فذكره في القرآن وأيده الوحي، وذلك لأنّ المنبع الصافي والمصدر السماوي هو المأخذ الوحياني الوحيد للكتب السماوية والأحاديث الصحيحة، فلا ريب إذا وجد التشابه فيما بينها في بعض مطالبها، نحو ما يتعلّق بأصل التوحيد والنبوة أو المضمون من الإرشادات الإلهية العشرة،[٢] والتي ذُكرت بمضمونها في الآيات القرآنية، وكذلك مواعظ النبي عيسىﷺ على الجبل وبعض نصائحه[٣] والتي ذُكرت مضامينها في أحاديث *تحف العقول*.[٤]

وعليه فلا يعتبر الحديث الذي يُفسر آية من القرآن من الإسرائيليات بمجرد أن يشابه شيئاً من المصادر اليهودية أو المسيحية، بل إنّ الحديث الضعيف وغير المعتبر أو الحديث الذي لا ينسجم مع المعايير الخمسة آنفة الذكر ثمّ شابه شيئاً من المصادر اليهودية أو المسيحية يكون فيه احتمال كونه من الإسرائيليات قوياً، ومع قوة القرائن على ذلك قد يتحقق العلم بذلك بأنه من الإسرائيليات.

---

١. *أضواء على السنة المحمدية*: ٢٠٧ ـ ٢١٠؛ *والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، ٢ / ١١٨.

٢. *الكتاب المقدّس*، سفر الخروج، الباب ٢٠، رقم١٣، من قوله: (لا تقتل، لا تزن، لا تسرق...).

٣. *إنجيل متّى*، الباب الخامس.

٤. *تحف العقول*: ٥٠١ وما بعدها.

أمثلة من الإسرائيليات في التفسير

لقد نقلت الإسرائيليات في بعض المواضيع والأماكن بصورة أكثر من غيرها، ومنها:

١. ما جاء من الإسرائيليات في قصة خلق آدم.

المثال الأول: نُقل عن أبي هريرة: إنّ الله خلق آدم على صورته.[1] وجاء في التوراة: فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم.[2]

المثال الثاني: خلق أمّنا حواء من أسفل أضلاع سيدنا آدم، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[3] أشير في هذه الآية المباركة إلى أن خلق آدم وحواء من ماة واحدة ﴿نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ولم يشر القرآن إلى خلق أمّنا حواء من أضلاع آدمعليه السلام لا في هذه الآية ولا في آية أخرى، وتوجد لدينا في هذا الموضوع مجموعتان من الروايات، وهي:

١. الطائفة الأولى من الأحاديث تشير إلى أن سيدتنا حواء خلقت من الضلع الأيسر لسيدنا آدمعليه السلام.[4]

٢. وجاء في الطائفة الثانية أنّ سيدتنا حواء خلقت من فاضل الطينة التي خلق منها أبونا آدم، وتكذّب تلك الطائفة الأولى القائلة بالخلقة من ضلوع سيدنا آدمعليه السلام.

فعن الباقرعليه السلام: أنّه سُئل من أي شيء خلق الله حواء، فقال: أي شيء يقولون هذا الخلق.
قلت: يقولون: إنّ الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم.
فقال: «كذبوا. كان يعجز أن يخلقها من غير ضلعه»، ثمّ قال: «أخبرني أبي عن آبائهعليهم السلام»، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين، فخلق منها آدم، وفضلَ فضلة من الطين فخلق منها حواء».[5]

ومن الملفت للنظر أنّ قصة خلق حواء ذكرت في التوراة بهذه الصورة أيضاً:

فأوقع الربُّ الإله سباتاً على آدم، فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الآله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم فقال آدم: «هذه

---

١. نقله *صحيح البخاري*؛ و*صحيح مسلم*.
٢. *الكتاب المقدس*، سفر التكوين، الباب الأول: رقم ٢٧ ـ ٢٨.
٣. النساء: ١.
٤. راجع: *تفسير القمي*؛ و*تفسير العياشي*؛ و*تفسير الصافي*، عند تفسير الآية الأولى من سورة النساء.
٥. تفسير الصافي: ١ / ٤١٤؛ وكذلك انظر: *تفسير العياشي*؛ وفي كتاب *الفقيه*، و*العلل*، حديث مشابه عن الصدوق، نقله صاحب *تفسير الصافي* كذلك.

الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة، لأنّها من أمرء أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً.[١]

ومن خلال مقارنة تلك الأحاديث مع القرآن والتوراة نجد أن الطائفة الثانية موافقة لظاهر القرآن وظاهر الطائفة الأولى موافق لظاهر التوراة، وهو ما يُعدّ قرينة على أن الأحاديث القائلة بخلق حواء من ضلع سيدنا آدم توراتية المصدر، وهذا ما أشار إليه العلامة الطباطبائي.[٢]

٢. الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت:

قام السيوطي في كتابه *الدر المنثور* بنقل قصص عجيبة عن كعب الأحبار وعن غيره،[٣] بحيث تخالف عصمة الملائكة والحقائق الدينية الثابتة المستفادة من الآيات القرآنية،[٤] والروايات الشريفة.[٥]

٣. الإسرائيليات الورادة في قصة بناء الكعبة على يدي سيدنا آدم، وأن الحجر الأسود هو ياقوتة من الجنة.[٦]

٤. الإسرايليات في قضية تابوت بني إسرائيل.[٧]

٥. الإسرائيليات في قضية قتل جالوت.[٨]

٦. الإسرائيليات في قضية التيه لبني إسرائيل.[٩]

٧. الإسرائيليات في قضية المائدة للنبي عيسى عليه السلام.[١٠]

٨. حول الآيات المتعلّقة ببني إسرائيل وقصة موسى والألواح.[١١]

---

١. *الكتاب المقدس*، سفر التكوين، الباب الثاني، رقم ٢١ ـ ٢٤.

٢. *الميزان*: ١ / ١٤٢.

٣. راجع: *الإسرائيليات والموضوعات*: ١٥٩ ـ ٣٠٥.

٤. التحريم: ٦.

٥. تفسير البرهان: ١ / ١٣٦ ـ ١٣٨.

٦. *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ١٥٤ ـ ١٥٧، والإسرائيليات والموضوعات.

٧. المصدر: ١٥٧.

٨. المصدر: ١٥٨.

٩. المصدر: ١٧٥.

١٠. المصدر: ١٧٩.

١١. المصدر: ١٨٩.

٩. الإسرائيليات الواردة في خصوص عوج بن عنق بما يرتبط بآية رقم ٢٢ من سورة المائدة ﴿قَوْماً جَبَّارِينَ﴾.[١]

١٠. الإسرائيليات الواردة في سفينة نوح عليه السلام وطولها وعرضها العجيب.[٢]

١١. الإسرائيليات الواردة في قصة يوسف عليه السلام لا سيما بما لا ينسجم مع عصمة النبي يوسف عليه السلام.[٣]

قام العلامة الطباطبائي في *الميزان*،[٤] والشيخ معرفة[٥] بنقد هذه الروايات وردّها بشكل حازم وجدّي.

١٢. الإسرائيليات حول شجرة طوبى.

١٣. الإسرائيليات حول أصحاب الكهف.

١٤. الإسرائيليات حول ذي القرنين.

١٥. الإسرائيليات حول يأجوج ومأجوج.

١٦. الإسرائيليات حول ملكة سبأ، وسليمان، وإلياس، وإسحاق، وأيوب.

١٧. قصة إرم ذات العماد وتفسير ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ وعمر الدنيا، وخلق الشمس، وغيرها.[٦]

٤. قاعدة الارتباط بين أجزاء القرآن

ضرورة التفسير الموضوعي

قال الإمام علي عليه السلام: «لا تنثره نثر الرمل».[٧]

وقال عليه السلام: «كتاب الله... ينطق بعضه بعضاً ويشهد بعضه على بعض».[٨]

إنّ الأجزاء المختلفة لأي نص تعدّ قرينة لفهم ذلك النص، فقد يوجب بعض الأجزاء تخصيص الآخر أو التقييد أو يوضح بواسطته نقطة خفية فيه.

---

١. *التفسير والمفسرون* في ثوبه القشيب: ٢ / ١٧١.

٢. المصدر: ٢٠٩ وما بعدها.

٣. راجع: *تفسير الطبري*: ١٢ / ٩٠ ـ ٩١، و١٠٨ ـ ١١٤؛ والدر المنثور: ٢ / ٤؛ و١٣ ـ ١٤ وما بعدها.

٤. راجع: الميزان: ١١ / ١٦٧.

٥. راجع: *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*: ٢ / ٢١٣ ـ ٢٢٨.

٦. المصدر: ٢٢٨ ـ ٣١٠.

٧. مجمع *البيان*: ٦ / ٩٤، عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

٨. *نهج البلاغة*، خطبة: ١٢٣.

والقرآن حاله حال النصوص العقلائية الأخرى من هذه الجهة، ومن هنا كانت انطلاقة واهتمام بعض المفسرين المتأخرين بأسلوب تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم.[١]

وأكد بعض المختصين على هذا المطلب، بل واعتبر أنّ مراعاة الآيات القرآنية الأخرى والاهتمام بها من شروط المفسر وأصول التفسير.[٢]

فمن اللازم الانتقال من الترجمة والتفسير المتفرق غير المترابط إلى الترجمة والتفسير المترابط، ومن هنا أوردوا إشكالهم على ترجمة وتفسير الطبري؛ لأنها ترجمة للآيات وهي غير ناظرة لبعضها البعض وكأنها جملٌ لا ارتباط بينها.[٣]

واعتبر هؤلاء أن ظهور الأشاعرة والأخباريين من عوامل تفريق الترجمة والتفاسير وإعمالها على الآيات بشكل غير ترابطي.[٤]

وشبه الدكتور محمد عبد الله درّاز القرآن الكريم باللوحة الفنية النفيسة، فلو حدّدنا نظرنا في جزء صغير منها فإنّنا سوف لا نرى سوى بعض الألوان المختلفة المتداخلة، فمن اللازم علينا أن نرجع إلى الخلق لتتسع دائرة الرؤية أمامنا فنشاهد هذه اللوحة وحدة واحدة.[٥]

وشبّه السيد الخوئي ترابطه قائلاً: كأن جملة منه درةٌ في عقد منتظم.[٦]

وذهب السيد الخميني إلى أنه حتى البسلمة ـ بناءً على مسلك أهل المعرفة ـ تتعلّق بسورتها الخاصة ويختلف معنى البسملة بحسب كل سورة بناءً على متعلّقها في اللفظ.[٧]

وعليه فلابد من مراعاة الترابط بين أجزاء وفقرات أيّ نص فيما إذا أُريد فهمه أو تفسيره أو ترجمته، وإلا فإن عدم ذلك يؤدي إلى الاضطراب والخلل.[٨]

---

١. راجع: مقدمة *تفسير الميزان*؛ *والتفسير الموضوعي* (*نفحات القرآن*) للشيخ مكارم الشيرازي؛ *ومنشور جاويد*، للشيخ السبحاني، و*تفسير موضوعي قرآن مجيد*، للشيخ جوادي آملي، وغيرها.

٢. *قرآن ناطق*: ١ / ٣٢٩.

٣. المصدر: ٣٣٧.

٤. المصدر: ٣٨٠.

٥. *مدخل إلى القرآن الكريم*، عرض تاريخي وتحليلي مقارن: ٦٢٠.

٦. *البيان في تفسير القرآن*: ٩٣.

٧. *تفسير سورة حمد*: ١٠٧.

٨. *الأربعين حديث*: ٥٤٧.

مثال: لقد ذكر القرآن مطالباً تخص قصة سيدنا موسىعليه السلام في طيات سور كثيرة، منها: سورة البقرة، والنساء، والمائدة والأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، وإبراهيم، والإسراء، والكهف، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص. وعليه فلابد من الاهتمام بكلّ تلك الموارد إذا أُريد الفهم الصحيح أو التفسير الكامل للآيات المتعلّقة بسيدنا موسىعليه السلام، فقد قال تعالى في خصوص عصا سيدنا موسىعليه السلام ما يلي:

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾.[1]

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً﴾.[2]

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾.[3]

فحكي في هذه الموارد عن الحية الصغيرة، والعفريت الكبير، فلو فسّرت هذه الآيات بشكل منفصل عن بعضها البعض لوجد نوع من التعارض وإذا لاحظنا جميع الآيات مرتبطةً في عملية التفسير فسوف نعرف، إنّ الحية الصغيرة مربوطة بأوائل بعثة النبي موسىعليه السلام والعفريت الكبير مربوط بمقابلة السحرة، فالوصفان يتعلقان بقضيتين واقعيتين مختلفتين.

ومثال آخر: قصة سيدنا آدم والشيطان الرجيم والتي ذكرت في عدة سورة قرآنية، وكذلك الآيات المتعلّقة بالصلاة والزكاة والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثال هذه الموارد والتي قد يوجب بعضها تقييد بعض أو تخصيصه.[4]

ملاحظات

١. لابد من التذكير بأنّ نتيجة هذه القاعدة هي التفسير الموضوعي للقرآن، وهي مرتبطة بمنهج تفسير القرآن بالقرآن من جهة، ومن جهة أخرى ترتبط بقاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، وكذلك ترتبط بقاعدة أهداف القرآن والسور ويمكن بحثها من تلك الجهات.

٢. ويتبين من هذه القاعدة أنّ التفسير الموضوعي كما أنه ضروري بشكل مستقلّ كذلك فهو ضروري ضمن التفسير الترتيبي، وبعبارة أخرى لا يمكن الاستغناء عن التفسير الموضوعي لمن يفسّر القرآن ترتيبياً، بل عليه الرجوع للآيات القرآنية المشابهة أو المخالفة فيما إذا أراد

---

١. الأعراف: ١٠٧؛ الشعراء: ٣٢.

٢. القصص: ٣١؛ النمل: ١٠.

٣. طه: ٢٠.

٤. توجد أمثلة حول هذا الموضوع بيّنّاها آخر البحث في قواعد أصول الفقه.

الفهم أكثر وأوضح، لانضوائها على القرائن الداخلية النصيّة، وعليه أن يلاحظ ارتباط الآيات فيما بينها لكي يحصل على تفسير قرآني كامل ومعتبر.

٥. قاعدة تأثير أهداف القرآن والسور والآيات على التفسير

إنّ الالتفات إلى أهداف السور والآيات أثر بالغ في فهم وتفسير الآيات، ومن هنا كان هذا الموضوع مورد عناية بعض المفسرين والكتّاب في القرآن، حتى كتبت في هذا المجال عدة كتابات منها:

فكان من عادة العلامة الطباطبائي في *الميزان*، والشيخ مكارم الشيرازي، أن يذكرا أهداف كلّ السورة قبل البدء بتفسيرها.[١]

وكذلك المجلد الأول من كتاب (*قرآن ناطق*) حيث تطرق إلى أثر مقاصد القرآن.[٢] فمن اللازم على المفسّر أن يعرف ويشخص الهدف العام للقرآن والهدف من كل سورة، وأهداف الآيات ويراعيها عند تفسيره تماشياً معها، ولكي لا يعارضها.

أ) أهداف القرآن

لقد ذكر القرآن أهدافاً كثيرة لنزوله، ويمكن تقسيمها إلى عدة طوائف:

أولاً: أهداف ابتدائية [مقدماتية]:

١. للإنذار: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾.[٣]

٢. للبيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.[٤]

٣. للتعقّل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[٥]

٤. للتفكّر: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٦]

٥. للبشارة وللإنذار: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾.[٧]

---

١. سيأتي بعض النماذج لاحقاً.

٢. *قرآن ناطق*: ١ / ٣٧٦.

٣. الفرقان: ١.

٤. النحل: ٨٩

٥. يوسف: ٢.

٦. النحل: ٤٤.

٧. فصلت: ٤.

٦. مذكّر: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ﴾.[١]
٧. للهداية والرحمة: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾.[٢]

ثانياً: الأهداف الوسطية:

١. القرآن من أجل إقامة العدل.[٣]
٢. للحكم فيما بين الناس.[٤]
٣. للشفاعة.[٥]

ثالثاً: الأهداف النهائية:

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.[٦]

وعليه فإن الهدف الأساسي والنهائي للقرآن هو هداية الإنسان نحو النور الإلهي، وكل ما في القرآن من قصص وإشارات علمية إلى الطبيعة والنجوم والآيات الأخلاقية إنما تفسّر في هذا الاتجاه.

وبعبارة أخرى فالقرآن كلٌ لا يتجزأ، متّحد مترابط الآيات ذو هدف واحد وروح واحدة، وعدم الالتفات إلى ذلك يؤدي إلى عدم الحصول على تفسير كامل أو معبر للقرآن الكريم.

فلو فسّر شخص بعض آيات القرآن بشكل تبعد عند النور الإلهي وتقود إلى الظلمات كالجهل والشرك والكفر والخرافات فإنّ هذا التفسير سوف لا ينسجم مع روح القرآن وأهدافه وليس له أي اعتبار؛ لأنّنا لا نستطيع تفسير كلام المتحدّث بشكل يتعارض مع مقصوده النهائي وإنّما ذلك هو تفسير بالرأي المنهي عنه.

ب) أهداف السور القرآنية:

إن لكل سورة قرآنية هدف أو أهداف تعمل على متابعتها في مسيرة الهدف الأصلي والأساسي للقرآن الكريم، أي الهداية الإلهية.

وكأنّ هدف السور يشبه خيط المسبحة يربط آيات السورة بعضها ببعض، وعدم أخذه

---

١. ص: ١.
٢. النحل: ٨٩
٣. الحديد: ٢٥.
٤. البقرة: ٢١٣.
٥. يونس: ٥٧؛ فصلت: ٤٤؛ الإسراء: ٨٢
٦. إبراهيم: ١؛ ونفس المعنى في الحديد: ٩.

بنظر الاعتبار يؤدي إلى التراجع السلبي في التفسير وتفرقه أو تناثره وعدم ترابطه، وقد يعبر عنه بترابط الآيات وعدم التمسّك به، يجعل القرآن منثوراً كنثر الرمل.[١]

وأكد العلامة الطباطبائي على ذلك قائلاً: إنّ لكلّ طائفة من هذه الطوائف من كلامه التي فصّلها قطعاً، وسمى كلّ قطعة سورة نوعاً من وحدة التأليف والتمام، لا يوجد بين أبعاض من سورة وسورة، ومن هنا نعلم: إن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة، وإن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه.[٢]

وأقترح الدكتور بي آزر الشيرازي قانوناً لكشف ارتباط الآيات وهو عبارة عن: الالتفات إلى ترتيب ووحدة آيات كلّ سورة والالتفات إلى بداية ونهاية كلّ سورة واكتشاف محور السورة أو محاورها والالتفات إلى الجوّ التاريخي للسورة وما وردت به الآية وتأويلها وسببه.[٣]

مثال: إن السور المكّية عادة ما يكون لها ثلاثة أهداف أساسية، هي:

١. الدعوة إلى التوحيد.

٢. الدعوة إلى نبوة النبيﷺ وتعزيز مكانته الاجتماعية.

٣. بيان المعاد والإنذار بشانه.

ومن النظرة الأولى لسورة يونس، أو هود، أو الكافرون، أو النبأ، يتضح هذا الأمر جلّياً.

وأما السور المدنية فهي تهدف إلى تنظيم المجتمع والتقنين الإسلامي، ولها أهداف فرعية أخرى كمقابلة الانحرافات اليهودية والمسيحية وهداية المسلمين في أزمات الحروب والاضطرابات، ومن النظرة البسيطة لسورة البقرة، أو آل عمران، أو الأحزاب، أو الأنفال، أو التوبة يتضح هذا الأمر.

مثال آخر: يقول العلامة الطباطبائي في بداية سورة يوسف: «غرض السورة: بيان ولاية الله لعبده الذي أخلص إيمانه له تعالى إخلاصاً، وامتلأ بمحبته تعالى، لا يبتغي له بدلاً، ولم يلو إلى غيره تعالى من شيء، وأنّ الله تعالى يتولّى هو أمره فيربيه أحسن تربية».[٤]

ثم يجري ذلك الهدف في كلّ السورة، ومن الواضح إنّ هذا الهدف سوف يؤثر في

---

١. كما نقل عن الإمام عليعليه السلام: «لا تنثره نثر الرمل»، *مجمع البيان*: ٦ / ٩٤، عند آية ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

٢. *الميزان*: ١ / ١٦.

٣. *قرآن ناطق*.

٤. *الميزان*: ١١ / ٧٣.

تفسير كثير من الآيات لهذه السورة لا سيما قصة الحب التي وقعت بها زوجة عزيز مصر، والآيات: ٢٣ ـ ٢٤ والآيات ٥٢ ـ ٥٣.

ج) أهداف الآية أو مجموعة من الآيات

قد يشكّل عدد من الآيات مجموعة واحدة لها هدف خاص، وقد يكون لآية واحدة كبيرة هدف واحد خاص بها، وتفسر هكذا آيات لا يكون تاماً معتبراً إلا مع الالتفات لأهدافها.

مثال: إن الهدف من الإشارات العلمية في القرآن هو معرفة الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الأُكُلِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

اشير في هذه المجموعة من الآيات إلى الجاذبية وحركة الشمس والقمر والزوجية بين النباتات، من الممكن أن يعتبرها شخص قضايا علمية من القرآن ويكتفي بتفسيرها العلمي، في الوقت الذي يُستفاد من قوله تعالى: ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنها إشارات علمية تدل على وجود الله ومعرفته، وأنّ هدفها الأصلي ليس المطالب العلمية بل الهدف بيان العلامات والآيات الدالة على الله تبارك وتعالى.

إذن، وإن وجد في هذه الآيات إشارات علمية تشير إلى الإعجاز ولابد من تناولها بالتفسير العلمي؛ لكي يتضح ما تقتضيه من إعجاز علمي ولكننا إذا تجاهلنا الهدف الأساسي لها سوف لن نحصل على التفسير الأمثل لتلك الآيات.

مثال آخر: ويعتبر المعاد من أهداف الإشارات العلمية في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2]

---

١. الرعد: ٢ ـ ٤.

٢. الحج: ٥.

وهنا أيضاً يمكن أن يظنّ شخص، أنّ الهدف الأساسي لهذه الآية هو بيان الحقائق الطبية المتعلّقة بخلق الإنسان ومراحله، ولكنّ المستفاد من صدر الآية هو التفات نظر الإنسان إلى الحياة الثانية في المعاد.

إذن لابد أن نقول: وإن كانت لهذه الآية إشارات للإعجاز العلمي ولكن لابدّ أن لا نغفل عن هدفها الأساسي.

٦. قاعدة استخدام العلم في التفسير

مفهوم العلم

تستخدم كلمة العلم في مقابل عدد من الاصطلاحات، فمثلاً:

١. اليقين (العلم): الحقيقة القطعية واليقينية، أو المطلب الذي يدل على مقصوده بنسبة ١٠٠٪.

٢. الظن: هو المطلب الذي يدلّ بنسبة منْ ٥١ ـ ٩٩٪.

٣. الشك: ما تساوى طرفا الاحتمال في الخبر فيه، أي بنسبة ٥٠٪.

٤. الوهم: ما كان يدل على الخبر أو المقصود بنسبة أقل من ٥٠٪.[١]

والمقصود من كلمة (العلم) هنا: المعرفة القطعية اليقينية الحاصلة من الأدلة العقلية القطعية أو النقلية أو التجريبية، مثل النصوص القرآنية والأخبار المتواترة والبراهين العقلية.

وقد تستعمل كلمة (العلم) بمعنى الاطمئنان أو العلم العادي، وهو الظن القوي جداً القريب من القطع، وأما عند العرف فهو ما أورث الاطمئنان أي العلم العادي [العرفي إن صحّ التعبير].

وأما كلمة (العلمي) فقد تستعمل بالمعنى الظني الذي قام على اعتباره وحجيته دليل قطعي، فيعدّ علماً مثل ظواهر القرآن، وخبر الواحد المعتبر.[٢]

وبعبارة أخرى فإن الظن على قسمين:

١. الظن المطلق: والذي لا يوجد دليل على اعتباره ومنحه الحجية إلاّ أن يُقال بدليل الانسداد الكبير لطريق تحصيل العلم.

٢. الظن المعتبر: وهو ما له دليل قطعي على اعتباره مثل خبر الواحد المعتبر.[٣]

---

١. راجع: *منطق المظفر*: ١٧.

٢. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ٣ / ١٨.

٣. المصدر: ٢٨ ـ ٢٩.

دراسة الأدلة والقرائن في التفسير

إنّ تفسير القرآن بمثابة كشف المعاني ومقاصد الآيات وبيانها وبعبارة أخرى هو بيان المراد الجدّي والاستعمالي لله تبارك وتعالى في آيات القرآن الكريم، ويحتاج هذا للكشف والبيان إلى دليل أو إلى قرينة، ولكن ليس كلّ دليل أو قرينة يصلحان للاستخدام في تفسير القرآن، لأنّ بعضها مرفوض من قبل العقل وبعضها من قبل الشارع، ومن هنا لابدّ أن تخضع هذه الأدلة والقرآن إلى الدراسة والتقييم.

أ) اليقين والعلم:

إنّ لكل دليل يقيني أو علمي، قطعاً، وحجية القطع ذاتية،[١] وعليه فمتى ما وجد دليل أو قرينة يقينية للتفسير جاز تفسير القرآن بالاستعانة بها.

وأما الآيات والروايات التي تنفي حجية الظن أو اعتباره[٢] فقد تصرّح باعتبار وحجية العلم في التفسير ولكنّ ذلك التصريح إنّما هو إرشادي.

مصاديق العلم:

١. النصوص القرآنية:

أ) دلالة قوله تعالى: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٣] و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] على توحيد الذات والمعبود.

ب) دلالة قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ﴾[٥] على عموم مطلوبية الصلاة.

٢. الأخبار المتواترة:

مثل حديث الغدير المتواتر[٦] في خصوص قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾.[٧]

---

١. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ج٣، ص٢١؛ وكتب الأصول الأخرى مثل: *كفاية الأصول*، للآخوند الخراساني؛ *والرسائل، للشيخ الأنصاري*، مبحث حجية القطع.

٢. وسنذكرها فيما يلي من هذا البحث.

٣. محمد: ١٩.

٤. التوحيد: ١.

٥. الإسراء: ٧٨.

٦. راجع: تفاسير: *البيان*؛ *مجمع البيان*؛ *نور الثقلين*؛ *البرهان*؛ *الميزان*؛ *والأمثل*؛ وكتاب *الغدير*، للعلامة الاميني؛ *وإحقاق الحق*؛ ومصادر الحديث عند الطرفين.

٧. المائدة: ٣.

٣. البراهين العقلية:

كالبرهان القائم على أنّ الله (تبارك وتعالى) ليس بجسم؛ لأنّ الجسمية يلزمها النقص والاحتياج، فلابدّ من تأويل بعض الآيات اعتماداً على هذا البرهان والقرينة القطعية العقلية مثل: العرش، والكرسي، وجاء ربك، وإلى ربها ناظرة، ويد الله فوق أيديهم.

٤. العلوم التجريبية:

إن أكثر المطالب في العلوم التجريبية عبارة عن نظريات علمية وليست مورثة للقطع، ولكنّ بعضها وصل إلى حدٍّ البديهيات الحسية أو مدعومة بالدليل العقلي، كالرياضيات وهذه يمكن عدّها من اليقينيات.

وعلى سبيل المثال: كروية الأرض، وحركتها، والجاذبية، من الأمور التي أصبحت في عصرنا هذا من البديهيات الحسّية فيمكن تفسير آيات القرآن على أساسها.

ب) الظن

الذي يظهر من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أنّ الأصل والقاعدة الأولية في تفسير القرآن هو اعتماد (العلم)، وأمّا الظن فلا اعتبار له، إلاّ أن يقوم الدليل القطعي على اعتبار الظن الخاص كخبر الواحد، هناك آيات وأحاديث كثيرة تدلّ على ما ذكرنا، لكننا نقتصر على ذكر نماذج، منها:

١. الآيات

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.[١]

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.[٢]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾.[٣]

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[٤]

---

١. يونس: ٥٩.

٢. الإسراء: ٣٦.

٣. يونس: ٣٦؛ النجم: ٢٨.

٤. الأعراف: ٣٣.

لقد استدل علماء أصول الفقه وعلوم القرآن، والمختصون في قواعد التفسير ـ كلٌّ على حدة ـ بالآيات المذكورة، ومن هنا قاموا بتأسيس الأصل القائل بعدم اعتبار الظن وعدم جواز العمل بمقتضاه؛ لأن نسبة أي شيء إلى الله بنحو الظن إنما هو نوع افتراء، وهو محرّم، بل ولا يمكن نسبة أي أمر ليس قائم على أساس العلم إلى الله كذلك.

وعليه يعدّ كل تفسير للقرآن على أساس غير العلم نوعاً من التفسير بالرأي.[١]

ومن الممكن أن تعتبر هذه الآيات ناظرة إلى آيات العقائد، وفي هذه الحالة تطرح مسألة التفصيل بين العقائد والأحكام، ونحن نعلم أنّ هناك أدلة قطيعة على اعتبار حجية خبر الواحد الظني في مجال آيات الأحكام،[٢] في حين أن الغالبية العظمى من القرآن والتفسير لا يرتبط بآيات الأحكام.

٢. السنة:

قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».[٣]

وكتب الإمام الحسن عليه السلام في جواب رسالة أهل البصرة قائلاً:

> بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.[٤]

ويمكننا أن نستظهر من هذه الأحاديث وبشكل جيد أنه لا يجوز اعتماد غير العلم (الظن أو الشك أو الوهم) في التفسير، وحتى لو أشكل على السند في هذه الأحاديث، فإنه لا مشكلة في البين لأن ظاهرها موافق لظاهر الآيات السابقة.

مكانة الظن المعتبر في التفسير

لقد ذكرنا سابقاً أنّ الظن على قسمين:

١. الظن المطلق: وهو الظن الذي لا يوجد أي دليل على اعتباره أو حجيته، وتشمله أدلة

---

١. راجع: *أصول الفقه*: ٣ / ١٧، *والبيان*: ٣٩٧؛ *والإتقان*: ٤ / ٢١٠؛ *ومناهل العرفان*: ٢ / ٦١؛ *وأصول التفسير وقواعده*: ١٦٨؛ *وروش شناسي تفسير*: ٢١٦ ـ ٢١٧؛ *ومنطق تفسير القرآن* (٢): ٣٥٥.

٢. سنذكر تفاصيل أكثر لهذا الموضوع لاحقاً.

٣. *الميزان*: ٢ / ٧٥.

٤. *كتاب التوحيد*: ٩، ح٥؛ *وسائل الشيعة*: ١٨ / ١٤، ح٣٥.

المنع عن العمل بالظن سواء أكانت الأدلة آيات أم روايات؛ إذ لا دليل على اعتباره (إلا أن يُقال بدليل الانسداد وهو محل بحث وإشكال).[١]

٢. الظن المعتبر: وهو الظن الذي قام الدليل على حجيته واعتباره.

والظنون المعتبرة، مثل ظواهر القرآن وخبر الواحد فإن لكل واحد منها دليله الخاص به الدال على حجيته.

فإن اعتبرنا (العلم) هو العلم العادي والذي يشمل الأدلة العلمية كالظنون المعتبرة فإنّه سيكون تفسير القرآن على أساس الظنون المعتبرة جائزاً؛ لأنّها علم.

وأما إذا ضيقنا دائرة العلم بالعلم القطعي واليقين فإنه سوف لا يشمل الظنون المعتبرة، وعليه لابدّ أن نضع الظنون المعتبرة تحت طاولة البحث كلٌ على حدة وذلك للدراسة والتقييم، لأنّ للظنون المعتبرة مصاديق متعددة وأدلة أو مناشئ متفرعة.

والظاهر إن استعمال كلمة (العلم) في الآيات والروايات ليس بمعنى العلم القطعي المنطقي (بحيث تكون دلالته ١٠٠٪ كالبرهان العقلي)، بل هو بالمعنى العرفي والذي هو (الاطمئنان) أي الظن القوي المقارب لليقين.

أقسام الظن المعتبر:

للظن المعتبر أقسام، وهي عبارة عما يلي:

١. ظواهر القرآن:

يكون ظاهر كلام المتكلم أو الكاتب حجة ومعتبر بناءاً على السيرة العقلائية، وهذا الموضوع مقبول في مورد ظواهر القرآن.[٢]

وعليه فسوف يتم استخدام الظواهر القرآنية في التفسير واعتمادها، وقد نُسب إلى بعض الإخباريين القول بعدم اعتبار ظواهر القرآن وعدم حجيتها، فلو ثبتت صحة هذه النسبة إليهم فإن ذلك الكلام مردود.[٣]

وعليه فسيكون هذا القسم من الأدلة العلمية الملحقة (بالعلم) المنطقي الاصطلاحي.

---

١. راجع: *أصول الفقه*، المظفر: ٣ / ٣٠.

٢. راجع: المصدر: ٣ / ١٣٧، و١٥٦ـ١٦٠.

٣. المصدر؛ وكتب الأصول الأخرى مثل: *كفاية الأصول*؛ *والرسائل*، وكذلك بحثناه في موضوع أصول التفسير في مبحث حجية ظواهر القرآن.

٢. خبر الآحاد المعتبر

توجد آراء مختلفة بخصوص حجيّة خبر الواحد المعتبر فيما إذا أردنا تفسير القرآن الكريم به، فالبعض اعتبره حجة،[١] واعتبره البعض الآخر حجّة من باب العلم التعبدي أو العلم العادي العرفي،[٢] وفصّل البعض بين حجيته في آيات الأحكام وعدمها من غيرها.[٣]

وسيتفاوت تأثير خبر الواحد في التفسير بحسب كل رأي، والنتيجة هي، أننا إذا قلنا إنّ خبر الواحد حجة بناءاً على أساس السيرة العقلائية أو على أنه من العلم العادي العرفي فسوف يدخل في التفسير ويُعتمد عليه في العملية التفسيرية.[٤]

٣. أقوال اللغويين والأدباء

لقد تكلمنا حول هذا الموضوع في قواعد المفردات والقواعد الأدبية للقرآن، وذكرنا أن آراء اللغويين والأدباء وبحسب شروط معينة تكون مقبولة من باب الرجوع إلى أهل الخبرة لا سيما فيما إذا أورثت الاطمئنان فإنّها قرينة للفهم والتفسير لآيات القرآن.

٤. آراء الصحابة والتابعين:

تقدّم توضيح هذا الموضوع في أصول التفسير، حيث ذكرنا كلام الصحابة والتابعين في خصوص المعنى ونقل الحديث عن النبيﷺ، وشأن النزول إنّما يكون مقبولاً و معتبراً إذا توفّر على شروط معينة، وأما آراؤهم الاجتهادية الشخصيّة فهي موضع احترام ولكن لا دليل على اعتبارها أو حجيتها.

٥. آراء المفسرين

إن الفهم والأفكار التفسيرية والاجتهادات الشخصية للمفسرين تعدّ دُرر التراث الإسلامية وهي محل احترام الجميع ولكن لم يصلنا دليل على اعتبارها أو حجيتها (وسنذكر حول هذا الموضوع كلاماً في طيات البحث).

٦. الأخبار التاريخية

يعدّ التاريخ من الأدوات التفسيرية، بل قد يعتمد عليه في بعض الموارد، مثل أبحاث:

---

١. *تفسير منهج الصادقين*: ١ / ٣١؛ *وأضواء على السنة المحمدية*: ٣٩١؛ *والميزان*: ١٢ / ٢٦٢.

٢. راجع: *البيان*: ٣٩٨، *والتفسير والمفسرون*: ٢ / ٢٢ ـ ٢٣، *وروش شناسي تفسير*: ٢٢٤.

٣. راجع: *تسنيم*: ١ / ١٥٦ ـ ١٥٨، *ومنطق تفسير القرآن* (٢): ١٤٨ وما بعدها.

٤. راجع: مبحث أصول التفسير من هذا الكتاب حيث شرحنا أدلة تلك النظريات.

شأن النزول مكّية السورة، أو مدنيتها، وشأن نزول القصص، وغيرها.[١]

ففي هذه الحالات إذا كان خبراً متواتراً أو محفوفاً بالقرائن أو مما يورث العلم يمكنه أن يكون قرينة لفهم وتفسير الآيات القرآنية.[٢]

ج) الوهم

الوهم في التفسير غير معتبر.

د) الشك

والشك في التفسير غير معتبر.

ومما لا شكّ فيه أنّ هذين الموردين (الوهم و الشك) لا اعتبار لهما لا في العقل ولا في الشرع ولا في التفسير ولا في غيره. فلا يجوز التفسير على أساس هكذا مطالب مشكوكة أو وهمية، والآيات والأحاديث التي استدل بها على عدم اعتبار وحجية الظن تشملهما، ولابدّ أن نشير، أنّ للمفسر أن يطرح بعض الاحتمالات في تفسير الآيات لكن بشرط، أن لا يعدّها تفسيراً ولا ينسبها إلى الله تبارك وتعالى؛ لأنه سيكون تفسيراً بغير علم، وهو نوع من التفسير بالرأي المحظور.[٣]

القواعد العامة

١. عدم جواز التفسير بغير علم وبغير علمي:

بناء على ما مرّ في قاعدة (استخدام العلم في التفسير) يتضح أنّ الأصل في التفسير هو العلم، ولا يجوز استخدام غير العلم؛ لأنّه نوع من الافتراء على الله تبارك وتعالى.

وفي بعض الحالات التي نتملك فيها أسباب علمية كالظنون المعتبرة كظاهر القرآن وخبر الآحاد المعتبر، فإنّه يمكن اعتمادها في التفسير بناء على بعض الأصول.

٢. عدم جواز التقليد في التفسير:

لقد ذكرنا أنّ نظريات المفسرين وآراءهم واجتهاداتهم الشخصية محترمة ومهمّة وممهدة

---

١. راجع: مصدر.

٢. راجع: *روش شناسي تفسير*: ٢٢٨.

٣. ذكرنا أسباب المنع من التفسير بالرأي في مبحث التفسير بالرأي، فراجع.

للفهم الصحيح، والتفسير الدقيق للآيات، ومن اللازم في كل علم إذا أراد التطور أن يدرس جميع آراء القدماء، لكي يصل إلى الخطوة الجديدة والتي منها يتولد العلم، ولا تقبل البداية من الصفر في كل علم لأنه يؤدي الى إتلاف العمر، ولكن أدلة حرمة التفسير بالظن تشمل الاعتماد على أقوال المفسرين لأنّها ظن مطلق لم يقم دليل على حجيته، وعليه فيكون تقليد المفسرين حرام، وهذا غير نقل أقوالهم ونقدها أو قبولها على أساس الدليل فهو أمرٌ جائز.

ويتلخّص مما تقدّم:

١. وتقليد المفسّرين حرام (لشموله بأدلة حرمة العمل بالظن).

٢. يجوز نقلها في التفسير.

٣. يجوز نقدها بل هو أمرٌ مطلوب.

٤. يجوز قبولها على أساس الدليل المعتبر.

٧. قاعدة الالتفات إلى ظاهر الآيات وباطنها وتجنب نسبة الفهم الذوقي والشخصي إلى القرآن

إن للآيات القرآنية ظاهراً وباطناً، نقل هذا الأمر في روايات الشيعة والسنة،[١] واعتبر البعض أنّها صحيحة ومما أتفق عليه جمهور المفسرين،[٢] وذكر العلامة الطباطبائي بأنّ الالتفات إلى ظاهر الآيات وباطنها هو منهج اهل البيتعليهم السلام في تفسير القرآن،[٣] في قبال المنهج الباطني الذي ركزّ على باطن القرآن تاركاً ظواهره، وفي قبال منهج أهل الظاهر الذين ركزّوا على ظواهر القرآن تاركين بواطنه واللطائف الدقيقة فيه.

وتوجد نظريات وتفسيرات مختلفة لبطن القرآن،[٤] إذ لكلّ رأي منها حكمه الخاص، وعليه يمكننا إجمالها ـ على أساس واحد للتقسيم ـ بالشكل التالي:

أ) إن بطن القرآن هو المدلول الالتزامي عند بعض الباحثين القرآنيين المعاصرين.[٥]

---

١. راجع: *البحار الأنوار*: ٩٢ / ٩٠ ـ ٩٧؛ و*تفسير العياشي*: ١ / ٢؛ و*كنز العمال*: ١ / ١٥٥ (ح ٢٤٦١)، و*تفسير القرطبي*: ١ / ٥٥، و*الدر المنثور*: ٢ / ١٠، و*الإتقان*: ٢ / ١٢٢.

٢. *التفسير والمفسرون*: ٢ / ٢٨.

٣. *الميزان*: ١ / ٧.

٤. راجع: مبحث أصول التفسير لهذا الكتاب.

٥. *التفسير الأثري الجامع*: ١ / ٣١.

وهذا الموضوع يمكن جمعه مع ظاهر القرآن، بل إنّه لازم للمفسّر أن يتوجه إلى ذلك؛ لأنّ المدلول الالتزامي من المداليل اللفظية المعتبرة.[١]

قد تسمى المداليل الالتزامية المعاني الباطنية أو البطون، وكذلك المداليل الإشارية للآيات الكريمة بلحاظ خفاء دلالة الآيات عليها،... أي المصاديق التي شملتها الآيات على أساس إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط، وذلك بلحاظ الخفاء الابتدائي لانطباق الآيات عليها، فتسّمى البطن، ولكن لابد من الالتفات إلى أنّ هذا القسم من البطون يدور في حدود الدلالة العقلائية للألفاظ على المعاني، ويمكن شرحها وبيانها على أساس القواعد الأدبية وأصول المحاورة العقلائية، وهي في دائرة العمل التفسيري أمام المفسر، ولابد له من تناولها، واعتبر بعض المفسرين أنّ المراد من (بطون القرآن) في لسان الأحاديث هو الوجوه أو الأبعاد القابلة للتفسير في القرآن الكريم.[٢و٣]

ومن الواضح أنّ البطن بهذا المعنى له ضوابطه الخاصة به والتي هي بعيدة عمّا هو موجود في التفسير.[٤]

مثال: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[٥]

ظاهر الآية أنّها تخصّ المشركين، حيث أرجعتهم إلى أهل الكتاب ليسألوهم حول أنبياء الله، ولكن بعد إلغاء الخصوصية، فإننا سنحصل على قاعدة كلية من هذه الآية مفادها (وجوب رجوع الجاهل إلى العالم)، وهذه ستنطبق في كل زمان على مصاديق جديدة.

مثال آخر: يمكن للقصص القرآنية أن تكون قواعد كلّية بعد إلغاء الخصوصية للزمان والمكان والأفراد، كما هو في قصة يوسف، أو موسى وفرعون أو عاد، أو ثمود، وغيرها، فستبين مصاديق جديدة في كل زمان وستنطبق عليها.

ب) إنّ بطن القرآن هو الفهم الذوقي والاستحساني، وهو ما فهمه بعض الأشخاص ثمّ نسبه إلى الله وهو لا يخضع لقانون خاص وقد يستشهد عليه ببعض المكاشفات الشخصية والتي لا اعتبار لها، بل وقد يتعارض ذلك الفهم مع ظاهر القرآن، وعليه فهو خارج عن دائرة

---

١. راجع: مبحث الدلالات من هذا الكتاب.

٢. *الأمثل*: ١/ ٢٠، المقدمة.

٣. *روش شناسي، تفسير قرآن*: ٢٥٩.

٤. راجع: *منطق تفسير قرآن* (٢)؛ *روش‌ها وگرايش‌هاي، تفسير قرآن*، للمؤلف، مبحث التفسير الإشاري: ٣٣٤.

٥. النحل: ٤٣.

التفسير، بل وقد يكون تفسيراً بالرأي في بعض الأحيان.[١]

وكتب بعض المختصين ـ بعد أن أشار إلى ما ذكرناه أعلاه ـ قائلاً: وعليه فإنّ ما ذكره بعض المفسرين كالميبدي في *كشف الأسرار*، والنيشابوري في *غرائب القرآن*، والآلوسي في *روح المعاني*، تحت عنوان (رموز وإشارات وأسرار وتأول) فهو ـ إن كان خارجاً عن أطار الدلالة العقلائية للألفاظ على المعاني ولا ينطبق على أي من أقسام الدلالات اللفظية ـ لا يُعدّ معنى أو مدلولاً لكلام الله، ولا يمكن قبوله بعنوان إشارات قرآنية.[٢]

ومن هنا فقد بيّنت قاعدة (الاحتراز عن ذكر البطون للآيات) بعنوان أنها واحدة من القواعد التفسيرية.[٣]

مثال: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.[٤]

كتب الميبدي في تفسير هذه الآية ما يلي: وعلى لسان أهل الإشارة وطبقاً لذوق رجال الطريقة، فإنّ المقصود من هذا النهار والليل: هو الكشف والحجاب، والكشف والحجاب علامة على اللطف والغضب.[٥]

مثال آخر: الآيات حول بقرة بني إسرائيل.[٦]

يكتب النيشابوري في تفسيره: ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيمية، فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الأكبر....[٧]

تُدرس هكذا أنواع من التفاسير الإشارية وأقسامها ومقدار اعتبارها، وتُعزل التفاسير الشهودية النظرية والإفاضية (الفيضية) والصوفية والعرفانية والباطنية عن بقية أنواع التفاسير، ثمّ يعتبر التفسير الباطني هو التفسير الصحيح والمقبول.[٨]

وأشار بعض المختصين بالقرآن إلى أنّه لا مانع من ذكر هكذا مطالب ذوقية من باب

---

١. راجع: المصدر: ٣٣٤.

٢. *روش شناسي تفسير قرآن*: ٢٥٤ ـ ٢٥٧.

٣. المصدر: ٢٥٣.

٤. الضحى: ١ ـ ٢.

٥. *كشف الأسرار*: ١٠ / ٥٣٠.

٦. البقرة: ٦٧ ـ ٧٣.

٧. *تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان*: ١ / ٣١٤.

٨. راجع: *منطق تفسير القرآن* (٢)، *روش‌ها وگرايش‌هاي تفسير قرآن*: ٢٩٩ ـ ٣٤٦.

تداعي المعاني مع كل آية ولكن لا بعنوان أنها تفسير أو معنى يُنسب إلى الله تبارك وتعالى.[١]

ج) المعاني الباطنية

وهي ما بينتها روايات النبي ﷺ واهل البيت عليهم السلام.

كتب بعض المعاصرين: إنّ الطريق الوحيد لتحصيل المعاني الباطنية هو الأخذ من روايات النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام؛ وذلك لأنّها لا يمكن إدراكها أو تحصيلها وفقاً لأصول وقواعد المحاورة العقلائية.[٢]

ثم استدلوا ببعض الآيات[٣] والروايات الظاهرة أو المصرّحة بانحصار العلم بالباطن والتأويل بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وعليه فلا اعتبار لأي معاني باطنية يستنبطها الآخرون ولا يمكن عرضها كتفسير للقرآن.[٤]

وليس المقصود من هذا الكلام أن فهم تمام مراتب البطون (حتى البطن بمعنى المدلول الالتزامي) مختص بالمعصومين عليهم السلام؛ لأننا نقلنا سابقاً عن نفس المصدر، أنّ المعنى الأول للبطن هو جزء من عمل المفسر.

فيمكن القول بأنّ لبطن القرآن مراتباً ولبعضها طبقات أو معاني أو أبعاد يمكن تفسيرها من خلال إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط؛ وبعض المراتب لها خفاء شديد بحيث نحتاج في فهمها إلى كلام المعصومين وإرشاداتهم فتكون لنا قرينة على أن تمام روايات البطن الصحيحة، ويمكن تفسيرها من خلال إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط (الدلالة الالتزامية).[٥]

النتيجة:

الالتفات إلى ظاهر القرآن وباطنه من القواعد التفسيرية سواءً كان هذا الباطن حاصلاً من كلام المعصومين أو من خلال إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط. ويجب الاحتياط من الفهم الذوقي والشخصي الاستحساني وأن لا نعتبرها بطوناً. وكل من ذكر (التجنب عن ذكر البطون

---

١. *التفسير الأثري الجامع*: ١ / ٣٧ ـ ٤٦.

٢. *روش شناسي تفسير*: ٢٥٣.

٣. آل عمران: ٧.

٤. *روش شناسي تفسير*: ٢٥٥ ـ ٢٥٧.

٥. وهذا الكلام تبناه الشيخ محمد هادي معرفة في مقابلة شفوية معه.

للقرآن) كقاعدة في التفسير،[1] فهو يقصد الاحتراز من الفهم الذوقي الخالي من الدليل ضمن التفسير الإرشادي.

٨. تفسير القرآن اعتماداً على المصادر والوثائق والقرائن المعتبرة

ذكرنا في قسم مصادر التفسير، أن بطن القرآن والسنّة والعقل والعلم القطعي من المصادر المعتبرة للتفسير، واتضحت المصادر غير المعتبرة، فالتفسير المعتبر هو ما تمّ على ضوء القرائن الداخلية من النص (الآيات القرآنية الأخرى) والقرائن الخارجية (كالسنّة، والعقل، والعلم التجريبي القطعي)؛ وأما التفسير الناتج عن مصادر غير معتبرة (كالشهود لغير المعصوم) فهو تفسير لا حجّة ولا اعتبار له.

هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يجب أن يكون التفسير مخالفاً للمصادر المعتبرة، ومن هذه الضابطة الإثباتية أعلان نتحصل على أربعة ضوابط أو معايير سلبية لقياس التفاسير ومعرفة مدى صحتها، وسنذكرها في القواعد اللاحقة إن شاء الله.

٩. عدم مخالفة التفسير للآيات المحكمة في القرآن

لقد مرّ فيما ذكرنا في الفروض الأولية للتفسير ـ إنّ القرآن كتاب منسجم لا تناقض أو تضاد فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾[2] وجاءت الأحاديث الكثيرة لتؤكد هذا المعنى وتقول: «إنّ كلّ ما خالف القرآن فأضربوه عرض الجدار».[3]

وعليه لا اعتبار ولا قيمة لتفسير آية ما يتعارض مع آيات محكمات من القرآن الكريم.

وأما المخالفة للآيات فلها شكلان:

١. المخالفة، بمعنى عدم الانسجام الظاهري، كالجمل العامة والخاصة أو المطلقة والمقيدة، وغيرها مما يمكن فيها الجمع العرفي وبه يرتفع ذلك الاختلاف.

٢. المخالفة بمعنى التناقض والتضاد بحيث تتمحورجملتين بتناول حقيقة معينة بالنفي والإثبات، بحيث لا يمكن الحل بالجمع العرفي أو بالتأمل.

---

١. *روش شناسي وتفسير قرآن*: ٢٥٣.

٢. النساء: ٨٢.

٣. ويترك ما خالف حكمة الكتاب والسنة (*وسائل الشيعة*: ١٨ / ٩، من أبواب صفات القاضي) فقد نُقلت أحاديث عديدة في هذا الشأن.

والمقصود من اختلاف تفسير آية مع آيات أخرى، هو المخالفة من النوع الثاني، وإلاّ فإن الاختلاف من النوع الأول أمرٌ طبيعي ومتعارف وموجود في النصوص.

مثال: تفسير آيات الضلالة والمشيئة الإلهية،[١] بمعنى الجبر، فإنّ هذا التفسير مخالف للآيات القائلة باختيار الإنسان.[٢]

كآيات العرش، والكرسي، جاء ربك،[٣] وغيرها على نحو التشبيه والتجسيم، أو القائل بإمكان رؤية الله تبارك وتعالى،[٤] كل ذلك مع آيات محكمات نحو قوله تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾،[٥] وقوله تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾.[٦]

١٠. عدم تعارض التفسير مع سنّة قطعية

إن المفسر الحقيقي للقرآن هو النبيﷺ وأهل بيته؛[٧] وعليه فكلّ تفسير يخالف الأخبار القطعية (أي الخبر المتواتر أو المحفوف بالقرائن) يُعدّ تفسيراً مسلوب الاعتبار والقيمة.

ولا يشترط موافقة التفسير للسُنة لأننا قد لا نجد أي حديث يفسر بعض الآيات، ولا يمكننا آنذاك تعطيل فهم الآيات وتجميدها، ولابد أن نشير من جهة أخرى إلى أنّ ظاهر الآيات القرآنية حجّة، ويجوز تفسيرها اعتماداً على القرائن العقلية والنقلية، فكيف إذا كانت هناك رواية.

وعليه فلابد أن تتم عملية التفسير من خلال الالتفات إلى القرائن النقلية لاسيما الأحاديث، ولا يلزم من هذا وجوب وجود حديث لكل آية، فنقول: إنّ التفسير يجب أن يكون موافقاً للحديث،[٨] بل إنّ الضابطة هي عدم تحقق المخالفة الواضحة للسنة القطعية.

مثال: وردت روايات كثيرة في خصوص قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛[٩] وقد

---

١. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فاطر: ٨؛ المدثر: ٣١؛ إبراهيم: ٤.

٢. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ الإنسان: ٣.

٣. الفجر: ٢٢.

٤. راجع: *الإبانة*، باب الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة: ١٠ ـ ١٩؛ *والتمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ٩٠ ـ ٩٣.

٥. الشورى: ١١.

٦. الأنعام: ١٠٣.

٧. النحل: ٤٤، وقد بسط الكلام في هذا الموضوع في مبحث مصادر التفسير.

٨. راجع: مبحث جواز تفسير القرآن.

٩. المائدة: ٣.

فسّرت بإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في يوم الغدير.[١]

وعليه سيكون تفسير هذه الآية بأنّ إكمال الدين يتمّ من خلال أحكام تحريم اللحوم، مخالفاً للسنة القطعية، فلا اعتبار له.

ملاحظة:

توجد نظريات متعددة في إمكان تفسير القرآن بالسنة غير القطعية (أخبار الآحاد المعتبر) وعلى أساس تلك النظريات تنتج نتائج مختلفة، وبعبارة أخرى فمن قال بحجية خبر الآحاد في التفسير فهو يشترط أن لا يكون تفسير الآيات مخالفاً لأخبار الآحاد المعتبرة.

١١. أن لا يكون التفسير مخالفاً للقطع العقلي

إن للبراهين العقلية قطع مستقل بها وهو ذاتي الحجية، ووَرَدَ في الأحاديث: «إنّ العقل حجة باطنية».[٢]

واعتبرت العقل أحد مصادر التفسير.[٣]

إذن لا حجية ولا اعتبار لكل تفسير يعارض حكماً قطعياً للعقل.

مثال: قام البعض بتفسير قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤] بشكل يصرح فيه إن لله يداً،[٥] مما يلزم التجسيم لله سبحانه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً، وهذا المعنى يتنافى تماماً مع الحكم القطعي للعقل؛ بأن الجسمية محالة على الله وذلك على أساس البرهان العقلي، فهذا التفسير لا حجية له، بل ولا اعتبار له أو قيمة.

١٢. أن لا يكون التفسير مخالفاً العلوم التجريبية

تشمل العلوم التجريبية العلوم الطبيعية (مثل النجوم والأرض والطب) والعلوم الإنسانية (كالتاريخ وعلم الاجتماع والإدارة والاقتصاد).

---

١. راجع: تفاسير القرآن عند الآية الثالثة من سورة المائدة؛ و *كتاب الغدير*، للعلامة الأميني.

٢. لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول (*الكافي*: ١ / ٦).

٣. راجع: مبحث مصادر التفسير في هذا الكتاب.

٤. الفتح: ١٠.

٥. راجع: *الإبانة*: ٤٠ ـ ٤١؛ *وبحار الأنوار*: ٩ / ٣٠٨؛ *والتمهيد في علوم القرآن*: ٢ / ١٣٨ ـ ١٤٠.

إنّ هذه العلوم غالباً ما تحتوي على نظريات علمية ظنية، لكنّها قد تشتمل على قضايا قطعية أحياناً، وهي قليلة في الغالب، ولكن للعلم القطعي حجية ويعدّ من مصادر وقرائن التفسير.[١]

وعليه فلا اعتبار ولا حجية للتفسير فيما إذا خالف القضايا العلمية التجريبية القطعية.

مثال: فسّر الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾[٢] بسكون الأرض معتمداً على فهمه لكلمة (فراشاً)،[٣] وتفسير الفخر الرازي هذا لا ينسجم مع المكتشفات العلمية القطعية لعلم الفلك، لأنّه من الثابت اليوم علمياً كروية الأرض وحركتها حول نفسها وحول الشمس، وعليه فلن يكون *تفسير الفخر الرازي* للآية ٢٢ من سورة البقرة معتبراً أو حجة.

ملاحظة

لا مانع من أن يقع التعارض بين ظاهر الآية أو تفسيرها، وبين النظريات العلمية الظنية (غير القطعية)، فلا نرفع اليد عن ظاهر الآية في هذه الحالة، وأمّا إذا أصبحت الاكتشافات العلمية التجريبية قطعية، فإنّها عند ذاك تُصبح قرينة للتصرّف في ظواهر الآيات.[٤]

كلما تعارض تفسير الآية مع المحكمات الدينية (كالآيات المحكمة والسنة القطعية) أو مع المحكمات العقلية أو العلمية، فإنّ ذلك التفسير ساقط عن الاعتبار والحجية بل تُعدّ تلك المحكمات هي القرينة على تفسير الآية، وعليه يمكن إرجاع الموارد الأربعة الآنفة الذكر إلى ضابطة أو ملاك واحد.

١٣. رعاية الفروض المبنائية [الأصول الموضوعية] للتفسير

لقد مرّ شرح هذه الأصول، وعلى المفسّر أن يدرسها قبل دخوله لعملية التفسير، ثمّ عليه أن يراعيها أثناء تفسيره.

مثال: إن مراعاة الانسجام البنائي والمضموني للقرآن و عدم تحريفه وهدفية القرآن والبناء على تواتر القراءات القرآنية، كل ذلك سيلقي بظلاله على تفسير القرآن، وكل تفسير

---

١. راجع: مبحث مصادر التفسير في هذا الكتاب.

٢. البقرة: ٢٢.

٣. *تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*: ٢ / ٩٤.

٤. راجع: *درآمدي بر تفسير علمي قرآن*، للمؤلف: ٢٢٣، حيث ذكر صور التعارض بين العلم والقرآن وطرق حلّها.

مخالف لتلك الأصول الأساسية ساقط عن الاعتبار.

ومن أهم تلك الأصول الموضوعة هو أن يكون التفسير وفقاً للقراءة المتواترة للمسلمين.

وأنت تعلم بوجود القراءات السبعة أو العشرة أو الأربعة عشر، ولكن المعتبر منها هي القراءة الوحيدة التي تواترت جيلاً بعد جيل من النبيﷺ إلى هذا اليوم، وعليه فلن يكون التفسير على أساس القراءات الأخرى ذا قيمة أو اعتبار.[١]

وبعبارة أخرى: من اللازم أن لا يكون تفسير القرآن مخالفاً للقراءة المتواترة، وإلاّ فلا اعتبار لذلك التفسير.

مثال: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾.[٢]

كلمة (يطهرن) جاءت في هذه الآية غير مشدّدة، وهذا يطابق القراءة المتواترة للمسلمين وقراءة حفص عن عاصم، ولكن القراءات الأخرى [عن غير حفص] قرأت بالتشديد.[٣]

وقام بعض المفسرين بتفسير الآية على أساس القراءة الأولى (أي: بدون التشديد)، واستنبطوا منها حكماً، وهو جواز المواقعة بعد الحيض وقبل الغسل.[٤] وفسّرها البعض إلى أساس قراءة التشديد، واستنبطوا منها حكماً وهو عدم جواز ذلك،[٥] وهذا التفسير يخالف القراءة المتواترة ويخالف النص القرآني فهو غير معتبر ولا صحيح.

١٤. تفسير الآيات على الاسلوب الصحيح ولزوم رعاية أصول المحاورة العرفية والعقلائية

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب،[٦] ومنهج فهم القرآن هو الطريقة العقلائية والعرفية في فهم النصوص، والشارع المقدّس لم يبتكر طريقة خاصة بذلك ولم يمنع من طريقة الاستنباط والفهم العقلائية المتعارفة.

---

١. أشرنا إلى هذا الموضوع في الأصول الموضوعة للتفسير، وكذلك في مبحث قواعد التفسير (قواعد القراءة).

٢. البقرة: ٢٢٢.

٣. مجمع *البيان*: ٢ / ٥٦١.

٤. راجع: *تفسير الأمثل*، في هذه الآية؛ و*مستمسك العروة الوثقى*: ٣ / ٣٤٠.

٥. نقل هذا المطلب الشيخ الطبرسي عن الحسن البصري، ومجاهد، وطاوس (مع اختلاف يسير) واعتمد عليه رأيه (*مجمع البيان*: ٢ / ٥٦٣).

٦. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ إبراهيم: ٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢.

وعليه، فإن طريقة أو منهج الفهم والتفسير للآيات القرآنية قائمة على أساس الأصول العرفية والعقلائية للمحاورة (مثل: العام والخاص، والمطلق والمقيد، وحجيّة الظواهر، وغيرها) والتي تبحث و تدرس في علم الأصول، ولابد أن نذكر بأنّ منهج التفسير بالرأي قد مُنع من قبل الشارع، وهناك ما قد أيده الشارع وأقرّه من مناهج أو طرق للفهم أو التفسير والتي تمّ بحثها في كتب مناهج تفسير القرآن.

قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».[١]

يُستفاد من هكذا أحاديث أنّ للمنهج الصحيح لتفسير القرآن موضوعية في نفسها، فلو استخدم المفسر أسلوباً غير صحيح على نحو التفسير بالرأي لكنه وصل إلى نتيجة صحيحة، فمع ذلك نقول لا اعتبار ولا قيمة لتفسيره لأنّ أسلوبه وطريقته في التفسير كانت خاطئة.

واشار العلامة الطباطبائي إلى ذلك قائلاً: فالتفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف.[٢]

وأما المناهج الصحيحة في التفسير فهي: منهج تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الروائي، والتفسير العقلي، والتفسير العلمي، والتفسير الإشاري (الباطني). و أمّا التفسير غير الصحيح هو التفسير بالرأي،[٣] فيعتبر من تحميل الآراء على النص القرآني والأحكام السابقة على القرآن من مصاديق التفسير بالرأي ونموذج واضح له.

ملاحظة:

لا يمكن الاكتفاء بالمحاورة العرفية وأصولها في التفسير، بل يجب ملاحظة واعتماد القرائن النقلية (الآيات، والروايات) والقرائن العقلية. وإلاّ لتحوّل ذلك التفسير إلى التفسير بالرأي.[٤]

١٥. أن يكون المفسّر جامعاً للشروط مطلعاً

تفسير القرآن، هو علم تخصصي حاله حال العلوم التخصصية الأخرى، في حاجة إلى

---

١. *سنن الترمذي*: ٤، رقم ٢٨٧٦.

٢. *الميزان*: ٣ / ٧٦.

٣. راجع: *منطق تفسير قرآن (٢)؛ روش‌ها وگرايش‌هاى تفسير قرآنى*، للمؤلف، وكتاب *مبانى وروش‌هاى تفسير قرآن*؛ وكتاب *روش‌هاى تفسير قرآن*؛ وكتاب *روش‌ها و گرايش‌هاى تفسيرى*.

٤. راجع: *الميزان*: ٣ / ٧٦.

متخصص، وكما إن مزاولة الطب لغير الطبيب لا اعتبار لها عند العقلاء، بل يعدونها جرماً يعاقب عليه، فكذلك تفسير غير المتخصص فهو ساقط عن الاعتبار، بل يعدّ تفسيراً بالرأي وهو من كبائر الذنوب.[١]

وأشارت بعض الآيات إلى حرمة نسبة المطالب غير علمية إلى الله تبارك وتعالى،[٢] وفقد حكي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.[٣]

لقد مرّ في المباحث السابقة بيان تام لذكر شروط المفسر، وتبيّن هناك إنّ المفسّر لابدّ أن يتمتّع بعدة مهارات أو علوم لكي يكون صالحاً للخوض في عملية التفسير، من الالتفات إلى تلك العلوم والى قرائنها، والمفسّر إذا لم يكن جامعاً لتلك الشروط والعلوم، فهو فاقد لذلك التخصص الذي يخوّله أن يكون مفسراً، بل سوف يكون ما يتوصل إليه من نتائج غير علمي ونوع من الافتراء على الله، وتفسيراً بالرأي، وفي الحقيقة سوف لن يكون هذا تفسيراً، بل هو رأيه الخاص به فحسب.

وأمثلة هذا النوع من التفسير والمفسرين كثيرة على مرّ التاريخ.

١٦. المنع من التفسير بالرأي وتجنب تحميل الآراء الشخصية والأحكام المسبقة على القرآن

يجب أن يكون المفسّر للقرآن في صدد فهم القرآن فهما صحيحاً وفهماً علمياً تخصيصاً ومحايداً، ويحاول تشخيص النظرية القرآنية النهائية من خلال خلاصة الآيات وجمعها وحصر الروايات ودراستها، وكذلك ممارسة الأدلة العقلية والعلمية، لا أن يكون في صدد إثبات آرائه بالقرآن، وبعبارة أخرى يجب أن يتناول ببحثه تفسير القرآن لا تفسير عقائده أو آرائه الشخصية.

فقد ذكرنا (في النوع ج) المنع من التفسير بالرأي في القرآن الكريم، ولابدّ أن تعلم أنّ أحد مصاديق التفسير بالرأي هو تحميل الآراء الشخصية للمفسّر على القرآن الكريم، أو يضمّ إلى التفسير أحكاماً سابقة ثابتة عند المفسر.

---

١. راجع: *منطق تفسير القرآن* (٢)؛ *روش‌ها وگرايش‌هاى تفسير قرآن*، *للمؤلف*، مبحث التفسير بالرأي: ٣٥١ وما بعدها.

٢. الأعراف: ٣٣.

٣. *الميزان*: ٣ / ٧٥.

و مثال ذلك ما قام به الأشاعرة بالدخول إلى التفسير بعد الاعتقاد بالجبر، وكذلك المعتزلة حيث اعتقدوا بالتفويض، ثمّ قاموا بتفسير الآيات على ضوء تلك العقائد، فهذا التفسير غير معتبر وغير صحيح؛ لأنه ينتهي إلى التفسير بالرأي، نعم توجد بعض الأصول الموضوعة التي يجب تأسيسها قبل الدخول إلى عملية التفسير كمباني له، هي خارجة عن هذه القاعدة ومستثناة، بل هي ضرورة لكل تفسير.

فهرس المصادر

القرآن الكريم.

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *مجموع الفتاوى*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

٢. ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، *الإحكام في أصول الأحكام*، مصر، مطبعة العاصمة، ١٣٤٥هـ

٣. ابن حنبل، أحمد بن محمد، *المسند*، بيروت، دار إحياء التراث العربية، ١٤١٥هـ.

٤. ابن عياشي، أبو نصر محمد بن مسعود السلمي السمرقندي، *تفسير العياشي*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١١هـ.

٥. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق و ضبط: عبدالسلام محمد هارون، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم؛ ط ١، ١٤٠٤هـ.

٦. ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، قم، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

٧. أبو حجر، أحمد عمر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، دار قتيبة، بيروت، دمشق، ١٤١١هـ.

٨ أبو ريَّة، محمود، *أضواء على السّنة المحمدية*، قم، نشر البطحاء، ط ٥.

٩. أبو شهبة، محمد بن محمد، *الإسرائيليات والموضوعات*، ط ٥، دارالجيل، بيروت.

١٠. الإسترآبادي، السيد شرف الدين علي الحسيني، *تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة*، *تحقيق و نشر: مدرسة الإمام المهدي*ﷺ، قم ط ١، ١٤٠٧هـ.

١١. الإسترآبادي، محمد أمين، *الفوائد المدنية*، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط ١، ١٤٢٤ هـ.

١٢. أكبري، حسن علي، *تهاجم فرهنگي از ديدگاه آيات وروايات وفقه*، طهران، سازمان تحقيقات وخودكفايي بسيج، ١٣٧٥ش.

١٣. أكبري، محمد تقي، *فرهنگ اصطلاحات علوم وتمدّن إسلامي*.

١٤. الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين انسيه محمد، *تفسير روح المعاني*.

١٥. الآملي، السيد حيدر، *جامع الأسرار ومنبع الانوار*، طهران، ط ١، ١٣٤٧ش، ١٩٦٨م.

١٦. انجمن كتاب مقدس ايران، *الكتاب المقدس*، شامل التوراة والإنجيل وملحقاتها، طهران، ١٩٣٢م.
١٧. الأنصاري، الشيخ مرتضى بن أمين، *فرائد الأصول*، قم، محمع الفكر الإسلامي، ١٤١٩ق.
١٨. اوبلاكر، اريك، *فيزيك نوين*، ، ترجمة: بيضايي، بهروز، طهران، منشورات قدياني، ١٣٧٠ش.
١٩. أيازي، السيد محمد علي، *المفسرون حياتهم ومنهجهم*، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٤هـ.
٢٠. إيزوتسو، توشيهيكو، *خدا وإنسان در قرآن(الله والإنسان في القرآن)*، ترجمة: احمد آرام، طهران، ط٨، ١٣٩٢ش.
٢١. ايزيدي، كامران، *شروط وآداب تفسير ومفسران*، مؤسسة منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٧٦ش.
٢٢. بابائي وآخرون، *روش شناسي تفسير قرآن*، مكتب التعاون بين الحوزة والجامعة.
٢٣. بابائي، علي أكبر، *مكاتب تفسري*، قم، پژوهشكده حوزه ودانشگاه، ١٣٨١ش.
٢٤. باهنر، محمد جواد، *فرهنگ انقلاب اسلامي*، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧١ش.
٢٥. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٠هـ.
٢٦. بدوي، عبد الرحمن، *الدفاع عن القرآن ضد منتقديه*، مكتبة مدبولي الصغير، مصر.
٢٧. البلاغي، محمد جواد، *تفسير آلاء الرحمن في تفسير القرآن*، قم، ط١، مكتبة الوجدان.
٢٨. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، *عيون أخبار الرضا*عليه السلام، مكتبة الصدوق ، قم، مشهدي، ١٣٦٣ش.
٢٩. ـــــــ، *معاني الأخبار*، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٧٩هـ.
٣٠. ابن تيميّة، أحمدبن عبدالحليم، *مقدمة في أصول التفسير*، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٩٧١هـ.
٣١. الترمذي، محمد بن عيسى، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.
٣٢. الجرجاني، عبد القاهر، *أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز*.
٣٣. جوادي آملي، عبد الله، *تفسير تسنيم قرآن كريم*، مركز نشر إسراء، قم، ١٣٨٠ش.
٣٤. ـــــــ، *تفسير موضوعي قرآن مجيد*، منشورات، إسراء، قم.
٣٥. جوادي وآخرون، أحمد صدر حاج سيد، *دائرة المعارف تشيع*.
٣٦. الجوزي، محمد رضا، *نص النصوص*.
٣٧. حجتي، السيد محمد باقر، *پژوهشي در تاريخ قرآن كريم*، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٩، ١٣٧٥ش.
٣٨. الحسكاني، *عبيدالله بن أحمد النيسابوري، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل*، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة النشر التابعة لوزاة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤١١هـ.
٣٩. البحراني، السيد هاشم الحسيني، *البرهان في تفسير القرآن*، دار الكتب العلمية، قم، ١٣٣٤ش.
٤٠. الغياثي، السيد محمدرضا الحسيني، *أنوار القرآن*.
٤١. الحكيم، السيد محسن، *مستمسك العروة الوثقى*، قم، مؤسسة إسماعيليان، ١٤١١هـ.

٤٢. الحكيم، السيد محمد باقر، *علوم القرآن*، منشورات جامعة المصطفى العالمية، قم.
٤٣. الحويزي العروسي، عبد علي جمعة، *نور الثقلين*، المطبعة العلمية، ط٢، ١٣٨٣هـ.
٤٤. الخراساني، الآخوند محمد كاظم، *كفاية الأصول*، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ.
٤٥. ايان باربور، *علم ودين*، ترجمة: خرمشاهي، بهاء الدين، مركز نشر دانشگاهي، طهران، ١٣٦٢ش.
٤٦. الخميني، الإمام السيد روح‌الله، *پرواز در ملكوت مشتمل بر آداب الصلاة*، السيد أحمد الفهري، نهضت زنان مسلمان، طهران، ١٣٥٩ش.
٤٧. ـــــــ، *تحرير الوسيلة*، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٩٠هـ.
٤٨. ـــــــ، *صحيفة نور*، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.
٤٩. ـــــــ، *تفسر سورة الحمد*، مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٨١، ط٧.
٥٠. ـــــــ، *چهل حديث* (الأربعون حديثاً) مركز نشر فرهنگي رجاء، قم، ط١.
٥١. الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، *البيان في تفسير القرآن*، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٤هـ.
٥٢. البهسودي، سيد محمد سرْوَر، *مصباح الأصول*، تقريراً لابحاث السيد الخوئي، قم، مكتبة الداوري، ط٤، ١٤١٤هـ.
٥٣. دانشگاه علوم پزشكي ايران، *اسلام وبهداشت روان ـ الإسلام والصحة النفسية* ـ (مجموعة مقالات مؤتمر الدين والصحة النفسية)، نشر معارف.
٥٤. محقق، محمد باقر، *نمونه بينات در شأن نزول آيات*، نشر: إسلامي، طهران، ١٣٦١ش.
٥٥. الذهبي، محمد حسين، *التفسير والمفسرون*، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٩٧٦م.
٥٦. الراغب الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، طهران، المكتبة المرتضوية، ١٣٣٢ش.
٥٧. الرافعي، مصطفى صادق، *إعجاز القرآن وبلاغة محمد*ﷺ، ترجمة: عبد الحسين ابن الدين، بنياد قرآن، ١٣٦١ش.
٥٨. رشاد، علي أكبر، *فلسفة الدين*، منشورات پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامي، طهران.
٥٩. رضا، محمد رشيد، *تفسير المنار (تفسير القرآن الكريم)*، بيروت دار المعرفة، ط٢.
٦٠. رضائي الأصفهاني، محمد علي، *پژوهشي در اعجاز علمي قرآن*، منشورات كتاب مبين، ١٣٨٠ش.
٦١. ـــــــ، *در آمدي بر تفسير علمي قرآن*، قم، منشورات أسوة، ١٣٧٦ش.
٦٢. الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
٦٣. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، ١٤١٠هـ دار المعرفة، بيروت
٦٤. الزمخشري، محمود بن عمر، *تفسير الكشاف*، دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٥. السبت، خالد بن عبد الرحمن، *قواعد التفسير جمعاً ودراسةً*، دار ابن عفان، مصر، ١٤٢١هـ.
٦٦. السبحاني، جعفر، *تفسير آيات مشكله*.
٦٧. السبزواري، الملا هادي، *شرح المنظومة*، منشورات علامة، قم، ١٣٦٩ش، ط٦.

٦٨.السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، *القواعد الحسان لتفسير القرآن*، العودية، دار ابن الجوزية، ط ١، ١٤١٣ق.

٦٩. سعيدي روشن، محمد باقر، *تحليل زبان قرآن وروش شناسي فهم آن*، قم منشورات پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامي وپژوهگاه حوزه ودانشگاه، ١٣٨٣ش.

٧٠. سيد قطب، *في ظلال القرآن*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٥، ١٣٨٦هـ.

٧١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، *الإتقان في علوم القرآن*، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. ـــــ، *لباب النقول في أسباب النزول*، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٧٣. السيوطي، *البهجة المرضية في شرح الألفية*.

٧٤. الشاطبي، أبو إسحق، *الموافقات في أصول الأحكام*، تحقيق: محي الدين عبد الحميد.

٧٥. شاكر، محمد كاظم، *روشهاي تأويل*، منشورات مكتب التبليغ الإسلامي، قم.

٧٦. ـــــ، *مباني وروش‌هاي تفسيري*، جامعة المصطفى العالمية، ١٣٨٢ش.

٧٧. شبّر، السيد عبد الله، *تفسير القرآن الكريم* (تفسير شبّر)، (م١٤١٢م)، بيروت دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.

٧٨. شبستري، مجتهد، *نقدي بر قرائت رسمي از دين*.

٧٩. شحاته، عبد الله، *أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم*، ترجمة: السيد محمد باقر حجتي، «در آمدي بر تحقيق در اهداف ومقاصد سوره هاي قرآن»، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، طهران، ١٣٧٢ش.

٨٠ شيرازي، عبد الكريم بي آزر، *القرآن الناطق*، مكتب نشر فرهنگ إسلامي.

٨١ الصدر، السيد حسن، *تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام*، منشورات الأعلمي، طهران.

٨٢ الصدر، السيد محمد باقر، *دروس في علم الأصول*، الحلقة الثانية، تحقيق: مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٣٢هـ.

٨٣ الصفار، أبوجعفر، محمد بن الحسن، *بصائر الدرجات*، طهران، منشورات الأعلمي، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٨٤ الطالقاني السيد محمود، *تفسير پرتوي از قرآن*، طهران، منشورات جامعة طهران، ط ٣، ١٤١٢هـ.

٨٥ الطباطبائي، السيد محمد حسين، *الميزان في تفسير القرآن*، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٩ش، ط ٣.

٨٦ ـــــ، *قرآن در إسلام*، بنياد اسلامي، ١٣٦١ش.

٨٧ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (أمين الإسلام)، *تفسير جوامع الجامع*، (م٥٤٨ ق) منشورات جامعة طهران، ط ٣، ١٤١٢ق.

٨٨ ـــــ، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، طهران، المكتبة الإسلامية، ط ٥، ١٣٩٥هـ.

٨٩ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *جامع البيان في تفسير القرآن*، دار المعرفة، بيروت١٣٩٣هـ.

٩٠. الطريحي، الشيخ فخر الدين، *مجمع البحرين*، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر: مكتب نشر الثقافه الإسلامية قم، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٩١.الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، *التبيان في تفسير القرآن*، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

٩٢.طيّب، السيد عبد الحسين، *تفسير أطيب البيان في تفسير القرآن*، طهران، منشورات إسلام، ط٣، ١٣٦٦ش.
٩٣. عابدي، محمد أبو اليسر، *محاضرات في أصول الفقه الإسلامي*.
٩٤. العاملي، محمد بن الحسن، الشهير بالحر العاملي، *وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩١هـ.
٩٥. العسقلاني، أحمد بن علي، *الإصابة في تمييز الصحابة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
٩٦. العسكري، أبو هلال، *الفروق اللغوية*، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
٩٧. عقيقي بخشايشي، *طبقات مفسران شيعة*، قم، مكتب نشر نويد إسلام، ط١، ١٣٧١ش.
٩٨. العك، خالد عبد الرحمن، *أصول التفسير وقواعده*، بيروت، دار النفائس، ط٣، ١٤١هـ.
٩٩. علوي مهر، حسين، *آشنائي با تفسير ومفسران*، قم، مركز جهاني علوم إسلامي، ط١، ١٣٨٤ش.
١٠٠. علي أكبر، دهخدا، *لغت نامه*، (ومحمد معين، وجعفر شهيدي)، طهران، نشر دانشگاه طهران ومؤسسة *لغت نانه دهخدا*، ١٣٣٧ـ١٣٥٢ش.
١٠١. علي الصغير، الدكتور محمد حسين، *دراسات قرآنية، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم*، طهران، مكتبة الإسلامي، ١٤١٢هـ.
١٠٢. عميد زنجاني، عباسعلي، *مباني وروش‌هاي تفسيري*، طهران، ط٤، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
١٠٣. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، *جواهر القرآن*، المركز العربي للكتاب.
١٠٤. غلاييني، مصطفى، *جامع الدروس العربية*، بيروت، دارالكوخ للطباعة والنشر، ط١.
١٠٥. فاكر الميبدي، محمد، *فقه القرآن(التفسير المقارن لآيات الأحكام)*.
١٠٦. *فلسفة الأحكام*، مطبعة إسلام، أصفهان، ١٣٤٤ش.
١٠٧. الفياض، محمد إسحق، *محاضرات في الأصول*، تقريراً لأبحاث استاذه السيد أبي القاسم الخوئي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٩هـ.
١٠٨. الفيومي، أحمد بن محمد، *المصباح المنير*، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
١٠٩. القاضي عبد الجبار، المعتزلي، *المغني في أبواب التوحيد والعدل*.
١١٠. قرائتي، محسن، *تفسير نور*، منشورات در راه حق، ط٣، ١٩٧٦م.
١١١. القرطبي، محمد بن أحمد، *تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ.
١١٢. الكاشاني، محمد محسن الفيض، *تفسير الصافي*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٢هـ ط٢.
١١٣. الكاشاني، ملا فتح الله، *تفسير منهج الصادقين*، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٤٦، قم.
١١٤. الكليني، محمد بن يعقوب، *أصول الكافي*، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم، ١٣٦١ش.
١١٥. اللنكراني، محمد فاضل، *مدخل التفسير*، منشورات مكتب التبليغ الإسلامي، قم، ١٣٧٦ش.

١١٦. مجلة مترجم، العدد ١٠.

١١٧. المجلسي، محمد تقي، *بحار الأنوار*، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٨٥ش.

١١٨. محمدي، ناصر رفيعي، *تفسير علمي قرآن*، منشورات فرهنگ گستر، ١٣٧٩ش.

١١٩. المختار، محمد أمين بن محمد، *تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*.

١٢٠. مدير شانه چي، كاظم، *علم الحديث ودراية الحديث*، قم، مكتب النشر الإسلامي، ١٣٦٢ش.

١٢١. مشيري، *نخستين فرهنگ الفبايي زبان فارسي*.

١٢٢. المصطفوي، حسن، *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*، وزارة الإرشاد في جمهورية إيران الإسلامية، ط ١، ١٣٧١ش.

١٢٣. المظفر، محمد رضا، *أصول الفقه*، منشورات دار المعارف الإسلامية، طهران، ١٣٦٨ ش.

١٢٤. ــــــ، *المنطق*، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٣٦٨ش، ١٤٠٢هـ.

١٢٥. معرفة، الشيخ محمد هادي، *التفسير الأثري الجامع*، مؤسسة التمهيد، قم، ١٣٨٣ش، ط ١.

١٢٦. ــــــ، *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب*، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤٢٨هـ.

١٢٧. ــــــ، *التمهيد في علوم القرآن*، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧ق.

١٢٨. ــــــ، *التفسير والمفسرون*، ترجمة: علي الخياط، منشورات ذوي القربى، ١٣٨٠ش.

١٢٩. ــــــ، *شبهات وردود*.

١٣٠. ــــــ، *صيانة القرآن من التحريف*، منشورات جامعة المدرسين في قم.

١٣١. مغنية، محمد جواد، *تفسير الكاشف*، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨١م.

١٣٢. مك اوليف، دمن جان، *دائرة معارف القرآن* / لايدن، مداخل هارون.

١٣٣. مكارم الشيرازي ومعاونوه، الشيخ ناصر، *ترجمة نهج البلاغة*، قم، منشورات هدف.

١٣٤. مكارم الشيرازي، الشيخ ناصر، *أنوار الأصول*، تقريرات درس البحث الخارج(أصول)، أحمد قدسي.

١٣٥. ــــــ، *تفسير به رأي*، قم، مطبوعات هدف، ط ٧، ١٣٦٧ش.

١٣٦. ــــــ، *تفسير نمونه*، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٢٦، ١٣٧٣ش.

١٣٧. مكرام، عبد العال سالم، *القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية*.

١٣٨. مؤدب، السيد رضا، *روشهاي تفسير قرآن*، قم، الجامعة، منشورات إشراق، ١٣٨٠ش.

١٣٩. مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام، فصلنامه بينات، الاعداد ١، ٢، ٥، ٦، ١٢.

١٤٠. مؤسسة آموزشي وپژوهشي إمام خميني رحمه الله، مجلة معرفت، العدد ١٩، ٢٦،...

١٤١. الميبدي، أحمد بن محمد، *كشف الأسرار وعدة الأبرار*(تفسير الخواجة عبد الله الأنصاري)، طهران، أمير كبير، ١٣٧٦ش.

١٤٢. نجار زادگان، فتح الله، *سلامة القرآن من التحريف*، پيام آزادي، طهران، ١٣٧٨ش.

١٤٣. نجفي، محمد صادق، هاشم هريسي، بي نا، *شناخت قرآن*، قم، ١٣٦١ش.
١٤٤. نعناعة، رمزي، *الإسرائيليات وأثرها في التفسير*، نشر دار القلم، دمشق، ١٣٩٠هـ.
١٤٥. نوفل، عبد الزاق، *القرآن والعلم الحديث*، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.
١٤٦. النيشابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، *أسباب النزول*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ.
١٤٧. همايي، غلامعلي، *واژه شناسي قرآن مجيد*، انتشارات: جامعة المصطفى العالمية.

چاپ ۱۳۹۳

تاریخ

۱. مسائل جدید کلامی و فلسفه دین ج۱/عبدالحسین خسروپناه
۲. مسائل جدید کلامی و فلسفه دین ج۲/عبدالحسین خسروپناه
۳. مسائل جدید کلامی و فلسفه دین ج۳/عبدالحسین خسروپناه
۴. مجموعه مقالات همایش بین المللی امت اسلامی، مبانی و مؤلفه ها ج۲/مجموعه مؤلفان
۵. مجموعه مقالات همایش بین المللی امت اسلامی، مبانی و مؤلفه ها ج۱/مجموعه مؤلفان
۶. سیری در آیین مسیحیت/علی الشیخ
۷. اسرائیلیات، تخریب ها و تحریف های یهود/سیف الله مدبر چهاربرجی
۸. بررسی مقایسه ای ماهیت و حقوق ایمان بین ملاصدرا و آکویناس/غلام سخی احسانی
۹. آشنایی با معارف قرآن، قصه های قرآنی؛ تفسیر موضوعی۱/صالح قنادی
۱۰. تاریخ فلسفه اسلامی/جمعی از مولفان
۱۱. ارتباط چهره به چهره/مرکز توسعه منابع انسانی
۱۲. ارزش یابی آموزشی/ مرکز توسعه منابع انسانی
۱۳. آشنایی با اختلالات شناختی/ مرکز توسعه منابع انسانی
۱۴. اخلاق اجتماعی/ مرکز توسعه منابع انسانی
۱۵. اخلاق دوست یابی/ مرکز توسعه منابع انسانی
۱۶. درسنامه عقاید/علی شیروانی
۱۷. تاریخ حدیث/سید رضا مؤدب
۱۸. منطق پیشرفته/عسکری سلیمانی امیری
۱۹. آشنایی با آموزه های اسلام (سال اول دبیرستان)/علی بمان ملک احمدی
۲۰. آشنایی با آموزه های اسلام (سال دوم دبیرستان)/علی بمان ملک احمدی
۲۱. آشنایی با آموزه های اسلام (سال سوم دبیرستان)/علی بمان ملک احمدی
۲۲. آشنایی با آموزه های اسلام (سال اول راهنمایی)/علی بمان ملک احمدی
۲۳. آشنایی با آموزه های اسلام (سال دوم راهنمایی)/علی بمان ملک احمدی
۲۴. آشنایی با آموزه های اسلام (سال سوم راهنمایی)/علی بمان ملک احمدی
۲۵. تاریخ اروپا ۲/محمد ستوده آرانی
۲۶. تاریخ ادبیات فارسی ۱/محسن مؤمن، مرتضی رزاق پور، محسن اسماعیلی، غلامعلی گرایی
۲۷. آموزه های بنیادین علم اخلاق ج۲/محمد فتحعلی خانی
۲۸. آشنایی با فقه شافعی/نصیب الله عمراف
۲۹. آیین دادرسی و قضا در عصر امویان/اسد الله رضایی
۳۰. تربیت بدنی و سلامت جسمانی/محسن اکبرپور بنی، سید محسن حسینی مراد آبادی، حسین صبوری، محمد رضا صحرایی، مهدی فهیمی
۳۱. اصول و روش های حفظ قرآن/سید علی میرداماد نجف آبادی
۳۲. تفکر عقلی در کتاب و سنت/حمید رضا رضا نیا
۳۳. درس هایی از اخلاق/اداره تربیت مجتمع آموزش عالی امام خمینی
۳۴. درآمدی بر نظریه عدالت در اسلام/عبد الله جعفری
۳۵. گزیده کلیله و دمنه/محمد رضا نیک زاد
۳۶. فرق و مذاهب کلامی/علی ربانی گلپایگانی
۳۷. درآمدی به شیعه شناسی/علی ربانی گلپایگانی
۳۸. فلسفه تاریخ/جواد سلیمانی
۳۹. درسنامه مفردات قرآن مجید/غلامعلی همایی
۴۰. علوم قرآن مقدماتی/صدیق حسین
۴۱. آشنایی با فقه حنفی/معروف جان رحیم جان اف تحقیق و بازنویسی: خیرالله فیض الله اف
۴۲. پژوهشی در جلوه های امامت و ولایت در جریان عاشورا/خدیجه صالحی
۴۳. انسجام سیاسی در جوامع چند فرهنگی/امان الله شفایی
۴۴. بیت الغزل معرفت/محمد فولادی، بهاء الدین اسکندری
۴۵. آداب و احکام تلاوت قرآن کریم/محمد باقر معرفت
۴۶. درسنامه فقه الحدیث (کتاب فضل العلم، کتاب الحجة، کتاب العشره)/محمد امینی
۴۷. تاریخ علم اصول و فقه در شیعه/یعقوب علی برجی
۴۸. شاخص تکریم مشتری/نعمت اله پناهی بروجردی
۴۹. آشنایی مقدماتی با فلسفه اسلامی/سید زهیر المسیلینی
۵۰. آشنایی با صحیفه سجادیه/محمدعلی مجد فقیهی
۵۱. مفاهیم در اصول فقه و کاربرد آن در حل مسایل فقهی و حقوقی/علی مظهر قراملکی
۵۲. درسنامه روش های تفسیر قرآن/محمد علی رضایی اصفهانی
۵۳. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران/حسین علوی مهر
۵۴. حفظ موضوعی قرآن کریم (اعتقادات، احکام و اخلاق)/سید علی میرداماد نجف آبادی
۵۵. کلام تطبیقی (نبوت، امامت و معاد)/علی ربانی گلپایگانی
۵۶. کلام تطبیقی (توحید، صفات و عدل الهی)/علی ربانی گلپایگانی
۵۷. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۷)/اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی
۵۸. درسنامه روش آموزش و مهارت های کلاس داری قرآن کریم/رحمت عابدی
۵۹. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۶)/اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی
۶۰. از قبادیان تا یمگان/محمدرضا یوسفی، رقیه ابراهیمی شهرآباد
۶۱. اندیشه سیاسی اجتماعی امام خمینی/غلامحسن مقیمی
۶۲. مبانی و روش های تفسیری/محمد کاظم شاکر
۶۳. آموزش فارسی به فارسی (مقدمه) (۱/۱)/اصغر فردی، احمد زهرایی، محمد ناطق
۶۴. آموزش فارسی به فارسی کتاب چهارم/اصغر فردی، احمد زهرایی
۶۵. کارآمدی فقه شیعه در حل معضلات نوظهور سیاسی/اوگین آکبولاک
۶۶. ویژگی های مجازات در اسلام/علی شریفی
۶۷. رابطه هست و باید/علیرضا ناصری
۶۸. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۱/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۶۹. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۲/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۷۰. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۳/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۷۱. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۴/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۷۲. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۵/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۷۳. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۶/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۷۴. خلاصة البیان فی تفسیر القرآن ج۷/سید هاشم میردامادی نجف آبادی مقدمه و تحقیق: سید مجتبی میردامادی
۷۵. تاریخ امپراطوری عثمانی/محمد رضا بارانی
۷۶. مبانی انسان شناسی پیشرفت/امان الله فصیحی، محمد علی نظری، محمد علی جوادی، نصرا... نظری
۷۷. حدیث یوم الدار نخستین سند ولایت/مصطفی عزیزی علویجه
۷۸. هویت فلسفه اسلامی/تهران خلیل اویچ
۷۹. پدیده وحی از دیدگاه علامه طباطبایی/رحمت ا... احمدی
۸۰. شاخص های ارزیابی تسهیل مبادلات در بازار اسلامی/محمد جمال خلیلیان اشکذری
۸۱. ادراک حسی از دیدگاه حکمت صدرایی و مبانی فیزیولوژیک/سید یوسف موسوی
۸۲. بررسی تطبیقی دفاع در اسلام و حقوق بین الملل/سید محمد امین هاشمی
۸۳. درمان بحران های روحی از دیدگاه قرآن/ محمد هادی قربانی
۸۴. آموزش فارسی به فارسی کتاب سوم/مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۸۵. مبانی وقف و ابتدا/محمد رضا شهیدی پور
۸۶. آسیب شناسی روابط گروه های قومی شیعه در افغانستان/محمد حسین فیاض
۸۷. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۱/علی بمان ملک احمدی
۸۸. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۲/علی بمان ملک احمدی
۸۹. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۳/علی بمان ملک احمدی
۹۰. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۴/علی بمان ملک احمدی
۹۱. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۵/علی بمان ملک احمدی
۹۲. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۶/علی بمان ملک احمدی
۹۳. صفات خدا در کلام اسلامی و کلام مسیحی(قرون وسطی)/شاهد علی هادی
۹۴. مراتب توحید الهی در حکمت متعالیه و اثرپذیری از قرآن و سنت/خلیل موسوی
۹۵. نقش مسلمانان در انتقال تمدن اسلامی به اروپا/محمدصادق رضوانی
۹۶. نقد و بررسی رفتارهای سیاسی و اجتماعی فاتحان مسلمان(در قرن اول هجری)/ مصطفی خرمی
۹۷. بررسی فقهی وکالت زن در دعاوی و مجلس/محمد صادق فیاض
۹۸. الگوی پیشنهادی بانکداری بدون ربا برای کشور آذربایجان/الدار علی حسین اف
۹۹. بررسی عصمت انبیا از دیدگاه شیخ طوسی و فخرالدین رازی/افضل الدین رحیم اف
۱۰۰. اسرار الصلاة میبدی/محمد رضا افضلی
۱۰۱. هفدهمین جشنواره بین المللی شیخ طوسی (جهان اسلام و پدیده تکفیر)/جمعی از مولفان
۱۰۲. بُهره ها در بستر تاریخ و اندیشه (جماعتی از شیعیان اسماعیلیه طیبیه هند)/کمیل راجانی
۱۰۳. عقل در قرآن و تمدن اسلامی/سید امیر حسین اصغری، امیر عباس صالحی
۱۰۴. خورشید بهود/سید رشید صمیمی
۱۰۵. أسس البنک الاسلامی/عبداله حیدری
۱۰۶. اسلام در روسیه (اسلام در سرزمین وگلا)/ادریسوف، دولتچینا، کوستووا، سینوتکینا و...
۱۰۷. فرصتی دوباره/حسن بسطامی
۱۰۸. جمع میان احکام ظاهری و واقعی/محمد عیسی دانش
۱۰۹. علوم قرآن مقدماتی/صدیق حسین
۱۱۰. آداب و احکام تلاوت قرآن کریم/محمد باقر معرفت
۱۱۱. اسلام، جهانی شدن و جهانی سازی/مهدی امیدی نقلبری
۱۱۲. الگوی بانکداری اسلامی/محمد جواد محقق نیا
۱۱۳. واژه شناسی قرآن مجید/شهید غلامعلی همایی
۱۱۴. بررسی تطبیقی خیر و شر از دیدگاه ابن عربی و ابن سینا/حسن امینی
۱۱۵. حاکمیت و حکمرانی در نهج البلاغه/محمد مهدی باباپور گل افشانی
۱۱۶. آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل سنت/علی نصیری

۱۱۷. تفسیر مقدماتی قرآن کریم/محمد علی رضایی اصفهانی
۱۱۸. تاریخ تشکیلات در اسلام/محمد رضا شهیدی پاک
۱۱۹. حدیث و علوم جدید (منطق فهم احادیث علمی)/محمد علی رضایی اصفهانی
۱۲۰. بررسی مقایسه ای ماهیت و حقوق ایمان بین ملاصدرا و آکویناس/غلام سخی احسانی
۱۲۱. درس هایی از اخلاق/اداره تربیت مجتمع آموزش عالی امام خمینی
۱۲۲. تربیت اخلاقی در سیره اهل بیت/غلامحسین ناطقی
۱۲۳. درسنامه تاریخ تحلیلی اهل بیت/مجید حیدری نیک
۱۲۴. تفکر عقلی در کتاب و سنت/حمید رضا نیا
۱۲۵. درسنامه فقه الحدیث (کتاب فضل العلم، کتاب الحجة، کتاب العشره)/محمد امینی
۱۲۶. مهارت در نوشتن/بهاء الدین اسکندری
۱۲۷. دانش فقه الحدیث/محمد حسن ربانی بیرجندی
۱۲۸. سیاست خارجی قدرت های بزرگ/محمد ستوده آرانی
۱۲۹. تاریخ اسلام در آسیای میانه و قفقاز/غلامحسن حسین زاده شانه چی
۱۳۰. مسایل حقوقی در سازمان/محسن منطقی
۱۳۱. انسان شناسی فرهنگی با رویکرد تبلیغ بین الملل/محمد رضا آقایی
۱۳۲. منطق تفسیر قرآن ۴ (مباحث جدید دانش تفسیر)/محمد علی رضایی اصفهانی
۱۳۳. فرهنگ اصطلاحات اصول/مجتبی ملکی اصفهانی
۱۳۴. درس نامه تاریخ تشیع ۱/سید لطف الله جلالی
۱۳۵. اصول و روش های آموزش مفاهیم دینی به نوجوانان/حمید الله رضایی
۱۳۶. ساز و کار بانکداری اسلامی/محمد جواد توکلی
۱۳۷. ماهیت و جیستی پیشرفت در اسلام/سید عبدالحمید ثابت، محمد علی نظری و نصراله نظری
۱۳۸. بررسی تطبیقی منابع تاریخی شیعی و سنی درباره تعامل حضرت علی با خلفا تا قرن ۵ هجری/سید ابرار حسین نقوی
۱۳۹. بررسی مقایسه ای عوامل سقوط تمدن ها از دیدگاه ابن خلدون و توین بی/سید محمد جمال موسوی
۱۴۰. مشروعیت اقامه حدود و تعزیرات در عصر غیبت/سید باقر محمدی

عربی

۱۴۱. الآداب الاسلامية، ج ۱/محمد عندليب/كمال السيد/ج۴
۱۴۲. قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكه/حسن علي حسن مطر الهاشمي
۱۴۳. دروس في علوم القرآن/حسين جوان آراسته
۱۴۴. نافذة على الفلسفة/صادق الساعدي
۱۴۵. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۱؛ العبادات/الشيخ باقر الايرواني
۱۴۶. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۲؛ عقود۱/الشيخ باقر الايرواني
۱۴۷. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۳؛ عقود۲ والايقاعات/الشيخ باقر الايرواني
۱۴۸. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۴؛ الاحكام/الشيخ باقر الايرواني
۱۴۹. كتاب التطبيق۱/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۱۵۰. كتاب التطبيق۲/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۱۵۱. كتاب اللغة العربية۲/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۱۵۲. مناهج البحث في القرآن الكريم/محمد علي لساني فشاركي، حسين مرادي زنجاني
۱۵۳. بحوث فقهية معاصرة في الاقتصاد والعلاقات الدولية/مرتضى الترابي
۱۵۴. دروس تمهيدية في العقيدة الاسلامية/علي شيرواني
۱۵۵. الضرورات الدينية والمذهبية والفقهية على ضوء مدرسة اهل البيت/علي الوائلي
۱۵۶. فلسفة الاخلاق/حسن معلمي
۱۵۷. مدخل عام لدراسة فقه القرآن المقارن/خالد غفوري الحسني
۱۵۸. بهجة الانام في الرد على مغالطات الآمدي في الاحكام/السيد فالح عبد الرضا الموسوي
۱۵۹. تفسير مقدماتي قرآن كريم (التفسير التمهيدي للقرآن الكريم)/محمد علي الرضايي الاصفهاني
۱۶۰. مقام المرأة/شهيد مرتضى مطهري
۱۶۱. النبي الاكرم في مواجهة الانحراف الجاهلي/سيد فالح عبد الرضا موسوي
۱۶۲. فقه العقود المالية/يعقوب علي البرجي
۱۶۳. حجية السنة الشريفة دراسة اصولية/حيدر حب الله
۱۶۴. مجموعه مقالات همایش اندیشه های قرآنی امام خمینی (افكار و رؤى قرآنية للامام الخميني)/مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خمینی
۱۶۵. تاريخ الاسلام في الصين بين الماضي والحاضر/محمود شمس الدين
۱۶۶. دروس موجزة في علمي الرجال والدراية/جعفر سبحاني تبريزي
۱۶۷. دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة/مهدي المهريزي
۱۶۸. التبليغ مناهجه واساليبه/جعفر البجاري
۱۶۹. الكلام والعقائد (التوحيد والعدل)/رضا برنجكار
۱۷۰. دروس في علم الدراية/سيد رضا مؤدب
۱۷۱. حقائق خلافة النبي/محمد علي حيدرة
۱۷۲. الانسجام السياسي في المجتمعات المتعددة الثقافات (انسجام سیاسی در جوامع چند فرهنگی)/امان الله شفايي
۱۷۳. المدخل الى التربية والتعليم في الاسلام (اهداف تربیت از دیدگاه اسلام)/سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاه ها (سمت)
۱۷۴. دروس في تاريخ الاديان/حسين توفيقي
۱۷۵. المبادي اللغويه عند الأصوليين/ماجد الصيمري
۱۷۶. الشورا فقهيا في الحكومة الاسلامية/رعد كاظم العاملي
۱۷۷. صلح الحديبيه و بيعه الرضوان قراه جديده في الاهداف و سير الاحداث و مصادر الرويه/السيد حسين السيد البدري
۱۷۸. بررسی دیدگاه های تقریبی امام خمینی و مولانا مودودی/سید حسن مهدی کاظمی
۱۷۹. حكم منكر ضروري الدين/سليمان علي رضا
۱۸۰. ضوابط الرضاع، الجزء الأول/السيد محمد باقر الداماد، تصحیح: سید مجتبی میرداماد
۱۸۱. ضوابط الرضاع، الجزء الثاني/السيد محمد باقر الداماد، تصحیح: سید مجتبی میرداماد
۱۸۲. الخراج في فقه الامامي/عبدالمطلب رضا هادي
۱۸۳. اهداف التربية الاسلامية/مركز ابحاث الحوزة والجامعة
۱۸۴. معرفة ابواب الفقه (تلخيص تحرير الوسيله للامام الخميني)/محسن الفقيهي
۱۸۵. دور اهل البيت في تفسير القرآن الكريم/السيد توقير عباس الكاظمي
۱۸۶. نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، الجزء الخامس/السيد ميرتقي الحسيني الگرگاني
۱۸۷. الفقه المقارن (العبادات والاحوال الشخصيه)/السيد كاظم المصطفوي
۱۸۸. نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، الجزء الرابع/السيد ميرتقي الحسيني الگرگاني
۱۸۹. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج۱/محمود العيداني
۱۹۰. المدخل الى الاقتصاد الاسلامي/مركز ابحاث الحوزه والجامعه
۱۹۱. دروس تمهيدية في اصول العقائد/صادق الساعدي
۱۹۲. نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، الجزء الثالث/السيد ميرتقي الحسيني الگرگاني
۱۹۳. تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية ج۱/أبوأنس
۱۹۴. تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية ج۲/أبوأنس
۱۹۵. تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية ج۳/أبوأنس
۱۹۶. تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية ج۴/أبوأنس
۱۹۷. تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية ج۵/أبوأنس

انگلیسی

۱۹۸. مهارت های قرائت قرآن (سطح ۱) - تجوید/محمد رضا ستوده نیا
۱۹۹. نگین آفرینش/محمد امین بالادستیان
۲۰۰. سلسله مقالات (سلسله مقالات در گفتمان اسلامی)/عبد المجید حکیم الهی
۲۰۱. فرهنگ اصطلاحات حقوق فقه/علیرضا هدایی
۲۰۲. مقدمه ای بر فلسفه اسلامی معاصر/محمد فنایی اشکوری
۲۰۳. درآمدی بر فلسفه اسلامی/عبد الرسول عبودیت
۲۰۴. گفتارهایی در باب علم/امام خمینی
۲۰۵. گفتارهایی در باب قلب و احوال آن/امام خمینی
۲۰۶. گفتارهایی در باب توحید/امام خمینی
۲۰۷. گفتارهایی در باب مسایل کلامی/امام خمینی
۲۰۸. گفتارهایی در باب یاد خدا و اخلاص/امام خمینی
۲۰۹. گفتارهایی در باب صفات مؤمنان/امام خمینی
۲۱۰. گفتارهایی در باب حب دنیا/امام خمینی
۲۱۱. گفتارهایی در باب رذایل اخلاقی/امام خمینی
۲۱۲. گفتارهایی در باب فضایل اخلاقی/امام خمینی
۲۱۳. درآمدی بر اصول فقه، رهیافتی شیعی/علیرضا هدایی
۲۱۴. آشنایی با علوم اسلامی/شهید مرتضی مطهری
۲۱۵. تعلیم و تربیت در اسلام/شهید مرتضی مطهری
۲۱۶. دیدگاهی اسلامی در باب نظریه معرفت/شهید مرتضی مطهری
۲۱۷. انسان و سرنوشت/شهید مرتضی مطهری
۲۱۸. شیخ مرتضی مطهری اصلاح گر و مجدد اندیشه اسلامی/خنجر حمیه
۲۱۹. قرآن و علوم طبیعت/مهدی گلشنی
۲۲۰. مسایلی در باب اسلام و علم/مهدی گلشنی
۲۲۱. آیا علم می تواند دین را نادیده بگیرد؟/مهدی گلشنی
۲۲۲. جامعه شناسی برای دانشجویان مسلمان ج۱/شجاع علی میرزا
۲۲۳. جامعه شناسی برای دانشجویان مسلمان ج۲/شجاع علی میرزا، حمید پارسانیا
۲۲۴. علوم اسلامی: نجوم، کیهان شناسی و هندسه/علی اکبر ضیایی
۲۲۵. معرفت شناسی در اندیشه کلاسیک اسلامی/فرشاد فرشته صنیعی
۲۲۶. انسان شناسی برای دانش آموزان مسلمان/حمید پارسانیا، شجاع علی میرزا
۲۲۷. سلسله مقالات مطالعات اسلامی ج۱/جمعی از نویسندگان
۲۲۸. سلسله مقالات مطالعات اسلامی ج۲/جمعی از نویسندگان
۲۲۹. سلسله مقالات مطالعات اسلامی ج۳/جمعی از نویسندگان
۲۳۰. سلسله مقالات مطالعات اسلامی ج۴/جمعی از نویسندگان
۲۳۱. عقل در قرآن و تمدن اسلامی/سید امیر حسین اصغری، امیر عباس صالحی
۲۳۲. طهارت اهل کتاب/محمد حسین مختاری

فرانسوی

۲۳۳. درسنامه روش آموزش و مهارت های کلاس داری قرآن کریم/رحمت عابدی/ذوالقعده نصر الله

۲۳۴. الکافی اصول ج۴/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۲۳۵. الکافی اصول ج۵/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۲۳۶. سوسیوپولیتیک وهابیت در آفریقای مرکزی/علی ماکا

آلبانیایی

۲۳۷. هدف از زندگی/شهید مرتضی مطهری/ادلیرا عثمانی
۲۳۸. دین و دنیا/شهید مرتضی مطهری/ادلیرا عثمانی
۲۳۹. المرسل و الرسول و الرسالة/سید محمد باقرصدر/محمد مصطفی
۲۴۰. جهاد اکبریا مبارزه با نفس/امام خمینی/ردیس شکو
۲۴۱. درس هایی از قرآن ۲/محسن قرائتی/آگیم عبد الله
۲۴۲. درس هایی از قرآن ۳/محسن قرائتی/آگیم عبدالله
۲۴۳. اعجاز علمی در قرآن ۱/عبد الدائم الکحیل/بلدار شهو
۲۴۴. پیرامون انقلاب اسلامی/شهید مرتضی مطهری/ادلیرا عثمانی
۲۴۵. قانون اساسی جمهوری اسلامی ایران/ /ادلیرا عثمانی
۲۴۶. بلبل بدبخت در زندگی عملی/حافظ هدایت مانه/
۲۴۷. منتخب کلمات قصار از سید علی خامنه ای/ /ولنت مریا
۲۴۸. پیروزی رحمت (فلسفه و وحی در آثار ملاصدرا)/محمد رستم/ادین لوحیا
۲۴۹. این است اسلام/محمد حسن قدیری ابیانه/ادلیرا عثمانی
۲۵۰. اشعار از بابا ملکی/بابا ملکی/
۲۵۱. اخلاق و رشد معنوی/سید مجتبی موسوی لاری/منتور چادری
۲۵۲. درس هایی از قرآن ۴/محسن قرائتی/آگیم عبدالله
۲۵۳. پیش به سوی جامعه آرمانی/مرکز نور/منتور چادری

اردو

۲۵۴. مفاهیم اساسی نظریه ولایت فقیه (نظریه ولایت فقیه کی بنیادی اصول)/مصطفی جعفر پیشه فرد/محسن رضا جعفری
۲۵۵. اندیشه سیاسی شهید مطهری/مجموعه مؤلفان/عون علی کریمی
۲۵۶. اتحاد الفریقین/محمد بشیر
۲۵۷. احکام بانوان (احکام خواتین)/محمد وحیدی/سید شمع محمد رضوی
۲۵۸. تاریخ سیاسی اسلام (سیرت رسول خدا)/رسول جعفریان/طارق حبیب، سید کمیل اصغر زیدی
۲۵۹. گزیده غررالحکم و دررالکلم/عبدالواحد بن محمد تمیمی آمدی/محمدفائزباقری
۲۶۰. تعلیم و تربیت از نظر اسلام (تعلیم و تربیت اسلام کی نظرمین)/مراکز تربیت معلم/اخلاق حسین پکهناوری
۲۶۱. مجموعه دفاع از پیامبر اعظم (پیغمبر اکرم سی متعلق دفاعی مباحث کاسلسله)/علی اصغر رضوانی/اقبال حیدر حیدری
۲۶۲. صلاة الجمعة دراسة فقهية و تاريخية (نماز جمعه کافقهی اور تاریخی پس منظر)/عزالدین رضانژاد/محسن رضا جعفری
۲۶۳. یکصد پرسش و پاسخ درباره نماز (نماز کی باری مین ۱۰۰ سؤالات و جوابات)/مجتبی کلباسی/اخلاق حسین پکهناوری
۲۶۴. عصرزندگی وچگونگی آینده انسان و اسلام/محمد حکیمی/اخلاق حسین پکهناوری
۲۶۵. راز آفرینش اهل بیت (خلقت اهل بیت علیهم السلام کاراز)/سید محمد علی موسوی/اقبال حیدر حیدری
۲۶۶. سیره اهل بیت در جذب مخالفان (اهل بیت کی سیرت مین جذب مخالفین)/سید محسن مهدی زیدی/
۲۶۷. آشنایی با معارف قرآن، قصه های قرآنی؛ تفسیر موضوعی ۱ (قرآنی معارف سی آشنایی تفسیر موضوعی ۱، قرآنی قصی)/صالح قنادی/اقبال حیدر حیدری
۲۶۸. پرسش ها و پاسخ های برگزیده ویژه محرم (سؤال و جواب قیام امام حسین)/مجموعه مؤلفان/سید نجم الحسن نقوی
۲۶۹. المیزان فی تفسیر القرآن (علامه طباطبایی اور المیزان کی تفسیری روش)/علی اوسی/رجب علی حیدری
۲۷۰. وهابیت؛ مبانی فکری و کارنامه عملی/جعفر سبحانی تبریزی/محمد سبطین
۲۷۱. مصونیت قرآن از تحریف (تحریف قرآن کی بطلان کا تحلیلی جائزا)/محمد هادی معرفت/عارف حسین مبارک
۲۷۲. نقداحادیث مهدویت از دیدگاه اهل سنت/محمدیعقوب بشوی/محمدیعقوب بشوی
۲۷۳. تاریخ شیعیان کشمیر/غلام محمد گلزار
۲۷۴. قانون مناکحات (کتاب النکاح)/سید افتخار حسین نقوی نجفی/

تاجیکی

۲۷۵. نهج الفصاحة/غلامحسین مجیدی/عبد الهاشم میرزایف، شمس الدین عصام الدین، امام علی علی اف

چینی

۲۷۶. هداية العلم فی تنظیم غررالحکم/سید حسین شیخ الاسلامی/جانگ جی هوا
۲۷۷. القرآن الکریم و معانیة باللغة الصینیة مع شرح مختصر/ /سلیمان بای جی سو
۲۷۸. شناخت اسلام/محمد حسینی بهشتی، جواد باهنر/علی جیانگ جینگ
۲۷۹. مجموعه مقالات ویژه پیامبر اعظم/جمعی از مولفان/سلیمان بای جی سو
۲۸۰. تفسیر سوره حجرات/ناصر مکارم شیرازی/سلیمان بای جی سو
۲۸۱. تفسیر سوره قدر/ناصر مکارم شیرازی/سلیمان بای جی سو
۲۸۲. تفسیر سوره حج/ناصر مکارم شیرازی/سلیمان بای جی سو
۲۸۳. رساله حقوق امام سجاد/ /سلیمان بای جی سو
۲۸۴. المختار من الاحادیث النبویة/عبداله ابن محمد قاضی الصعدی/سلیمان بای جی سو
۲۸۵. الکلمات القصار: مواعظ و حکم سماحة الامام خمینی/ /نمایندگی چین
۲۸۶. تفسیر سوره جمعه/ناصر مکارم شیرازی/سلیمان بای جی سو
۲۸۷. تعلیم الصلاة مع الترجمه الصینیه/کمال سید/حلیمه
۲۸۸. تفسیر سوره لقمان/ناصر مکارم شیرازی/سلیمان بای جی سو
۲۸۹. دعای کمیل/ /عیسی های شی وو
۲۹۰. همه باید بدانند/ابراهیم امینی/نمایندگی چین
۲۹۱. سیره پیامبر با نگاهی به قرآن کریم/محسن قرائتی/سلیمان بای جی سو
۲۹۲. بانوی نمونه اسلام حضرت فاطمه(س)/ابراهیم امینی/امینه
۲۹۳. منشور عقاید امامیه/جعفر سبحانی/سلیمان بای جی سو
۲۹۴. مجموعه مقالات ویژه حضرت فاطمه(س)/جمعی از مولفان/سلیمان بای جی سو
۲۹۵. اصل الشیعه و اصولها/محمد حسین آل کاشف/سلیمان بای جی سو
۲۹۶. الآداب الاسلامیه/مرکز انتشارات/چیو شی

[illegible]

۲۹۷. پنجاه درس اصول عقائد در قرآن کریم/ناصر مکارم شیرازی/انجمن اندیشه نور

آذری

۲۹۸. والاترین بندگان، شرح و تفسیر آیات/ناصر مکارم شیرازی/رضا شکراف
۲۹۹. خداشناسی/محمد رضا کاشفی/رضا شکراف

اندونزیایی

۳۰۰. مجموعه مقالات فلسفه قیام امام حسین/جمعی از مولفان
۳۰۱. معاد شناسی ملاصدرا/خالید الولید
۳۰۲. پژوهشی در نسبت دین و عرفان/سید یحیی یثربیمحمد شمس عارف
۳۰۳. شیعه در اسلام/سید محمد حسین طباطبائی/احسن محمد
۳۰۴. زیباترین سخن/حبیب الله احمدی/امام غزالی
۳۰۵. قرآن و سکولاریسم/محمد حسن قدردان قرملکی/عمار فوزی هریادی
۳۰۶. نگاهی قرآنی به فشار روانی/اسحاق حسینی کوهساری/محمد حبیبی امرالله
۳۰۷. معجزه شناسی/محمد باقری سعیدی روشن/عمار فوزی هریادی
۳۰۸. زن در آینه جمال و جلال/عبدالله جوادی آملی/مهدار احمد و حسن صالح و صابر موناتو
۳۰۹. اسلام و مقتضیات زمان/مرتضی مطهری/احمد سوباندی
۳۱۰. قرآن و پلورالیزم دینی/محمد حسن قدردان قرملکی/عبد الرحمن عرفان
۳۱۱. انسان کامل/مرتضی مطهری/عبدالله حمید بابد
۳۱۲. مدیریت سیاسی از دیدگاه خواجه نصیرالدین طوسی/حسین خردمردی/محمد شمس عارف
۳۱۳. آشنایی با قرآن/شهید مرتضی مطهری/محمد جواد بافقی
۳۱۴. معاد در قرآن/عبد الله جوادی آملی/محمد عبدالغدیر الکاف، مقداد ترکان
۳۱۵. مسأله شناخت در اسلام/شهید مرتضی مطهری/محمد بحرالدین
۳۱۶. عقل و وحی/حسن یوسفیان، احمد حسین شریفی/عمار فوزی هریادی
۳۱۷. رهبری نسل جوان/شهید مرتضی مطهری/عارف مولیادی، سالم بهیمجی
۳۱۸. تجلی الهی/ملا صدرا/ایروان کورتیاوان
۳۱۹. تفکرات فلسفی آیت الله مصباح یزدی/محسن لبیب/
۳۲۰. معرفت و اشراق در اندیشه سهروردی/حسین ضیایی/محمد افیف، المعین مونیر
۳۲۱. رساله لقاء الله/جواد ملکی تبریزی/محمد الکاف
۳۲۲. هرمنوتیک شرق و غرب/عبد الهادی ویجی مشاری/
۳۲۳. کلام جدید/حسن یوسفیان/علی پسولواغی
۳۲۴. عصمة الأنبیاء/محمد بن عمر فخررازی/یوسف آناس
۳۲۵. آموزش فلسفه/محمد تقی مصباح یزدی/موسی کاظم، صالح باقر
۳۲۶. سیر تطور تفکر سیاسی امام خمینی/نجف لک زایی/مختار لطفی
۳۲۷. جامعه مدنی/حمید مولانا/یوسف بافقیه، امام غزالی
۳۲۸. نظریه سیاسی اسلام در حکومت/امام خمینی/محمد انیس مولا چلا
۳۲۹. مسأله شناخت/شهید مرتضی مطهری/محمد جواد بافقی
۳۳۰. ارتداد و آزادی/سید حسین هاشمی/ناصر دیمیاطی
۳۳۱. تاثیر مبانی فلسفی در متون دینی از دیدگاه امام خمینی/محمدرضا ارشادی نیا/ایوان ستیاوان

[illegible]

۳۳۲. گزیده غررالحکم و دررالکلم/عبدالواحد بن محمد تمیمی آمدی/سید قمر غازی

[illegible]

۳۳۳. اربعین امام خمینی (چهل حدیث)/امام خمینی/سید علی حسینی مؤذن
۳۳۴. آشنایی با صحیفه سجادیه/امام زین العابدین/سید علی حسینی مؤذن

مالایی

۳۳۵. منتخب نهج الدعا/محمد محمدی ری شهری/سید علی اختر جعفری (تین تون)

[illegible]

۳۳۶. سیری در نهج البلاغه/شهید مرتضی مطهری/مرتضی علی مطهری
۳۳۷. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه/سرفراز مهدی چاندیو

۳۳۸. پرتو پژوهش ج۲/ مجتمع آموزش عالی فقه / سرفراز مهدی چاندیو
۳۳۹. اخلاق معاشرت(اسلامی زندگی جا اخلاقی اصول)/ جواد محدثی / نائب علی کمیلی

ترکی استانبولی

۳۴۰. روش های آسیب زا در تربیت از منظر تربیت اسلامی / محمد رضا قائمی مقدم/ رضوان مراد آلتون
۳۴۱. سبک رهبری امام خمینی/ عباس شفیعی/ آلپتکین دورسون اغلو
۳۴۲. بررسی مسایل تربیتی جوانان در روایات/ محمد علی حاجی ده آبادی، سید علی حسینی زاده/ حسن بدل
۳۴۳. تحلیل زبان قرآن و روش شناسی فهم آن/ محمد باقر سعیدی روشن/ کنعان چاmorچو
۳۴۴. روش شناسی تفسیر قرآن/ علی اکبر بابایی، غلامعلی عزیزی کیا، مجتبی روحانی راد، محمود رجبی/ میکائیل گورل
۳۴۵. سیره تربیتی پیامبر و اهل بیت، (تربیت فرزند) ج۱ / سید علی حسینی زاده/ نورجان آلتون
۳۴۶. سیره تربیتی پیامبر و اهل بیت، (تربیت فرزند) ج۲/ محمد داودی/ نورجان آلتون
۳۴۷. سیره تربیتی پیامبر و اهل بیت، (تربیت فرزند) ج۳/ محمد داودی/ نورجان آلتون
۳۴۸. آشنایی با علوم حدیث/ علی نصیری/ محمد مهدی توران
۳۴۹. الاخلاق/ سید عبد ا... شبّر/ ابوذر توران
۳۵۰. مکاتب تفسیری ۱/ علی اکبر بابایی/ کنعان چامورچو
۳۵۱. مکاتب تفسیری ۲/ علی اکبر بابایی/ کنعان چامورچو
۳۵۲. بهداشت روانی با نگرش به منابع اسلامی/ محمد رضا سالاری فر، سید مهدی موسوی اصل، محمد صادق شجاع، محمد دولتشاه/ کنعان چامورچو
۳۵۳. علوم قرآنی/ محمد هادی معرفت/ یوسف تازه گون
۳۵۴. مدیریت علوی/ ابوطالب خدمتی، عباس شفیعی، علی آقاپیروز/ نورجان آلتون
۳۵۵. آشنایی با ادیان بزرگ/ حسین توفیقی/ محمد کارادومان
۳۵۶. دقایقی با قرآن/ محسن قرائتی/ هدایت کوشاجا
۳۵۷. تفسیر سوره انسان و حجرات/ جعفر سبحانی تبریزی، ناصر مکارم شیرازی/ رسول نور، یونس گورل
۳۵۸. فرق و مذاهب کلامی/ علی ربانی گلپایگانی/ یونس گورل
۳۵۹. مبانی ویژگی های عرفان نظری امام خمینی/ محمد رضا غفوریان/ اسماعیل اورجی
۳۶۰. اسلام و تفاوت های جنسیتی در نهادهای اجتماعی/ حسین بوستان/ جعفر دربندی
۳۶۱. ربا/ جمعی از نویسندگان/ یعقوب کماک

روسی

۳۶۲. مواعظ مسیح/ محمد جواد شعبانی مفرد / ساحاروکوف آلکسی نیکلایویچ
۳۶۳. تاریخ آموزش در اسلام/ آناتولی الیف
۳۶۴. فقه تربیتی/ علیرضا اعرافی/ سامارا گوزال
۳۶۵. آموزش خواندن قرآن کریم/ ناظم زینال اف
۳۶۶. اقتصاد ما/ محمد باقر صدر/ تاراس جرنینکو

چاپ ۱۳۹۲

فارسی

۳۶۷. اصول و روش های آموزش مفاهیم دینی به نوجوانان / حمید الله رضایی
۳۶۸. انسان شناسی فرهنگی با رویکرد تبلیغ بین الملل / محمد رضا آقایی
۳۶۹. آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل سنت / علی نصیری / ج ۳
۳۷۰. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمدعلی مجد فقیهی / ج ۳
۳۷۱. آشنایی با علم رجال / سید محمد نجفی یزدی
۳۷۲. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۱/ علی بمان ملک احمدی
۳۷۳. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۲/ علی بمان ملک احمدی
۳۷۴. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۳/ علی بمان ملک احمدی
۳۷۵. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۴/ علی بمان ملک احمدی
۳۷۶. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۵/ علی بمان ملک احمدی
۳۷۷. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۶/ علی بمان ملک احمدی
۳۷۸. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار۶)/ اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی / ج ۴
۳۷۹. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار۷)/ اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی / ج ۴
۳۸۰. آموزش فارسی به فارسی (مقدمه) (۱/۱)/ اصغر فردی، احمد زهرایی، محمد ناطق / ج ۲
۳۸۱. آموزش فارسی به فارسی کتاب چهارم / اصغر فردی، احمد زهرایی / ج ۳
۳۸۲. آموزه های بنیادین علم اخلاق ج۱/ محمد فتحعلی خانی / ج ۳
۳۸۳. برداشت های مختلف از تقریب مذاهب اسلامی / محمد طاهر اقبالی
۳۸۴. بررسی تاریخ نگری محمد عابد الجابری / سید محمد علی نوری
۳۸۵. بررسی تطبیقی عالم خیال از دیدگاه ابن سینا، شیخ اشراق و ملاصدرا / محمد خان کاظمی
۳۸۶. پرتو پژوهش ج۳/ مجتمع آموزش عالی فقه
۳۸۷. تاریخ تشکیلات در اسلام / محمد رضا شهیدی پاک
۳۸۸. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی / محمدرضا کاشفی / ج ۴
۳۸۹. تأثیر نفس پیامبر اکرم در عالم وجود (با رویکرد به مسئله توسل)/ معصومه گلی گلی
۳۹۰. تجسم اعمال از دیدگاه علامه طباطبایی و رشید رضا در المیزان و المنار / صدیقه فقیهی
۳۹۱. تحلیل ادبی نهج البلاغه و صحیفه سجادیه / محمد عشایری منفرد
۳۹۲. جایگاه عرف در استنباط / تقوی الکنانی
۳۹۳. جغرافیای معرفتی جهان اسلام (مجموعه مقالات شانزدهمین جشنواره بین المللی شیخ طوسی)/ مجموعه مؤلفان
۳۹۴. چکیده مقالات همایش ملی اخلاق و اقتصاد اسلامی / انجمن اقتصاد اسلامی حوزه علمیه
۳۹۵. چلچراغ نماز جمعه (چهل حدیث نماز جمعه)/ محمد عارف حیدر قزلباش
۳۹۶. چهار مقاله و مرزبان نامه / محمد رضا یوسفی، رقیه ابراهیمی شهرآباد
۳۹۷. حاکمیت و حکمرانی در نهج البلاغه / محمد مهدی باباپور گل افشانی
۳۹۸. حدیث و علوم جدید (منطق فهم احادیث علمی)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۳۹۹. درآمدی به شیعه شناسی / علی ربانی گلپایگانی / ج ۴
۴۰۰. درس نامه تاریخ تشیع ۱/ سید لطف الله جلالی
۴۰۱. درس نامه حقوق بشر از دیدگاه اسلام / عبد الحکیم سلیمی
۴۰۲. درسنامه تاریخ تحلیلی اهل بیت/ مجید حیدری نیک
۴۰۳. درسنامه روش آموزش و مهارت های کلاس داری قرآن کریم / رحمت عابدی / ج ۳
۴۰۴. درسنامه مبانی و قواعد تفسیر (خلاصه منطق تفسیر قرآن۱)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴۰۵. درسنامه مفردات قرآن مجید / غلامعلی همایی / ج ۳
۴۰۶. درسنامه مناسک حج / محمد حسین فلاح زاده
۴۰۷. راهکارهای برون رفت از معاملات ربوی / غلام مرتضی انصاری
۴۰۸. رهیافتی بر علم سیاست و جنبش های اسلامی معاصر / عبدالوهاب فراتی / ج ۲
۴۰۹. ساز و کار بانکداری اسلامی / محمد جواد توکلی
۴۱۰. شاخص اسراف و معیارهای آن / سید محمد کاظم رجایی، مهدی خطیبی
۴۱۱. شرح و بررسی صفات فعلی حق در زیارت عاشورا / سیده زهرا احمدی
۴۱۲. شرح و ترجمه کتاب حلقه ثالثه حضرت آیت ا... شهید سید محمدباقر صدر، ج۱/ احمد مرادخانی .
۴۱۳. ضرورت حکومت اسلامی در عصر غیبت / بسم الله حسنی
۴۱۴. علوم قرآن ۲ (اعجاز قرآن در علوم طبیعی و انسانی)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴۱۵. فرق و مذاهب کلامی / علی ربانی گلپایگانی / ج ۶
۴۱۶. فقه القرآن آیات الاحکام تطبیقی / محمد فاکر میبدی / ج ۳
۴۱۷. فلسفه اخلاق / محمد فتحعلی خانی / ج ۲
۴۱۸. فلسفه تاریخ / جواد سلیمانی
۴۱۹. مادران چهارده معصوم/ حیدر مظفری ورسی / ج ۲
۴۲۰. مبانی فرجام شناسی تاریخ در قرآن / قنبر علی صمدی
۴۲۱. مسایل حقوقی در سازمان / محسن منطقی
۴۲۲. مستشرقان و پیامبر اعظم / حسین عبدالمحمدی
۴۲۳. مسئله وحی و پاسخ به شبهات آن/ حسین علوی مهر
۴۲۴. منشور جمهوری اسلامی ایران/ مجموعه مؤلفان
۴۲۵. منطق تفسیر قرآن ۱ (مبانی و قواعد تفسیر قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی/ ج ۳
۴۲۶. منطق تفسیر قرآن ۲ (روش ها و گرایش های تفسیری قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی/ ج ۶
۴۲۷. منطق تفسیر قرآن ۳ (روش تحقیق در تفسیر و علوم قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی/ ج ۲
۴۲۸. منطق تفسیر قرآن ۴ (مباحث جدید دانش تفسیر)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴۲۹. منطق تفسیر قرآن ۵ (قرآن و علوم طبیعی و انسانی)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴۳۰. نگارش پیشرفته از پاراگراف تا مقاله/ حمید بصیریان
۴۳۱. نوع دوستی از دیدگاه اسلام/ عین الله نوروزی
۴۳۲. نهضت قرآنی وظیفه همگانی/ علیرضا اعرافی
۴۳۳. واژه شناسی قرآن مجید/ شهید غلامعلی همایی/ ج ۳

عربی

۴۳۴. الآداب الاسلامية، ج ۱ / محمد عندليب/ كمال السيد/ ج ۴
۴۳۵. الآداب الاسلامية، ج ۲، / محمد عندليب/ كمال السيد/ ج ۴
۴۳۶. ادوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية/ عدنان فرحان تنها/ ج ۲
۴۳۷. الاحوال الشخصية (النكاح)/ السيد محمد النجفي اليزدي/ ج ۲
۴۳۸. الاسرة في السيرة العملية للنبي واهل البيت/ محمد جمعه شيخ زاده/ كمال الحزباوي
۴۳۹. الامامة عند الحلي و القوشجي بين النص و الاختيار/ عبير جميل شرارة
۴۴۰. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج۱/ محمود العيداني
۴۴۱. البرنامج التدريسي للحلقة الثانية، ج۲/ محمود العيداني
۴۴۲. السنن الالهية الاجتماعية في القرآن/ احمد مراد خاني الطهراني/ السيد عبد الامير الوردي، السيد عبد الكريم الحيدري
۴۴۳. المدخل الى تاريخ التفسير و المفسرين (آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران)/ حسین علوی مهر/ جعفر الخزاعي
۴۴۴. المطالعة و النصوص العربية «لغير الناطقين بها»/ السيد عبد الهادي الشريفي
۴۴۵. الهجرة و المهاجرون في القرآن الكريم/ مريم علي حسن الهاشمي
۴۴۶. الهداية في النحو/ تصحيح و تعليق: حسين شير افكن/ ج ۲۲
۴۴۷. الوجيز في تاريخ الاسلام (الجزء الاول)/ سيد منذر حكيم/ تلخيص: محمود السيف

۴۴۸. الوجيزفي تاريخ الاسلام (الجزء الثالث)/سيد منذر حكيم/تلخيص: محمود السيف
۴۴۹. الوجيزفي تاريخ الاسلام (الجزء الثاني)/سيد منذر حكيم/تلخيص: محمود السيف
۴۵۰. الوجيزفي تاريخ الاسلام (الجزء الرابع)/سيد منذر حكيم/تلخيص: محمود السيف
۴۵۱. الوقف في الشريعة الاسلامية، دراسة فقهية مقارنة على المذاهب الخمسة/السيد عادل الموسوي الخرسان
۴۵۲. بداية الاصول/سيد رضا پيمبرپور
۴۵۳. تاريخ الثقافة و الحضارة الاسلامية/محمد رضا كاشفي/انور الرصافي
۴۵۴. تخطيط الأسرة و تنظيمها/محمد حسين خليق
۴۵۵. تغير قيمة العملات الورقية دراسة مقارنة بين الفقه الامامي و المذاهب الأربعة/رياض عبد الصمد الداغر
۴۵۶. جوهرة الخلقة (في معرفة العقيدة الحقة)/محمد مهدي حائري پور، مهدي يوسفيان، محمد امين بالادستيان/رعد كاطع عبد
۴۵۷. دراسات تمهيدية في الفقه الامامية/السيد محمد النجفي اليزدي
۴۵۸. دروس تمهيدية في اصول العقائد/صادق الساعدي/چ۶
۴۵۹. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۱؛ العبادات/الشيخ باقر الايرواني/چ۱۰
۴۶۰. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۲؛ عقود ۱/الشيخ باقر الايرواني/چ۸
۴۶۱. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۳؛ عقود۲ والايقاعات/الشيخ باقر الايرواني/چ۸
۴۶۲. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي ج۴؛ الاحكام/الشيخ باقر الايرواني/چ۸
۴۶۳. دروس في البلاغة/شيخ معين دقيق العاملي/چ۷
۴۶۴. دروس في الشيعة و التشيع/علي الرباني الگلپايگاني/انور الرصافي/چ۳
۴۶۵. دروس في علوم القرآن/نذير الحسني
۴۶۶. ضوابط الرضاع، الجزء الاول/السيد محمد باقرالداماد، تصحيح: سيد مجتبي ميرداماد
۴۶۷. ضوابط الرضاع، الجزء الثاني/السيد محمد باقرالداماد، تصحيح: سيد مجتبي ميرداماد
۴۶۸. كتاب التطبيق ۱/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي/چ۲
۴۶۹. كتاب التطبيق ۲/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۴۷۰. كتاب التطبيق ۳/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۴۷۱. كتاب اللغة العربية ۲/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۴۷۲. كتاب اللغة العربية ۳/شاكر محمود افضلي، ميثم الربيعي
۴۷۳. من جهاد الى جهاد/سيد حسن فيروزآبادي/عبد الكريم الجنابي
۴۷۴. منطق تفسير القرآن ۱ (اصول و قواعد التفسير)/محمد علي الرضايي الاصفهاني/احمد الازرقي و هاشم ابوخمسين
۴۷۵. نافذة على اهم الفرق و المذاهب الأسلامية/شكيب بن بديرة الطبلبي
۴۷۶. نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، الجزء الاول/السيد ميرتقي الحسيني الگرگاني
۴۷۷. نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، الجزء الثاني/السيد ميرتقي الحسيني الگرگاني

انگلیسی

۴۷۸. پاسداری از مرقد پیامبران و امامان/جعفر سبحانی تبریزی/فریده مهدوی دامغانی

فرانسوی

۴۷۹. اصول کافی ج۱/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۴۸۰. اصول کافی ج۲/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۴۸۱. اصول کافی ج۳/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۴۸۲. التبلیغ مناهجه و اسالیبه/جعفر البجاری/ تعب امباله لبانگی
۴۸۳. به سوی قرآن (روانخوانی و انس با قرآن)/ابوالفضل خوش منش
۴۸۴. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی/محمد رضا کاشفی/هارون مکومیه
۴۸۵. فرق و مذاهب کلامی/علی ربانی گلپایگانی/ابراهیم مونتوبتو
۴۸۶. نافذة على الفلسفة/صادق ساعدی/ابراهیم مونتوبتو

تایلندی

۴۸۷. صحیفه مبارکه سجادیه (آشنایی با صحیفه سجادیه)/امام زین العابدین/فریده مهدوی دامغانی/چ۲

اردو

۴۸۸. احکام ازدواج دائم و موقت مطابق با فتاوای مراجع عظام/سید حجت موسوی خوئی/فیروزعلی بنارسی
۴۸۹. احکام حجاب و عفت/حمید جلفایی/سید هادی حسن رضوی
۴۹۰. آزادی و دین سالاری/جعفر سبحانی تبریزی/سید مراد رضا رضوی
۴۹۱. پله پله تا آسمان علم (آسمان علم تک قدم به قدم)/محمد عابدی/سیده وجیه اکبر زیدی
۴۹۲. تاریخ و سیرت معصومین ج۲/سید منذر حکیم/سید کمیل اصغر زیدی
۴۹۳. خطبه حضرت زینب در کاخ یزید/سید توقیر عباس کاظمی
۴۹۴. درسنامه تاریخ عصر غیبت/مسعود پورسید آقایی، محمد رضا جباری، حسن عاشوری، سید منذر حکیم/اخلاق حسین پکهناروی
۴۹۵. شیعه شناسی/علی ربانی گلپایگانی/سید منظر صادق زیدی
۴۹۶. صحیفه شهادت فرمودات امام حسین/محمد صادق نجمی/سید حسن مهدی حسینی، سید حسن اخترضوی اعظمی
۴۹۷. قانون عقل و وحی/حسن مهدی زاده/اخلاق حسین پکهناروی
۴۹۸. کلیات فقه اسلامی/حسن قاسمیان/سید مبین حیدر رضوی

تاجیکی

۴۹۹. آشنایی با صحیفه سجادیه/علی ابن الحسین/الیاس قاسم اف
۵۰۰. تحکیم خانواده از نگاه قرآن و حدیث/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۵۰۱. جایگاه اهل بیت از دیدگاه امام ابو حنیفه/محمد شفق خواتی/حکیم جان کمال اف
۵۰۲. حکمت نامه پیامبر اعظم ۱/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۵۰۳. حکمت نامه پیامبر اعظم ۲/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۵۰۴. حکمت نامه لقمان/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۵۰۵. سنن النبی/محمد حسین طباطبایی/حکیم جان کمال اف
۵۰۶. نبرد حق و باطل/شهید مرتضی مطهری/حبیب الله منان
۵۰۷. نظری به نظام اقتصادی در اسلام/شهید مرتضی مطهری/سید برهان اکبر
۵۰۸. نهج البلاغه/سید رضی/الیاس قاسم اف

ازبکی

۵۰۹. اخلاق اهل بیت/سید محمد مهدی صدر/محمد باری
۵۱۰. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه/ محمد باری
۵۱۱. تاریخ اسلام (از جاهلیت تا رحلت پیامبر اسلام)/مهدی پیشوایی/ محمد باری
۵۱۲. نشانه هایی از دولت موعود/نجم الدین طبسی/ محمد باری

بنگالی

۵۱۳. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه/محمد منیر حسین خان
۵۱۴. چشم اندازی به حکومت مهدی/نجم الدین طبسی/محمد عبد القیوم
۵۱۵. چهل حدیث سیره نبوی/جواد محدثی/سیده شهربانو زیدی
۵۱۶. همسرداری/ابراهیم امینی/محمد عبد القیوم
۵۱۷. ولایت فقیه (ساختار حکومت اسلامی)/امام خمینی/محمد عبد القدوس

آذری

۵۱۸. آیات ولایت در قرآن/ناصر مکارم شیرازی/مردان زال اف

اندونزیایی

۵۱۹. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه/اکمل کامل

سندی

۵۲۰. چشم اندازی به حکومت مهدی/نجم الدین طبسی/سرفراز علی مهدی

ترکی استانبولی

۵۲۱. چشم اندازی به حکومت مهدی/نجم الدین طبسی/رسول نور، سرکان انلو، محمد کارادومان
۵۲۲. شمیم ولایت/عبدالله جوادی آملی/قدری چلیک
۵۲۳. مثال های آموزنده قرآن/جعفر سبحانی تبریزی/رضا شکراف

روسی

۵۲۴. فقه و عقل/ابوالقاسم علی دوست/یوسف آقایو

چاپ ۱۳۹۱

فارسی

۱. اسلام و اصلاح فرهنگی/ مؤلف: زکی میلاد ت: آیت اله خزائی
۲. آثار تربیتی جلوه‌های و اخلاقی قیام عاشورا/ محمد عارف صداقت
۳. آشنایی با اصول و روش‌های ترجمه قرآن (خلاصه کتاب منطق ترجمه قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی/ علی نصیری/ چ۲
۵. آموزش احکام همراه با استفتائات مقام معظم رهبری مدظله العالی/ محمد حسین فلاح زاده/ چ۷
۶. آموزش فارسی به غیرفارسی زبانان/ فاطمه اکبری
۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۱/ احمد زهرایی و اصغر فردی
۸. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۲/ احمد زهرایی و اصغر فردی
۹. آموزش فارسی به فارسی کتاب کارج۵/ مرکزآموزش زبان و معارف اسلامی/ چ۳
۱۰. پیراهه‌ها (رهیافت هایی از دعای هشتم صحیفه سجادیه)/ حجت منگنه چی
۱۱. پرتو پژوهش شماره ۹۱ الی ۹۶
۱۲. التزام ناگزیر تحلیلی براهبردهای ایالات متحده امریکا در مواجهه با بیداری اسلامی/ مؤلف امیل نخله ت: علی محمد سابقی
۱۳. حقوق اهل بیت در تفاسیر اهل سنت/ محمد یعقوب بشوی/ چ۲
۱۴. درآمدی بر علم کلام اسلامی/ عزالدین رضانژاد
۱۵. درآمدی بر لیبرالیسم بررسی و نقد مبانی/ علی الهی تبار
۱۶. درآمدی برمناسبات روحانیت و دولت اسلامی با تأکید بر دیدگاه امام خمینی/ علی معصومی
۱۷. درآمدی به تاریخ علم اصول/ مهدی علی پور/ چ۳
۱۸. دردری (مجموعه سروده های شاعران پارسی گوی خراسان بزرگ درباره حادثه عاشورا)/ سیدحسن احمدی نژاد بلخابی بلخابی
۱۹. درسنامه تفسیرتربیتی ج۱/ محمد حسین محمدی

۲۰. درسنامه دراية الحديث / سيد رضا مؤدب / چ۳
۲۱. درسنامه عقايد / علی شيروانی / چ۷
۲۲. رهيافتی به منظومه فکری حضرت امام خمينی ﷺ و رهبر معظم انقلاب در حوزه فرهنگ وتربيت / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخر الائمه به سفارش جامعه المصطفی ﷺ / چ۲
۲۳. شکوه کلام در نهج البلاغه/ حسن امير انصاری
۲۴. علم دراية تطبيقی / سيد محمد رضا مؤدب/ چ۲
۲۵. فصلنامه اطلاع رسانی
۲۶. فلسفه اشک / سيد عبدالله حسينی
۲۷. قرآن و امام حسين ﷺ (تحليل استشهادات قرآنی وروايات تفسيری امام حسين ﷺ)/ حسين مطهری محب
۲۸. کوثر معارف شماره ۲۲
۲۹. مبانی کلامی فارسی اعجاز قرآن / روح الله رضوانی
۳۰. مجموعه مقالات همايش بين المللی قرآن و مستشرقان / جمعی از مؤلفان
۳۱. منطق ترجمه قرآن/ محمد علی رضايی اصفهانی/ چ۲
۳۲. منطق مقدماتی/ ابوالفضل روحی/ چ۲
۳۳. نشريه پژوه شماره ۵۲
۳۴. ويژه نامه استشراق / جمعی از مؤلفان

عربی

۳۵. ولايت الفقيه والحكومة الاسلاميه فی عصرالغيبه/ وديع الحيدری
۳۶. القدس فی الشعر العربی الحديث فی سورية ولبنان وفلسطين/ جهاد فيض الاسلام
۳۷. دراسات الاسلامية فيعلم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو ومقومات التربية/ سعيد كاظم العذاری
۳۸. النحو الجامع/ سيد حميد الجزايری/ چ۲
۳۹. القراءات والاحرف السبعه/ عبدالرسول الغفاری
۴۰. القراة والمناقشه/ مؤلف ميثم الربيع؛ محمد الحيدری؛ شاکر افضلی
۴۱. التَّعليم المُصوَّر/ مؤلف ميثم الربيع؛ محمد الحيدری؛ شاکر افضلی

انگليسی

۴۲. نهج البلاغه/ مؤلف: سيد رضی ت: سيد علی رضا
۴۳. کتاب احاديث (چهل حديث)/ مؤلف: سيد علی لواسانی ت: سيد علی فريد محمدی

فرانسوی

۴۴. امام اخلاق سياست/ مؤلف: سيد حسن اسلامی / ت: ابراهيم مونتو

آذری

۴۵. قرآن و امام حسين ﷺ/ مؤلف محسن قرائتی / ت: سيد نصرت علی جعفری / چ۲

بنگالی

۴۶. آشنايی با احکام / ت: منتظر داگلاس بنگالن
۴۷. شيعه پاسخ می‌گويد / ت: منتظرداگلاس بنگالون

پشتو

۴۸. شفاعت/ مؤلف : سيد حسن طاهری خرم آبادی ت: سرفراز علی محمدی
۴۹. رويکرد اخلاقی برباورهای وهابيت/ مؤلف: سيد حسن طاهری خرم آبادی/ ت: محمد رحيم درانی

اويغوری

۵۰. نهج البلاغه / مؤلف سيد رضی ت: آعبدالرحمن (ما موهای مای)، آسامساق (ما سوفيا)

اندونزی

۵۱. شفاعت/ مؤلف: حسن طاهری خرم‌آبادی ت: احمد مرزوقی امين
۵۲. رويکرد عقلانی برباورهای وهابيت/ نجم الدين طيسی ت: حسن تونو

تايلندی

۵۳. جايگاه زن از ديدگاه امام خمينی ﷺ/ مؤلف: محمد شريف کت سيبمون

چاپ ۱۳۹۰

فارسی

۱. اسلام در هند / دکترمحمد رضا موحدی
۲. اعجاز قرآن / سيدرضا مؤدب
۳. اعجاز قرآن و مصونيت از تحريف / محمد مهدی اسکندرلو
۴. انقلاب اسلامی ايران در زمينه‌ها و فرآيند شکل‌گيری / محمد مهدی باباپور
۵. آداب و اخلاق پزشکی در اسلام / ت: محمدرضا صالح
۶. آشنايی با انديشه سياسی شهيد صدر / علی رضا بی‌نياز، محمد مهدی باباپور، منصور ميراحمدی
۷. آشنايی با انديشه سياسی شهيد مطهری / علی رضا بی‌نياز، محمد مهدی باباپور، منصور ميراحمدی
۸. آشنايی با آموزه‌های اسلام (اول راهنمايی)/ علی بمان ملک احمدی
۹. آشنايی با آموزه‌های اسلام (دوم راهنمايی)/ علی بمان ملک احمدی
۱۰. آشنايی با آموزه‌های اسلام (سوم راهنمايی)/ علی بمان ملک احمدی
۱۱. آشنايی با آموزه‌های اسلام (اول دبيرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۲. آشنايی با آموزه‌های اسلام (دوم دبيرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۳. آشنايی با آموزه‌های اسلام (سوم دبيرستان)/ علی بمان ملک احمدی
۱۴. آشنايی با متون حديث و نهج‌البلاغه / مهدی مهريزی
۱۵. آشنايی با متون روايی معارفی / عبدالمجيد زهادت
۱۶. آموزش احکام (همراه با استفتائات مقام معظم رهبری) / محمدحسين فلاح‌زاده
۱۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار چهارم / مرکزآموزش زبان و معارف اسلامی
۱۸. بررسی احوال فرزندان امام موسی کاظم ﷺ ونقش آنها در تاريخ تشيع/ سيد ياسين زاهدی
۱۹. پرتو پژوهش، ج۲ / معاونت پژوهش مجتمع عالی فقه
۲۰. پژوهشی تطبيقی در روايات تفسيری فريقين / مهدی رستم نژاد
۲۱. پژوهشی در علم رجال / اکبر ترابی
۲۲. پلوراليسم دينی و قرآن / موسی ابراهيمی
۲۳. پيوندهای نماز / محسن قرائتی
۲۴. تاريخ فلسفه اسلامی (ويراست جديد) / جمعی از مؤلفان
۲۵. تاريخ فلسفه غرب ۱ / مهدی بنايی
۲۶. تاريخ قرآن / محمد حسين محمدی
۲۷. تجزيه جهان اسلام چرايی و پيامدها / علی اصغر رجاء
۲۸. تمدن و فرهنگ شيعيان افغانستان / عبدالقيوم آيتی
۲۹. جايگاه مردم در نظام سياسی دينی از منظر آيت الله نائينی و شهيد صدر / ميرزا حسين فاضلی
۳۰. چکيده پايان‌نامه‌های کارشناسی ارشد، ج۱، ۲ / معاونت آموزش
۳۱. حقوق بين‌الملل اسلامی / عبد الحکيم سليمی
۳۲. حقوق بين‌الملل خصوصی / محمد مهدی کريمی نيا
۳۳. دايرة‌المعارف فرهنگ ملل، ج۱ / پژوهشگاه بين‌المللی المصطفی ﷺ
۳۴. درسنامه اخلاق / جواد محدثی
۳۵. درسنامه روش‌های تفسير قرآن / دکتر محمد علی رضايی اصفهانی
۳۶. درسنامه وضع حديث / ناصر رفيعی محمدی
۳۷. دستور زبان فارسی / حميد نصيريان
۳۸. دعای مکارم اخلاق (در پرتو قرآن وحديث) / حجت منگنه چی
۳۹. دقايقی با قرآن / محسن قرائتی
۴۰. دل باخته / حاج ميرزا عبد الحسين قدس
۴۱. ديدگاه مذاهب اسلامی در مورد تفاوت ديه زن و مرد و ادله آنها / محمد ياسين احسانی
۴۲. رابطه قدرت و عدالت در فقه سياسی / غلام سرور اخلاقی
۴۳. رياضی مقدماتی / غلامرضا صفايی صادق
۴۴. زنان در افغانستان / محمد آصف محسنی (حکمت)
۴۵. سيره اخلاقی و تربيتی معصومين ﷺ / محمد احسانی
۴۶. شيوه‌ای نو در آموزش عروض و قافيه / محمد رضا نيکزاد
۴۷. عقل و ايمان از ديدگاه ابن رشد، صدر المتالهين شيرازی وايمانوئل کانت / علاءالدين ملک‌اف
۴۸. فرهنگ اصلاحات اصول / مجتبی ملکی اصفهانی
۴۹. فرهنگ واژه‌گان فارسی به انگليسی/ مرکزآموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۰. فرهنگ واژه‌گان فارسی به چينی / مرکزآموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۱. فرهنگ واژه گان فارسی به روسی / مرکزآموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۲. فرهنگ واژه‌گان فارسی به عربی / مرکزآموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۳. فرهنگ واژه‌گان فارسی به فرانسه / مرکزآموزش زبان و معارف اسلامی
۵۴. فرهنگ واژه‌گان فارسی به مالايو / مرکزآموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۵. قيام مهدی ﷺ منتظر ماست / سيدحسن فيروزآبادی
۵۶. کتاب شناسی تعليم و تربيت در اسلام / بهروز رفيعی
۵۷. کتاب کار دستور زبان فارسی / حميد نصيريان
۵۸. کمک درسی زبان روسی / علی مدير چهار برجی
۵۹. الگوی فرزانگی / معاونت پژوهش
۶۰. مبانی فقهی انقلاب اسلامی در انديشه امام خمينی ﷺ / علی اکبر ناصری
۶۱. مجموعه مقالات چهاردهمين جشنواره بين‌المللی پژوهشی شيخ طوسی، ج۱، ۳ / جمعی از مؤلفان، پژوهشگاه بين‌المللی المصطفی ﷺ؛ پژوهشکده انقلاب اسلامی
۶۲. مجموعه مقالات نخستين همايش انديشه سياسی اجتماعی امام خمينی ﷺ، ج۲، ۴ / مجتمع آموزش عالی امام خمينی ﷺ
۶۳. مجموعه مقالات همايش زنان در افغانستان، ج۵ / جمعی از مؤلفان
۶۴. مشاهير تشيع در افغانستان، ج۱، ۳ / عبدالمجيد داود ناصری
۶۵. معرفت شناسی / حسن معلمی
۶۶. معرفت‌شناسی باور دينی از ديدگاه شهيد مطهری و آلوين پلنتينگا/ علاء‌الدين ملک‌اف
۶۷. مقايسه تطبيقی انديشه مهدويت در اسماعيليه و اماميه / قدير محمد اف
۶۸. منشور فضل / به کوشش جمعی از مؤلفان
۶۹. نقد نظريه تجربه دينی با تأکيد بر قرآن / شيرعلی شجاع
۷۰. ويژه‌نامه اختر تابان / جمعی از مؤلفان
۷۱. ويژه‌نامه همايش دين، فرهنگ و رسالت علمای افغانستان / نمايندگی جامعه المصطفی ﷺ در افغانستان

۷۲. ویژه‌نامه همایش شیخ طوسی/ پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی
۷۳. همایش حوزه‌های علمیه افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی در افغانستان
۷۴. یهودیت / محمد حسین طاهری آکردی

عربی

۷۵. أساليب التبليغ عند الأنبياء دراسة قرآنيه / السيد منتظر الموسوی (الجابری)
۷۶. اولياء عقد النكاح / حمودی حسن عباس الصيقل
۷۷. آية‌الاظهار بين عالمية الاسلام والعولمة المعاصر / رياض عبدالرحيم الباهلی
۷۸. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رعد الحجاج
۷۹. تاثير الثورة الاسلاميه على البلدان العربيه / ت: عبدالكريم بحراوی طعمه
۸۰. التبتيل فی التجويد والترتيل / حسن عالمی بكتاش
۸۱. تداعيات الثورة الاسلامية فی العالم الاسلامی / دكتر منوچهر محمدی
۸۲. تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الامامية / عدنان فرحان تنها
۸۳. التفسير التربوی للقرآن الكريم / شيخ هاشم ابوخمسين
۸۴. تهذيب البلاغه فی تلخيص مختصر المعانی لسعد الدين التفتازانی / علی عرب خراسانی
۸۵. الحرية الاقتصادية ضوابطها وحدودها فی الفقه الاستدلالی / عبدالكريم بحراوی
۸۶. الحقوق الزوجية / سوسن علی حسين (دادرس)
۸۷. الحكومة الاسلامية فی روية الامام خمينی / ت: محسن زين العابدين
۸۸. الحكومة الاسلامية والولاية الفقيه فی روية الامام خمينی / ت: محسن زين العابدين
۸۹. الدر الباهر فی مقتضيات الجواهر ج۱ / السيد جمال الدين دين‌پرور
۹۰. دراسة أدلة إثبات وجود الواجب فی ضوء الحكمة المتعاليه / السيد أحمد السيد صلاح الموسوی
۹۱. دراسة تطبيقية مبدأ التكافؤ فی الترجمة (من الفارسية إلی العربية) / انور پنام الرصافی
۹۲. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، تلفيقی ج۲و۳ / الشيخ باقر الايروانی
۹۳. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، ج۱ / الشيخ باقر الايروانی
۹۴. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، ج۲،۴ / الشيخ باقر الايروانی
۹۵. دروس فی الاصول الفقه المقارن / مجيد النيسی
۹۶. دروس فی التاريخ الفقه و ادواره / آية الله جعفر السبحانی
۹۷. دروس فی علم الدراية / ت: قاسم البيضانی
۹۸. دروس فی نصوص الحديث و نهج البلاغة / ت: انور الرصافی
۹۹. شقائق الرجال / عادل المزيعل المباحی
۱۰۰. علم الدراية المقارن / ت: انور الرصافی
۱۰۱. الفقه المقارن (العبادات والأحوال الشخصية) / سيد كاظم مصطفوی
۱۰۲. القواعد الفقهية۲ (قاعدة لاضرر، حجية البينة و...) / السيد محمد كاظم المصطفوی
۱۰۳. قيام المهدی امامنا المنتظر / السيد حسن فيروز آبادی
۱۰۴. مبانی نقد متن الحديث / قاسم البيضانی
۱۰۵. النجوم الزاهرة فی اثبات خلافة الأئمة الطاهرة / السيد خليل الشوكی

انگلیسی

۱۰۶. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / ت: حامد حسین وقار
۱۰۷. آشنایی با صحیفه سجادیه / ت: حامد حسین وقار
۱۰۸. حفظ موضوعی قرآن کریم / ت: حامد حسین وقار
۱۰۹. خاطرات امیرالمومنین / ت: علی فرید محمدی
۱۱۰. در آستان رحمت / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۱. در آغوش نور ولایت / سید علی فرید محمدی
۱۱۲. قیام مهدی منتظر ماست / ت: مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی
۱۱۳. نگاهی دوباره به نظریه شفاعت / ت: سلام جودی

فرانسوی

۱۱۴. آموزش احکام / ت: الیزه کابنا
۱۱۵. پیام آور رحمت / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۶. در آستان رحمت / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۷. سروده‌های عاشورایی / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۸. فلسفه اخلاق / ت: ابراهیم منتوبتو
۱۱۹. نامه‌های امیرالمومنین / فریده مهدوی دامغانی

تاجیکی

۱۲۰. اهل بیت در قرآن و سنت / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۱. بحثهای پیرامون اسلام / حکیم جان کمالی
۱۲۲. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۳. تفسیر سوره عنکبوت / ت: شهرالدین محمد امین
۱۲۴. چهل حدیث مقام زن در روایات / محمد رحیمی
۱۲۵. حکمت‌نامه جوان / حکیم جان کمالی
۱۲۶. حکمت‌نامه کودک / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۷. دنیا و آخرت / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۸. سید جمال الدین مصلح شرق / ت: سید اکبر برهان
۱۲۹. شرح چهل حدیث خداشناسی / بحر الدین قربان
۱۳۰. مساله حجاب / ت: سید اکرم خان زیاد الله
۱۳۱. مسئولیت والدین در قبال فرزندان / ت: محمد الله حلیم‌اف
۱۳۲. مقام و منزلت ازدواج / محمد رحیمی
۱۳۳. نگاهی به مسیحیت / ت: محمدالله حلیم اف

آذری

۱۳۴. اهل بیت در قرآن و سنت / ت: رضا شکراف
۱۳۵. آداب معاشرت (از نگاه معصومین) / ت: محمد خلیل‌اف
۱۳۶. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رضا شکراف
۱۳۷. پرتویی از فضائل امیرالمؤمنین علی / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۳۸. پلورالیسم دین، حقیقت و کثرت / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۳۹. پیامبر از نگاه قرآن و اهل بیت / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۴۰. توحید و زیارت / ت: محمد خلیل اف
۱۴۱. جسم انگاری خدا از نگاه شیعه و سنی / ت: حسین مهدی اف
۱۴۲. حکمت‌نامه زنان / توفیق اسد اف و افضل الدین رحیم اف
۱۴۳. حیات پیامبر اسلام حضرت محمد / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۴۴. خصائص امیرالمؤمنین / ت: جبرئیل آبی اف
۱۴۵. زندگی در پرتو اخلاق / ت: رضا شکربیگلی
۱۴۶. سیری در صحیحین / ت: رشاد اکبر اف
۱۴۷. شفاعت / ت: المان اقام اغلان‌اف
۱۴۸. صد و پنجاه درس زندگی / ت: اسماعیل اسماعیل اف
۱۴۹. عقل؛ ایمان و انسان‌شناسی / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۵۰. گفتمان مهدویت زبان آذری / ت: علاءالدین ملک‌اف

اردو

۱۵۱. آداب دعا / رجب علی حیدری
۱۵۲. پرتو پژوهش، ج۱ / سید حمید اختر رضوی
۱۵۳. تعلیمات قرآن / موسسه قرآن و عترت
۱۵۴. تفسیر القرآن وهو الهدی و الفرقان / سید محمد عباس رضوی
۱۵۵. معارف قرآن وعترت / موسسه قرآن وعترت

استانبولی

۱۵۶. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رسول نور
۱۵۷. عدل الهی از دیدگاه امام خمینی / گردآورند: بحری اکیول

بوسنیایی

۱۵۸. التربية الدينية / ت: محمد میسر

ایتالیایی

۱۵۹. صحیفه سجادیه / فریده مهدوی دامغانی

بلغاری

۱۶۰. تاریخ اسلام زندگی حضرت زهرا / ت: محمد باری
۱۶۱. سیره پیشوایان / ت: محمد باری

پشتو

۱۶۲. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: محمد رحیم درانی

چاپ ۱۳۸۹

فارسی

۱. از سی مرغ تا سیمرغ / محمدرضا یوسفی
۲. از قبادیان تایمگان / محمدرضا یوسفی.رقیه ابراهیمی شهرآباد
۳. آسیب شناسی تمدن اسلامی / علیرضا عالمی
۴. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / حسین علوی مهر
۵. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمد علی مجد فقیهی
۶. آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ۵، ۶، ۷) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
۷. آموزه‌های بنیادین علم اخلاق، ج۲ / محمد فتحعلی خانی
۸. با نور قرآن هدایت شدم / ت: محمدقاسم احمدی
۹. بداية المبتدی، ج۲،۱ / سید یونس استروشنی، قمرالدین افضلی
۱۰. براهین جهان‌شناختی از دیدگاه ابن سینا و اگوییناس / حمید زکی
۱۱. پرتو پژوهش، ج۱ / معاونت پژوهش مجتمع آموزش عالی فقه
۱۲. تاریخ پیامبر و اهل بیت، ج۱-۶ / علی ملک بمان احمدی
۱۳. تاریخ تحلیلی آندلس / محمدرضا شهیدی پاک
۱۴. تاریخ تحلیلی مغرب / محمدرضا شهیدی پاک
۱۵. تاریخ حدیث / سید رضا مؤدب
۱۶. تفسیر تطبیقی (بررسی تطبیقی مبانی تفسیر قرآن و...) / فتح الله نجارزادگان
۱۷. جایگاه جامعة المصطفی العالمیة در بعثت جهانی / اداره کل دفتر ریاست جامعة المصطفی العالمیة
۱۸. جهانی در خلوت / مرتضی طالبی
۱۹. چهل حدیث در مورد انسجام اسلامی / جمعی از مؤلفان مجتمع امام خمینی
۲۰. حفظ موضوعی قرآن کریم سید علی میرداماد نجف آبادی

۲۱. خلوص کامیاب / عبدالحسین طالعی، مرتضی طالبی
۲۲. درآمدی بر سیره اهل‌بیت ﷺ / حسین عبدالمحمدی
۲۳. درسنامه آیات الاحکام جزایی / محمد مهدی کریمی نیا
۲۴. درسنامه صرف / علی عرب خراسانی
۲۵. درسنامه عقاید / علی شیروانی
۲۶. دیکشنری فارسی ـ اندونزی / یانور فبری ن
۲۷. رهیافتی به منظومه فکری امام خمینی ﷺ و مقام معظم رهبری / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخرالائمه ﷺ
۲۸. شناخت استعمار / مصطفی اسکندری
۲۹. قرآن کتاب رشد و تعالی / روح الله دهقانی
۳۰. قصه‌های قرآنی / صالح قنادی
۳۱. مبانی و روش‌های تفسیری / محمد کاظم شاکر
۳۲. مبانی و اصول طراحی کتاب درسی / محمد شریفی نیا
۳۳. مجموعه مقالات برتر سیزدهمین جشنواره شیخ طوسی / جمعی از مؤلفان
۳۴. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی امام خمینی ﷺ، ج۱ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی ﷺ
۳۵. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۱-۴ / ستاد برگزاری همایش
۳۶. مقام محبت الهی از منظر حکمت و عرفان نظری و عملی / محمد حسین خلیلی
۳۷. منشور جامعة المصطفی ﷺ العالمیة
۳۸. منطق پیشرفته / عسکری سلیمانی امیری
۳۹. مهدویت در ادیان آسمانی / ابراهیم کوثری
۴۰. مهندسی اوقات فراغت / محمد علی متولیان، احمد هوشمند
۴۱. نخل نسیم / حسن ابراهیم‌زاده
۴۲. نظام حقوقی اسلام / جلیل قنواتی

۴۳. بحوث فی علم الرجال / آیةالله محمد آصف المحسنی
۴۴. تاریخ الحدیث / سید رضا مؤدب
۴۵. التعرف علی خط التبتی / مرتضی الشعبانی
۴۶. دروس تمهیدیه فی السیرة القادة الهداة، ج۱-۲ / سید منذر حکیم
۴۷. دروس فی الفقه المعاملات(البیع) / السید محمد کاظم المصطفوی
۴۸. دروس فی المسیحیه / علی الشیخ
۴۹. دروس فی المناهج والاتجاهات و التفسیریة للقرآن / ت: قاسم البیضانی
۵۰. دروس فی علوم القرآن / حسین جوان آراسته
۵۱. دروس فی فقه الاستدلالی، ج۱-۳ / عبد الکریم آل نجف
۵۲. دروس موجزة فی علمی الرجال والدرایة / آیةالله جعفر سبحانی
۵۳. العلم فی إطار الدین / عبدالکریم الجنابی
۵۴. قرآن الحسین وحدة المنهج والهدف / السید لیث الحیدری
۵۵. المحکم و المتشابه / عبدالرسول غفاری
۵۶. المرأة فی الاسلام / عبدالرسول غفاری
۵۷. معجم الافعال المتداولة و مواطن استعمالها / السید محمد الحیدری
۵۸. معرفة ابواب الفقه / محسن الفقیهی
۵۹. النسخ بین المفسرین / عبدالرسول غفاری
۶۰. وعایة الحکمة فی شرح نهایة الحکمة / حسین عشاقی الاصفهانی

۶۱. اشعار عاشورایی، ج۱-۲ / محمد رضا فخر روحانی

۶۲. سخنان حسین بن علی ﷺ از مدینه تا کربلا / ت: فریده مهدوی دامغانی

۶۳. اربعین مولانا جامی / داستان حقنظرزاده
۶۴. پدر و مادر ومعلم من را خوب تربیت کن / ت: سید امان‌الله بابایوف
۶۵. پیامبر اعظم ﷺ / رجب جمعه‌خان
۶۶. تفسیر سوره محمد ﷺ / محسن قرائتی
۶۷. حرمت شراب / روح‌الله قلندر
۶۸. فضیلت صدقه / مصطفی علی
۶۹. مقام پدر ومادر / محمد رحیمی
۷۰. مقام قرآن کریم / اسماعیل محی الدین
۷۱. مقام نماز / عبدالهاشم میرزا

۷۲. حجاب چرا وچگونه / ت: جمال‌الدین شکراف
۷۳. دعا و توسل / حسن طاهری خرم آبادی
۷۴. سرنوشت از دیدگاه علم وفلسفه / ت: رضا شکراف
۷۵. قرآن کریم چنانکه هست / ایلقار اسماعیل زاده

۷۶. آداب اسلامی، ج۱-۲ / محمد عندلیب
۷۷. تاریخ شیعیان کشمیر / غلام‌محمد گلزار
۷۸. تحریف قرآن کی بطلان کاتحلیلی جائز / ت: عارف حسین مبارک‌پوری
۷۹. ترجمه گزیده غرر الحکم و درر الکلم / ت: محمد فائز باقری
۸۰. چگونه قرآن را حفظ کنیم / شهریار پرهیزگار
۸۱. قصه‌های قرآنی ـ قرآن قصی / صالح قنادی

۸۲. عقاید اسلامی در پرتو قرآن حدیث وعقل / ت: بحری اکیول

۸۳. چهل حدیث اسراف / ت: محمد ابوسعید

۸۴. رابطه والدین با فرزندان / حافظ محمد سعید
۸۵. زندگی زناشویی / حافظ محمد سعید

۸۶. صفات شیعه / ت: عباس دیپالما

۸۷. آموزش مفاهیم قرآن کریم / ت: شیرعلی‌اف

۸۸. ترجمه گزیده غرر الحکم / سید قمر غازی

www.miup.ir

يُعدّ هذا الكتاب دراسة موضوعية يتناول مبحثين في غاية الأهمية، ويشكّلان منطقاً ومُنطلقاً لتفسير القرآن الكريم.

المبحث الأول، عنوانه: (أصول التفسير) وهي الأصول التي يقوم عليها علم وعمليّة التفسير، وقد استعرض الكتاب أهم تلك الأصول وكيفية استخدامها.

المبحث الثاني، عنوانه: (قواعد التفسير) وهي القوانين الكليّة التي يحاول المفسّر تطبيقها لفهم القرآن.

ـ تعرض الكتاب إلى مباحث تمهيديّة هامّة كتعريف التفسير، وشروط المفسّر، وتطبيقات كثيرة لمفاهيم وأصول وقواعد التفسير التي يَتكئُ عليها المفسّر.

ـ أُعدّ هذا الكتاب كمنهج دراسيّ لطلبة الجامعات (فرع علوم القرآن).



مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر

المعرض الرئيسي:

ايران، قم، شارع معلم الغربي (الحجتية)، معرض مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر.

هاتف: ٩ ـ ٠٠٩٨ ٢٥ ٣٧٨٣٩٣٠٥

miup@pub.miu.ac.ir pub.miu.ac.ir